الإعلام والرأي العام


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الجمهورية العربية السورية
منشورات جامعة دمشق
مركز التعليم المفتوح
قسم الإعلام

الإعلام والرأي العام

أ . الدكتور
عطا الله الرمحين

الدكتور
نزار ميهوب

جامعة دمشق

١٤٢٥-١٤٢٦هـ
٢٠٠٤-٢٠٠٥

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

محتويات الكتاب

الجزء الأول

المقدمة ص٩

الباب الأول:

- ماهية الرأي العام ص١٣

الباب الثاني:

- الفصل الأول: الرأي العام ظاهرة من ظواهر الحياة الروحية.....ص٤٥
- الفصل الثاني: إدارة عملية تكوين الرأي العام ص٦١

الباب الثالث :

- الفصل الأول: الإعلام والرأي العام ص٧٥
- الفصل الثاني: تكوين الرأي العام تحت تأثير الإعلام العلمي والموضوعي في المجتمع الإنساني ص٨١
- الفصل الثالث : الرأي العام مقياس لفعالية الإعلام ص٩٩

الباب الرابع:

- الفصل الأول: أجهزة الرأي العام الاجتماعية – السيكولوجية وتأثيراها في وعي سلوك الناس ص١٠٩
- الفصـــل الثاني: القوالب الجامدة(القولبة)الاجتماعية السيكولوجية في عملية تكوين الرأي العام ص١٣٥

الباب الخامس:

- الفصـــل الأول: دور وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في تكوين الرأي العام ص١٥٥

• الفصل الثاني: الإعلام الشفهي في عملية تكوين الرأي العام وتوظيفه.....ص١٦٩
• الفصل الثالث: التحريض السياسي في نظام وسائل التأثير الهادف في الرأي العام ص١٨١

الباب السادس:

• الفصل الأول: دراسات الرأي العام الاجتماعية شرط ضروري لتحسين العملية الإعلامية ص٢٠١
• الفصل الثاني: الرأي العام حول المسائل السياسية كموضوع للدراسات الاجتماعية"سورية نموذجاً" ص٢١٩
• الفصل الثالث: الرأي العام حول مسائل الحياة الاقتصادية ص٢٤٥
• الفصل الرابع: دراسة الرأي العام بهدف تحسين النشاط الإعلامي التحريضي من خلال تجربة الحزب الاشتراكي الفرنسي ص٢٦١

الباب السابع:

• الإعلام الغربي ونظريات الرأي العام ص٢٧٣

الباب الثامن:

• الصحافة والإذاعة والتلفزيون منابر للرأي العام ص٣٠٣

الباب التاسع:

• الاستعلام، الوجه الآخر للإعلام ص٣١٧

الباب العاشر:

• دور الإعلام في الارتقاء بالرأي العام ص٣٣٣

الجزء الثاني

- محتويات الجزء الثاني: ص٣٤٣
- خاتمة: ص٥٥٠
- المراجع : ص٥٥٣

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

المقدمة

تعد دراسات الرأي العام من الدراسات المهمة في العصر الذي نعيشه، بخاصة مع تطور وتقدم وسائل الاتصال والإعلام، وتشابك المصالح، واختلاف الظروف التي يعيشها الإنسان في يوم من أيام حياته الخاصة في هذا العصر الذي اتسم بالسرعة في كل شيء.

ومع الإيقاع السريع لهذا التطور والتقدم، لا بد من الوقوف على حقائق الأمور، ومعرفة مجرياتها، ولا يتم ذلك إلا بدراسات الرأي العام، والتي لا بد من تكرارها من آن لآخر حتى يقف رجال الإعلام ورجال الاجتماع، ورجال السياسة، والمهتمين بالمصلحة العامة في أي دولة من الدول على ما يدور بين الجماهير من اتجاهات، وما يسيطر عليها من أفكار، وما تهتم به من قضايا وذلك حتى يمكن اتخاذ القرار الصحيح، وقيام الدراسات الموضوعية الدقيقة.

وليس المقصود من هذا الكتاب، أنه دراسة مكررة من دراسات الرأي العام من حيث تأثيرها في الجمهور، أو دراسته من حيث المستقبل بصفة عامة، وإنما ترجع أهميتها إلى مدى تعلق هذه الدراسات بالمرسل من حيث كونه وسيلة أو فرداً، حيث تتعلق بدراسة ومدى تأثير الرأي العام في الرسالة الإعلامية ، من ناحية الشكل أو القالب الفني الذي تصاغ فيه الرسالة الإعلامية، ومدى تأثير الرأي العام في مضمونها بالإضافة إلى مدى تأثير الرأي العام في خط الإعلام الجماهيري كله، كي نضع في حسباننا الرأي العام الصحيح حين التخطيط الإعلامي، ووضع السياسة الإعلامية لفترة من الفترات سواء أكانت حالية أم مستقبلية، ومراعاة الرأي العام حين صياغة الرسالة الإعلامية، وتكوين فكرة شكلاً وتصميماً، كل هذا يجعل الإعلام ينطلق من روح الجماهير، ويعبر عنها بصدق وإخلاص، وهذا هو الفارق بين إعلام وآخر، فبعض وسائل الإعلام تنطلق أجهزتها بالمضامين الإعلامية لكنها تكون جوفاء، لأنها تعبر عن واقع

المجتمع، ولا عن روحه، وبعضها تؤدي رسالة إعلامية كلها حياة وتأثير، لأنها تعبر عن آمال الجماهير، وتداوي جراحها وتخفف من الأعباء الواقعة عليها في صدق وموضوعية.

والسبب في ذلك أن الممارسة الإعلامية تتكون من خمسة عناصر، هي المرسل، المستقبل والرسالة والوسيلة ورد الفعل، وتكون دراسة الرأي العام حول الإعلام الجماهيري دائماً للتعرف على رد لفعل لتستمر العملية الاتصالية الإعلامية في الدوران بالكفاية نفسها والحيوية والتأثير وهذه هي دراسات الرأي العام التقليدية.

أما هذا الكتاب فيتعلق بأهمية الرأي العام في التأثير في المرسل وفي الرسالة الإعلامية شكلاً ومضموناً ، وفي الوسيلة والجمهور، وأهميته في العلاقة أو التوافق بين هذه العناصر أو بعضها، والذي تتوقف درجة التأثير الإعلامي على مدى وجوده.

وقد بدأنا هذا الكتاب بفصل تقليدي عن تاريخ الرأي العام، ثم عن مفهومه وتعرضنا من خلاله للتعريفات السابقة التي وردت من قبل عنه، وقدمت وجهة النظر حولها، حيث خلصنا من ذلك إلى أنه لا يمكن وضع تعريف للرأي العام لارتباطه بالنواحي المعنوية لدى الإنسان من ناحية، ولارتباطه بتغير الأزمنة والأماكن والأفكار والظروف الاجتماعية، من ناحية أخرى، لذا يمكن التعرف على مفهوم الرأي العام وليس وضع تعريف له، ثم قدمنا عرضاً لأنواع الرأي العام من الناحية الكمية ثم من الناحية الكيفية، ومن ناحية خصائص الرأي العام.

وقد عرضنا هذا الفصل التقليدي حول الرأي العام لا لأنه جديد، وإنما ليتاح للقارئ تكوين النظرة المتكاملة حول الرأي العام، وحتى يتم ذلك من خلال الدراسة ذاتها، فإذا لم توضع أمام القارئ هذه الأشياء الأساسية في الكتاب ذاته فإن إحالته إلى الكتب، ودراسات أخرى، تعني مشقة له، قد تصرفه عن القراءة والاستفادة، وقد قمنا بذلك للتأسيس عليه في الفصول القادمة، لذا لم نتعرض إلا

لهذه الأشياء الأساسية والضرورية اللازمة للقارئ من ناحية، ولهذا الكتاب من ناحية أخرى.

وفي الباب التالي تحدثنا عن الرأي العام كظاهرة اجتماعية طبقية، في الحياة الروحية للمجتمع الإنساني المعاصر، وكحلقة ضرورية في العلاقة المتبادلة بين القائم بالفعل والموضوع، كما أبرزنا الرأي العام كقوة روحية قوية تعلن عن نفسها، وترغم الحياة الاجتماعية والسياسية والتنظيمية، وتتكون في هذا العصر ظروف مناسبة من أجل صياغة الرأي العام وإظهاره. وترتبط هذه الظروف بتغير العلاقات الإنتاجية ، والتركيب الطبقي للمجتمع، والثقافة والأيديولوجيا والسيكولوجيا الاجتماعية ومع تطور الديمقراطية، يتم الضمان للجماهير الواسعة المشاركة المباشرة في إدارة الدولة، والإنتاج وكل قضايا المجتمع، فالرأي العام القائم، يظهر كضرورة للديمقراطية ، والإدارة الحكومية.

وفي الفصول التي تلت قدمنا عرضاً لكيفية تكوين الرأي العام والعوامل المؤثرة فيه، ثم خطوات تكوينه من حيث ظهور المشكلة ومناقشتها مع مستويات الاتصال الشخصي والجمعي، وأيضاً عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري. ثم الوصول إلى الرأي العام.

ولأن المناقشة تعد من أهم مراحل تكوين الرأي العام. ولأن وسائل الإعلام في العصر الحديث تعد من أهم عوامل إجراء المناقشة عن طريق نقل وجهات نظر للصفوة والقادة والمثقفين وتلقين الأفكار واقتراح الحلول، فقد عرضنا وسائل تكوين الرأي العام، التي تشمل الوسائل المطبوعة والمسموعة والمرئية.

وقدمنا أيضاً عرضاً لأهمية الرأي العام في تحديد المذاهب الإعلامية ، تتبعها الوسائل الإعلامية في المجتمع الواحد، حسب نوعيات الرأي العام ومدى تأثيرها في المجتمع، فالمجتمع الواحد لا يسوده رأي عام واحد، وإنما هناك أنواع مختلفة للرأي العام ولكل رأي عام مذهب إعلامي يناسبه، ومن هنا يحدد الرأي

السياســـة الإعلامـــية المتبعة في المجتمع، وقد أشرنا إلى أهمية وسائل الإعلام بصفة عامة في الارتقاء به عن طريق رفع أذواق الجماهير وإعطاء الجمهور ما يحتاجه في صورة ما يحبه وما يريده.

ومـــن هنا فالعلاقة بين الرأي العام والإعلام علاقة متشابكة ومتداخلة ومهمة لا يمكن إغفالها.

فالإعلامي لا بد له من وعي الرأي العام، ولا بد أن يضعه في حسبانه عند التخطيط للإعلام، وعند تنفيذ الخطط، إذا لا بد من مراعاة الرأي العام في شكل الرســـالة الإعلامية ومضمونها، وفي الوسيلة المتبعة أيضاً. كذلك لا بد لدارس الـــرأي العام من مراعاة الإعلام وأهميته في رفع مستوى الرأي العام والارتقاء بالجماهير وأذواقها من خلال الوظائف المثلى للإعلام.

إن الكـــتاب يعطي مواصفات سوسيولوجية " اجتماعية " سيكولوجية للرأي العام والإعلام، درست فيه أشكالاً محددة في ترابطها المتبادل ، وقد أعير فيه اهتمام خـــاص بتعميم تجارب بعض البحوث السوسيولوجية الدقيقة للرأي العام، وإلى اســـتخدام نتائجها في بعض الأعمال الجديدة،ونرجوا أن نكون قد قدمنا في هذا الكـــتاب وجهة نظر جديدة حول الرأي وعلاقته بالممارسة الإعلامية، تخطيطاً وتنفـــيذاً، وأن يســـتفيد مـــنها كـــل حريص على المصلحة العامة للمجتمع وأن يســـترعي انتباه دارسي الإعلام وممارسته، وما قصدنا إلا تقديم وجهة نظر أو فكرة لخدمة الإنسان من حيث هو إنسان ولخدمة المجتمع ومصلحته العامة.

دمشق ٢٠٠٤

أ. د عطا الله الرمحين　　د. نزار ميهوب

الباب الأول

* ماهية الرأي العام..... ص ١٥

- تاريخ الرأي العام ص١٥
- مفهوم الرأي العام ص١٨
- أنواع الرأي العام ص٢٧
- خصائص الرأي العام ص٣٦
- مقومات الرأي العام ص٣٩

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

ماهية الرأي العام

أولاً: تاريخ الرأي العام:

تعـد الدراسـات المتعلقة بدراسة الرأي العام كظاهرة من الظواهر المؤثرة في المجـتمع من أهم الدراسات في هذا العصر، وذلك لما وصل إليه العلم الحديث مـن تقـدم وتطـور مذهلين في وسائل الاتصال بصفة عامة. ووسائل الإعلام بصفة خاصة، حتى أصبح العالم بوصف_ وبحق – أنه قرية صغيرة ، يستطيع مـن فـي أقصاها أن يرى ويسمع ما في أقصاها من الجانب الآخر من أحداث وأخبار في وقت حدوثها بوضوح تام.

وقـد أدى هذا التقدم في وسائل الاتصال. وبالتالي في مختلف المجتمعات. إلى حل مختلف المشكلات والقضايا من كبيرها إلى صغيرها.

ولـيس معنى الاهتمام بدراسات الرأي العام في هذا العصر، ظهوره أو بروزه كظاهرة مؤثرة في المجتمعات الحديثة، أن الرأي العام، وليد هذا العصر، وإنما يرجع تاريخ ظاهرة الرأي العام من حيث كونها موجودة بالفعل إلى المجتمعات القديمة.

فقد عرف اليونان القديم مفاهيم قريبة من الرأي العام، كالاتفاق العام والاتجاهات السـائدة. ويقسـم أرسطو المستمعين وهم الذين يكونون الرأي العام في عصره حسب السن إلى شباب ورجال وكبار السن، ثم يقسمهم حسب ما نسميه ظروف الخط، وهي الأصل والثروة والقوة ولكل مجموعة من هذه خواصها".

ولـم تكن الحضارة اليونانية وحدها هي التي عرفت الرأي العام، وإنما عرفتها الحضارات على مختلف العصور.

"فقـد كانت جهود الدعاة في الحضارات القديمة تنصب على إشاعة الطاعة بين الـناس، ومـن هـنا جاءت سياسة إضفاء العظمة على الحكام، كما تشهدها في

الآثـــار والفـــنون والآداب وكمـــا نـــراها على واجهة المعابد وأوراق البردي واللوحـــات والحجرية والتماثيل الفنية، وقصائد الشعر والملاحم وغيرها، وفي جميع الأزمان حاول السياسي أو الحاكم أن يدعم من تعلق الناس به".

ومن ذلك على سبيل المثال ما عرفه الرومان حيث " تحدث الرومان عن الآراء الشـــائعة بيـــن الناس ووصلوا في أواخر عهد إمبراطورياتهم إلى مفهوم صوت الجمهور أو صوت الشعب ولعل هذه المفاهيم تقترب كثيراً من اصطلاح الرأي العام في العصر الحديث.

وفي العصر المسيحي أيضاً ظهرت عبارة الاتفاق العام. والإجماع العام ، وهي مبنـــية على فكرة الشعور الجماعي التي كان يستخدمها أنصار البابا وخصومهم أنصـــار الإمـــبراطور للتعبير عن التقاليد السائدة والاتجاهات العامة للرأي في المناطق المختلفة المتنازع عليها".

أمـــا فـــي العصر الإسلامي فقد كان الرأي العام واضحاً كلياً بخاصة في العهد المدنـــي مـــن حـــياة الرســـول (صلى الله عليه وسلم) حيث تكونت أول دولة إســـلامية فـــي صورة متكاملة. فقد أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم دعائم الحرية في هذا المجتمع مما جعل الرأي العام يؤدي وظائفه بفعالية.

"ومما يؤكـــد أن الإسلام يحفل كثيراً بالرأي العام ويعطيه أهمية كبيرة ومكانة سامية، أن الإسلام كفل لكل مسلم أن يقول رأيه بصراحة ، ويبدي وجهة نظره دون خـــوف مـــن شـــيء ، فلـــيس في الإسلام قيد على حرية ولا إجبار على الســـكوت، ولكل مسلم أن يتحدث بما شاء سواء أخذ برأيه أو لم يؤخذ، وسواء أكـــان رأيـــه خطأ أم صواباً. وحرية الرأي في الإسلام جعلت بعض المسلمين يجاهرون بالرأي ، ذلك أن هذا الدين لم يقهر إرادة الآخرين في تبني ما يشاؤون مـــــن آراء وأفكـــــار حـــــتى وإن كـــــان يرفضـــــها الإســـــلام".

فقد عود النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه حرية الرأي، وحرية المناقشة وهذه

هي دعائم وجود الرأي العام الحر السليم في المجتمع، حيث كان يشاورهم ويأخذ رأيهم، ومن ذلك ما حدث في أدق المواقف في غزوة بدر وغزوة الأحزاب وفي كثير من الأمور التي علمهم فيها حرية إبداء الرأي وأرسى من خلالها دعائم بناء الرأي العام، المعبر عن المجتمع بصورة صادقة.

وقد سمي الرأي العام بعد عصر النبي(ص) بالإجماع، وهو كما ذكر علماء الفقه اتفاق أهل الحل والعقد، على أمر من الأمور الشرعية، أو العقلية أو المعرفية والمراد بالاتفاق، الاشتراك في القول أو العقل أو الاعتقاد، وأهل الحل والعقد هم العلماء والمجتهدون في العلم والعمل به، على اختلاف فروع العلم طالما كان هذا العلم نافعاً للبشرية، وقادة الرأي هم أهل الخبرة المجتهدون فيها، لأنهم بخبرتهم واجتهادهم في كل ناحية من نواحي تخصصهم أعلم ممن سواهم بالصالح للأمة، فإذا نبع الرأي منهم، وكانوا قادته، صار من المحقق مع الإخلاص وحسن النية الوصول إلى رأي عام قوي سليم، يجب اتباعه والسير في ضوئه، ولهذا أضفى الرأي العام كل التقدير والعناية بقوله صلى الله عليه وسلم ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)).

وقد سار الخلفاء الراشدون على ذلك، فتجلى الرأي العام الإسلامي في صورة مهيبة عظيمة يوم أن اجتمع المسلمون على سقيفة بني ساعدة، وتشاوروا في أمورهم، ثم اتفق المهاجرون والأنصار على اختيار أبي بكر خليفة للمسلمين، واهتمام عمر رضي الله عنه بالرأي العام لا يخفى، فقد تخطّى مرحلة الاهتمام بتكوين الرأي العام إلى مرحلة الاهتمام بقياس الرأي العام، فما أكثر القصص الدالة على ذلك من سهره على راحة الأمة، والتعرف على الرأي العام السائد فيها.

وقد عرف الأمويون والعباسيون فنون التأثير في الرأي العام، وأسموها بالسياسة، وعلى سبيل المثال لا يذكر معاوية، إلا وتذكر معه عبارته الشهيرة:

((لو كان بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت، فإذا أرخوها شددتها وإذا شدوها أرخيتها)).

وفـــي العصر الحديث يعد ميكافيللي أول من وجه الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بصوت الشعب واتجاهاته، وكثيراً ما كان يردد العبارة القائلة: إن صوت الشعب مـــن صـــوت الله، وقد عبر الشاعر الانكليزي شكسبير بلسان هنري الرابع عن ((الرأي الذي ساعد في الوصول إلى الحكم)).

وقـــد ساعدت الحروب والمنازعات في إنجلترا وأمريكا وفرنسا، حول المسائل السياسية والدينية على تدوال معاني الرأي السائد، ولم يستخدم تعبير الرأي العام إلا إبان الثورة الفرنسية، وكان يتكرر كثيراً بين فلاسفة العصر ورجال السياسة والأدب، وفـــي الحقـــيقة كان مفهوم الرأي العام ثمرة لمراحل طويلة من الكفاح المرير من أجل الحرية.

وبهـــذا نرى أن ظاهرة الرأي العام ليست وليدة هذا العصر، وإنما الحديث فيها هـــو الاهتمام بها، ودراستها وتقنينها، ومعرفة أهميتها وقياسها واستخدام نتائج ذلك في توجيه الجمهور، وارضاء الشعور واستقرار الأحوال.

ثانياً : مفهوم الرأي العام:

من الأشياء المسلم بها بداهة ، أن كل ما يتعلق بالنواحي المعنوية للإنسان أو ما يســـمى دراسات العلوم الإنسانية يصعب أن نضع له تعريفات محددة أو قوانين ثابـــتة ، تصـــدق علـــى شيء بعينه وتكذب على ما سواه، فهذا شأن الماديات كـــالحديد ، والذهـــب ، ومعادلات الكيمياء ، والرياضيات ونحوها، أما الأشياء المتعلقة بالنواحي المعنوية لدى الإنسان كالنفس والعقل والرأي وما يتفر ع منها، فلا يمكن وضع تعريفات عامة أو محددة لها.

ذلك أن هذه المعنويات تخضع لتقلبات الأفكار واختلاف العقول ، وتغير المفاهيم الـــناتج عن تغير الأزمنة والأماكن، والذي يترك بصماته واضحة على عقل كل

فـرد مـن الأفراد، فتجعله يرى الأشياء بمنظار وصورة ورؤية غير تلك التي يـراها غـيره من الناس، وهو ما يسمى المرشحات لدى علماء الاتصال، وهذه المرشحات أو الظروف الخاصة بكل إنسان ، تتشكل وفقاً للبيئة والنشأة والتراث الثقافـي والاجتماعـي والاقتصادي الخاص بكل فرد من الأفراد، تجعله يدرك الأشياء إدراكاً خاصاً تمايز الشخصيات ، وتباين العقول واختلاف المفاهيم.

وبالتالـي فإن هذه الأشياء المعنوية التي لا تخضع لعوامل ثبات تجعلها تحس وتلمس وتقاس وتقنن ، هذه المعنويات تتغير بتغير الأشخاص لاختلاف أفكارهم، وباختلاف الأزمنة والأماكن نظراً لتغيير المفاهيم السائدة.

بناء على ذلك يمكن القول إنه لا يمكن صياغة تعريف ثابت ومحدد للرأي العام يصـدق عليه ويكذب على ما سواه من الأشياء والظواهر، فمن الناحية اللغوية نجـد أنهـا تتكون من كلمتين، كلمة (رأي) وكلمة (عام) ، وككل كلمة في معجـم اللغة، لها معنى مفهوم وإذا ما جمع المعنيان معاً فلا يعطيان دلالة على المقصـود، وبهـذا فهـو مصطلح لا يمكن استخراج معنى له من معجم اللغة العربية.

ومـن هنا فإنه من الأفضل أن نحاول التعرف على المصطلح – الرأي العام _ عن طريق محاولة الاقتراب من مفهوم له، لذلك نستبدل بالقول "" مفهوم الرأي العام "" تعريف الرأي العام.

وقـبل أن نـتعرف على المفاهيم الواردة – أو كما يسميها أصحابها -- تعريفات الرأي العام ، لا بد من التفريق بين الرأي بصفة عامة ، والرأي العام.

ينقسـم الرأي بصفة عامة إلى رأي شخصي ورأي خاص، وهذا وذاك يختلفان عن ""الرأي العام "" فالرأي الشخصي **personal opinion** ، هو الذي يكونه الفرد لنفسه في موضوع معين بعد تفكير في هذا الموضوع، ويجاهر به دون أن يخشى شيئاً أما الرأي الخاص **private opinion** فهو هذا الجزء من الرأي

الشخصي الذي يجاهر به الشخص أمام الناس، ولكنه يحتفظ به لنفسه خشية أن يعرض نفسه للخطر أو خشية فقدان صديق أو منصب، وقد يبوح به الشخص لبعض المقربين إليه الذي يكتمون سره "".

أما الرأي العام فإنه يمثل تياراً يسري عبر الجماهير، يعكس آفاق تطورها. ويعكس رضاها أو سخطها ويظهر ذلك غالباً في صورة مجموعة من الضغوط والأحكام التي تصدرها هذه الجماهير تجاه عمل من الأعمال. أو حادثة من الأحداث، فهو يمثل قوة جارفة، من الصعب التصدي لها ، أو التأثير عليها ، إلا بعد معرفة اتجاه هذا الرأي، والوقوف على المؤثرات المباشرة وغير المباشرة في تنشيطه وتحريكه، وكذا الوقوف على عوامل تكوينه ، ومعرفة طبيعته، ذلك أنه يعبر عن اجتماع كلمة الجماهير.

((أنه بالرغم من عدم وجود تعريف شامل للرأي العام إلا أنه يمكن لكل إنسان أن يفهم المقصود به إذا سئل عنه)).

ومع ذلك فقد حاول كثير من العلماء العرب والأجانب وضع تعريفات للرأي العام، نحاول استعراض أهمها مع التعليق عليها، في محاولة للتعرف على مفهوم الرأي العام بصورة أكثر وضوحاً.

يحدد العالم (جرهارد شمتشن) معالم الرأي العام بقوله : (إن الرأي العام يتكون من أنماط سلوكية يعبر عنها بالكلمة المكتوبة أو المنطوقة ، وأنماط السلوك عبارة عن ردود فعل لحدث ما، وبالتالي يعتبر الرأي العام تعبيراً جماعياً عن آراء مجموعة من الأشخاص، متحدة الهدف والأمال والحاجيات حول شيء ما، ويعبر الأفراد عادة عن الشيء الواحد تعبيرات مختلفة لاختلاف الشخصيات والخبرات والجنس والسن والنشأة، والمركز الاجتماعي والتربية والدخل والمستوى العقلي والعادات والتقاليد، الأمر الذي يحدث في الرأي العام

اختلافات يمكن ملاحظتها كذلك بين جماعات المجتمع العديدة المختلفة الأهداف والمصالح، مما يؤدي إلى وجود آراء عامة بدلاً من رأي عام واحد).

ويصف العالم برايس الرأي العام في كتابه الديمقراطية العصرية، الرأي العام (بأنه تعبير يستخدم عموماً للتعبير عن مجموع الآراء التي يعتنقها الناس عن الشؤون التي تؤثر في المجتمع، أو فهمه ، إنه مجموعة من كل نوع من المعلومات المتناقضة والمعتقدات والأوهام والأفكار المثيرة والتطلعات. إنه حائر مفكك يعوزه التبلور ، من يوم إلى يوم ، ومن أسبوع إلى أسبوع).

وهذا التعريف يقرب في بدايته من وصف الرأي العام وأهميته في التأثير في المجتمع، إلا أنه يعود ويوضح أنه أي الرأي العام مجموعة متناقضة من المعلومات والمعتقدات ، بل والأوهام.

والأكثر من ذلك أنه حائر ومفكك، وغير واضح ، وهذه أوصاف خاطئة للرأي العام.

ويقترب من هذا الوصف للرأي العام، ما ذكره شيفلي من أن الرأي العام له مفهومان، مفهوم ذاتي ومفهوم موضوعي.

فالمفهوم الذاتي هو (رأي عدد من الأفراد تجمع بينهم آمال وأهداف وتفكير معين، وأما المفهوم الموضوعي للرأي العام، فهو الرأي الذي تبلور وظهرت معالمه، ودخل في مجال الروح الموضوعية ، من عادات ، وتقاليد ،) ويشغل الرأي العام بمفهوميه كل نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية، ويتكون من الروح الموضوعية الاجتماعية، وبين الرأي العام الضحل المتغير الذي ينتج عن الروح وتتكون من كل ما اكتسبه المجتمع على مر التاريخ من أفكار قانونية وسياسية واجتماعية واقتصادية وتكتيكية وعلمية وفنية وخلقية ودينية ، وقيم وآمال.

ويضيف جروت أن الآراء العامة تنبع من الروح الموضوعية الاجتماعية التي تمتاز بالصلابة، والاستمرار عن الروح الذاتية ، لأنها تتكون من الإيديولوجيات، والخبرات والتقاليد والأفكار والأهداف والعادات إلى غيرها من المكونات الروحية العامة، ويرى جروت أنه لا بد من التفرقة بين الرأي العام الذي ينبع من الروح الموضوعية الاجتماعية وبين الرأي العام الضحل المتغير الذي ينتج عن الروح الذاتية.

ويرى العالم الأمريكي (دوب) أن الرأي العام هو (اتجاهات الناس إزاء قضية ما ، حينما يكونون أعضاء في نفس الفصيلة الاجتماعية ، أو الجماعة المحلية).

والملاحظ هنا أن (دوب) يفضل عنصر الزمن الذي يمثل أهمية كبرى في تكوين الرأي العام واستمراريته نظراً لما يمثله من مدى استمرارية القضية أو عدم استمراريته. كما يؤدي دوراً مهماً في تغيير الأفكار والنظريات بالنسبة للأفراد، مما يؤثر بالتالي في الرأي العام.

أما هارولد تشيلدز فيرى أن الرأي العام هو (مجرد مجموعة من الآراء الفردية، وهو يستند إلى جمهور نوعي معين، بالنسبة لا تجاهاته إذا هو حاصل جمع الآراء الفردية).

وبمقارنة تعريف دوب بتعريف تشيلدز للرأي العام يتضح لنا أن دوب يرى أن الرأي العام ليس مجملاً للاتجاهات. ولكن يصل إليه الناس عن طريق المناقشة. وهذا يختلف عن رأي تشيلدز الذي يقول إن الرأي العام مجرد مجموعة من الآراء الفردية ، فعند دوب الرأي العام حاصل ضرب الآراء الفردية. بعضها في بعض وليس حاصل جمعها كما يرى تشيلدز.

ويقول الاستاذ البيج أستاذ الرأي العام الأمريكي إن الرأي العام ينتج عن انتقال أفكار الأفراد في أي شكل من أشكال الجماعة أو هو موضوع معين يكون محل مناقشة في جماعة ما.

ولـــيس هذا التعريف بالتعريف الجامع للرأي العام حيث يتحدث عن **تفاعل** بين أفكار الأفراد تجاه موضوع معين يؤدي إلى ناتج هذا التفاعل.

ويرى فلويد البورت أن الرأي العام هو (تعبير جمع كثير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين، أو يمكن استدعاؤهم للتعبير عن أنفسهم كمؤيدين أو معارضين لمسألة نهائية معينة، أو لشخص أو اقتراح ذي أهمية واسعة النطاق بحيث تكون نسبتهم في العدد مع الكثرة والاستمرار كافية للتأثير في أفعالهم بطريق مباشر أو غير مباشر تجاه الموضوع الذي هم بصدده).

ويؤيـــد ذلك ما يراه كلايد كنج في كتابه قرارات في الرأي العام حيث يذكر أن الـــرأي العام هو (الحكم الذي تصل إليه الجماعة في مسألة ذات بال وذلك بعد مناقشـــات علنية مستوفاة ويزيد هذا التعريف على التعريف السابق الإشارة إلى المناقشات العلنية والمستوفاة).

ويقول جيمس بنج إن الرأي العام (هو الحكم الاجتماعي لجماعة ذات وعي ذاتي على موضوع ذي أهمية عامة بعد مناقشة عامة مقبولة).

ويرتـــبط هـــذا الـــتعريف السابق، بالنظرة الاجتماعية للرأي العام، ولا يعطي المفهـــوم الواضح له كما أن ألفاظه ينقصها التحديد، فعبارة "" جماعة ذات وعي ذاتي "" هل تعني جماعة جماهير الشعب أم جماعة محدودة أو طائفة معينة داخل المجتمع؟

كمـــا أن الوعـــي قد يقتصر على المثقفين وهذا يحرم طائفة كبيرة من أعضاء المجـــتمع عـــن التعبـــير عن رأيها مما يجعل الرأي غير عام، ولذلك فإن هذا الـــتعريف كغـــيره من التعريفات السابقة لم يعطنا تعريفاً شاملاً للرأي العام إذ ينقصه الوضوح والتحديد.

ويـــرى جولت أن الرأي العام هو (الفهم المعين للمصالح العامة الأساسية الذي يـــتكون لدى كافة الأعضاء للجماعة وهذا التعريف ينقصه الكثير ذلك أنه يقف

عـــند حد الفهم، وهو فقط يمثل المرحلة الأولى من مراحل تكوين الرأي العام. ولا يصـــل لمرحلة إبداء الرأي وظهور اتجاهات معينة لدى الجماهير لتحدد ما تـــريده ولتعـــبر عـــن رأيها ، كما أنه من الصعوبة بمكان أن يتفهم كل أعضاء الجماعـــة مشـــكلة ما وحتى إذا حدث هذا فإن درجات الفهم تختلف من شخص لآخر. وقد قام كثير من أساتذة الإعلام العرب بوضع تعريفات للرأي العام أيضاً نذكرها إلى جانب هذه التعريفات الأجنبية السابقة لنستفيد منها في إلقاء الأضواء على الرأي العام).

يذكر الدكتور أحمد أبو زيد أن الرأي العام هو (وجهة نظر أغلبية الجماعة الذي لا يفوقـــه أو يحجبه رأي آخر. وذلك في وقت معين وإزاء مسألة تعني الجماعة تـــدور حولهـــا المناقشـــة صارحة أو ضمناً في إطار هذه الجماعة). ويعد هذا الـــتعريف من أقرب التعريفات التي توضح المفهوم الصحيح للرأي العام، حيث يجعله يعتمد على الأغلبية الكيفية للجماعة، أي الواعية التي لا يفوق رأيها رأي آخر، كما أنه يعرض للعناصر المهمة المكونة للرأي العام الصحيح والمتمثلة في المجـــتمع (الجماعـــة) والمناقشـــة الصريحة أو الضمنية والزمن والقضية أو المشكلة.

ويـــرى الدكتور عبد القادر حاتم أن الرأي العام هو (ذلك الرأي الذي ينتج عن المؤثرات وردود الأفعال المتبادلة بين أفراد جماعة كبيرة من الناس).

وهـــذا الـــتعريف يقصر وجود الرأي العام على وجود المؤثرات ويستنبطه من ردود الأفعـــال الخاصـــة بالجماعة إزاء تلك المؤثرات، في حين يمكن أن يوجد الرأي العام دون مؤثرات، فقد تكون مسألة من المسائل تهم شعباً آخر أو جماعة أخرى، ويتكون رأي عام عنها لدى كثير من الشعوب أو الجماعات.

ويقـــول الدكتور إبراهيم أمام أن الرأي العام هو (الفكرة السائدة بين جمهور من الـــناس تـــربطهم مصـــلحة مشـــتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من

التصـــرفات أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصلحة من المصالح المشتركة بينهم).

ومع أن هذا التعريف بسيط وواضح إلا أنه يجعل الرأي العام فكرة والفكرة هي مـــرحلة ســـابقة للرأي ، فالرأي يأتي على أثرها أي بعد أن تتبلور هذه الفكرة ويـــدور حولها النقاش، وتظهر وجهات النظر المؤيدة والمعارضة، تستطيع بعد ذلك أن تصل إلى تكوين الرأي العام.

ويعرف الدكتور أحمد بدر الرأي العام بأنه (التعبير الحر عن آراء الناخبين – أو من في حكمهم ، بالنسبة للمسائل العامة المختلف عليها، على أن تكون درجة اقتـــناع الناخبيـــن بهـــذه الآراء وثباتهم عليها، كافية للتأثير في السياسة العامة والأمـــور ذات الصـــالح العـــام، وبحيث يكون هذا التعبير ممثلاً لرأي الأغلبية ولرضى الأقلية).

ويعيـــب هـــذا التعريف أنه يحدد الرأي العام في رأي الناخبين، أي أن القضية تنحصر في موقف معين، هو الموقف الانتخابي، بينما يتعدى تكوين الرأي العام أو ظاهـــرة الرأي العام ذلك الموقف، إلى كل موقف أو قضية تعترض الجماعة المكونة لمجتمع معين في أي وقت.

أما أقرب التعاريف التي نراها ممثلة للمفهوم الصحيح للرأي العام، فهو المفهوم الـــذي أورده الدكـــتور مخـــتار التهامي، في كتابه الرأي العام والحرب النفسية والذي يعرف الرأي العام فيه بأنه (الرأي السائد بين أغلبية الشعوب الواعية في فترة معينة بالنسبة لقضية أو أكثر يحتدم فيها الجدل والنقاش، وتمس مصالح هذه الأغلبية أو قيمتها مساً مباشراً).

وعلـــى الـــرغم مـــن بســـاطة هذا التعريف فإنه يتلافى عيوب كل ما ورد من تعـــريفات ســـابقة، كما يقترب من تعريف الدكتور أحمد أبو زيد، ويتميز عنه بالوضـــوح والبســـاطة والشـــمول في الوقت ذاته، لذا فهو يعد أكثر التعريفات

توضيحاً لمفهوم الرأي العام وترجع الدكتورة شاهيناز طلعت هذه الاختلافات في تعـريف الرأي العام إلى اختلاف نظرة الكتاب والمفكرين إلى الرأي العام، تلك الـنظرة التي حصرت معنى الرأي العام وحددته في نطاق معين، ولذلك فهناك جوانب رئيسية ثلاثة اعتمد عليها الكتاب في تحديد معنى الرأي العام وهي:

١- طبيعة الفرد وسماته.

٢- تكوين الآراء وخصائصها.

٣- اختلاف اهتمامات الكتاب ومجالات تخصصاتهم وميادينهم.

وتعـرف الدكـتورة شـاهيناز طلعـت الرأي العام بأنه (مجموعة مركبة من الأفضليات التي يعبر بها أغلبية الأفراد في مجموعة جماهيرية ما – في مجتمع ما – عن مسألة عامة ، يهتمون بها بعد مناقشتها بالفترة المناسبة ، وربما يكون لهذا الرأي تأثيراً معيناً).

ولعـل هذه التعريفات المختلفة، والتي تعبر عن آراء كثير من المفكرين وعلماء الإعـلام العـرب والأجانب، قد قدمت مفهوماً يوضح ماهية الرأي العام، ويبين المقصـود به ، حتى يمكن – بناءً على ذلك – معرفة أهمية الرأي العام بالنسبة للقائم بالعملية الإعلامية، والمتلقي لوسائل الإعلام ، أو المتعرض لمضامينها.

ذلـك أن الـرأي العـام يعد عنصراً فعالاً في العملية الإعلامية، سواء بالنسبة للمرسـل أو بالنسـبة للمسـتقبل، كمـا أنه يرسم الخط الذي تسير فيه الرسالة الإعلامـية، لتحقيق الهدف المقصود منها، في ذات الوقت الذي يوضح فيه مدى هذا التأثير.

كما أن الإعلام في حد ذاته يلعب دوراً فعالاً في توجيه الرأي العام وتشكيله من خلال إثراء المناقشات.

وحـتى نقـف علـى مـدى التشابك والتفاعل الحادث بين الرأي العام والعملية الإعلامية، لا بد أن نقف على أنواع الرأي العام من الناحية الكمية والكيفية، ولا

بـــد أيضـــاً مـــن إيضـــاح دور الرأي العام وأهميته ووظائفه وتأثيره في القائم بالاتصال الإعلامي.

ثالثاً: أنواع الرأي العام:

حينما نتحدث عن أنواع الرأي العام، فإنه يجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع أو التقسيمات، ما هي إلا تقسيمات معنوية من أجل الدراسة، ولا يمكن للمواطن أو الفرد العادي ملاحظة الفارق بين نوع وآخر من هذه الأنواع، ذلك أن بعض هذه الأنـــواع يتداخل مع بعضها، أو يتكرر وجودها مع بعضها – نوعين أو أكثر – يمكن وجودهما معاً في مجتمع واحد، أو في الزمان والمكان ذاته. ومن الجدير بالذكـــر أيضاً أن هذه الأنواع أو التقسيمات ليست بالشيء الثابت أو المتفق عليه بين علماء الإعلام بصفة نهائية، وإنما تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات والأزمـــنة شأنها في ذلك شأن الاتفاق على تعريف الرأي العام، فهي تختلف من مكان لآخر بحسب الزمان والمكان والمفكرين.

وقـــبل أن نتحدث عن أنواع الرأي العام، لا بد من التفريق بين مفهومين آخرين هما مفهوم الإجماع العام (العادات والتقاليد) والاندفاع العاطفي فكل من هذين المفهومين يختلف عن مفهوم الرأي العام.

فالإجمـــاع العـــام: هـــو مـــا أجمعت عليه الأمة أو المجتمع من عادات وتقاليد وعـــرف، ارتضـــاه المجتمع، وسار عليه، وأصبح مألوفاً بل وأصبحت مخالفته شـــاذة، ولا يرضـــى أفـــراد المجتمع عن مخالفة هذه العادات وهذه التقاليد فقد أصـــبحت لهـــا قـــوة أقوى من القانون ذاته، ذلك لأنها تراث الماضي الطويل، ومعظمهـــا مـــتوارث مـــن الأجيال الماضية، مما جعل أفراد المجتمع يقدسونها ويقفـــون أمامهـــا باحـــترام، وهذه الأعراف أو العادات والتقاليد، ليست محددة بقوانيـــن مكتوبة أو مفروضة إنما يرتضيها الأفراد من واقع كونها متوارثة من الأجيال السابقة.

ومن هذه الأمثلة هذه العادات والتقاليد، طقوس الزواج في مجتمع من المجتمعات أو طقوس الأحزان أو المواساة أو المجاملات أو بعض أنواع الملابس.
أو المناسبات المعينة وما يسودها من سلوكيات. هذه الطقوس يؤديها الأفراد برضى تام دون تفكير أو تردد. وكلهم قد ارتضوها وتعارفوا عليها. ويصبح شاذاً من خالفها.

وتختلف هذه العادات والتقاليد من مجتمع لآخر ، حتى داخل المجتمع أو الدولة الواحدة ذاتها. فكل مجموعة لها سلوكيات وتقاليد وعادات تميزها، والمجتمع كله له عادات وتقاليد معروفة أيضاً تميزه. فالمجتمع السوري مثلاً. لكل محافظة أو مدينة من مدنه ما يميزها من العادات والتقاليد والمجتمع السوري كله ما يميزه من العادات والتقاليد عن المجتمع المصري أو العراقي أو السوداني مع أن هؤلاء جميعاً مجتمعات عربية.

وهذه العادات والتقاليد تتكون ببطء شديد بمعنى أنها ترسخ ترسيخاً بطيئاً في المجتمع، هذا الترسيخ يعطيها صفة الثبات والاستمرار، نظراً لرسوخها في أعماق وأفكار الأفراد، مما يجعلهم لا يثورون عليها، وليست هذه العادات والتقاليد إلا مجموعة من الآراء العامة المتكررة حول قضايا كثيرة ومتلاحقة في المجتمع، هذه الآراء العامة كانت ذات تأثير في وقتها مما أعطاها صفة التأثير وبالتالي تراكمت وأصبحت تمثل عرفاً أو أعرافاً أجمع المجتمع عليها وارتضاها، فهي ليست رأي عام واحد ، حول قضية واحدة في زمن واحد وإنما مجموعة من هذا وذاك أصبحت أو صيغت في شكل عادات وتقاليد أصبح هناك إجماع عام تام حولها، وانشغل الناس بها وارتضوها، ونسوا أصلها ، أو مكوناتها الأساسية.

ومع ذلك فهذا الإجماع العام لا يتغير إلا بالرأي العام أيضاً، فكما أنه تكون أصلاً من مواقف الرأي العام ، فإنه يتغير بالطريقة ذاتها، عن طريق الإحلال أو

التفكـــير الجزئي في بعض هذه العادات والتقاليد وتغييرها شيئاً فشيئاً بما يناسب العصر، ويتلاءم مع روحه وديناميكيته ، ولكن هذا التغيير يتم بطيئاً.

وبالتالي فإن هذا الإجماع يدوم زمناً طويلاً، حيث أنه يتكون ببطء ويتغير أيضاً ببطء ومن هنا كان الاختلاف بين الإجماع العام والرأي العام، أنه يتكون بطيئاً ويتغـــير بطيئاً، وأنه لا يكون حول قضية معينة بذاتها في وقت معين بذاته، أما الرأي العام فيستمر باستمرار القضية التي يثار حولها، وما أن تتغير القضية أو تنتهـــي أو تســـتجد قضـــية أكثر أهمية منها، إلا وينشغل الرأي العام بالقضية الجديـــدة، غير أن الإجماع العام يرتبط بالرأي العام في أن الرأي العام هو الذي يكونه ويغيره.

أما الاندفاع العاطفي أو ما يسمى الفعل الجمعي، فهو عكس الإجماع العام تماماً حيـــث أن الاندفاع العاطفي هو سلوك الجماهير في موقف عاطفي معين يتميز بالاندفـــاع أو عـــدم الوعي، ويسري مثل هذا السلوك في الحشود أو الجماهير المجتمعة دون تفكير مثل التصفيق أو الهتاف أو يتم هذا السلوك عن طريق قيام شخص أو أكثر بمثل هذا السلوك وسط الحشود مما يؤدي قيامه بها دون تفكير. أو عن طريق استثارة الجماهير بكلمة أو موقف معين.

وكمـــا يـــتم هذا السلوك بطريقة عاطفية سريعة. فإنه ما يلبث أن يزول سريعاً أيضـــاً، ذلك أن كل فرد من أفراد الجماهير ما يلبث بعد وقت قليل، قد لا يصل إلـــى دقـــائق أو ساعات، فيعيد التفكير في موقفه، وبالتالي يكشف عنه، بعد أن يكـــون قـــد حكم عقله في هذا السلوك. ولا علاقة لهذا الاندفاع العاطفي بالرأي العـــام، فهـــو لا يمثل رأياً عاماً، من بعيد ولا من قريب، لأنه لا يتم بناءً على مناقشة.ولا حول قضية عامة تهم أفراد هذا المجتمع أو مصلحته العامة.

ويعـــرف الدكتور عبد اللطيف حمزة – هذين النوعين : (الإجماع العام أو ما نسميه بالاتجاه العام) والاندفاع العاطفي : أو ما يسميه السخط العام بالتعريف التالي:

الاتجاه العام:

هو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شيء معين، يرون فيه صيانة لتقاليدهم أو دفاعاً عن دينهم، أو محافظة على تراثهم ونحو ذلك.

أما السخط العام:

فهـــو ما تصل إليه الجماهير بمجرد الإثارة والانفعال برجل واحد فقط أو فكرة واحدة فقط. أو زاوية واحدة فقط، لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر الأخرى أن تظهر إلى جانبها.

وهكـــذا نجـــد أن هـــناك فوارق بين الرأي الخاص والشخصي من ناحية وبين الاتجـــاه العـــام الـــذي يمثل العادات والتقاليد من ناحية، وبين السخط العام أو الاندفاع العاطفي من ناحية ثالثة. وبين الرأي العام وهو الذي نقصد إلى دراسته من ناحية رابعة.

أمـــا الـــرأي العـــام فإنه ينقسم من وجهة نظر العلوم الاجتماعية إلى قسمين أو نوعين: – تقسيم كمي ، وتقسيم كيفي.

التقسيم الكمي للرأي العام :

يقـــوم التقسيم الكمي على وجهة النظر الكمية أو العددية وهذا ينقسم إلى التقسيم العـــددي وهـــو رأي الأغلبية ورأي الأقلية، والتقسيم الزماني وهو الرأي العام الدائـــم والمؤقت واليومي. والتقسيم المكاني وهو الرأي العام العالمي والإقليمي والمحلي.

آ)- التقسيم العددي:

- رأي الأغلبية:

المقصود برأي الأغلبية هو رأي ما يزيد على نصف الجماعة التي تمثل المجتمع، أي بعبارة أخرى تجمع وتكرر الرأي الشخصي لأغلبية الجماعة، على أن تكون هذه الأغلبية أكثر من نصف العدد ، وذلك حول قضية معينة تهم المجتمع.

ويرى الدكتور حسنين عبد القادر أن رأي الأغلبية قد يتكون أحياناً بالتضليل وحذف بعض الحقائق أو الدعاية التي يقوم بها القادة والزعماء، ويذكر أن رأي الأغلبية هو في الواقع عدة آراء أقليات مختلفة اجتمعت حول هدف معين، كما هي الحال في بعض البرلمانات التي تتألف منها عدة أحزاب لتكون أغلبية ضد حزب معين، لكن رأي الأغلبية معرض لأن يكون رأي أقلية، ومن عيوبه أنه قد يركن إلى الكسل والخمول والنوم، ويدع شؤونه لفئة قليلة من غير الأكفياء للتعبير عنه، والقيام بأعبائه.

وما يجب أخذه في الحسبان في هذا المجال هو أن الأغلبية إذا كانت على أساس كمي أو عددي فإنها لا تمثل الرأي العام تمثلاً صحيحاً، لأن العامة من أفراد المجتمع لا يهتمون بالقضايا ولا يستطيعون تكوين رأي صائب حول القضايا العامة ، كما أنهم لا يناقشون مثل تلك القضايا وبالتالي فمع كونهم الأكثرية العددية أو الأغلبية الكمية، إلا أن رأيهم لا يؤثر في الرأي العام.

أما الأغلبية العددية أو الكمية فإنها يكون لها تأثير إذا ما كان أفراد المجتمع قد تم اختيارهم على أسس متجانسة، أو بشروط معينة ، أو بالأحرى على أسس كيفية سابقة ، مثل أعضاء البرلمان أو طلاب الجامعات مثلاً، فإن رأي الأغلبية هنا يكون له تأثيره.

- رأي الأقلية:

هو رأي ما يقل عن نصف الجمهور، وقد يشمل هذا الرأي رأي فئة من الفئات في المجتمع، ويجب ملاحظة أن رأي الأقلية يكون له اعتباره إذا كان من بين هذه الأقلية أفراد لهم تأثير في المجتمع مثل قادة الرأي ، أو المفكرين أو الكتاب لأن الواحد من هؤلاء، هو واحد من حيث القيمة العددية أو القيمة الكمية، ولكنه أكبر من ذلك أو أكثر من ذلك من حيث التأثير الكيفي، فهو مؤثر في عدد كبير من الأفراد وبالتالي فيجب مراعاة هذه الأقلية وعدم إهمالها ومما يزيد من أهمية الأقلية وعدم إهمالها أنها تعمل على أن تكسب رضا الجماهير لتتحول إلى أغلبية، والمعروف أن الرأي العام ليس ثابتاً فرأي الأغلبية يمكن أن يتحول إلى رأي أقلية، ورأي الأقلية يمكن أن يتحول إلى رأي أغلبية، وذلك تبعاً للمناقشة والعوامل الأخرى من ورود الأخبار حول القضية وتغير الزمن نحوها.

ب) – التقسيم الزمني:

يرى بعض المفكرين أن الرأي العام يمكن أن ينقسم من الناحية الكمية أيضاً إلى تقسيم زماني، أي يعتمد على مدى الدوام أو الاستمرار فهناك الرأي العام الدائم وهناك الرأي العام المؤقت وهناك الرأي العام اليومي.

وهذا التقسيم ليس بالتقسيم الصحيح أو المتلائم مع التقسيم الذي نراه صحيحاً للرأي العام، حيث يذكر أن الرأي العام الدائم هو المرتكز على أسس تاريخية وثقافية ودينية وحضارية وقومية ، ويشترك في تكوينه كل أفراد الجماعة ويتصف بالثبات والاستقرار وغالباً ما تتوارثه الأجيال في المجتمعات، نادراً ما تؤثر فيه الأحداث الجارية، أو الظروف الطارئة. وهذا النوع لا يزيد ولا ينقص عن الإجماع العام أو الاتجاه العام الذي ذكرناه من قبل أنه العادات والتقاليد. وأنه لا يمثل الرأي العام في شيء وليس من أنواعه.

- **الرأي العام المؤقت:**

هو الرأي الذي ينشأ ويتكون نتيجة لحادث عارض، وينتهي بانتهاء هذا الحادث وهـذا الـرأي محدد بعوامل زمنية ومكانية ويتغير أو يزول بتغيير إحدى هذه العوامـل ومـن أمثلة هذا الرأي تذمر عمال بعض المصانع فيما يقرر صاحب المصنع خفض أجورهم أو الاستغناء عن بعضهم فإن هذا التذمر يعد عاماً مؤقتاً لأنه ينتهي بمجرد صدور قرار لحل مشكلتهم.

ويمكـن أن يصـبح هذا النوع من الرأي العام، رأياً عاماً صحيحاً إذ تكون بعد مناقشة جادة وصحيحة للمشكلة ، وكان على أسس صحيحة سليمة ، أما إذا كان نتـيجة لـثورة طائشة أو رأي عارض أو نحو ذلك ، فإنه يصل إلى ما أسميناه الاندفاع العاطفي من قبل.

- **الرأي العام اليومي:**

وهـو الفكرة اليومية التي يقتنعها معظم أفراد الجماعة ، تجاه الأحداث اليومية، ومجـريات الأمـور ، وعلى هذا فهو يتأثر بالأحداث اليومية التي تصدر على صـفحات الصحف اليومية، فهو مرتبط بالآنية، وعنصر الآنية أمر يحتمه كون الـرأي العـام مفتوحاً وعلنياً، يتعرض للتيارات الاجتماعية الداخلية والخارجية والتـي تـتفاعل بحكم وجودها مع الرأي العام وهو في هذه الحالة رد فعل لما يحدث يومياً.

وكما يتضح فإن هذا النوع يتأثر بوسائل الإعلام وما تعرضه من أخبار وأحداث كما يتأثر بالشائعات كما أن المصالح المباشرة للمواطنين تؤثر فيه أيضاً وبذلك فإنه يتغير حسب الآراء المختلفة للمواطنين، وبذلك فليس هذا النوع من الأنواع المعبرة بدقة عن الرأي العام الصائب أو الصريح.

جـ)- التقسيم المكاني:

- **الرأي العام العالمي أو الدولي:**

مـــن المعروف تاريخياً أن الحكومات بمناسبة إعداد نشاط ما من قبلها خارجياً كـــان أم داخلياً له طابع دولي أو صفة دولية لأنه يجابه أحكاماً فورية من جانب أفـــراد وجماعـــات تمثل رأياً ما، ومتى صدرت هذه الأحكام في مختلف أنحاء العـــالم وانسجمت مع بعضها بعضاً وتوافقت كونت الرأي العام الدولي. أما إذا أعـــرب رأي عن حادث سياسي داخلي له علاقة بالسياسة الخارجية فلا يسمى رأياً عاماً دولياً. فمثلاً استفتاء داخلي حول قضية خارجية. لا يشكل رأياً عاماً. إلا أنـــه من المتفق عليه أن استفتاء سكان إقليم على يد لجنة دولية قد يكون له صـــفة الـــرأي العام الدولي، إلا أنه ليس بالرأي العام الدولي بمعنى الكلمة لأن غرضه تصحيح حدود أرض أو ضم إقليم، فهو محدود الغاية والغرض ولأن من أخذ رأيهم هم جزء من السكان لا جميع السكان.

والرأي العام الدولي لا يخضع لأية اتفاقية تحدد شروعه وتنظم أحواله، فلا عمر له ولا جنس ولا مكان بل إن تجمع الرأي حول قضية ما، هو الذي يحدد مكان الـــرأي العـــام الدولي، فلا سلطة لحكومة عليه، ووسائل الإعراب عنه متعددة وحرة.

إلا أن هناك من عارض التعريف السابق بالرأي العام الدولي أو العالمي وقال: إن الـــرأي العـــام الدولـــي والعالمي ليس رأي الحكومات بل هو رأي الشعوب وعرفه : ((بأنه الرأي والاتجاه أو الفكرة السائدة بين أغلب الشعوب، في فترة معينة نحو قضية أو قضاياتهم هذه الشعوب كلها أو معظمها، وتشكل اتجاهها)). لأنه كثيراً ما يكون هناك خلاف في الرأي بين الشعوب وحكوماتها. وإن الرأي العام الدولي أو العالمي هو وثيق الصلة بالتطور العالمي وبالحركات الاستقلالية

والـــتحررية، فكلما زاد عدد الشعوب المتحررة، زادت قوة الرأي العام العالمي وتأثيره.

ويســـند أصـــحاب هـــذا الرأي رأيهم بمثلين: الأول، جرى بعد الحرب العالمية الأولـــى والثاني جرى بعد الحرب العالمية الثانية. فبعد الحرب العالمية الأولى قامت عصبة الأمم. بعد أن أعلن الرئيس ولسن مبادئه التي قالت بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها. وإن إنشاء عصبة الأمم من شأنه تفادي حرب جديدة وصـــيانة الســـلام العالمـــي مستقبلاً. فقيام عصبة الأمم كان انتصاراً للشعوب وللرأي العام العالمي، استطاع الرأي العام العالمي أن يشغل عصبة الأمم عدت ســـنوات فـــي بحث الموضوعات وإعداد المواثيق التي تدعو إلى نزع السلاح وإبعاد الحروب.

إنه وإن لم يستطع الرأي العام العالمي منع نشوب الحرب العالمية الثانية بسبب مطـــامع الدول الاستعمارية فإن الرأي العام العالمي لعب دوراً في إنشاء الأمم المـــتحدة التي تكونت في معظم الدول في العالم رغم اختلاف أنظمتها السياسية والاقتصادية وقد نص ميثاق الأمم المتحدة على احترام حقوق الإنسان الأساسية بـــلا تميـــيز بين الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة. ولا تفرقة بين الرجال أو النســـاء. كمـــا نص على مبدأ المسؤولية الجماعية نحو إنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحروب. وعلى المسؤولية الجماعية نحو توفير الحياة الكريمة لكل فرد من أفراد الجنس البشري.

وعلى مبدأ المساواة في السيادة بين الدول كبيرها وصغيرها. وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

وبالإضـــافة إلـــى المثلين السابقين هناك الأمثلة العديدة التي حصلت بين عامي ١٩٤٥-١٩٩٤ والتـــي لعـــب فـــيها الرأي العام العالمي دوره الإيجابي الفعال وجعلت منه حقيقة واقعية ملموسة.

رابعاً – خصائص الرأي العام:

ممـــا ســـبق يتضح لنا أن الرأي العام وجود معنوي وهو ملتقى أحكام الجماهير ووجهات نظرها، وأنه يمثل أحياناً انفعالها ويعكس شحنتها النفسية في فـــترة معينة، إلا أننا مع ذلك لا نستطيع أن نضع قانوناً عاماً للرأي العام، فأية محاولـــة للتعميم بالنسبة لسلوك الرأي العام أقرب إلى العاطفية وفي الجماعات المتحضرة يتسم الرأي العام بالمنطق غير أنه لا يصل إلى التفكير العقلاني الذي يحدد الأسباب ويرتب عليها النتائج.

فالرأي العام تعبير إرادي منبعث من الجماعات في أي أمر من الأمور وتجاه أية قضية من القضايا فهو إجماع اتجاه ميول الناس ورغباتهم التي تتألف مـــن قطـــرات صغيرة تتألف لتكون نهراً متدفقاً هادئاً أحياناً تجاه بعض القضايا وعنيفاً أحياناً تجاه قضايا أخرى [٣٧].

ويمكـــن أن نســـتخلص أهم السمات التي تحدد طبيعة وخصائص الرأي العام بناءً على ما سبق ذكره من تعريفات للرأي العام وبناءً على ما حدده بعض أساتذة الرأي العام من خصائص أمثال هادلي كانتربل ووالترلتمان وكمبال يونج وغيرهم وأهم هذه الخصائص:

١- إن الـــرأي العـــام يمثل سلوكاً جمعياً كامناً في بعض المواقف وظاهراً في بعض المواقف فقد يكون الرأي العام مجرد وجهات نظر أحياناً وقد يكون تعبيراً صريحاً لفظياً وحركياً.

٢- إن الـــرأي العـــام قد يكون مستمراً أو غير مستمر، وقد يكون مؤسساً على الترشـــيد والتعقـــيل الـــذي يقوم به الزعماء والمفكرون، وقد يكون تعبيراً عن البغضاء الذي تحمله الجماعة بين جنبيها والآلام التي تقاسيها فيحتل الرأي محل العمل على إزالة هذا الشعور، وقد يكون أيضاً لتقليل أثر دافع أو رغبة لم تحقق

---

(37) – أحمد أبو زيد: مرجع سابق صـــ٣٩.

للتخفيف من حدة خيبة الأمل. فمع أن الرأي العام تعبير إرادي. إلا أنه استجابة لمثيرات معينة.

٣- إن الرأي العام هو الصور والأفكار في رؤوس الناس عن أنفسهم وحاجاتهم وأهدافهم وعلاقاتهم(٣٨).

٤- إن الرأي العام يتسم بالثبات النسبي والاستقرار النسبي في مقابل أنصاف رأي الحشود بعدم الثبات وعدم الاستقرار (٣٩).

٥- الرأي العام حساس بالنسبة للأنباء والأحداث الهامة، وتزداد هذه الحساسية بازدياد أهمية تلك الأنباء والأحداث (٤٠).

٦- الرأي العامل الساكن أو الكامن يتحول إلى رأي عام صريح إذا ظهرت قضية هامة بعد حدوث قلق أو تصادم أو هزيمة أو خيبة أمل (٤١).

٧- الرأي العام الباطني يفصح عن نفسه أي يتحول إلى رأي عام ظاهري إذا أصبح للقضية قوة كبيرة وفي هذه الحالة يكون للتحويل نتائج إيجابية ناجحة.

٨- من الصعب خداع الرأي العام إذا كان عالماً لكل أطراف الموضوع أو القضية التي تكون الرأي حولها.

٩- قد تكون رأي عام حول بعض المشكلات ولكن لا يستطيع الرأي العام التوصل إلى حل لها.

١٠- إن الحوادث الضخمة تجعل الرأي العام غير مستقر أو في حالة تذبذب شديدة ولفترة مؤقتة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار أو من النفيض إلى

---

(38) - **Walter lappman, pubic opinion , new York the macmillanco , 1922.p29.**

(39) - أحمد أبو زيد: مرجع سابق صـ٤٠.

(40) - إحسان سعد الدين عسكر: الخبر ومصادره (القاهرة، عالم الكتب مجهول التاريخ صـ١٥٣).

(41) - محمد القادر حاتم: الإعلام والدعاية: نظريات وتجارب (القاهرة مكتبة الأنجلو ١٩٧٨ صـ١٢٩).

النقـيض ذلك أن الرأي العام لا يتسم بالاستقرار إلا إذا نظر الناس إلى الأحداث نظرة تفكير وتعقل.

١١- لا يظل الرأي العام مستثاراً لفترة طويلة من الزمن إلا إذا ظلت الحوادث الجاريـة تسـاند هذه الاستثارة أو إذا شعر الناس أن المسألة تتعلق بمصالحهم بشكل واضح.

١٢- إن الجماهير تكون أقل معارضة لقرارات الزعماء إذا كانت الجماهير تثق فـي هؤلاء الزعماء فالجماهير تريد الموافقة على هذه القرارات أكثر من تحمل المسؤولية، أما إذا لم يكن هناك ثقة في الزعماء فالجماهير تكون أقل تسامحاً أو تهاونـاً مـن طبيعـتها المعتادة كما أن الجماهير لا تعارض كثيراً في قرارات الزعماء إذا أحست بالمشاركة في اتخاذ هذه القرارات [٤٢].

١٣- قـد يبنـي الرأي العام على الأهواء والرغبات – تماماً كالرأي الفردي – وفي مثل هذه الحالة فإنه يتخذ موقفاً متطرفاً بالنسبة للأحداث والقضايا.

١٤- في حالة ارتفاع نسبة التعليم وتوافر وسائل الإعلام يكون الرأي العام قوياً صلباً، فأصحاب التعليم والمثقفون أكثر استعداداً للموافقة على الآراء الأقرب إلى الموضوعية.

١٥- إن الدعايـة التـي تقوم في أغلب الأحيان على تحريف بعض الوقائع أو حـذف بعـض الحقائق أو تنحاز إلى جانب معين دون الجانب الآخر فلا تعني بالموضـوعية فـي الإعلام، وهذا من شأنه تضليل الرأي العام،م خاصة عندما تندس الدعاية عن طريق أجهزة الإعلام دون أن ينتبه الجمهور إليها فتتنكر في أقنعة مزيفة فتلحق بالرأي العام أشد الأضرار والإيذاء، وهذا ما يظهر في أغلب الأحـيان فـي أنظمة الحكم المطلق غير الديمقراطية، أو في النظم الديمقراطية الـزائفة التي ليس فيها من الديمقراطية إلا الاسم فقط، فيتقبلها الناس وينساقون

---

(42) – أحمد أبو زيد : مرجع سابق صـ٤٢.

وراءهـــا إلى حين نقول إلى حين، لاعتقادنا بأن الشعب الذي تأصلت فيه روح الديمقراطـــية مـــن الصـــعب أن تضلله الدعاية بصورة فعالة لأنه ينفر بطبيعته وبتفكيره الحر من الدعاية التي تندس في وسائل الإعلام.

١٦- إن الـــرأي العام يسهل على الناس تحديد أهدافهم إذا كانت وسائل الإعلام حـــرة لا رقابـــة عليها ولا توجيه، لأن الرقابة كالدعاية مهمتها تحوير وحذف الحقيقة والتحكم في أفكار الناس. فالرقابة المفروضة على وسائل الإعلام منافية للحـــرية والديمقراطـــية ولتكويـــن الـــرأي العام السليم في القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية والسياسية.

١٧- إن الـــرأي العام يتأثر إلى حد كبير بالإحصاءات والدراسات في المسائل المخـــتلفة التـــي تهـــم الجمهور وأحياناً كثيرة نرى أن الجماهير تختار الطريق المضاد أو المعاكس لهذه الإحصاءات والدراسات. وتدل الوقائع إن الرأي العام فـــي حالة الراحة والاطمئنان والرفاهية الاقتصادية والسياسية لا يتحرك ويبقى ساكناً. وكلما قل الاهتمام الفردي أو الجماعي بإحدى القضايا أو المشكلات مهما كان موضوعها فإن الفرصة لتكوين رأي عام قوي تكون ضعيفة [٤٣].

خامساً – مقومات الرأي العام:

- إن للـــرأي العام في أي بلد من البلدان مقوماته التي تؤثر فيها تقاليده وتاريخـــه وأوضـــاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالإضافة إلى تجاربه الذاتية، وتجارب غيره، فإن العادات والتقاليد– وحتى المعتقدات المتوارثة، تعد من قبيل الآراء العامة، إلا أن لها تأثيراً كبيراً بالغ الخطورة على تكوين الرأي العـــام، بخاصـــة فـــيما يتعلق بالعادات السيئة لأنه غالباً ما يتأثر الجمهور بهذه

---

(43) – حسن الحسن: الدولة الحديثة أعلام واستعلام، دار العلم للملايين عام ١٩٨٦ صـــ٢٥٤.

العادات، وبخاصة إذا استغلها أصحاب المآرب، وليس للصالح العام، بل لغاياتهم الخاصة....

- تؤثر الأوضاع الاجتماعية في نشوء الرأي العام وتغيره وتطويره فسلوك الفرد يختلف عن سلوك الجماعة، إن آراء الأفراد ومواقفهم ليست مرادفة للرأي العام أو لموقف هؤلاء الأفراد مجتمعين. فعندما يجلس عشرة أشخاص حول مائدة في مطعم أو مقهى لا يطلبون المأكولات أو المشروبات التي يطلبونها حينما يكونون منفردين أو منعزلين بعضهم عن بعض. إن مجرد اجتماعهم ودعوتهم إلى التعبير عن رغباتهم بصورة علنية تؤدي إلى تغيير آرائهم. وعلى هذا الأساس نرى أن الأفراد الذين يشعرون أو يعرفون أنهم مشتركون في الأفكار مثل أبناء الطائفة الواحدة أو الطبقة الاجتماعية الواحدة ... يمكن أن تنسجم آراؤهم دون حاجة إلى اتصال مباشر بينهم ...

- يسلك الفرد داخل الجماعة سلوكاً يكون في أغلب الأحيان مخالفاً لسلوكه الفردي. فالجماعة لها سلوك اجتماعي تمتاز به، والجماهير لا تجذبها الأراء العقلية أو الفكرة أو حتى المنطق، وإنما تسحرها وتؤثر فيها الخرافات والانفعالات والأهواء. فهي تؤثر بواقع الحياة أكثر مما تتأثر بالمنطق إنها تنقاد إلى الغريزة أكثر مما تنقاد إلى العقل.

والجماهير لا تستطيع أن تبقى ساكنة مدة طويلة وفي حالة سلبية، فهي ترغب في شيء تمجده وتحبه أو تكرهه، وتطلب أن تُعطى عملاً عظيماً وتصدقه ولو كان محركها الكلمات الرنانة والشعارات الطنانة، والخيال، وهنا يأتي دور القادة والزعماء وموجهي الرأي العام للتأثير في الجماهير لاعتناق الفكرة التي يريدونها.

- تؤثر الأوضاع السياسية والأوضاع الاقتصادية داخل الدولة في تكوين الرأي العام، فإذا كان نظام الحكم في الدولة ديكتاتورياً فإن ذلك يؤدي إلى سلبية

الرأي العام في الدولة ويحل محله الخوف والسخط العام، فينعدم التعاطف والثقة والتضامن بين الحكومة والشعب وينعزل كل منهما عن الآخر. أما إذا كان نظام الحكم ديمقراطياً يتيح للشعب حرية إبداء الرأي ويسمح بالمناقشات الموضوعية والنقد على كافة المستويات فإن ذلك يضمن تربية سياسية واعية للشعب ويضمن بالتالي رأياً عاماً إيجابياً يكون السند والحامي لنظام الحكم.

ومن ناحية الأوضاع الاقتصادية فإذا كان هناك تفاوت كبير في توزيع الثروة داخل الدولة فإن ذلك يؤدي إلى ظهور الطبقية والصراع الطبقي، ويؤثر اختلال الأوضاع الاقتصادية وما يلازمه من بطالة أو انخفاض القيمة الشرائية ... تأثيراً خطيراً في اتجاهات الرأي العام وتكوينه.

- إن للثورات والتجارب المهمة في حياة الشعب والشعوب الأخرى تأثيراً كبيراً في توجيه الرأي العام، كما أن للحوادث والأحداث تأثيرها في الرأي العام، فإذا وقع حادث مفجع كزلزال أو وباء أو حرب مفاجئة فإننا نرى الناس يتقاربون ويتعاونون وينشأ رأي عام مؤقت ولفترة ما، أو يتحول إلى رأي عام قائم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار أو العكس. ولا يصبح الرأي العام مستقراً إلا إذا أدرك نتائج الحوادث أو الأحداث، كما أن هذا الرأي العام المؤقت لا يلبث أن يزول بزوال الحادث وآثاره.

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثاني

- الفصل الأول: الرأي العام ظاهرة من ظواهر الحياة الروحية.....ص٤٥

- الفصل الثاني: إدارة عملية تكوين الرأي العام ص٦١

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثاني
الرأي العام

الفصل الأول
الرأي العام ظاهرة من ظواهر الحياة الروحية

يعرف الرأي عادة بأنه الحكم. لكن الأحكام تكون مختلفة. فهناك أحكام صورية يتم بها الكشف عن هذه أو تلك من الحقائق والأحداث، وهناك أحكام معيارية تعبر عن الأمنيات والأوامر وتستخدم بشكلٍ واسع في القانون والأخلاق.

وهناك أيضاً أحكام تقديرية، فكل شيءٍ ذو أهمية بالنسبة للإنسان له تقديره الخاص، أي أن الناس يعبرون عن علاقاتهم بصورة حكم تقديري، وهذه الأحكام هي الرأي. ومن خلال الرأي يتم التعبير عن علاقات الناس الشخصية والموضوعية بهذا الموضوع أو ذاك. وغالباً ما كانت العلاقة الشخصية في الماضي تقابل بالمعرفة. لذلك كان سير عملية الاستدلال الفعلي العلاقة على الشكل التالي: المعرفة أعلى من الرأي لأنها تسمح بالكشف عن الحقيقة بفعل العلاقة الشخصية بالموضوع وإنها تتوضع في مكان ما، بين الانطباع والمعرفة الإيجابية. ويمكن مشاهدة مثل هذه الأحكام في السيكولوجيا وعلم الاجتماع الغربي المعاصر. وهذا التفسير للرأي يعد وحيد الجانب، حيث ينبع من تحليل الآراء في فهم واحد، أي في المنهج المعرفي والنظري. ولكي تكوّن تصوراً أشمل حول الرأي لابد من تحليله وبالاعتماد على مناهج أخرى ومنها المنهج الاجتماعي (السوسولوجي).

ومن الأهمية بمكان، دراسة الرأي كحلقة ضرورية في العلاقة المتبادلة بين القائم بالفعل والموضوع، في علاقة الإنسان أو مجموعة من الناس بالمحيط الخارجي. فالناس لا يتعرفون فقط على المحيط الخارجي، بل ويقيمون علاقاتٍ

معينة معه ويغيرونه. وهكذا نرى ضرورة بروز العلاقات التقديرية أثناء عملية التأثير المتبادل بين الفرد والمجموعة البشرية أو بين الفرد والمحيط الخارجي. هذه العلاقات تقوم بدور المنظم للسلوك. وطبيعي أن يكون الرأي غير مطابق للمعرفة إلا أنه يتكون مع أساس منها. ويدخل في وعي أي مجتمع العديد من آراء الناس التي يتم التعبير عنها بوساطة مختلف مسائل الحياة الاجتماعية. إلا أنه من المدهش في الحالة الراهنة ليس أي رأي أو رأي بشكل عام أو رأي بعض الأشخاص، بل الرأي الاجتماعي، الرأي الذي يعبر عن علاقة ذات معانٍ عامة وشاملة بالموضوع المتعلق بالتجمعات الاجتماعية.

هناك العديد من أعراض علامات الرأي العام. الرأي العام هو رأي يقوم التعبير عنه علانية، في حين أن الرأي الشخصي لا يكون علنياً في كثير من الأحيان. الرأي العام هو رأي منتشر لا محالة، وأعراضه هي حركته وحيويته [ديناميكيته].

ويتم الإدلاء بالرأي العام كقاعدة في مسائل الناس الحياتية والحيوية ذات الأهمية الاجتماعية. ويتشكل الرأي العام عند التطرق للمصالح العامة التي يتكون على أساسها، وأنه ثمرة من ثمار تفاعل الناس، ويغدو بطبيعته تعبيراً جماعياً.

وعندما لا تكون الوحدة والمواقف المشتركة بالنسبة للمسائل التي تتطلب حلولاً عملية فالرأي العام الذي كان يعد تأييداً جماهيرياً لدستور ما، يعد مثالاً ساطعاً على ذلك. وهذا الرأي يتكون من خلال عدة أشهر أثناء عملية المناقشة الشعبية العامة على أسس المصالح العامة المشتركة، إذ أن لكل الطبقات والفئات الاجتماعية مصلحة دستورية لتثبيت المنجزات الحضارية. يحتم ربط تكوين الرأي العام بصراع الآراء حول جوهر الحلول ذاتها أو فيما يتعلق بسبل ووسائل تحقيقها. ويجري صراع الآراء على شكل مناقشة ومداولة في سبيل

وضع رأي مقبول بالنسبة للمجتمع. ويحتمل أن يكون الخلاف هنا على سبيل المثال بسبب اختلاف الناس من حيث معارفهم وتجربتهم الحياتية وغير ذلك.

إن [علامات] الرأي العام التي جاء الحديث عنها تسمح بوصفه إحدى حالات وعي المجتمع. ويشهد على ما قلناه وبشكلٍ خاص أن الرأي العام [كغيره من الآراء العامة]، ويعكس علاقات الناس بظواهر الواقع الاجتماعي. ففيه قد ظهرت الحالات العقلانية والانفعالية والإرادية كلاً متكاملاً ينم دائماً عن قيمة معينة ويقوم الرأي العام بدوره كقيمة عندما يظهر على شكل موافقة أو عدم موافقة على أفعال الناس أو سلوكيتهم، وتعتبر حالة الرأي العام من الحالات المنتشرة لوعي المجتمع، التي تتمثل متحدة عبر التصورات والآراء والإيديولوجية والمشاعر الاجتماعية والمساعي الإدارية للتجمعات البشرية.

لكن الكلية [الشمولية] لا تفي إطلاقاً لإعطاء التلاحم صفة من صفات الرأي العام النوعية الممكنة، لأن علاقتها المتمثلة بوجود نوعية معينة لا تلغي الاختلاف بين جوانب الكلية [الشمولية] وعلاقاتها المتناقضة.

إن شمولية حالات الوعي في المجتمع المتناقض طبقياً تكون نسبية للغاية على الرغم أنه في عصور تاريخية معينة يمكن أن يتطابق وعي مختلف الطبقات مؤقتاً.

ووعي المجتمع يمكن أن يجرب أو يختبر حالاتٍ عامة معينة ممكنة عندما تتمكن الطبقة الحاكمة من فرض إيديولوجيتها على الطبقات الأخرى، وتعطي وعي المجتمع حالة معينة تظهر على شكل تشكيلات متناقضة في المجتمع المتناقض طبقياً، لكن تتمتع بصفة نوعية خاصة.

ولابد من التحدث عن الرأي العام كإحدى حالات الوعي الاجتماعي، عندما يكون هناك فصل واضح للوعي الطبقي، ويسمح بذلك لأي مجتمع طبقي أن يكون شكلاً اجتماعياً عندما تكون الطبقات مرتبطة بعضها ببعض متفاعلة في

وعيها. فإذا كانت شمولية الوعي تسمح بوصفها من الناحية النوعية، فإن انتشار الأفكار والآراء والمشاعر والأمزجة التي تشكل الديناميكية في الوعي الاجتماعي تؤكد الصفة الكمية لحالات الوعي وفي أثناء توضيح ميزاته فإننا غالباً ما نجد أن الأفكار والآراء الرئيسة فيه لا تنتشر فوراً. وهو لا يستطيع الحصول على الحالات المناسبة مع تطوره، ومن هنا تبرز ضرورة حسبان درجة انتشار الرأي العام أثناء توضيح خاصيته، وبالتالي فإن خاصية الرأي العام مرتبطة بذاته، وأن مسألة الذات تعد من أكثر المسائل قابليةً للجدل في نظرية الرأي العام. وتطلق الذات على [جمهور في أية مجموعة بشرية مهما صغرت أو كبُرت] لكن هل نستطيع أن نأخذ في حسابنا رأي مجموعة أو أية وحدة بشرية اجتماعية؟ من الطبيعي أن تشارك أية مجموعة صغيرة في تكوين الرأي فيما يتعلق بهذه أو تلك من القضايا المهمة اجتماعياً، وفي هذه الحال يمكن عدها واحدة من مكونات الذات في الوعي الاجتماعي لأنها تدخل في تركيبة هذه أو تلك من المجموعات البشرية الكبيرة. أما فيما يتعلق بالرأي الذي يتكون حول [مسألة ما] فيعد مهماً بالنسبة لهذه المجموعات بالذات لأنه يعبر عن رأي مجموعة أو رأي شريحة.

يتكون الرأي العام بفعل مجموعة بشرية كبيرة، طبقة، أمة، شعب، فقد سمى كارل ماركس مراراً الرأي العام بالرأي الشعبي وقال في هذا الخصوص :

[[إن النواب الذي يعتمدون دائماً على الرأي الشعبي، يعطون ذلك الحق للرأي الشعبي في التعبير عن رأيهم الحقيقي في عرائض]][44].

وكان لينين يستخدم وباستمرار مفهوم الرأي العام [فيما يتعلق بالمجتمع البرجوازي وفي هذه الأثناء عندما كان يصف رأي البرجوازية فإنه يؤكد ما

44– ماركس ، آنجلز: المولفات الكاملة، المجلد ٨ صـ ١٦١.

يسمى بالرأي العام][45]. وعند فضحه لعبارات [الكاديت] الديماغوجية فيما يتعلق بالرأي العام، كتب في فعالية [النتيجة] [طبيعي بالنسبة لليبراليين اعتبار [الرأي العام] رأي البرجوازية، وليس رأي الفلاحين والعمال][46]. وقد استخدم لينين مصطلح [العام] فيما يتعلق بالرأي العام في الاتحاد السوفييتي [سابقاً] بعد انتصار الثورة الاشتراكية مسمياً إياه [رأي العاملين العام][47]

إن مفهوم الرأي العام يستخدم للإشارة إلى أحكام مجموعات بشرية كبيرة. لذلك يمكن دراسته كحجم تقديري يعبر عن علاقاتهم المعينة بمسائل الحياة الاجتماعية الحيوية التي تمس مصالحهم العامة.

ومن الأهمية بمكان أن نأخذ في حسباننا درجة تناسب رأي هذه أو تلك من المجموعات البشرية أو الجماعات أو المناطق أثناء وضعه مع الرأي العام. ومن غير المستبعد أن تكون آراء بعض المجموعات أو الجماعات غير مطابقة للرأي العام.وتظهر في هذه الحالة ضرورة تدقيق المفاهيم، مادام يوجد إلى جانب الرأي العام شيء يتعلق بموضوع واحد كقاعدة آراء لا تشمل هذا المفهوم بمجمله. وفي كل وقتٍ من الأوقات نشاهد آراء متعددة في المجتمع تعود إلى مجموعات بشرية كبيرة أو صغيرة، حيث يتم التعبير عنها فيما يتعلق بمختلف القضايا والمسائل. ولكي نحدد كل الآراء (العامة منها والخاصة) نعتقد أنه لابد من استخدام مفهوم ((رأي المجتمع) لا ينتقض بأي شكل من الأشكال من أهمية مفهوم (الرأي العام) لأن الحديث هنا يدور فقط حول أكثر التعابير شمولية في المفاهيم إلى جانب الآراء العامة وغيرها المتواجدة في المجتمع.

---

45 – انظر لينين: المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٧ صـــ ٤٩٥.

46 – انظر لينين: المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٧، صـــ٣٧.

47 – انظر لينين: المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٦ صـــ١٤٥.

إن الأسباب العملية تتطلب أهمية استخدام مفهوم ((رأي المجتمع)) كوسيلة تنظيم للعلاقات بين الناس وتبرز الحاجة للبحث ليس فقط في الرأي العام الذي يغير رأي المجتمع، بل والآراء الأخرى المتعلقة بالمسألة الحالية.

إن الآراء كغيرها من الظواهر الأخرى على اختلافها تتغير في وجودها وتوظيفاتها وديالكتيكيتها، فالرأي الذي كان منذ فترة وجيزة رأي الأقلية يمكنه أن يصبح رأي الأكثرية، كأي رأي عام يتغير مع تغير الظروف والعوامل التي تؤثر في تكوينه وتجعل طبيعة الآراء المتغيرة والحركية التحليل ضرورياً لمجمل الآراء، أي آراء المجتمع. وتجعل الرأي العام المكان الرائد في مجمل الآراء، لذلك يمكن الحكم بصورة أساسية على رأي المجتمع أثناء النظر فيه بناءً على الرأي العام. إن الرأي العام مثل رأي المجتمع عموماً متناقض للغاية في طبيعته، ويبرز تناقضه هذا في أنه يبدو وكأنه علاقة روحية من جهة وكعلاقة عملية – روحية وظاهرة من ظواهر الإرادة الاجتماعية من جهة أخرى. وينعكس الرأي كعلاقة روحية على الأغلب في الأحكام التقديرية على ظواهر الواقع، في ذلك تكمن خاصيته. لكن هذا غير كاف لأن التقدير لا يكشف بصورة كافية البنية النشيطة التي تمثل جوهر الرأي كظاهرة اجتماعية. إن الرأي يتشكل بناءً على المسائل التي تتطلب عادة حلولاً لها وله وتظهر بشكل رئيس في مواقف الناس من موضوع الرأي في انتقالهم من الكلام إلى العقل، وتصبح العلاقة الروحية جانباً من جوانب النشاط العملي كوحدة الذاتي والموضوعي، وتنصهر العلاقة الروحية (الحكم التقديري) مع النشاط العملي حيث يقود الرأي العام العلاقة العملية الروحية بصفتها عملاً محدداً أو أفعالاً معينة عن طريق الاستفتاء. مثلاً في مجرى عملية تكوين الرأي يبرز على الواجهة تكوّن الموقف العملي العام وتجمع قوى الإرادة الاجتماعية في سبيل اتخاذ قرار معين مع طرائق تحقيقه.

ويبدو الرأي بناءً على طبيعته المتناقضة، وكأنه في نظامين حسابيين ولكونه علاقة روحية يغدو ضمن نظام التنظيم الاجتماعي شكلاً خاصاً للأخبار (للإعلام). وميزة الرأي في هذه الحالة أنه يدعم أو يندد، يصف أو يعرض.... الخ والرأي بوصفه علاقة عملية روحية يخرج من إطار الأخبار (الإعلام) وميزته في هذه الحالة أنه يرتبط بالمجتمع وبنشاطه العملي في تنظيم العلاقات الاجتماعية. ويوجد في المجتمع المعاصر نوعان للإدارة الاجتماعية، حكومية واجتماعية. تختلفان أساليب ووسائل.

ولا يمكن أن تكون الإدارة الاجتماعية دون الرأي العام، كما لا يمكن للإدارة الحكومية أن تكون دون القانون. ويتم قيام قواعد السلوك وضمانتها من خلال الرأي العام وكذلك إمكان استخدام أسلوب الإقناع في تنظيم العلاقات بأنواعها، وبالتالي يعد الرأي العام أهم وسائل المجتمع لتحقيق مهمة الإدارة الاجتماعية. ولهذا يحتل مكانته بين المؤسسات الاجتماعية التي تدخل في نظام التنظيم الاجتماعي وإدارة المجتمع، وإنه على امتداد تاريخ المجتمعات الإنسانية يعد منظماً للعلاقات بين الناس وسلوكياتهم. وقد وجد قوته ومكانته حتى في المجتمع ما قبل الطبقي، وهنا أشار فريدريك أنجلز عندما أعطى وصفه للمجتمع البدائي إلى أنه ((لم يكن لديه أية وسائل أخرى للإكراه سوى الرأي العام))[٤٨].

أما في المجتمعات الطبقية فيظهر الدور التنظيمي للرأي العام إلى جانب القانون وكما كتب ماركس ((فإن ذلك يحدث نتيجة تحول الوعي الاجتماعي إلى قوة اجتماعية .... بوساطة القوانين العامة))[٤٩] وتعطى تأكيدات ماركس هذه مفتاحاً لفهم آلية تحول الرأي العام إلى قوة اجتماعية.

---

(48) – ماركس، أنجلز: المؤلفات الكاملة المجلد ٢١ صفحة ١٦٨.

(49) – ماركس ، أنجلز: المؤلفات الكاملة المجلد ١٦ صفحة ١٩٨.

إن تقديرات دور الرأي العام في التاريخ متناقضة للغاية، فهي تتأرجح بين التأكيد على أن الرأي العام يدير العالم، وبين ما كتبه الماديون الفرنسيون في القرن الثامن عشر حيث أكدو أن الرأي العام لم يقم أبداً بأي دور إيجابي ملحوظ في التاريخ وقال جان جاك روسو في كتابه الشهير ((العقد الاجتماعي)) ((إن على قوانين الدولة أن تقبل بالتوافق مع الإدارة العامة للشعب، وأن تعمل السلطة الحكومية بالتوافق مع أحكام الشعب)) وأوصى روسو كل البرلمانات الكشف عن الإجابة عن السؤالين التاليين: هل من مصلحة الشعب أن يحافظ على الشكل القائم؟ وهل تبقى السلطة بين أيدي أولئك الذين يملكونها في الوقت الحالي؟. وحسب رأي روسو، ستكون السلدلة الحكومية في تلك الظروف مهددة بالاستقالة وتتبع الأوامر الصادرة عن البرلمان))[٥٠]. إن هذه النظرية لم تلق التأييد من قبل الأدبيات الغربية المعاصرة.

وبناءً على نظرية أخرى، لا يستطيع الرأي العام أن يكون مبدأ حياتياً للدولة وقد وضع بداية هذه النظرية الفيلسوف هيغل حيث ربط في ((فلسفة القانون)) الرأي العام بإمكان الشعب التعبير عن أحكامه هو ((الأحوال العامة)) إلا أن هذه الأحوال العامة تتحقق حسب رأيه دون الشعب [٥١]. وعند هيغل كما أشار كارل ماركس في عمله: ((نقد فلسفة هيغل القانونية)) ليس العمل العام إلا شيئاً جاهزاً ولم يكن عملاً شعبياً واقعياً. إن الأحوال (الأعمال الشعبية) الحقيقية تحققت دون مساعدة الشعب))[٥٢] تحققها السلطة الحكومية والموظفون.

---

(50) – جان جاك روسو: العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي موسكو ١٩٣٨، ص٨٨.

(51) – انظر هيغل: المؤلفات الكاملة، المجلد٧، موسكو – لينيغراد ١٩٣٤ ، ص٣٢٤.

(52) – كارل ماركس ف.آنجلز: المؤلفات الكاملة، المجلد ١، ص٢٨٩.

ففي (فلسفة القانون) انطلق هيغل من الدولة السياسية و (المجتمع الشعبي) كمتناقضين، وبالتالي يقابلهما (الأمزجة السياسية) للدولة و ((الرأي العام)) للشعب.

وينتقد هيغل التصور الذي يرى أن الشعب يدرك بنفسه أكثر من يخدمه. وما يعود عليه بالفائدة ويعد أن الرأي العام ينبع من الأفكار والتصورات الذاتية وليس له أساس حقيقي. (وهكذا تعد الدولة،الأمزجة السياسية) من حيث الجوهر غير موضوعية تماماً، وإن قضية الدولة لا تعد قضية الشعب، بل أن (المراتب الحكومية العليا) وليس الشعب بالضرورة الحامل دائماً لمشاعر الدولة وأمزجتها. ومع ذلك رأى هيغل أنه في الرأي العام يمكن لكل شخص التعبير والدفاع حتى عن الآراء الذاتية والعامة))[٥٣].

إن طبيعة الرأي العام بحسب مفهوم هيغل، متناقضة للغاية، إنه الواقع الحقيقي والجوهري والكلي، الذي يرتبط فيه مع تناقضاته، ومع الرأي الخاص القائم بذاته للكثيرين، وإن الرأي العام يحتوي مبادئ العدالة والمحتوى الحقيقي الأصيل نتيجة البناء الحكومي كله والتشريعات. وبشكل عام الحالة العامة للوضع على شكل معنى إنساني صحي .... هذا من جهة ومن جهة ثانية الرأي الخاص والمميز للكثيرين. كما يشرح ذلك هيغل، يحتوي على كل ما هو غير متوقع للرأي وجلافته وتشوهاته ومعارفه الكاذبة وأحكامه الكاذبة))[٥٤].

وحسب رأيه إن المبادئ الأساسية (الجوهرية) تشكل الأساس الأخلاقي لكل الآراء. إذ تأخذ شكل هذه أو تلك من الرواسب. ويعود الفضل لهيغل في الكشف عن الطبيعة المتناقضة للرأي العام وقد استطاع رؤية الأسس الأخلاقية له، ورأى فيه ليس فقط (الخرافات) و(المتاهات اللانهائية) وإنما رأى فيه الحقيقة

---

(53) - هيغل: المؤلفات الكاملة: المجلد ٧، موسكو – لينغراد ١٩٣٤ ص ٣٢٤.

(54) - هيغل: المؤلفات الكاملة: المجلد٧، موسكو – لينغراد ١٩٣٤ ص ٣٣٦-٣٣٧.

أيضاً. إلا أن هيغل أكد أن الجوهري والحقيقي في الرأي العام (لا يمكن إدراكها من خلال مظاهر (ظواهر) الرأي العام .....)[٥٥].

وهنا يبتعد (يناقض) هيغل أسلوبه الديالكتيكي ويفضل الجوهر على الشكل أو كيفية ظهوره (بناءً على مصطلحه) ((الوجود في نفسه، والوجود من أجل نفسه)).

إن الرأي العام حسب رأي هيغل ((كشمولية تجريبية لعقائد وأفكار الكثيرين يقابله الوجود الجوهري)) ومن الصعب موافقة هيغل على مثل هذه التأكيدات لأن كل التجارب التاريخية لمعرفة الرأي العام تسمح بتأكيد معاكس.

إن أكثر محتويات الرأي العام عمقاً تكشف من خلال الأحكام والنوايا والمواقف، والأهم من ذلك من خلال نشاط الجماهير، وإن العثور على الحقيقي من الرأي الشعبي يعتبر بصدقٍ ليس من مسؤولية الإنسان العظيم فقط، وهو الأمر الذي أصر عليه هيغل لأن مقابلة الجوهر والشكل لظهور الرأي العام ونفي إمكان معرفة جوهر الرأي، قادت هيغل إلى التأكيد أن الرأي العام من حيث جوهره ذاتي ويقابل المعرفة والعلم.

وعندما تطرق إلى خصوصية الرأي العام، من حيث هو جوهري بهذا الشكل وأنه غير جوهري عندما يكون ((كل شيء ضروري ولك شيء حقيقي)) يقدره هيغل بشكل مناسب: قائلاً (يستحق الرأي العام بناءً على ذلك الاحترام والاحتقار في آن واحد. الاحتقار من جانب الوعي الملموس والتعبير، والاحترام من جانب أساسه الجوهري الذي يدخل في هذا الملموس فقط بشعاع باهت وقليل أو كثير)[٥٦].

---

(55) – هيغل: نفس المصدر السابق ص٣٣٧-٣٣٨.

(56) – نفس المصدر السابق ص٣٣٦-٣٣٨.

وتتكرر تقديرات هيغل هذه منذ صدور (فلسفة القانون) في كل أعمال الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيين الخاصة بالرأي العام. لقد تركت أفكار هيغل حول الرأي العام أثراً عميقاً في معالجة قضايا الرأي العام في علم الاجتماع الغربي. فوصف هيغل للرأي العام كجمع على الغالب للخرافات والمتاهات وما يتعلق بذلك وعبر عن احتقاره للظهور المباشر للرأي العام، وأخذ طبيعة العقائد الجامعة في العديد من النظريات الغربية حول الرأي العام. لقد دافع عن العلاقة الارتيابية بالرأي العام في العصر الراهن وعلى امتداد عشرات السنين الصحفي وعالم الاجتماع الأمريكي الشهير ((وولتر ليبمان)) حيث أكد ليبمان في كتبه ((الرأي العام) و ((طيف الأوساط الاجتماعية)) التي كتبها في العشرينات من هذا القرن أنه ترك التصور الذي يعني أن الشعب يوجه من قبل الرأي العام. وفي أعماله المتأخره ((وبصورة خاصة)) كتابه ((الفلسفة الاجتماعية)).

دافع ليبمان عن مواقفه السابقة التي كان جوهرها يقود إلى أن مشكلة الديمقراطية الغربية تنحصر في أنه على الحكومات وضع الرأي العام في حسابها العمل بخلاف مهمات اللحظة الراهنة. وإن الأوساط الاجتماعية حسب اعتقاده تتخلف عن مجرى الأحداث وهي خاملة لا تستطيع الحكم بشكلٍ صحيح على أي شيء ولذلك لا تستطيع التأثير في نشاط الحكومة [٥٧]. ومثل هذه الأفكار أصبحت سائدة في أعمال الباحثين الغربيين في الظروف المعاصرة.

وأخيراً هناك نظرية مفادها أن الرأي العام مرجع استشاري ، فهو لا يتخذ قرارات في مجال الحياة السياسية، لكن الدولة تكون مجبرة بهذه الدرجة أو تلك لوضعه في الحسبان على الرغم من أن منظري الغرب يبحثون عن كل الطرائق في الظروف الراهنة لإعاقة تأثر الرأي العام الحقيقي فيحاولون احتكار وعي الجماهير، غير أن الحكومات الغربية تكون مضطرة لسماع صوت الرأي

---

(57) – ليبمان و الفلسفة الاجتماعية : بوطسن ١٩٥٥.

العام. ففي البلدان الغربية مؤسسات مختلفة ومنظمات متنوعة تدرس الرأي العام واتجاهات تغييره ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً يعمل بقوة معهد غيلابا للرأي العام، وإدارة هاريس وغيرها من المنظمات. وتدرس مثل هذه المعاهد الخاصة الرأي العام في ألمانيا وفرنسا وغيرها من البلدان الغربية، وقد وضعت أكثرية هذه المعاهد هدفاً لها ليس دراسة الرأي العام فقط وإنما التدخل في مجرى عملية تكوينه. التدخل بهدف إعطائه اتجاهاً يتناسب ومصالح القوى الحاكمة.

ويأتي تقدير دور الرأي العام من قبل أفكار النظرية العلمية: استناداً إلى المبدأين التاليين:

أولاً- مبدأ الدور النشيط للعوامل الإيديولوجية والاجتماعية السيكولوجية في الحياة الاجتماعية.

ثانياً- مبدأ الجماهير الشعبية ودورها كصانعة للتاريخ، وتثبت الأفكار النظرية العلمية انطلاقاً من مواقع المادية التاريخية الدور الهائل للعوامل الروحية ومن بينها الرأي العام في نشاط الناس الحيوي. وتشترط قوة الرأي العام الدور الحاسم للجماهير الشعبية في التاريخ، وإن تنامي دور الجماهير الشعبية في التاريخ يقود إلى نمو تأثير الرأي العام الفاعل.

وقد كتب يوسف صبري الحجاجي قائلاً ((لكي تتم التحولات الاجتماعية الجذرية لابد في البداية من حدوث تقدم كبير في الرأي العام ....))[٥٨]. وأكد حسنين عبد القادر متابعاً فكرة الحجاجي ولأجل النصر النهائي في الثورة لابد من توفر القوة المادية والمعنوية على حد سواء للرأي العام))[٥٩].

---

(58) - المرجع: ((كتاب المؤمنون في الإنسان)) المؤلف يوسف صبري الحجاجي – القاهرة ص٦ عام ١٩٥٧.

(59) - المرجع: ((كتاب الرأي العام والديمقراطية وحرية الصحافة)): المؤلف حسنين عبد القادر ج١ ص١٩٢ الطبعة الثانية ١٩٥٧.

وقد لفت الدكتور عبد القادر الأنظار إلى ضرورة استخدام الرأي العام بعد انتصار ثورة يونيو في مصر إلى تعزيز الانضباطية في العمل وفي الصراع مع رواسب الماضي وفي التربية القومية وفي الحياة السياسية للمجتمع. حيث أشار في دراساته إلى أن ((تكون الحكومة دائماً تحت مراقبة الرأي العام في كل البلدان))[٦٠].

إن الرأي العام لم يؤثر التأثير الكبير في عصر من العصور التاريخية الماضية مع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والفنية وغيرها كتأثيره في الظروف المعاصرة، ولاسيما في البلدان المتطورة، حيث تتوافر الظروف المناسبة لتكوينه وظهوره.

وتضمن الديمقراطية جذباً لأوسع أوساط الجماهير نحو الاشتراك المباشر في إدارة الإدارة والإنتاج وكل القضايا الاجتماعية، ويشترك منطق تطور العلاقات المتبادلة بين الناس في البلدان المتطورة نمو دور الرأي العام كمنظم للعلاقات وأداة للإدارة الاجتماعية. وعندما يعبر الرأي العام عن علاقة الناس بالأحداث وبحقائق الحياة الاجتماعية وبنشاط الإنسان وسلوكه يكون بذلك قد نظم الروابط بين الناس، إن هذا التنظيم أهم وظيفة يقوم بها الرأي العام، وتجد انعكاساتها بصورة أكبر في ظروف المجتمع العصري المتطور.

وأثناء عملية الانتقال إلى مفاهيم أكثر إنسانية، يتعاظم أكثر فأكثر دور البدايات الأخلاقية في حياة المجتمع، ويتسع مجال عمل العامل الأخلاقي وبالتالي تقل أهمية التنظيم الإجباري للعلاقات المتبادلة بين الناس [٦١].

---

(60) – المرجع السابق ص ٩٧.

(61) – تطـــور المجتمع التقليدي – لمدين الشرق الأوسط – تأليف دانيا الرتر بالاشتراك مع لوسل بفسترو مقدمة بقلم دافيد ريزمان – ص٨٧ – البنوي – عام ١٩٥٨.

ويؤدي الرأي العام إلى جانب وظيفته التنظيمية وظيفة تربوية مرتبطة بها بشكل محدود ويثمن الرأي العام علانية سلوك الشخصية، وأنه ليس فقط يثمن السلوك بل ويفرض شكلاً معيناً للعمل: إذ تقف وراء تصريحات الرأي العام قوة تنظيم الجماعة والشعب. كل ذلك يشترط قدرة الرأي العام على تحقيق الوظائف التنظيمية والتربوية. ويظهر الرأي العام أثناء تحقيق وظائفه في المجتمع الإنساني المعاصر فعاليته من خلال أجهزته الشعبية وغيرها من أجهزة الأوساط الاجتماعية.

إن قدرة الرأي العام على تحقيق الوظائف ((المهمات)) التنظيمية والتربوية تؤكد أنه يعبر تعبيراً خاصاً من قناعات وإرادات ومشاعر مجموعات اجتماعية كاملة من الناس. ولكونه بالنسبة إليهم أمزجة عامة فإنه يضغط على وعي الفرد ويجبره على الإدراك العميق لعلاقتها بالمجتمع.

وتنعكس علاقة الفرد بالمجتمع من أحاسيس الأوساط الاجتماعية ووعيها لسلوكه أمام التجمعات والمجتمع بأكمله. إن العلاقة بين الفرد والمجتمع في كل عصر من العصور التاريخية تظهر مخالفة للأخرى، فتنعكس قبل كل شيء في الوعي الأخلاقي والمسؤولية الأخلاقية أمام المجتمع تحتم على الإنسان الإصغاء لصوت الرأي العام.

ويتعاظم دور الرأي العام التربوي والتنظيمي أكثر فأكثر كلما اكتسب نوعيات مهمة بالنسبة له كالوحدة في توجهه والإصرار على متطلباته وسعيه إلى الموضوعية والعدالة وفي التأكيد والتنديد بالأعمال التي تسيء إلى الناس. وعند التحدث عن القوة الهائلة للرأي العام في المجتمع الحديث، واستخدام الناس لهذه القوة بعقلانية كتبت الدكتورة جيهان رشتي قائلة: ((سيعرفون بأنفسهم ماذا

سيعملون وبأنفسهم سيكونون الرأي العام ووفقاً لذلك سيكونون الرأي العام حول أعمال كل شخص على حده .....)[٦٢].

ومن طبيعة الرأي العام كذلك القيام بوظيفة المراقبة والاستشارة، وتظهر الوظيفة الرقابية للرأي العام في تقدير نشاط الأجهزة الحكومية والاجتماعية. ويتم التعبير عن الوظيفة الاستشارية للرأي العام على شكل تقديم النصائح للمنظمات والمؤسسات الحكومية حول كيفية وضع الحلول لهذه أو تلك من المسائل الملحة.

وتتشكل مثل هذه النصائح والأمنيات من آراء الناس المطروحة في رسائلهم ومن الأقوال والأفكار والقرارات الصادرة عن الاجتماعات والمؤتمرات وغيرها.

وتصبح أعمال الأحزاب والمنظمات الجماهيرية والحكومية في الظروف الراهنة صحيحة إذا استخدمت أحكام الرأي العام لوضع الحلول المثلى. ويمكن طرح القضايا المتعلقة بمصالح الدول و الشعوب على النقاش العام من قبل الشعب، فمن خلال التصويت الشعبي (الاستفتاء) تظهر بشكل واضح وظائف الرأي العام الأساسية.

ويتكون الرأي العام في البلدان المتطورة في ظروف الديمقراطية، عندما يمكن التعبير والدفاع بحرية عن الرأي في ظروف التماسك الوطني للسكان والاطلاع المستمر على مجرى الأحداث. إن نضوج الرأي العام يكون على علاقة وثيقة تماماً بوعي الناس وقناعاتهم الفكرية.

إن آراء الناس متنوعة، بعضها تكوّن منذ القدم ومازال يعمل باستمرار وبعضها الآخر على العكس، وقد تكوّن لتوّه، وثالثها لايزال في طور التكوين.

---

(62) – لمزيد من المعلومات راجع مذكرات الدكتورة حيهان رشتي عن الإعلام في الدول الشيوعية – كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٧٢.

ففي كل حالة من هذه الحالات تكمن معرفة ماهية هذه الآراء من حيث المضمون والاتجاه وقوة الظهور. وفي مثل هذه الظروف يمكن حسبانها في وضع هذه أو تلك من الحلول وفي تحقيق الدعاية ومن المحتمل دون مثل هذه المعارف وضع الإعلام على قاعدة واستخدامه بهدف إعلام الرأي العام. وإلى جانب ذلك فإنه يستحيل دون دراسة هذه المسائل إلى أي مدى من الفاعلية يمكن استخدام وسائل وأساليب الإعلام في مجال تكوين الرأي العام.

الفصل الثاني

إدارة عملية تكوين الرأي العام

تتطلب إدارة تكوين الرأي العام معرفة كيفية ظهور هذه الظاهرة الاجتماعية، وفي أي ظروف وتحت تأثير أية عوامل تشكلت، وماهي ديناميكية عملية تكوينها، وبأي خصائص أصبح يتمتع الرأي الثابت.

ويتطلب قبل كل شيء حل القضايا ذات الطبيعة المنهجية العلمية التي تتعلق بإمكانيات الإدارة ذاتها وأهدافها ومهامها وموضوعاتها وذاتها.

القضايا المنهجية لإدارة تكوين الرأي العام:

هل يعد الرأي العام نظاماً موجهاً؟ يرتبط الجواب مع هذا السؤال بمنهجية دراسة الرأي العام كظاهرة اجتماعية وتعد وجهة النظر الإدارية التي ترى في الرأي العام ظاهرة غير مدركة الأثر انتشاراً في علم الاجتماع الغربي الذي يدعي المنهجية في مثل هذه الدراسة. ومثل وجهة النظر هذه تعتمد على التأثيرات القائلة: إن الرأي العام بناء على حركيته وقوة تغييره لا يمكن أن يكون مسجلاً ومقيساً – إنه يختلف جوهرياً عن الضروري وحسب تصريحات بعض الناس من المستحيل وضع فكرة عن الرأي العام.

وتوحد استجوابات الرأي العام الآراء فيما يتعلق بهذه أو تلك من أسئلة الناس المؤهلين وغير المؤهلين لذلك لا يستطيعون إعطاء صفة، نوعية للرأي العام ولا يوجد مقياس للتحقق من حقيقة الرأي العام وغيره من هنا كانت الحجج التي قدمها علم الاجتماع الغربي حول استحالة إدراك الرأي العام باطلة تماماً.

صحيح أن الرأي العام متحرك متغير لكنه ليس سريع الزوال إلى هذه الدرجة كي يستحيل تسجيله.

إن تكون الرأي العام كان دائماً عملية جارية حسب الزمن، وفيما عدا ذلك هناك آراء ثابتة نسبياً تثبت مكانتها في الأفكار (الأحكام) المعينة للأوساط الاجتماعية وفي المقاييس الاجتماعية والتقاليد وفي الوثائق التشريعية وغيرها.

ومن المعلوم أن الرأي العام يختلف نوعياً عن الآراء الفردية كما أنه لا يتخلص في مجموعها. إلا أن بين هذه الأنواع من الآراء تفاعلاً يجعل الكشف عن ملامح الرأي العام الجوهرية ممكناً على أساس دراسة الأحكام الفردية إلى درجة معينة، ولكنه مع ذلك لا يظهر على شاكلة آراء فردية بل على شكل آراء جماعية.

إن نفي إمكان إدراك الرأي العام ينبع من الجوهر الميتافيزيقي والمثالي للمنهجية الغربية التي تعيق فهم ديالكتيك الآراء الاجتماعية والمجموعاتية والفردية ودور التجربة الاجتماعية في وعيها أو إدراكها.

وعندما ينفي واضعو النظريات والآراء الغربية، إمكان إدراك الرأي العام كظاهرة اجتماعية يصلون إلى استنتاج حول عدم إدارة عملية تكوينه. وعند ذلك يقدمون الحجج القائلة: (إن عوامل سيكولوجية عديدة تؤثر في ظهور الرأي العام ويستحيل إحصاؤها، وإن الرأي يخلق بالفطرة عفوياً ، لذلك يعد غير موجه).

طبيعي أن يكون إحصاء تأثير العوامل السيكولوجية معقداً للغاية، لكن التجارب تظهر أن دراسة الرأي أمر ممكن جداً، والأهم من ذلك أن تكوينه يحدد بصورة أساسية من قبل العوامل الموضوعية التي تخضع للعمليات الحسابية، ومن غير المشروع جعل حالة العفوية في عملية تكوين الرأي العام مطلقة، لأنه لا ينشأ عفوياً بقدر ما ينشأ بصورة هادفة باعتبارها نظاماً موجهاً.

تتوافر الآن إمكانات واسعة لدراسة الظروف التي تحدد نشوء الرأي العام من أجل التأثير الواعي على مجرى عملية نشوئه وتكونه وتطوره.

والمسألة ليست إمكان دراسة الرأي العام وقياسه بقدر ماهي في كيفية إدارة عملية تكوينه، وبأي مقاييس يمكن الحكم على الآراء التي قد تكونت، وماهي الطرائق التي يمكن اتباعها أثناء دراسته؟ وكيف يمكننا استخدامه بفاعلية أكثر في تنظيم حياة الناس العملية وغيرها.

إن الهدف من هذه الإدارة بشكل عام ينحصر في تشكيل الرأي الأكثر فاعلية. الرأي الذي يتكون أثناء المشاركة النشطة للجماهير التي تعبر عن مصالحها ولها اتجاهات معينة تعبر عن قوتها وعمقها وموضوعيتها. ففي كل حالة محددة تحدد الأهداف والمهمات من قبل القائم على الإدارة انطلاقاً من ظروف معينة.

إن إدارة (توجيه) الرأي العام هي إدارة تحتية للنشاط الإيديولوجي الموجه نحو تربية الإنسان المعاصر. ويرتبط النشاط الإيديولوجي والرأي العام بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً. وتقوم عملية تكوين الرأي العام بدور الإدارة، وهذه العملية معقدة ليس لأنها تتطلب الأخذ في الحسبان تأثير العديد من الظروف والعوامل المؤثرة، الفاعلة في ولادة الآراء، بل بسبب الطبيعة الثنائية للرأي العام كظاهرة اجتماعية. وبما أن طبيعة الرأي العام متناقضة فعلى القائم بالإدارة التعامل ليس فقط مع عملية واحدة، وإنما مع عمليتين مساعدتين على تكوينه.

وعلى الرغم من أنهما مترابطتان ترابطاً وثيقاً، فمن جهة يكون الرأي العام على شكل علاقة روحية وتكوينه عبارة عن عملية وضع الأحكام. ومن جهة ثانية يكون كعلاقة روحية – عملية لإظهار الإرادة الاجتماعية لمواقف الناس، وكعملية تحول الأحكام (العلاقة الروحية) إلى نشاط عملي.

ويبدو الرأي العام كعلاقة روحية على الأغلب أيضاً في الأحكام التقديرية على مظاهر الحياة. فأثناء تشكل العلاقة الروحية يتركز الاهتمام

الأساسي في عملية وضع الأحكام الجماعية، وتنصهر العلاقة الروحية المكونة، فيما بعد بالنشاط العملي ويبدأ الرأي العام يظهر كعلاقة روحية عملية.

ففي هذه الحالة، من حالات عملية تكوين الرأي العام يبرز في المقدمة تكون المواقف العامة لنشاطات الناس.

والأمر المهم في إدارة عملية تكوين الرأي العام هو لفت النظر إلى وضع الأحكام الجماعية وتشكل المواقف العامة لنشاطات الناس لأنها هي بالذات تحدد فاعليته وأهليته، وكقاعدة يضع المنظرون الغربيون موضع الشكل أهلية الرأي العام، أي قدرة المجموعات الكبرى من الناس على الحكم الصحيح حول ظواهر الواقع، وفعاليته أيضاً. وتقابل أهلية الرأي العام من قبل هؤلاء المنظرين بأهلية الخبراء (الاختصاصيين) ويتم التأكد على أن الآخرين فقط في هذه الأثناء يستطيعون الحكم بمفردهم على قضايا الحياة الاجتماعية، وليس الأوساط الاجتماعية، ولكن التجربة الواقعية لتوظيف الرأي العام تدحض مثل هذه التأكيدات.

إن الأوساط الاجتماعية نفسها تقود إدارة عملية تكوين الرأي العام ويرتبط أصل مسألة التفريق بين من يقوم على تكوين الرأي العام ومنظمه والمعبر عنه.

وتقوم بدور إبداء الرأي العام مجموعة مستقرة من الناس يقود إليها الرأي وتعبر عن مقدراتها ومصالحها.

وأولى هذه المجموعات المكونة للرأي العام هي الطبقات والأمم والقوميات والمجموعات الكبيرة من الناس، ومنظمة الرأي التي هي أي مجموعة من الناس تقدم المبادرة بتشكيله وتعبر عنه وتقوم على نشره، وتقوم بدور هذا المنظم الأوساط الاجتماعية الناطقة باسم طبقات معينة أو مجموعات اجتماعية أو المجتمع بشكل عام.

إن الأوساط الاجتماعية تطرح للنقاش هذه أو تلك من المسائل، المهمة اجتماعياً، وتجذب اهتمام الناس إليها، وعند قيامها بمثل هذا الدور يكون لديها إمكان عملية تكوين الرأي العام.

وتشكل المنظمات الحزبية نواة الأوساط الاجتماعية وقوتها الصلبة، وتعد هذه المنظمات قبل كل شيء ذاتية في إدارة عملية تكوين الرأي، وتصبح المسائل التي تمس حلولها مصالح هذه أو تلك من المجموعات البشرية أو المجتمع بشكل عام في فترة معينة من الزمن موضوعاً للرأي العام.

وهذا يرتبط بالإدارة التي تتقن اختيار مادة الرأي آخذة بالحسبان –في هذه الأثناء –الاتجاه نحو توسيع تأثير الرأي في النظام السياسي المعاصر .ولابد أثناء تكوين الرأي العام من اعتبار الظروف التي خلقت فيها وثبتت وحدة المصالح الجذرية للناس وتطور الديمقراطية التي تضمن حرية التعبير والدفاع عن الآراء ,وانتشار الفكر الإنساني ,والمستوى التعليمي(الثقافي) للسكان وغيرها.

وتقتضي إدارة تكوين الأحكام التقديرية خلق مقدمات مناسبة قادرة على تحويل الإمكانات إلى واقع. ويقصد من ذلك تحضير الناس للاشتراك بالنقاش حول موضوع الرأي واستيعاب الأخبار المناسبة عنه، والجاهزية للتعبير علنياً عن أحكامها ووضع المواقف المناسبة، كذلك. وقد يتم ضمان مثل الجاهزية من قبل منظمات النشاط الحيوي ومؤسساته الخاصة للمجموعات الإنسانية، وتفرض هذه الجاهزية تربية الناس على الروح الوطنية والقومية والإنسانية وتطور لديهم القدرة على تحليل ظواهر الحياة الاجتماعية ووضع التقديرات الموضوعية وإمكان الدفاع عن أحكامهم وغيرها. وبذلك تضمن بالمواقف المحترمة لآراء الناس. فعندما تحسب أجهزة الدولة والمجتمع حساباً للرأي يتعاظم اهتمام الناس بالنقاش والحلول المهمة اجتماعياً للقضايا الاجتماعية وكذلك لنشاطهم

الاجتماعي. لأن ضمن النشاط الاجتماعي والسياسي لأعضاء المجتمع ماهو من حيث الجوهر إلا تحضير المقدمات الضرورية لتشكيل الرأي العام.

ويعطى خلق المقدمات إمكان تحقيق الإدارة المباشرة (الإدارة بمعناها الضيق)، التي تظهر امتلاك ديناميكية تكوين الرأي العام وميكانيكته. ويمكن تقسيم عملية تكوين الرأي العام، تقسيماً مشروعاً إلى أربع مراحل: ولادة الآراء، والنقاش حول موضوع الرأي، تكون وجهة نظر موحدة ونشوء موقف موحد من العمل.

فالرأي العام يولد مع ظهور مسألة اجتماعية ذات أهمية مما يخلق بدوره الطلب في تحديد طرق ووسائل حلها. وإن التحدث العلني بالمسألة سيؤدي إلى الاستجابة حتماً، ويبدأ تبادل الآراء. وكلما كانت المسألة معقدة أكثر كان النقاش أكثر تنوعاً والاستقطاب أكثر عمقاً، وإن كان النقاش عاجلاً، أم آجلاً سيؤدي إلى تقريب وجهات النظر وإلى صنع رأي موحد ومن ثم الموقف المناسب للعمل.

ولابد للقائم على الإدارة أن يحسب حساباً لخصائص كل مرحلة من مراحل عملية تكوين الرأي العام كي يكون تشكيل حكم الأوساط الاجتماعية هادفاً. ويحقق القائم على الإدارة مهمته عندما يعطي الخبر الضروري عن المسألة الناجمة ويعلل ضرورة الموقف المعين والحلول المناسبة ويستعمل كل الوسائل والطرائق وأساليب صنع الأحكام والمواقف الجماعية، ويعتمد على ديالكتيك الرأي الفردي والجماعي العام. ويشترط ديالكتيك الرأي الفردي العام (الجماعي والعام) بأن يتمتع الرأي بطبيعة اجتماعية إن كان جماعياً أو فردياً أو عاماً، لأن الإنسان يدخل في نظام العلاقات الاجتماعية، ولذلك يوجد حد يمكن عبوره بين وعي الفرد ووعي الجماعة والمجتمع بشكل عام ويمكن أن تكون الآراء الموحدة على أساس من الآراء الفردية.

وفي الوقت نفسه لابد من حسبان محدودية الرأي الفردي. فكل فرد حتماً يستخدم تجربة هذه أو تلك من الجماعات ويستخلص منها نتائج معينة أثناء تكوين رأيه فيما يتعلق بهذه أو تلك من المسائل. إلا أن تجربته الخاصة فيما يتعلق باهتماماته وميوله وخصائصه الذاتية تحدد الحكم الفردي، وتنعكس حتماً محدودية التجربة على قيمة أحكام الشخص الواحد وعلى تأثيرها في الرأي العام.

فإن التجربة الشخصية غير الكبيرة لا تعطي ما يكفي من المفاهيم لانتقاء وتقدير الحقائق. فالإنسان الذي يملك مثل هذه التجربة إما أن يمر بمحاذاة الأحداث الهامة وإما أن يعطيها تقديرات خاطئة. وهكذا لا تسمح محدودية التجربة بتوحيد الحقائق ووضعها في منطقية معينة، مما يؤدي على الأغلب إلى المبالغة والتعاميم المتسرعة وتركيز الاهتمام على الظواهر ذات الأهمية الثانوية وغيرها. فالإنسان الذي لا يدرك الروابط الحقيقية وتوالي الحقائق يعطي عنها أحكاماً كاذبة.

ومعروف أيضاً أن محدودية تجربة شخص واحد مرتبطة ليس فقط بصغر عمره وبقلة الخبرة الحياتية وإنما بفعل توزيع العمل، حيث يقوم الإنسان بعمل ما محدد وفي مجال عمله يستطيع أن يكتسب خبرة كثيرة ومعلومات كافية ومع ذلك إن كل هذا لا يكفي للحكم على القضايا المعقدة المنتشرة في الحياة الاجتماعية.

يظهر تأثير الأحكام الفردية في الرأي الجماعي في عملية اصطدامها بالأحكام الأخرى. فالإنسان يستطيع أن يتمتع بحكمه الخاص به مع موضوع الرأي، لكنه إذا بقي متمسكاً به ولا يعلن عنه فإنه لا يستطيع التأثير في تكوين الرأي العام، ولا يستطيع الرأي الخاص أن يؤثر تأثيراً مناسباً حتى ولو عبر الشخص عنه ولم يدافع عنه. فالرأي العام ليس تجمعاً لآراء فردية، بل إنه نتيجة

للإبداع الجماعي والاصطدام لمختلف الآراء. لذلك من المهم للقائم على الإدارة أن يجذب الناسب بصورة أوسع وأنشط في عملية تكوين الرأي العام وبخاصة في مرحلة تبادل الأحكام لتشكل الموقف الموحد وامتلاك ميكانيكية تكوينه.

تقوم بميكانيكة تكون الرأي العام ميكانيكية التأثير الروحي في وعي الناس وسلوكهم من جهة، وميكانيكية إدراك هذا التأثير واستيعابه من جهة أخرى. إن التأثير الروحي هو الاتجاه الروحي الإيحاء والإيعاز والإقناع والشهرة والنفوذ والمعايير الاجتماعية والتقاليد وغيرها. فالإيحاء كظاهرة سيكولوجية – اجتماعية وكوسيلة للتأثير الروحي يظهر في العلاقات المتبادلة بين الناس وفي مجرى عملية تشكيل الآراء(٦٢).

إن الإنسان يحتفظ أحياناً بالرأي الجماعي لنفسه ليس لأنه شارك في صفة، بل لأن هذا الرأي كان موحياً له أثناء المخالطة. ويتميز الإيحاء كوسيلة من وسائل التأثير الروحي، بأن الحكم المقترح يتم استيعابه من قبل الفرد على المستوى الحسي – الانفعالي دون الموقف النقدي منه. ودون الاشتراك الفعلي والنشيط في صنع الموقف العام. ولذلك ترى الدراسات العلمية أن الإقناع وليس الإيحاء هو الذي يشكل الوسيلة الأساسية لتنظيم الرأي العام. فالإقناع يوجه إلى العقل والشعور، ويعد من حيث جوهره نظاماً للبراهين المنطقية على ضرورة التقدير المحدد للمسائل التي يتم مناقشتها ووضع الحلول لها، والجماهير في هذه الحالة، تعد مادة للتأثير بقدر ما تعد مشاركة بصورة مباشرة في صنع الموقف العام. وإلى جانب الإقناع هو الطريقة المنتشرة للتأثير الروحي أثناء تشكيل الأحكام الجماعية تقف الشهرة التي تسمح بتشكيل وجهة النظر الموحدة والموقف الموحد بصورة أسرع.

---

(62) – عبد اللطيف حمزة: الإعلام والدعاية ص ١٨٢.

إن ترابط ميكانيكية استيعاب (إدراك) التأثير الروحي يضع الأحكام التقديرية عند الناس، ولكن يبقى الوضوح التام غائباً فيما يتعلق بكيفية اشتراط الآراء المعبر عنها حول موضوع النقاش بمتطلباتها والتراكيب الاجتماعية مادامت الميكانيكية السيكولوجية التي تشكل الأحكام الجماعية مبهمة.

وتسمح دراسة ميكانيك التأثير الروحي وإدراكه بإدارة عملية تكوين الرأي العام بصورة أعمق ومن كل الجوانب. وهذه هي الآن مهمة علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي الذي يمثل أمام هذه العلوم قضية من القضايا الملحة. وتسبق الرأي العام دائماً الحقائق وحوادث الحياة الاجتماعية ومعرفتها. وترتبط أهلية أحكام الناس حول ظواهر الواقع بشمولية المعرفة. ومن هنا ينبثق الطلب على الضمان الإعلامي للرأي المكون (الجاهز).

وكما أشرنا نتشارك ووسائل الإعلام والدعاية في تكوين الرأي العام، ومن المهم بالنسبة للقائم على الإدارة أن يتقن استخدامها وأن يمتلك أساليب الانتقاء وطرائق تقديم المواد أي الأحكام الجماعية. ولكن كيف يتم انتقاء (اختيار) الحقائق والبراهين التي يعتمد عليها تنظيم الرأي الموحد عند القارئ؟ وإلى أي مدى تكون الأخبار شاملة وكاملة فيما يتعلق بالرأي؟

عند الإجابة عن مثل هذه الأسئلة: أحياناً يتم الإفصاح عن أن التأثير ليس في شمولية الأخبار حول موضوع الحكم، مع أنها عملية مهمة عند تنظيم الرأي العام، لكن المهم هو أنه إلى أي مدى تكون الاستجابة لهذه الأخبار صحيحة عند الناس، وكيف تحرضهم للقيام بعمل معين؟ لاشك أن الأخبار ستلقى مثل هذه الاستجابة؟ عندما تكون شاملة عميقة وأكثر موضوعية ولكي نحكم بدقة على ظاهرة لابد من أخذ الحقائق بمجملها وليس بعضه فحسب، والكشف عن الجوهر الذي يعد مقياس شمولية (المعلومات) الأخبار. ومن الخطأ أثناء عملية تكوين الرأي العام الاكتفاء بالأخبار، وإهمال الكشف عن الجوهر.

ويمكن ضياع الأخبار أثناء نقلها، لذلك ليس المهم المحافظة على كميتها فقط. وإنما على كيفيتها أيضاً، لتقديم الخبر المعالج جيداً والمعمم أكثر والذي يعكس بصورة أعمق الرأي العام معناه الكبير.

ويشترك في تكوين الآراء إلى جانب الأخبار الجديدة والمعارف المكتسبة سابقاً والقوالب الجامدة (الكليشهات). والأخيرة تجمع في ذاتها التجربة الاجتماعية – السيكولوجية عند الناس ولها محتواها الإيجابي المعين ولكنها في الوقت نفسه خاملة من حيث طبيعتها. وتستطيع أن تعيق توضيح جوهر موضوع الرأي وتساعد على الحكم عليه سطحياً. لذلك يجب ألا تكون قوالب جامدة (كليشهات) لصفة موضوع الرأي، وإنما الأخبار الموضوعية عنه.

وبما أن جميع وسائل الإعلام الجماهيري لا تشارك في تكوين الرأي العام، لذلك لابد من الحكم على نشوء الأخير ليس من خلال بعض الأخبار، وإنما اعتماد كل الأخبار مجتمعة.بالإضافة إلى النظر إلى أهمية كل وسيلة من هذه الوسائل بحسب قدراتها في التأثير في عملية تكوين الرأي العام.

فالراديو يقدم الأخبار عن موضوع الرأي بصورة أسرع وبفعالية أكبر. أما الصحافة فهي قادرة على التحليل الأوسع والأكمل والأعمق وعلى تعليل هذه أو تلك من الأحكام التقديرية.

ويشترك في ضمان الأخبار لتشكيل الرأي العام ليس المعلومات حول موضوع الرأي وذاتيته فقط، وإنما حول طبيعة الآراء المعرب عنها وحول ما يجري في النقاشات وحول الصعوبات والتناقضات في صنع الحكم الموحد. أي حول عملية الرأي العام بالذات وإظهاره.

إن الإدارة العلمية لعملية تشكيل الرأي العام تشترط صياغة نوعيات معينة له. وتهدف الأوساط الاجتماعية في الأنظمة المتطورة إلى تشكيل رأي عام موضوعي إنساني في طلباته، وأوضح مثال على ذلك الرأي العام الذي

تشكل في دعم المشاريع الجديدة لدساتير هذه البلدان. فقد تصوغ الدولة الديمقراطية مشروع دستور باعتمادها على المنجزات العقلية للمجتمع. وأثناء عملية نقاشه يتشكل الرأي العام على أساس آراء الأفراد والمجموعات بكاملها. وقد تتباعد الآراء حول بعض المسائل ولكن لنصر الأكثرية.

وتنحصر إحدى مهمات العمل الإعلامي في تحقيق الرأي العام في النشاط الروحي – العملي. وأحياناً يتم التأكيد على أن الرأي العام ينتج عن كل التصريحات حول الموضوع الذي كان قد نوقش. وأنه من حيث طبيعته ثنائي، أو أكثر من ثنائي، أي متعدد الألوان، ولكن يصعب جداً عد مثل هذا التأكيد صحيحاً.

إن الرأي العام هو رأي الأكثرية، وإذا احتوى على أحكام الأقلية التي تختلف مع أحكام الأكثرية، فإنه لا يتمتع بوحدة المضمون ولا يملك القوة السياسية والأخلاقية التي هي من طبيعته. وتختلف أثناء تحليل الرأي العام عملية تكوينه عن نتيجة هذه العملية فقد يتم فعلاً التصريح عن العديد من الأحكام المختلفة أثناء عملية التكوين، أي نلاحظ تعددية الآراء، لكن هذه ليست من طبيعة الرأي العام أو صفاته. إن وجهة النظر الموحدة والموقف الواحد للأكثرية أو الإجماع أحياناً تعد نتيجة لهذه العملية التوحدية،وهي التعبير عن وجهة النظر الواحدة والدفاع عن الموقف الواحد الموجه الضروري لاتخاذ قرار محدد حول موضوع الرأي. وإن مطالعة عملية التكوين لنتيجتها تؤدي إلى تأكيد طبيعة الرأي العام المتنوعة المتعددة الاتجاهات. يتميز الرأي العام الذي له طبيعة واحدة باتجاهه المحدد، أي إما إن يندد به وإما أن يحبذ، ويقدر إيجابياً أو سلبياً معتمداً بذلك على مقاييس معينة يتميز بها النمط الراقي من الحياة.

وللرأي العام قوة معينة أي القدرة على الدفاع عن أحكامه، وله عمق معين، أي أنه يشمل جوانب الوعي، العقلانية والإدارية والانفعالية. فإذا كانت

هذه الصفات من طبيعة الرأي العام حول المسائل المهمة اجتماعياً، فإن ذلك يعني أن العمل الإعلامي الذي ينتج الرأي العام يكون فعالاً جداً. لكن فعالية الرأي العام لا تتوقف عند ذلك، فمن الضروري أن يخترق شرائح واسعة من الناس وتبرز مهمة تحويل الرأي العام المكون إلى قوة جماهيرية للتطور الاجتماعي. وإن الرأي العام العامل المصادق عليه بالأكثرية يمكن إدراكه بطرائق مختلفة من قبل مختلف التجمعات البشرية، وهنا تحدث حركة عكسية عن الرأي المعترف به عموماً الذي يعود إلى مجموعات اجتماعية كبيرة إلى رأي المجموعات والرأي الفردي. ومن هنا يتحتم على القائم بإدارة تكون الرأي العام أن يوجه اهتمامه الكلي إلى أن يصبح ليس فقط روحياً بل روحياً – عملياً.

إن صياغة الرأي العام ليست هي الهدف نفسه، وإنما هي طريقة مهمة لتنظيم النشاط الحيوي الاجتماعي عند الناس، والذي يتمتع بقوة تأثير كبيرة على المؤسسات الاجتماعية وعلى كل إنسان، وإن مصدر فعاليته يكمن في تنظيم وتكاتف الأوساط الاجتماعية التي تشكل وتعبر عن الرأي، وكذلك في وسائل تنظيم العلاقات بين الناس، وفي خصائص الرأي العام الاجتماعية – السيكولوجية كوحدة عضوية للقناعة والإدارة و الشعور عند مجمل الجماعات وعند الوحدات الاجتماعية الكبيرة. ويستطيع الرأي العام بحكم امتلاكه قوة التأثير أن يقوم بدور متصاعد في تنظيم العلاقات السياسية والأخلاقية والجمالية وغيرها من العلاقات الاجتماعية. وتشترط إدارة عملية صياغة الرأي العام إلى جانب ما أشرنا إليه من الحلول قضايا أخرى ومن بينها مسألة تعاون الرأي العام مع الإعلام العلماني المعاصر، ويقضي هذا التعاون التأثير الهادف على الرأي العام من جهة، ومن جهة أخرى رفع فاعلية تأثير الرأي العام على مضمون وشكل وأساليب الإعلام.

الباب الثالث

- **الفصل الأول:** الإعلام والرأي العام ص٧٥

- **الفصل الثاني:** تكوين الرأي العام تحت تأثير الإعلام العلمي والموضوعي في المجتمع الإنساني ص٨١

- **الفصل الثالث :** الرأي العام مقياس لفعالية الإعلام ص٩٩

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثالث

تفاعل الرأي العام والإعلام كمسألة نظرية وتطبيقية

الفصل الأول

الإعلام والرأي العام

إن الإعلام نشاط روحي، عملي (تطبيقي) في مجال تكوين القناعات الفكرية والإيديولوجية وله علاقة مباشرة بسياسة الأحزاب والدولة عن طريق نشر الآراء والأفكار والمواقف وإدخالها في وعي الناس وتعزيزها.

فالأفكار عندما تسيطر على وعي الجماهير تتحول إلى قوة مادية، يحدث ذلك بسرعة أكبر كلما كان الإعلام أنجح في مساعيه في سبيل تكوين الرأي العام الذي يشارك في تلك الأفكار.

ويكون الرأي العام حلقة ربط بين وعي الناس وأنشطتهم وأفعالهم حتى نراه وكأنه يتجسد فيها. وبالتالي فإن الإعلام الذي يكوّن الرأي العام يساعد على تحقيق أفكار وآراء معينة في الحياة الاجتماعية. والمسألة هنا تنحصر في كيفية تعزيز التأثير الإعلامي في وعي الناس إذا افترضنا أنه أثناء عملية تفاعل الإعلام والرأي العام يصطدم وعي رجل الإعلام مع وعي الجمهور.

ومن الواضح أن الإعلام يكون فعالاً عندما يستطيع التقاط القضايا ذات المعنى العام الذي يعبر عن مستوى التصورات السائدة بين الجماهير ويطابق أشكالها مع الصفات الأخرى لوعي الجماهير. فما هي إذاً وظائف الإعلام فيما يتعلق بالرأي العام؟.

أولاً:

عند إعطاء الأخبار الحديثة يقوي الإعلام ويعزز الرأي العام الذي قد تم تكوينه ويعبر عن العلاقة الخاصة بهذه أو تلك من ظواهر الحياة الاجتماعية ويضع الحلول للمسائل الماثلة أمام المجتمع.

ثانياً:

عندما يقوم الإعلام بتحليل الأحداث الداخلية والدولية، ينظم الرأي العام ويدفعه مقدماً بذلك المسائل الهامة اجتماعياً للحكم عليها من قبل الأوساط الاجتماعية، وهذه هي الوظيفة الأهم بالنسبة للرأي العام. فمثلاً إذا قرر طرح مشروع قانون للنقاش على الجماهير (يتعلق بالعمل أو حماية الطبيعة أو الأسرة أو التعليم وغيره) يكشف الإعلام عن جوهره ويفسر معانيه ومحتواه من كل الجوانب ويظهر مدى ارتباط المصالح العامة و الخاصة. وفي النتيجة يحصل مشروع القانون هذا ليس فقط على التأكيد له، وإنما يتم إغناؤه عن طريق الاقتراحات والأمنيات التي تطرحها الأوساط الاجتماعية والتي تعكس آراء الجماهير فيما يتعلق بهذا المشروع ويمكن الأخذ بالحسبان الشكل الأمثل للمصلحة الاجتماعية.

ثالثاً:

إن الإعلام يغير الآراء المكونة بصورة ناقصة، لأن الواقع الموضوعي معقد وتناقضاته الحقيقية يمكن أن تحصل على انعكاس سطحي ووحيد الجانب وحتى كاذب في وعي الناس.

وهناك بعض الحالات تحدث عندما يتكون الرأي العام تحت تأثير الحقائق المشوهة أو غير المؤكدة بصورة مقنعة، وعندما يعطي الإعلام في كل حالة الخبر الضروري والبراهين المقنعة يغير الرأي العام غير الصحيح.

وكلما كان الخبر كاملاً أو شاملاً كان الرأي العام موضوعياً أكثر، وكان الخبر في وقته المناسب تشكل الرأي العام المماثل بسرعة أكبر إلا أن الإعلام لا يحمل فقط المعارف الضرورية لتكوين الرأي العام بل هو مدعو أيضاً لإيصالها إلى حد القناعات التي عليها أن تصبح مثلاً لسلوك الناس. ومع تدعيم أسس القيم والمبادئ الإنسانية العامة، مثلت أمام الإعلام مهمة تربية الإنسان تربية أخلاقية وفكرية واقعية، وإظهار تفوق النهج العقلاني والعلماني أمام النهج الغيبي السلفي المتخلف.

إن معرفة الموضوع وقوانين تكوين الرأي العام والوظائف التي يقوم بها الإعلام إلى جانب دراسة الواقع الفعلي للظاهرة السابقة، تعد سبلاً صحيحة لرفع فعالية التأثير الإعلامي في الرأي العام. فالرأي العام يتشكل بناء على مسائل مختلفة جداً منها السياسية والاقتصادية والأخلاقية وغيرها. والمهم منها بالنسبة للرأي العام تلك التي تهم الشعب أكثر من غيرها في فترة زمنية معينة.

ويتغير موضوع الرأي في مجرى التطور التاريخي، وفي المجتمع الإنساني المعاصر، نلاحظ النزوع السعي إلى توسيعه. فإذا كان الرأي العام يظهر قبل كل شيء وبشكل أساس في المجال الأخلاقي والسياسي فإنه الآن أخذ يظهر في المجال الاقتصادي أيضاً، وهذا ما نشاهده الآن في كل أنحاء العالم. إن برامج التطور الاقتصادي أصبحت موضوعاً مهماً للرأي العام. وإن معرفة موضوع الرأي العام تعطي الإمكان الإعلامي في اختيار الحقائق والأفكار التي تسمح بتنظيم آراء الشعب حول المسائل الاجتماعية المهمة.

ومن المهم للإعلامي أن يتصور العلاقة بين الحالات العفوية والحالات الواعية في عملية تكوين الرأي العام، وكقانون يتكون الرأي العام في المجتمع الإنساني المعاصر من قبل مؤسسات حكومية واجتماعية وسياسية مختلفة، أي أن وجوده يحمل طبيعة هادفة. وإلى جانب ذلك فإنه فيما يسمى الآن النظام

العالمي الجديد، غالباً ما يولد هذا الرأي عفوياً، وعدم تقدير الآراء **المولودة** والمكونة عفوياً يؤثر تأثيراً سلبياً في دراسة الرأي العام، مع العلم أن العفوي لا يمكن أن يكون دائماً خاطئاً. فالآراء التي تولد في مجموعة الجماهير لا تمس أكثر المسائل إلحاحاً بل تعكس مصالح هذه الجماهير، إلا أنه لابد من إعطاء هذه العملية طبيعة هادفة.

ويعود الدور الأساسي هنا إلى إحداث نماذج (أنواع) للظواهر التي على أساسها يتكون الرأي العام، وتسمح هذه النماذج باختيار الأنواع المثلى لاستخدام الإعلام من أجل إدارة تكوين الرأي العام. وترتكز هذه النماذج على تصورات مؤكدة عملياً حول تكوين الرأي العام كعملية متكاملة تتشكل فيها أحكام الناس على موضوع الرأي، وكعملية إخبارية أيضاً مرتبطة بإمكانات الجماهير التي تقدر تقديراً نقدياً الأخبار الاجتماعية. ويتشكل الرأي العام على مستويين: مستوى انفعالي وآخر عقلاني.

إن الإعلام البرجوازي يعتمد بشكل أساسي على المشاعر في عملية تكوين الرأي العام محاولاً بذلك استدعاء التذمر أو الدهشة بما يتعلق بهذا أو ذاك من الأفعال والحقائق والأحداث، وفي هذه الأثناء يلجأ قبل كل شيء إلى الإيحاء وإدخاله في الأسلوب الرئيسي لتكوين الرأي العام.

يصبح الرأي العام أكثر ثباتاً وفعالية عندما يشمل ليس فقط مجال الشعور، بل ومجال العقل أيضاً، وعندها يعكس ليس فقط استياءه أو دهشته، بل والقناعة العميقة التي ترتكز على أحكامه وصحة مواقفه، ويتم التوصل إلى هذا كله في عملية التأثير الإعلامي. وبالتالي يتعلق رفع فعالية الإعلام في تكوين الرأي العام بمعرفة قوانين العملية التي تحدث نتيجة لها وهي المتمثلة في القناعات وذلك باتفاق استخدام الدعاية لوسائل الإعلام الجماهيري.

وقد كتب كارل ماركس أن الصحافة ((تعيش في الشعب وغالباً ما تقاسمه ..... سعادته وأحزانه وأنها تتنصت بأمل وغبطة على الحياة، ومن ثم تعلن بصوت عال ..... كيف يُملون عليها في الحالة الراهنة .....المشاعر والأفكار))[٦٣].

إن الإعلام يؤثر في الرأي العام أثناء عملية تكوينه وأثناء عملية توظيفه. ففي الحالة الأولى يركز الإعلام اهتمام الناس بالمسائل الملحة للحياة الاجتماعية مفسراً معناها، وفي الحالة الثانية يضع أمامه مهمة رفع فعالية الرأي العام. ومن هنا يمكن النظر إلى توظيف الرأي العام وفعالية الإعلام الموضوعي الهادف كعملية ديناميكية تمكن الأحكام المدعمة علمياً إلى الدخول الفعلي النشيط في حياة الناس العملية حين يحتوي الرأي العام المكون على قدرة إيديولوجية هائلة. فالمستوى الرفيع لتناسب الإعلام الموضوعي الهادف مع الرأي العام الموظف، يساعد على تطوير الصفات التي تحوله إلى وسيلة فعالة لتنظيم العلاقات الاجتماعية ولتربية الناس تربية وطنية وقومية وإنسانية.

والإعلام ضروري للرأي العام عندما يكون متميزاً بالصفات الإيجابية والنوعية، والأمر ينحصر في أنه مع تغيير حياة الناس لابد من تغيير آرائهم وأفكارهم وأحكامهم وتصحيح مقاييس تقديرات الحقائق والظواهر في الواقع الاجتماعي. والمثال على ذلك تعاظم المتطلبات الدائمة من عمل الناس وسلوكهم واعتراف الرأي العام بجهودهم وتأكيدها أمام المجتمع. ففي ظروف البلدان المتطورة لابد أن تحمل المسؤولية العالية ليس فقط عن أعمالك وإنما عن عمل مجموعتك وإظهار الحد الأعظم من المبادرة والمشاركة بإدارة الأعمال الاجتماعية ....الخ.

---

(63) – ماركس ، أنجلز: المؤلفات الكاملة، المجلد ١ ص١٦٦.

أي أن تحتل موقعاً نشيطاً، ويمكن الحكم على فعالية تأثير الإعلام في ديناميكية تطور الرأي العام ليس فقط بنضوجه وأهليته، وإنما بطبيعة التأثير ذاتها لهذا الرأي في حياة الناس العملية. وبالأحرى يمكن لعملية تكوين الرأي العام وإظهار نتائجه أن تكون مقياساً لتقديرات ما قامت به المساعي الإعلامية، وشاهداً على المستوى الذي وصل إليه التعاون بين الإعلام والرأي العام. ويشترط تنظيم التوظيف الفعال للرأي العام إظهار النزاعات الأكثر شمولية وقوانين العلاقات والتأثير والاشتراط المتبادلة للإعلام والرأي العام، ويؤدي مستوى اطلاع الناس على موضوع الرأي العام دوراً كبيراً في توظيف الرأي العام وتشكيله لذلك تكون مهمة الإعلام في إعطائه الدائم للناس الأخبار والمعلومات الجديدة حول موضوع الرأي والإبقاء على علاقة معينة معه. ويكون الإعلام أثناء تنظيم عملية تكوين الرأي العام مدعواً لتوضيح متطلباته وللكشف عن التناقضات التي تصادفه.

وترتبط أهلية الرأي العام وفعاليته بنشاط الإعلام في إضاءة (توضيح) المسائل الحياتية المختلفة وإدخال الآراء الطليعية (التقدمية) إلى وعي الجماهير.

الفصل الثاني

تكوين الرأي العام تحت تأثير الإعلام العلمي والموضوعي في المجتمع الإنساني

إن عملية تكوين الرأي العام في المجتمع الإنساني تتلخص في إدراك الناس للمصلحة الاجتماعية كشيء خاص بهم من جهة وكشيء يجمع بين المصالح الشخصية من جهة أخرى فالرأي العام ينشأ نتيجة لمقابلة المواقف المتباينة واصطدام مختلف الآراء وتقاربها والحصول على نقاط الالتقاء. وترك الخصوصيات والتفاصيل التي تتصف بتصورات وطرق متمايزة ويظهر نتيجة التبادل المستمر للأخبار والمعلومات وتدفق الأنباء تدفقاً واسعاً ومتنوعاً ومتعدداً من جوانبه المختلفة. أما ذلك الوسط الذي يتوالد بصورة إيجابية وينمو ويتعزز وظيفته في الرأي العام.

فالرأي العام:

هو وسيلة من الأنباء المتنوعة يتشكل بصورة عفوية (على الأغلب من خلال تبادل واختلاط العلاقات الفردية). كما يتشكل أيضاً بصورة هادفة (على الأغلب من خلال الإعلام).

ويدخل في أساس قنوات الإعلام المتبادلة إفرادياً تماس خاص ذو جانبين مباشر من جهة ومرتبط بتبادل الأنباء ذات الطبيعة غير الرسمية من جهة أخرى[٦٤]. يحصل الناس على الأنباء عن طريق أناس آخرين حيث يتبادلون وإياهم الأفكار ويتقاسمون الملاحظات والتقديرات والآراء ويتشكل مضمون العلاقات الفردية قبل كل شيء من الأخبار، عن المحيط المباشر للناس وعن

---

(64) – انظر: ف. غ: أفاناسيف : الأخبار الاجتماعية وإدارة المجتمع، موسكو ١٩٨٥ ص٣٨٧.

سطحهم الاجتماعي،ومن التقديرات الناتجة عن التجارب الشخصية لأعضاء المجتمع أيضاً، فالإعلام هو نشر وإدخال وتعزيز القدرات والتجارب الاجتماعية وغيرها[٦٥].

ويشترط سيل الأنباء الذي ينبع من مركز واحد، ويتوجه إلى جميع الجهات نشر النبأ الإعلامي وتفسيره، وجعل هذه الفكرة أو تلك مستوعبة، وإخبار الناس عن الأحداث والحقائق وظواهر الحياة الاجتماعية ومساعدتهم على تثبيت هذه المعلومات في تصورات ثابتة.

وطبيعي أن لا يكون هنالك حاجز منيع بين الإعلام وتواصل الأفراد فالتقديرات الناجمة عن عملية التواصل بين الأفراد تظهر على أساس نظام معين من الآراء والمعايير التي تسود في هذه المجموعة الاجتماعية بالذات أو في المجتمع. وحسب تطور المجتمع الإنساني، أصبح مصطلح ((التواصل)) بين الأفراد مقولة إيديولوجية وأخذ يتعزز يوماً بعد يوم تحت تأثير موجة لغوية اجتماعية محددة ومع ذلك، لا يحدث هذا فقط كتبادل للأخبار الناتجة من التجربة الشخصية للأفراد، لأن التواصل بين الأفراد في الظروف الراهنة لا يمكن أن يتم دون إدخال الإعلام في العملية الإخبارية.

فالأحداث والظواهر ذات الأهمية بالنسبة للأفراد والمجموعات تؤثر في الناس تأثيراً مباشراً (عادة تكون الشواهد قليلة) ومن خلال قنوات الإعلام ووسائله الجماهيرية.

ويرتبط التواصل بين الأفراد أكثر فأكثر بالتدفق الإعلامي الهادف، ويتسارع أو يتعزز بفعل تعامل الجماهير (الناس) مع وسائل الإعلام الجماهيري، ويولد نقص الأنباء المركزة تعميق التواصل بين الأفراد.

---

(65) – أنظر: أسس الإعلام الاشتراكي، موسكو ١٩٨٨ ص٥٠.

ويتحقق التأثير الإعلامي بدوره عند مروره بمرحلة التواصل بين الأفراد، عندما يحدث رد فعل يوحد التوقعات الإعلامية الفردية المختلفة من حيث الصفات مع مضمون الأخبار الإعلامية في تصور وحيد المعنى وفي تعميم رأي واحد. وهذا نتيجة لمقارنة المواقف الفردية على المستوى الفردي مع التصورات المتوحدة تحت تأثير أخبار وسائل الإعلام الجماهيري ((إن قنوات الأنباء الفردية هي حلقة وصل بين الإعلام والجماهير)) والإنسان الفرد وعلى الأغلب هنا يتم ترجمة الأفكار العامة والشعارات والنداءات والمبادئ إلى لغة ملموسة للأفكار والأفعال الخاصة لكل شخصية على حده [٦٦].

إن التواصل بين الأفراد في ضوء تلك التأثيرات المنتشرة من قبل الإعلام يكون حسب قوانينه غير مماثل للإعلام. ويقع موضوع أو مادة الإعلام في مجال التواصل بين الأفراد أو بشكله المترابط والملموس، وتصب فيه الانطباعات والتصورات ووجهات النظر لبعض الشخصيات والمجموعات الصغير فيها والكبيرة مع التلونات للتجربة الفردية. ويظهر التأثير الإعلامي هنا فقط بميزاته العامة، ويؤثر الوعي الاعتيادي تأثيراً كبيراً في التواصل بين الأفراد في عملية الرأي – التقدير – وفيما عدا ذلك يشمل الإعلام المسائل الأكثر أهمية بالنسبة للمجتمع بأكمله أو بالنسبة إلى الجزء الأكبر منه، فالدعاية الجماهيرية والإعلام الجماهيري تعمل فقط على مستوى محدد من العلاقة. فبعض المشاهد بالنسبة للدعاية تصورات محددة لتأكيد القواعد العامة. والموضوع الذي لا يدخل في مجموعة القضايا الاجتماعية الكبرى كقاعدة لا يجد في نفسه القدرة على اختيار الطريق إلى صفحات الجرائد أو إلى شاشة التلفاز أو البرامج الإذاعية. وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون موضوعاً ((للرأي العام)).

---

(66) – ف. غ: أفاناسيف: الأخبار الاجتماعية وإدارة المجتمع ص٣٨٨.

أنه لا يمكن أن يعكس (يصور) القضايا الاجتماعية الخاصة بهذه المنطقة أو الجماعة أو أي شريحة اجتماعية صغيرة أو مجموعة مهنية وفي إطارها يمكن مناقشة مختلف الآراء واستدعاؤها للجدل ..... الخ.

ففي بعض الحالات يمكن أن نرى آراء مجموعة مطابقة لآراء مجموعة أخرى، مما يعطي وفقاً لتحولها إلى رأي عام. وفي هذه الحالة يملك هذا الرأي العام كل الحق ليشغل مكانه في وسائل الإعلام الجماهيري.

وعلى الرغم من أن التواصل بين الأفراد بوصفه عاملاً من عوامل تشكيل الرأي العام يعمل باستقلالية، ويعكس مشكلات الأوساط الصغيرة والوعي الضعيف لدى الأفراد. يبقى واقعاً تحت التأثير القوي للدعاية، إلا أن وظائف الإعلام كعامل من عوامل تكوين الرأي العام لا تنحصر في تنظيم العلاقات الفردية، ولابد من الأخذ في الحسبان أنه في عالمنا المعاصر تتنافى باطراد النزعة التي تبخر سيول الأنباء بناء عليها والتي من دونها لا تستطيع تصوير الرأي العام ونقله إلى مدار التأثيرات الإعلامية. ويستهلك الناس الأنباء الضرورية الآتية من المصادر الجماهيرية كلها تقريباً. وكما تظهر الدراسات الاجتماعية فإن أهمية التواصل بين الأفراد، في هذا المعنى ليس لها الآن وجود يذكر. فبماذا إذاً يرتبط تصاعد دور الإعلام في تأسيس الحقل الإعلامي في المجتمع وفي تكوين الرأي العام العلمي الإنساني؟

تتعاظم أهمية التأثير الإعلامي الموجه بالتناسب مع نمو القضايا والمسائل التي عليه أن يضع الحلول لها أثناء قيادة المجتمع، وتتسع مشاركة الجماهير الشعبية في إدارته. ويضاف إلى ذلك كله التقسيم المستمر لجماهير الإعلام الاجتماعي. ويكثر باستمرار عدد المجموعات المشغولة بوظائف خاصة في تقسيم العمل الاجتماعي، ولذلك تختلف حسب المصالح الخاصة.

وهذا يعقد تناسب مصالحهم مع مصالح أناس ومجموعات اجتماعية أخرى ويعقد تجانسها (وتحويلها) إلى مصلحة اجتماعية موحدة.

ولتوحيد قوى الناس – الملايين من الناس في اتجاه واحد للعمل وفي انفعال موحد لابد من ضمان وصول الأنباء الضرورية لهم كلهم، وبدون هذه الأنباء من المستحيل تشكيل مفهوم المصلحة العامة لديهم وتوحيد الأفراد. ولذلك تبدو المصالح الجماعية ظاهرياً غير مرتبطة بعضها مع بعض، وهكذا يتطلب النمو الفاعل للرأي العام تنظيم سيل الأنباء الذي يجب عليه أن يشمل الجماهير الغفيرة ويوحدها، ولا يقدر على ذلك إلا الإعلام الجماهيري الذي تحققه وسائل الإعلام.

إن تعقيد الروابط الاجتماعية وتوسيع حلقة المسائل التي تشكل المصلحة العامة، وتعاظم عدد الموضوعات وبالتالي مواد الرأي العام تحفز أيضاً تطوير الإعلام كعامل من عوامل تكوين الرأي العام. فالانطلاقة المنظمة والموجهة للإعلام بالذات تستطيع أن تحسب وفي الوقت المناسب وأن تضع على جدول الأعمال ما هو اليوم أكثر حيوية وما يعوق أو يعجل التطور الاجتماعي وما هو بحاجة إلى مناقشة جماهيرية، أو إدراك من قبل كل أعضاء المجتمع أو جزء منه.

ويقوي دور الإعلام في العمليات الإعلامية وتكوين الرأي العام من خلال تمتعه بدرجة عالية من الفاعلية بفضل النمو الكمي والكيفي المتسارع لوسائل الإعلام الجماهيري. فالآن تصل المواد الإعلامية إلى الناس بسرعة وأمان وفعالية وبدرجة عالية من التنويع ويستطيع الإعلام الجماهيري أن يشمل الجماهير الواسعة في وقت واحد، وبذلك يكون قد ضمن النشاط الاجتماعي الضروري للملايين.

وأخيراً لا يمكن نسيان التعقيدات التي لم يسبق لها مثيل في العمليات الإعلامية الجماهيرية في المجتمع، والتي ترتبط بسعة وعمق الصراع الفكري بين الشرائح المضمون بين سيلين متناقضين من الأنباء. إن تشكيل الرأي العام حول القضايا الحيوية فعلاً وعكسه للمصلحة الاجتماعية الحقة وقيام العلاقات بين العناصر المكونة داخل تركيبة الرأي العام لصالح المعرفة العلمية، لا يجعله يتجاهل الأعداء الفكريين والإيديولوجيين وسعيهم لإعاقة عملية تشكيل الرأي العام وفرضهم على الشعب الأفكار والتقديرات الغريبة عنه وتشويه صورة الأحداث والظواهر الاجتماعية المختلفة.

وتعد الطبيعة الواقعية للإعلام اليوم إحدى المبادئ الأساسية لبناء السياسة الإعلامية في ظروف النظام العالمي الجديد بالنسبة للبلدان النامية، وهذا يعني أن الإيديولوجية البرجوازية تنتشر بوساطة أساليب نقل الأخبار والحقائق، ويرسم الإعلام في هذه الظروف صورة معينة للعالم وللعلاقات الاجتماعية، ويؤكد أو يدحض هذه أو تلك من القضايا الإيديولوجية والشعارات والتصورات عن جوهر العمليات الاجتماعية.

وبإحداثها بواسطة مجموعة من الحقائق صوراً وقوالب جامدة توحي للجماهير الحب أو الكراهية وعلاقة معينة بالظواهر الاجتماعية الملائمة. ولا ينبع هذا الحب أو هذه الكراهية من ذاتها، وإنما هي انعكاس لظهور مختلف الأشكال والأنواع الإيديولوجية للنظام العالمي الجديد. ويخضع الأهداف الإعلام، ما يسمى الإعلام الاجتماعي الذي يظهر تفوقاً أو نقضاً لنمط الحياة، إلا أنه في الإعلام الحقيقي كما هو في الإعلام الاجتماعي تتحمل الأخبار الموضوعية والحيادية ظاهرياً الحمولة الضخمة التي توازي من حيث الأهمية الحمولة الإيديولوجية.

إن عمل الإعلام المسؤول والهادف والهجومي والمبدئي ضروري من أجل تربية الشعب على الصلابة الفكرية القوية وعلى الحصانة والمناعة من التأثيرات المعادية. وخلال تكوين الرأي العام ينبغي التغلب على تضاربات الآراء والتصورات التي تحتاج إلى تفسير وتدقيق لكي يستطيع الرأي عكس المصالح الفعلية وغير المزيفة.

إن المبادئ الإنسانية العامة، تفتح المجال واسعاً أمام تسريع عملية التقدم الاجتماعي لكن تحقيق الإمكانات كلها كاملة يتعلق بالقائمين على بناء المجتمع الحضاري التقدمي أنفسهم.

لذلك يكتسب الإعلام في المجتمعات المتطورة أهمية كبرى. فبمساعدته يرتفع وعي الناس ويتطور الشعور بالمسؤولية، وكذلك الشعور بالمصير الشخصي. ويساعد الإعلام أيضاً على انتشار المبادرات التقدمية والتجارب الحضارية، ويعد وسيلة تشجيع أخلاقي معنوي للمنتجين، ويضمن كذلك علنية المشاريع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتنوعة، ويساعد بذلك إلى جذب العاملين إلى أشكال جديدة للاشتراك في البناء الحضاري. والنتيجة هي تنشيط الرأي العام الإنساني والتوجه الأوضح إلى القيم والمبادئ الإنسانية العامة.

إن تطور الديمقراطية وتحسينها يستدعي عملية تصاعد دور الإعلام التقدمي وينحصر جوهر هذه العملية في المشاركة الأكبر للمواطنين في إدارة شؤون الدولة. وهذا يعني بالدرجة الأولى التغيير في الوعي الشخصي للمواطنين باتجاه فهم أعمق لقوانين التطور الاجتماعي وإدراك دور كل مواطن في تسريع التقدم الاجتماعي. وإن الأخبار عن حياة البلد وعن النجاحات والإنجازات فيه وعن القضايا العامة وطرق حلها من الشروط الضرورية لقيام مستوى عال من الوعي لدى الشعب.

إن الإنسان المضطلع بعمل هادف بوعي وبثقة أكبر، ويشعر بحرية أثناء وضع التقديرات والأحكام. ويحقق الإعلام واحدة من أهم علامات الديمقراطية ألا وهي العلانية، وقد آثار بهذا الصدد الباحث (فرانز فابر قائلاً): ((العلنية وأعلام الجماهير وكل الكادحين في نشاط الدولة، تعتبر مبدأ من مبادئ الحياة الدولية المعاصرة، فالإعلام يسير حسب هذا المبدأ بثبات))[٦٧].

فالعلنية حتماً هي إحدى الشروط المهمة في تكوين الرأي العام. وإن اتساعها وتعميقها يساعدان على تكوين الرأي العام الحقيقي، الذي يعكس أمزجة ومشاعر الأكثرية الساحقة من الناس، وفي نهاية المطاف يساعد ذلك على تحويل الرأي العام الإنساني إلى أداة فعالة في يد القوى الديمقراطية التقدمية ومع نمو التأثير الإعلامي في الرأي العام تتكون أشكال هذا التأثير ويتبلور دورها في تكوين الرأي العام وتوظيفه.

ويقوم الإعلام المسؤول ووسائل الإعلام الجماهيري بدور المنبر للتعبير عن وجهات النظر والتبادل الأوسع للآراء. ويعطي للمواطنين إمكان طرح المسائل التي يمكن أن تكون موضوعاً للرأي العام والنقاش والجدل مع المقولات الفردية (الشخصية) أو مع الأحكام الجماعاتية لأناس آخرين. وتساعد وسائل الإعلام والدعاية إلى إظهار الآراء الجماعاتية والفردية وعلى تعريف الناس بها في جميع أنحاء البلد، وهذا ما يحفز سيل الأنباء الجديدة المحملة بالتصورات الناتجة عن الاطلاع على ما جاء في الإعلام من آراء وما جذب الألاف والملايين من الناس إلى عملية تكوين الرأي العام. وهكذا تسهل عملية الانتقال من الآراء الفردية (الشخصية والجماعاتية) إلى رأي عام موحد، ومع تزايد العلانية يتعزز الرأي العام بسبب المشاركة العقلية في تكوينه من قبل كل الأوساط الاجتماعية.

---

(67) – فرانسيس فابر: الصحافة نظرية وممارسة. ترجمة نوال حنبلي دمشق ١٩٨٤ ص٢٠٠.

إن الدعاية والتحريض السياسي والإعلام يجذب فعلاً الجماهير الواسعة إلى عملية تكوين الرأي العام وتوسيع المجال أمام القائمين على تكوينه، وأن عمل كل المحرضين والمعلقين السياسيين والمحاضرين يكمل من حيث الجوهر عملية تحقيق وظيفة الإعلام في تكوين الرأي العام، إنهم يعملون على إيصال وجهة نظر الدولة التي تعكس المصالح العامة إلى الأكثرية العظمى من الشعب وكذلك فهمها من قبل الأفراد كلاً على حده.

وفي الوقت نفسه يستطيع الإعلام أن ((يمتص)) وجهات النظر الشخصية لدى معظم المواطنين. أن وسائل الإعلام الجماهيري ونظم الدعاية السياسية والتحريض التي أصبحت على درجة من التطور، أضحت لها شخصيتها الاعتبارية في البلد، وتساعد على تنشيط وتسريع عملية تكوين الرأي العام. ويجذب الإعلام اهتمام كل المواطنين نحو المسائل الملحة في سياسة البلد الداخلية والخارجية، ويعطي دفعاً للإيقاظ المتزامن للقوى المحركة للرأي العام في مختلف شرائح السكان.

ويعطي الإعلام الإمكان في الاستجابة بوضوح لكل المنعطفات في مناقشة هذه أو تلك من المسائل وفي إيجاد البراهين والحجج والصياغة المثلى. وتصمم في الإعلام كل الأحكام، وتصل خلاصة الاستنتاجات المتوصل إليها بعد النقاشات من خلال الإعلام لكل المواطنين والجماعات، وبمساعدته يتم تفسير خطأ أو فائدة ما تتمخض عنه النقاشات من طرائق لوضع الحلول للمسائل فالتعرف المنتظم على وجهات النظر وعلى حجمها وتناقضها يدفع الناس بسرعة إلى تحديد مواقفهم وتكوين أحكامهم التي تربط مصالحهم بالمصلحة العامة. وتحت تأثير التعرف إلى المواد المنشورة تظهر عند العديد من الناس الرغبة في تبادل المعلومات والأفكار والملاحظات وبذلك يكونون قد شاركوا بفعالية ونشاط في تكوين وجهة نظر عامة.

يتوجه الإعلام المسؤول إلى الشخصية ((الفرد)) وإلى الجماعة وإلى المجتمع بشكل عام. وطبقاً لذلك يكون المقصود هو حاملو الآراء الشخصية الجماعية والعامة. وعلى الرغم من أن الآراء الشخصية والجماعية والعامة تتفاعل باستمرار إلا أنها في الوقت نفسه تختلف اختلافاً جوهرياً.

ويدخل في مهمات الإعلام مجمل كل ما هو شخصي وفردي وعام من آراء مع كل تناقضاتها والبحث عن طريق حلها في مصلحة العام بصورة عامة. ومفتاح كل ما يماثل هذه المسائل يكمن في تفسير طبيعة المصلحة العامة الموضوعية، ومع حل هذه المسائل يظهر الإعلام للشعب مستقبلية البناء الحضاري وكيفية تحقيقه في مرحلة البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ويضمن الإعلام بتنظيمه تناسب الآراء الفردية والجماعية العامة وسلامة الرأي العام الذي بدونها يفقد خصائص قوته التوحيدية القادرة على التحدث باسم المجتمع كله ويقف للدفاع عن مصالحه. وينظم في الأوساط الاجتماعية الواسعة كل التناقضات بين الآراء على مختلف المستويات الموضوعات الإعلامية الموجهة للصراع مع الإقليمية والفهم الخاطئ للمواطنين ومع الأنانية والفردية وغيرها.

إن مستوى نمو الرأي العام وتطوره له علاقة مباشرة مع أهمية القائمين على تكوين الرأي العام حيث تبدو الدعاية في كثير من الحالات وكأنها المصدر الوحيد للأخبار وبديهي أن تشكل المعارف العميقة أساس الأحكام الصحيحة للرأي العام، وتشكل هذه المعارف نتيجة للنظام التعليمي والتثقيفي.

ومن المعلوم أنه حتى نهاية السنة الدراسية يجد الطلاب في المعاهد والجامعات كثيراً من المعلومات التي حصلوا عليها قد أصبحت قديمة والتصورات التي تكونت لديهم أصبحت بحاجة إلى التدقيق والأكثر من ذلك

تكون القاعدة النظرية التي تكونت عند الناس في مرحلة متقدمة من التطور قد أصبحت بحاجة أكبر للتجديد والتطوير والتعميق.

((إن الدراسة الإيديولوجية ليست عملاً واحداً في زمن واحد، وإنما هي عمل مستمر مع الذات)) ولا يمكن النسيان أن الفكر العلمي العلماني نفسه يتطور ويتحسن باستمرار ولكي نجاري الوقت وتطرح الأحكام الصحيحة حول الظواهر الاجتماعية لابد من رفع مستوانا النظري (الفكري) باستمرار ودون انقطاع.

وتكمن الوظيفة الرئيسة للإعلام المسؤول تطبيقاً لتكوين الرأي العام الوطني التقدمي في رفع مستوى الوعي والثقافة وفي تعاظم أهلية القائمين على تكوين الرأي العام.

وهنا ينحصر الاختلاف المبدئي بين الإعلام المسؤول التقدمي والإعلام العالمي المعاصر في ظروف النظام العالمي الجديد، حيث تنحصر مهمة الإعلام الأخير في إعاقة نمو الوعي لدى الجماهير وفرض المصالح الرأسمالية عليها. ومن هنا ينبثق الاختلاف في تركيبة الآراء العامة المكونة في المجتمع المعاصر المتطور حيث تغلبت التوجيهات المزيفة على التوجيهات القائمة على أسس علمية.

ويصبح الرأي العام ناضجاً عندما يكون السكان على اطلاع كاف على المسائل الخاصة بالمصلحة العامة، وعندما يكونون مطلعين في الوقت المناسب وعلى شكل واسع على الأحداث الجارية وعلى الساحتين الداخلية والخارجية حيث تسمح سعة اطلاعهم بالتوصل إلى أحكام صحيحة، مما ينعكس إيجابياً على تكوين الرأي العام الإنساني التقدمي (٠) وتشكل القناعة الإيديولوجية عند المواطنين القاعدة للتوجه في تقدير الظواهر الاجتماعية والأحداث وحقائق حياة المجتمع الداخلية والدولة.

ويعطي الإعلام المسؤول الشعب تصوراً واضحاً عن النظام القائم وعن الاتجاهات الرئيسة للتطور الاجتماعي وعن ملامح الظواهر الاجتماعية التي تساعد على التحرك نحو التقدم الاجتماعي والازدهار، ويستطيع الإعلام تكوين القدرات المختصرة والواسعة للظواهر والأحداث المتطابقة مع تصورات الناس وأمزجتهم والمعبرة عن جوهر الظاهرة بشكل واضح ومعبر، وتكتسب سرعة انتشاره أهمية كبرى لتسريع تكوين الرأي العام ووضع بلورته. وهذه التصورات – الأنماط – (القوالب الجامدة) تنتشر بين الناس وتساعد على ردة الفعل السريعة لديهم بالنسبة للحقائق والظواهر المدركة مختصرة بذلك عملية تكوين الرأي العام إلى حدها الأدنى [٦٨]. وإن هذه الصفة وحدها للإعلام وقدرته على اختصار الأخبار المتنوعة في رمز واضح، وتوحيده بقوة التقدير السياسي والإيديولوجي تشهد على الإمكانات العظمى للإعلام في التأثير في تكوين الرأي العام. وحقيقة الأمر، أن تعداد الوظائف التي يقوم بها الإعلام في عملية تكوين الرأي العام، تظهر أن الإعلام في الظروف المعاصرة يعد عاملاً مهماً للغاية من عوامل تكوينه.

فالإعلام يوفر منبراً واسعاً لتبادل الآراء والمجادلة ويساعد على تعاظم أعداد القائمين على تكوين الرأي العام ويجذب إلى مداره المئات والملايين من الناس، وينشط ويسرع مجرى عملية تكوين الرأي العام. وبدون مساعيه يصعب الوصول إلى وحدة الرأي العام، وتتأثر أهلية القائمين على تكوين الرأي العام إلى درجة كبيرة بمستوى فعالية الإعلام ومن دون مساعدة وسائل الإعلام لا يمكن إرضاء متطلبات الجماهير في التوضيح اليومي للتوجهات وتوازناتها.

---

(68) – أقرأ الباب الثالث لتحصل على معلومات أكثر حول " دور القوالب الجامدة في تكوين الرأي العام وتوظيفه " .

فالدراسات الإعلامية تركز على دور الإعلام بالنسبة للرأي العام، إلا أن مسألة تأثير الرأي العام في العملية الإعلامية لم تبحث بشكل كاف بعد، هذا إذا لم نقل أنها لم تبحث أبداً.

وتظهر في الوقت نفسه العلاقة بين النظرية والتطبيق بصورة مقنعة كأن الحديث يجب أن يدور حول التأثير المتبادل للإعلام والرأي العام. وبدون إدراك ودراسة هذه العلاقة المتبادلة ستكون صورة قوانين الرأي العام غير كاملة.

إن للإعلام في المجتمع المعاصر هدفه النهائي وهو تربية الوعي العالي عند الجماهير. وللوصول إلى هذا الهدف يحتم على الإعلام أن يبقى واضعاً يده على بعض حياة المجتمع بكل طبقاته ومجموعاته الاجتماعية وفئاته. وقد أشار الباحث السوري فايز سارة إلى ذلك قائلاً: ((....أن يعيش في خضم حياة الناس، وتعرف بشكل واسع، وتستطيع بدون أخطاء تحديد أمزجة الجماهير بالنسبة لأية مسألة، وفي أي وقت، ومتطلباتها الواقعية ومساعيها وأفكارها وتستطيع تحديد درجة وعيها، وقوة تأثير هذه أو تلك من الرواسب والخرافات في البلدان وأن تستطيع الحصول على الثقة المتناهية من قبل الجماهير بالعلاقة المسؤولة وإرضاء حاجاتهم))[٦٩].

إن الوضع الحقيقي للرأي العام ودرجة نضوج الأحكام المكنة له، كل هذا من أهم العوامل التي تعكس ((المتطلبات الحقيقية، للجماهير، وتشهد على درجة وعيها)) وبدون اعتبار ذلك كله فإن الإعلام لا يستطيع أن يضع الحلول لمهماته، ومن بينها المهمة الخاصة بتكوين الرأي العام.

إن الإعلام المسؤول من خلال مشاركته في دراسة الرأي العام واعتباره لأحواله يكتسب العديد من الصفات القيمة: تتعزز علاقته بواقع البناء الحضاري

---

(69) – فايز سارة: مدخل في دراسة العملية الإعلامية: ماهيتها، اتجاهاتها وخريطتها مجلة الوحدة العدد ((٥٤)) آذار عام ١٩٨٩ ص٩٠.

وتعلو أهمية أدائه، تحدد اتجاهات عمله، وتنمو إمكاناته في الاستجابة إلى أمزجة الناس بمرونة وفعالية.

يدرس الإعلام الرأي العام بهدف الكشف عن اتجاهات وقوانين تشكيله وكلما أدركت حالة الرأي العام واتجاهات تطوره بصورة أحسن يمكن التأثير في هذه العملية بصورة أنجح، وفي الوقت نفسه يعني الرأي الإعلام بحد ذاته وهكذا فإن حالة الرأي العام تدل عليها الصحف والمستوى الذي وصله وعي الجماهير وما هي الدرجة الآتية من تطوره.

وينشر الإعلام العلمية ويفسر سياسة الدولة والأحزاب القائمة في المجتمع لكنه في الوقت نفسه يستوعب التجارب الجماهيرية ورأي الشعب. ومهما كان مجال الأعمال الإيديولوجية واسعاً لاشيء يستطيع تغيير هذا المصدر للأنباء. ويمكن مشاهدة تجارب البناء الحضاري في بلدان كثيرة، وعددٍ ليس قليل من الأحداث عندما يدخل هذا الحكم التقديري أو ذاك في مضمون الإعلام وآراء الناس تصبح أساساً لتحديد الحملات الإعلامية حول المسائل الملحة في حياة البلد، وجذب الناس الواسع إليها وانتشار المناقشات الشعبية، ففي فرنسا ولدت البرامج المضادة بمبادرة من الناس، فالجماعات ذات المصلحة في الشركات الصناعية بتعبيرها عن آرائها تقترح الالتزام بخطة ذات مؤشرات أساسية أرفع من المهمات التي وضعتها الدولة، وتشترط للتعبير عن مثل هذا الرأي الجماعاتي تلك الحقيقة بحيث أصبحت البرامج المضادة تشغل أحد أهم الأمكنة المركزية في محتوى الإعلام.

إن المسائل التي تقلق الجماهير وتتناول المصالح العامة تصبح مادة جديرة بالاهتمام من قبل الدولة، وتصل هذه المسائل حسب القنوات المحددة إلى مركز خاص تتم فيه معالجتها وتعميمها. وفي هذه الأثناء تظهر بعض المسائل بحاجة إلى توضيح، ويعطي بعضها الأجوبة على بعضها الآخر من خلال

الصحافة أو من خلال التلفاز أو المذياع أو من خلال المحاضرات الإعلامية ويتم إغناء قضايا الإعلام عن طريق الاقتراحات التي يتقدم بها الجمهور أثناء الاجتماعات واللقاءات مع ممثلي الدولة وعن طريق الرسائل الموجهة إلى مختلف أجهزة الدولة والمنظمات الشعبية وإلى هيئات تحرير الصحف والمذياع والتلفاز. وفي العديد من الحالات تبدأ الصحف المركزية مقالاتها الافتتاحية أو مقالاتها الأساسية بعبارات بعض المهتمين والقادة فمثل هذه المواد تجذب اهتمام القارئ.

يؤثر الرأي العام في الإعلام أيضاً من خلال سلوك الناس الفعلي، فعند انعكاسه في أفعال الناس يكشف عن جانبه (التنشيط ويسمح بقياس درجة نضوجه وإظهار دوافع مثل هذا السلوك (الفعل) يعني الكشف عن تركيبة الرأي (الحكم التقديري) والكشف عن ميكانيكية تحول الرأي (الحكم) إلى الرأي (السلوك) وليس ذلك فحسب، فالإعلام مدعو للتأثير في عقول الناس ومشاعرهم وأفعالهم ومن المهم جداً النظر في هذه الحالات الثلاث مجتمعة. فعندما يقوم الإعلام بالتخطيط والتنظيم والتحقيق لنشاطه، يأخذ في الحسبان رد الفعل الممكن لموضوع التأثير في أي حالة للرأي العام. وتعطي القاعدة لمثل هذا النوع من التوقعات دراسة أفعال الجماهير الحقيقية التي ينعكس فيها المستوى الذي تم الوصول إليه لنضوج الرأي العام عند الجماعات في المجتمع، وبذلك يكون الرأي العام قد حفز عملية البحث عن أساليب وأشكال جديدة للإعلام واستخدام الوسائل الأكثر فعالية في التأثير الفكري الإيديولوجي.

عندما تكون حالة الرأي العام معروفة جيداً يكون من السهل على الإعلام أن يكون فعالاً وموضوعياً، وملموساً أكثر ويكون مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً

بالعمليات والعلاقات العقلية وكتب ماركس بهذا الصدد ((لكي نفعل آملين بحظ ما بالنجاح لابد من معرفة المادة التي علينا أن نؤثر فيها))[٧٠].

وعلى الإعلام أن يطور ويؤكد ويثبت الصفات الإيجابية ومزايا الناس من جهة، وعليه أن يتغلب على الأفكار والأحاسيس السلبية والتقاليد البالية من جهة أخرى، وغالباً ما يصبح الرأي العام مؤشراً على مدى انتشارها، وفي الوقت نفسه يستطيع أن يكون أساساً لإظهار مصادرها وأسبابها، وغالباً ما تنشأ أفكار غير صحيحة حول مسائل معينة نتيجة لنقص المعلومات لدى القائم على تكوين الرأي العام، لذلك لابد في هذه الحالات من الوضع في الحسبان أن الحقائق الملموسة هي الأكثر إقناعاً، وعلى الإعلام أن يقدمها كي يقنع الناس لأن مصالح الناس تقع وراء آرائها وفي نهاية الأمر المصالح بالذات هي التي تحرك الناس والرأي العام في الأنظمة المتطورة يعكس قبل كل شيء المصالح العامة ويدافع عنها. ومهمة الإعلام في الكشف عن العلاقة الوثيق بين المصالح المباشرة للناس ومصالح الجماعات والمجتمع، وإعطاء أولوية المصالح العامة على مصالح بعض الجماعات والأفراد.

وإذ وحدنا الاتجاهات المختلفة للتأثير الذي يظهره الرأي العام في المجتمع على الإعلام المسؤول فيمكننا إثبات مايلي:

يساعد الرأي العام الإعلام على التعبير الكامل والصحيح عن العمليات العقلية الجارية في الوعي الاجتماعي وعلى التعبير عن التجربة الاجتماعية التي تراكمت بفعل الجماهير، وتوجه حالة الرأي العام، الإعلام فيما يتعلق بتركيز الاهتمام على ((الأمكنة الضيقة)). والمسائل غير المحلولة في بناء المجتمع الحضاري.

---

(70) – ماركس، آنجلز: المؤلفات الكاملة: المجلد١٦ ص١٩٥.

ويتطلب الرأي العام من الإعلام التحسين اليومي للعمل الإعلامي وعملية الإعلام. ويغني تطور الرأي العام في البلدان المتطورة الإعلام بوضعه مسائل وقضايا جديدة وتقديم موضوعات آنية ساخنة واتجاهات عمل جديدة وأخيراً إن الرأي العام يقوم بدور المقياس لفعالية الإعلام. ويقدم الرأي العام أثناء عملية تطوره متطلبات جديدة من العمل الفكري والإيديولوجي وترتبط طبيعة الإعلام المسؤول الإبداعية قبل كل شيء بدرجة استيعاب الجماهير للإيديولوجيا العلمية الإنسانية العامة، ويدفع المجتمع لإشراكه مرحلة الحاجة الماسة للتأثير الإعلامي وكذلك يفكر أين وكيف يشير وكيف يعد مصالح الناس وأمزجتهم يسترشد بحالة الرأي العام. لذلك عليه معرفة كيفية تقدير الرأي العام لهذه أو تلك من الحقائق والظواهر والأحداث وماهي المصالح والتقديرات السائدة هنا. وتنحصر مرحلة الإبداع في الإعلام أيضاً في إتقان الحصول على أكثر أشكال وسائل وأساليب التأثير ملاءمة. وعند ذلك لابد من تحديد ليس فقط ماذا ومتى نعلم؟ وإنما كيف وبأية وسائل وأساليب نحقق التأثير الفكري الإيديولوجي.

ويعكس تفاعل الرأي العام على الإعلام المسؤول وحدة العملية الديالكتيكية للتأثير الإيديولوجي، وترتبط فعالية العمل الإعلامي بحالة الرأي العام بالعكس كلما كان الرأي العام ناضجاً طالب الإعلام بأكثر وأكثر مما يدفع الإعلام إلى التحسين المستمر.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثالث

الرأي العام مقياس لفعالية الإعلام

الإعلام في المجتمعات المتطورة هو قناة تأثير الوعي العلمي والنظري على الوعي الاعتيادي (المبتذل) وبما أن الرأي العام هو حالة من حالات الوعي الاجتماعي، فتحليل (بارومتر) الرأي العام يعطي تصوراً معيناً عن تأثير الإعلام على العقول ولاسيما أن الرأي العام هو المؤشر على ذلك، فهل يتم تحقيق الأهداف أم لا؟ أي الأهداف التي يسعى إليها الإعلام هذا يعني أن الرأي العام يقوم بدور مؤشر في فعالية الإعلام وهو بالنسبة إليه ((الهدف)) بل العنصر المفتاحي، فبدون هدف لا وجود للفعالية.

ويفهم تحت مصطلح ((فعالية الإعلام)) درجة تحقيق الأهداف التي يسعى إليها الإعلام ويتم ذلك من خلال مقارنة مقاصد الإعلامي ((منظم)) الإعلام، والسياسة الإعلامية، والحملات، الأفعال ومؤلف المادة الإعلامية مع النتيجة الحاصلة وبالتالي يعد إعلاماً فعالاً، الإعلام الذي بمساعدته يمكن الوصول إلى التأثير الضروري في وعي الناس وسلوكهم.

إن الرأي العام بصفته نتيجة للجهود الإعلامية الهادفة من حيث الأساس لا يستطيع إلا أن يكون شاهداً مباشراً على الفعالية.

وعند قياسهم للرأي العام يحصل العلماء الاجتماعيون على جواب السؤال حول الطبيعة العامة للنشاط الإعلامي وعند معرفة حالة الرأي العام تمكن رؤية كيفية تأثيره (إيجاباً أم سلباً) في استنتاجات الناس أو أحكامهم فقد يبدو عديم الهوية في بعض الحالات على الإطلاق ويمر بمحاذاة وعيهم دون أن يترك فيه أي آثار، وتعطي دراسة الرأي العام معلومات مهمة عن فعالية الإعلام وتقوم بدور المقياس لفعاليته.

وحسب ب.ف.بوزنيكوف: ((يقصد من مقاييس فعالية الإعلام تلك العلاقات الخاصة التي بواسطتها يمكن الحكم نسبياً على منجزاته في مجال التثقيف الفكري النظري للناس وتربيتهم عليه ورفع مستوى نشاطهم الاجتماعي))[٧١].

إن حكم الرأي العام ومؤشراته ونضوجه وشموليته وسرعته ورد فعله على هذا النبأ أو ذاك تعد من أهم المؤشرات على حالة العمل الإعلامي وكل النشاط الإيديولوجي العام، لكن الإعلام ليس العامل الوحيد على الإطلاق، الذي يحدد حالة وعي الجماهير لأن ظروف العمل والحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية ومتطلباتهم ومصالحهم وتلك الأرضية التي ينمو عليها هذا الوعي الفردي والاجتماعي، والإعلام ليس إلا واحداً من العديد من العوامل المؤثرة في مضمون وعي الناس وسلوكهم وهو كانعكاس للعمليات المحددة التي تحدث في الوعي الاجتماعي.

ويؤثر الإعلام تأثيراً فعالاً بدوره في وعي الجماهير وحياتهم، ومن المستحيل استخراج النتائج المباشرة للتغيير والتطور في الوعي الاجتماعي من دون معرفة حقيقة التأثير الإعلامي نفسها، ومن تبادله ومن تواصله أو شدته ويحدث تقدير فعالية الإعلام بصورة أكبر بوساطة المعطيات غير المباشرة التي يتم بها التقاط الاتجاه الأساسي وذلك بزمن التماس المباشر بين الإعلامي والجماهير.

ويتراكم التأثير الإعلامي عادة لفترة طويلة من الزمن مع نمو وعي الجماهير وجاهزيتهم للقيام بهذا أو ذاك من النشاطات الاجتماعية وفي هذا العدد

---

(71) – ب.ف. بوزنيكوف فعالية الإعلام الاشتراكي موسكو ١٩٨٩ ص٢٤١.

كتب الباحث بادي الخطيب قائلاً: ((إن التوجه بالموعظة العملية إلى الشعب لا تذهب هدراً ولو حتى فصلت عشرات السنين بين الزرع والحصاد))[٧٢].

إن الأعداد الكبيرة للعوامل المتنوعة التي تشارك في تكوين الرأي العام تجعل من الصعب إبراز التأثيرات الإعلامية في شكلها الصحيح. لذلك يكون من الصعب إيجاد المقياس الذي بوساطته (مع درجة معينة من التحديد والصحة) يمكن استخراج الاستنتاجات عن فعالية الإعلام، والرأي العام ليس المؤشر الوحيد الذي يبدو وكأنه مقياس يسمح بالحكم بموضوعية وفي الوقت المناسب على حركة التأثير الإعلامي المستمر وعلى التغييرات الحاصلة في الوعي الاجتماعي وكيفية حدوثها مباشرة تحت تأثير القنوات الإعلامية.

إن الرأي العام كمقياس لفعالية الإعلام يتميز بأنه يشير إلى درجة تحقيق الهدف الرئيس وهو دفع الناس نحو نشاط معين (من أجل التأثير في العالم الروحي عند الناس ومن أجل التأثير في سلوكهم الاجتماعي).

لم يكن هدف الإعلام نشر الأفكار بحد ذاته، بل أساليب للتحقيق الملموس للمصالح الطبقية المحددة. وتصبح الفكرة لدى الجماهير قوة مادية وتتجسد في سلوكهم فتعكس فعالية سلوك الناس في المجال الروحي (وهي هنا صعبة الالتقاط والتثبيت) ويشير الرأي العام إلى الأفكار التي تسيطر على الجماهير وتستطيع أن تصبح قوة مادية.

إن الرأي العام يعكس بادئ ذي بدء مستوى الوعي في المجتمع وفي أية وحدة اجتماعية محددة في مختلف فصائلها وفي بعض الجماعات وغيرها، وينتج عن ذلك الاستنتاج الأكثر عمومية حول التوجه المبدئي للعمل الإعلامي التأويلات التالية: هل يعكس صحة التعاليم السياسية والإيديولوجية؟

---

(72) - بادي الخطيب: تدهور الوعي الجماهيري ومسؤولية الإعلام العربي. مجلة الوحدة. العدد ٥٤ ص٩٨.

وهل يساعد التأكيد والتثبيت اللاحق للآراء العلمية والتقدمية في رؤوس أوسع فئات الجماهير؟ وهل يكسب الشعب اليقظة السياسية والوعي السياسي الصحيح؟

والحقيقة أنه كلما كان تأهيل الكوادر الإعلامية عالياً يمكنه أن يقدم التفسيرات الواضحة لقضايا العصر الأساسية ويربطها بتوجهات القيم الإنسانية العامة.

إن التكوين والحفاظ على الشكل الواضح تماماً لنظام القيم هو أحد أهم المهمات المطروحة على جدول أعمال العمل الإعلامي اليومي، إلى أي حد يمكن أن توفق به الكوادر الإيديولوجية ويظهر بجلاء في استفتاء الرأي العام. إن إجراء الاستفتاء المنفذ بمهارة يستطيع أن يظهر الاتجاه الحقيقي للتوجه الصحيح.

ولا تبرز أحكام الرأي العام بسهولة الأمزجة العامة لجماهير الإعلام لكن ظلاله تظهر الأفكار المنتشرة الآن والسائدة أو الرائجة، وبأية آراء وتصورات تصطدم وأي الاتجاهات من المتوقع حدوثها أثناء تطور الوعي الجماهيري.

ويرى قادة الإعلام ومنظموه والمنفذون المباشرون للخط الإعلامي ومن خلال هذه المعطيات صحة أو عدم صحة تنفيذ الخط وأية مراحل أو موضوعات غابت عن أنظارهم وإلى أي مدى من التتابع والثبات قدموا الأخبار المناسبة وكيف استخدموا الإمكانات المتاحة لتوسيع دائرة مصادر الحجج والبراهين المقنعة.

إن تباعد الآراء التي يتم الحصول عليها في كثير من الأحيان في عملية دراسة الرأي العام تشهد على أن الإعلام لم يستطع الاسترشاد بتركيب الجماهير ولم يأخذ بالحسبان القراءات المختلفة الموجودة في فهم هذه أو تلك من الظواهر

الاجتماعية ولم يفسر أية مصالح تستطيع التواجد في الآراء التي تم التعبير عنها، وأية الشرائح من السكان تفتقر للطريقة الإعلامية الأكثر انتباهاً.

وتظهر حتماً في هذه الأثناء اتجاهات ومصادر تلك الظواهر التي تخلق تباعد الآراء، ويُبرز تحليل طبيعتها فيما إذا كانت الجهود الإعلامية متشابهة بالنسبة لنشر (وتوزيع) التعليمات المناسبة والتصورات والآراء بناء على المتطلبات الموجبة.

وهنا يتضح قبل كل شيء مدى نجاح العمل لاكتساب مناعة شعبية ضد التأثيرات المعادية وكيفية تحقيق الإعلام لوظيفته الأهم في الصراع مع الإعلام والإيديولوجية المعادية وماهية المقاييس المناسبة وإمكانات تنفيذها في هذا المجال وأية الوسائل الإيديولوجية للتربية يمكن استخدامها وأية أخبار يمكن نقلها بوساطة القنوات المتنوعة للإعلام الجماهيري وعلى ماذا يمكن تركيز انتباه المحرضين والمحاضرين والموجهين السياسيين.

ويستطيع الإعلامي من خلال مواد الاستبيان أن يعرف إذا استطاع تحديد موضوع ومادة الرأي العام التي تكون فعلاً، استبيانات جماهير الإعلام ودرجة الاستجابة لها ويكون الإعلام فعالاً عندما يجد الناس فيه الأجوبة على الأسئلة التي تقلقهم وعندما تفهم الشعارات والأفكار التي يروج لها الإعلامي كتفسير أو برهان على ما قد أصبح معروفاً ومشبعاً بالنقاشات ومعروف أو أنه ما يزال التفكير للمعلومات عن حالة الوعي الجماهيري لأن الرأي العام لو أخذ في ديناميكية تطوره يعكس الاتجاهات الأساسية للتأثيرات الإيديولوجية من قبل سيل الأنباء، وللقضايا المنظورة بها، ومن هذه الناحية ومهم جداً إمكان التحقق من فعالية الحملات الدعائية المحددة والأفعال المعنية وهذه أو تلك من أساليب وطرائق الدعاية واختيار أشكال وأنواع معينة لعمل الجماهير وإبقاء نشاط الكوادر الإعلامية تحت المراقبة.

ولا تقود مهمات الإعلام إلى نشر الأفكار وتوصيلها إلى الجماهير المناسبة فحسب إذ من المهم أيضاً أن تصبح حقيقة الوعي وتدخل إلى عالم الناس كعناصر إدارة العالم إضافة إلى تحديد سيكولوجية السلوك وأن تكون دليلاً للعمل بحيث يشير الرأي العام مباشرة إلى الأفكار التي أصبحت أو تصبح حقيقة للوعي عند الجماهير ويبقى على الإعلامي أن يقارن أهدافه بالصورة الواقعية للوعي الاجتماعي ويستخلص لنفسه ما استطاع أن يحقق وما يجب اتخاذه لحل المسائل الماثلة أمامه، والأكثر من ذلك أن الصورة الموضحة تستطيع أن تظهر كيف يتم استيعاب هذه الفكرة بالذات من قبل الناس وكيف يرونها ويرون جوانبها وخصائصها.

إن دراسة القائمين على تكوين الرأي العام تعطي الإعلاميين أيضاً للتفكير حول نتائج أعمالهم الخاصة، وتمثل أمامهم دائماً مجموعة من الأسئلة:

كيف يتم تنفيذ التدابير بخصوص تطوير أهلية الرأي العام؟ وكيف يتم تكييف الجماهير وإيصالها إلى المستوى السياسي والمهني والإيديولوجي من النضوج؟ وكيف يمكن دراسة جماهير الإعلام الأصعب منالاً ((بالنسبة للعين المجردة)).

إن الصفات الاجتماعية – الديموغرافية للجماهير مع استخدام طرائق دراسة الرأي العام يمكنها أثناء عملية الدراسة هذه بالذات أن تكون محققة بدقة أكبر وبالتفصيل.

ويحتل تحليل علاقة الجماهير بمصادر الإعلام مكانة جوهرية ويستوضح الإعلامي لنفسه مباشرة وبطريقة غير مباشرة (هذا يعود إلى الاستمارات والنظم المستعملة في الاستبيان): أي المصادر الإعلامية تتمتع بالأفضلية وأي منها يعد موثوقاً؟ أو غير فعال متخلفاً عن الحياة والأحداث؟ ومن أي المصادر يستحسن أخذ المعلومات حول القضايا الخاصة؟ وكيف

يستخدم الناس مصادر الإعلام الموازية؟ وهل يتم تدقيق أخبارهم ويقارنون الأخبار الآتية من مصادر مختلفة؟ وهل لديهم ارتباطات دائمة بهذه المصادر أو أنهم يستبدلونها بناءً على هذه الظروف أو تلك؟ والخ.....

وبفضل دراسة الرأي العام يتسنى وضع تنظيم الإعلام على أساس علمي فعلاً وتشكيل نظام لوسائل الإعلام والدعاية الجماهيرية التي تسمح بالاستخدام الأعظم لخواص كل منها وفي أثناء القيام بالحملات الدعائية في العمل الإيديولوجي الجاري أيضاً، تعطى الأخبار لكل وسيلة من وسائل الإعلام بتباين شديد وعلى وسائل الإعلام الجماهيري أن تكمل بعضها بعضاً، وأن تشكل أرضية إعلامية متينة قادرة على حسبان كل خصائص الجماهير وأن تبقى في مدارها الحد الأقصى من مقدار السكان وأن تضمن التأثير الإعلامي الضروري دون انقطاع وتثبيته بناءً على سير الحملة[٧٣] .

إن استخدام الرأي العام كمقياس لفعالية الإعلام يضع أمام الصحفيين عدة مسائل أهمها:

أولاً: يدور الحديث حول وضع منهج علمي مدعم لدراسة الرأي العام كي يتم إظهار فعالية الإعلام وحول غرس المقاييس المناسبة للعاملين على اختلاف خبراتهم وأذواقهم بالنسبة لهذا.

ثانياً: ضرورة إدخال النتائج المحققة في تطبيقات الأعمال الإيديولوجية الجارية.

وثالثاً: يحتاج هذا بالذات على الإتقان في وضع البرامج المستقبلية للأعمال الإيديولوجية والإعلامية.

---

(73) ث. س. سليمونيك . اتماد الأفلام والمكروفونات والكاميرات التلفزيونية (أجهزة البحث التصنيفي) موسكو ١٩٨٧


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الرابع

- **الفصل الأول:** أجهزة الرأي العام الاجتماعية – السيكولوجيـــــة وتأثيرها في وعي سلوك الناس ص١٠٩

- **الفصل الثاني:** القوالب الجامدة(القولبة)الاجتماعية السيكولوجية في عملية تكوين الرأي العام ص١٣٥

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الرابع

القضايا الاجتماعية السيكولوجية في تكوين الرأي العام وتوظيفه

الفصل الأول

أجهزة الرأي العام الاجتماعية – السيكولوجية وتأثيرها في وعي سلوك الناس

إن الرأي العام ينظم العلاقات الاجتماعية ويحدد سلوك الناس ويدفعهم إلى العمل. كما تتطلب منهم القواعد المتبعة.

يتقبل الفرد إقرارات الرأي العام بمساعدة نظام الأجهزة الاجتماعية – السيكولوجية المتفاعلة والمترابطة بقوة. إن هذه الأجهزة متنوعة للغاية من حيث الطاقم ومن حيث الطبيعة وعمق التأثير. فلا يعمل كل منهم مستقلاً، وإنما يعمل بتشابك مع الأجهزة الأخرى. وذلك يضمن إلى حد بعيد مرونة غير عادية للرأي العام وحذاقة في الإبداع في مجال البحث عن سبل ووسائل لتحقيق دوره التربوي – التنظيمي.

ومعلوم أن سلوك الناس يحدد بكثير من العوامل، منها هنا إبراز مستوى مشاركة الرأي العام، ويظهر كعمل معقد جداً. وبغض النظر عن أن الفرد يدرك أو يحس بذلك أم لا، تسبق عمله دائماً عمليات سيكولوجية معينة تحول فترة الدوافع الداخلية إلى عمل سلوكي.

ويظهر تأثير الرأي العام في هذه الأثناء في حالات متكررة وذات أهمية اجتماعية وبكلمة أخرى في ظروف اعتيادية ومؤثرة ولا سيما عندما تكون هذه القاعدة الأخلاقية أو تلك التي يدافع عنها الرأي العام مجسدة في أي نشاط حيوي للفرد أو المجموعة. وهذا يحدث أولاً، نتيجة تشابه (مماثلة) مصالح الفرد أو

المجموعة أو المجتمع المتبادل – بشكل عام. وثانياً بوساطة عملية الاختلاط التي ينظر إليها في وحدة جوانبها الروحية والتطبيقية، وثالثاً بفضل تصنيف معين وبتسوية علاقات الناس موضوع الرأي.

وهكذا. فإن عائلة المصالح وعملية الاختلاط وتصنيف العلاقات وتسويتها ما هي إلى ثلاثة مستويات أساسية للتأثير الفاعل للرأي العام في وعي الناس وسلوكهم إلى جانب كونها ميكانيزمات (آليات) اجتماعية – سيكلوجية رئيسة لهذا التأثير.

وبما أنه من دونها لا يمكن حدوث أي فعل سلوكي، فإن ذلك يعطينا الحق في إبرازها في مجموعات خاصة للميكانيزمات (الآليات) من ((الدرجة الأولى)).

وهنا لابد من اعتبار الاستعداد للفعل والتقدير والخضوع لرأي الأكثرية وتضامن الفرد مع فئته الاجتماعية والقناعة والإيحاء والاتزان وقوة الاستمرار والفعل ((المتفجر)) والتأثير المتوازي بميكانيزمات (آليات) ثانوية أي آليات من ((الدرجة الثانية)).

إن الآليات(الأجهزة) المسماة أعلاه لا تعمل في آن واحد، وإنما عملها مرتبط بالحالة التي تبرمج وتحدد على أية آية يتوجب الحصول على الأولوية (الأسبقية) في هذه الظروف كي تقوم بوظيفتها بصورة أفضل أي تدفع الفرد إلى العمل بهذا الشكل وليس بشكل آخر.

إن تشابه (مماثلة) مصالح الفرد الفئة الاجتماعية وكل المجتمع يعد الميكانيزمات (الآليات) المحددة للرأي العام.

وإن نشاط الناس تحتمه دائماً المصالح المناسبة. ويقوم الرأي العام بدوره كوسيلة تأثير خاصة على الفرد كي لا يضر بالمصلحة الاجتماعية، ولكي يحترم أولويتها (أسبقيتها) ويساعد على تحقيقها بنجاح.

إن مصالح الناس كإظهار لمتطلباتهم تعود إلى الأسباب المباشرة

المتعددة وأهمها الأسباب المحفزة لنشاط الإنسان. وليس عبثاً أن يدرسها علم الاجتماع كانطلاقة لوضع نظام للمقدرات والتراكيب، الاجتماعية وكعامل داخلي مؤثر على الأوضاع السيكولوجية للفرد والمجتمع [٧٤].

إن العلاقة النشطة بالواقع خاصة من خواص المصالح الاجتماعية والفردية على السواء لكن المصلحة الاجتماعية تختلف عن المصلحة الفردية بحيويتها الكبيرة، لأنها مرتبطة بالقضايا ذات الأهمية الحياتية بالنسبة للمجتمع ولها توجه اجتماعي واضح.

لذلك تعطي الأساس لأحكام الرأي العام وتوحد الناس وتحدد مواقفهم العامة من هذه القضية أو تلك. وفي الحقيقة ترتبط بها من حيث الأساس كثير من الظواهر الحياتية التي لا تعد ولا تحصى ويمكنها أن تكون موضوعاً للرأي العام.

إن المصلحة العامة بالإضافة إلى ذلك هي قوة محركة مميزة للرأي العام، وتشترط ظهور الرأي بذاته وطبيعة توظيفه.

ودرجة واجبات كل أعضاء الفئة الاجتماعية التي تقسمها وتعدها مدافعة عن طريق المعايير والتعليمات العادلة دون شك والأطر الضرورية للسلوك. والروابط بين الرأي العام والمصلحة العامة عضوية واضحة لأن طبيعة الرأي تتعلق في كثير من الحالات بحالة المصلحة.

ووحدها المصالح المحركة لهذه الدرجة أو تلك تخلق عند الناس دوافع معينة للعمل يمكن إطلاق اسم الحوافز عليها[٧٥].

---

(74) – ي.ت ليفيكين. المسائل النظرية والمنهجية في السيكولوجية الاجتماعية على أساس تجربة دراسة سيكولوجية للفلاحين التعاونيين) موسكو ١٩٨٥ ص٩٥.

(75) – غ.ي فليزيرمان.. الأسس المادية التاريخية لتطور المجتمع موسكو ١٩٩٣ ص١٠٠.

وكلما تعمق الناس في التفكير بمصالحهم القريبة والجذرية حفز هذا التعمق نشاطهم الإبداعي – التحويلي. وإذا لم تتطابق عملية التوصل إلى المصلحة العامة وعملية تكوين الرأي العام تطابقاً كاملاً. فإنها على الأقل تكون قريبة جداً من حيث طبيعتها ومن حيث مضمونها.

وتكوين الرأي العام هو من حيث الجوهر إدراك وتشابه (مماثلة) المصالح وتحويلها إلى حوافز للسلوك. وفي هذه الأثناء تكون المصالح المدركة نشيطة وتبقى هكذا إلى درجة ما بفضل الرأي العام. لأنه ينظمها بصورة مناسبة ويقيسها ويطابقها.

ويحصر جوهر تأثير الرأي العام في الناس في أنه يشابه، بحسب إمكاناته مصالح الفرد والمجتمع. فالمصالح غالباً ما تكون متقاطعة وحتى متناقضة، والرأي العام بدفاعه عن النزعات التقدمية ينطلق من أولوية المصالح العامة حيث يطالب بإخضاع المصالح الخاصة للمصالح العامة الجذرية. أي أنه يقوم بدور القائم على جعل التأثير متوازياً للأشكال المختلفة للظهور الخاص والمصلحة العامة المعطاة.

ويحدث أنه بسبب انخفاض مستوى الوعي لدى أكثرية أعضاء المجموعة، يكون الفهم غير صحيح لمصالحهم الحقيقية وبالتالي يكون تقدير الظواهر والحقائق مشوهاً أو كاذباً.

ومثال ذلك طبيعة الرأي العام في الدول الرأسمالية التي تقدم الطبيعة المتسلطة فيها ومصلحتها وكأنها هي المصلحة العامة وهي مصلحة كل أفراد المجتمع.

وينحصر دور الرأي العام في تحويل المصلحة الفردية إلى المصلحة الجماعية ومطابقتها لمواقف النظام السائد من المقدرات المتنوعة وقبل كل شيء المقدرات الأخلاقية.

يمكن أن يجري الحديث هنا فقط عن تطابق ما محدد للمصالح، لكنه ليس التطابق الكامل بينهما. لذلك تكون عملية تنسيبها ومطابقتها عملية معقدة متناقضة ديالكتيكياً (جدلياً) وتخضع لقانون مفاده ((أي شيء عام يشمل البعض تقريباً) أما (ليس كل هذا البعض يدخل في العام تماماً)[٧٦]. وبما أن الأسبقية تعود للمصلحة العامة فيتوجب على المصلحة العامة فيتوجب على المصلحة الشخصية أن تتراجع أمامها ويكون على الفرد أن يتنازل عن بعض حقه. ويقود ذلك أحياناً إلى الفهم الخاطئ للشروط والعلاقة المتبادلة للفرد والمصلحة العامة.

وفي ظروف المجتمع الحضاري المتقدم تجد نزعة تطابق المصالح الخاصة بالمصالح العامة نفسها أكثر وضوحاً وليس هذا إلى نتيجة لعمل كبير هادف نحو تربية الشعب تربية فكرية سياسية أخلاقية.

وتحدد وضعية الرأي العام في كثير من حالاته، بكيفية التشابه نتيجة للإدراك الصحيح أو الكاذب من قبل الفرد أو الفئة لعلاقة مصالحهم بالمصالح العامة. ولابد من أخذ ذلك في الحسبان أثناء العمل الفكري – التربوي بين الجمهور والحصول على الفهم العميق من قبل الناس، ليس فقط للمصالح القريبة وإنما البعيدة أيضاً.

ولعملية التشابه (التماثل) مكان في أي وضع هام اجتماعياً لكنها تحدث بصورة متغايرة، والحصول على النتيجة المرجوة من التأثير حتى أثناء الاعتماد على هذه المصالح بالذات، لابد من العودة إلى طرائق مختلفة. ويستخدم الرأي العام في هذه الأثناء ميكانيزمات (آليات) اجتماعية – سيكولوجية مرتبطة بتشابه (تماثل) المصالح المدعوة إلى تصنيفها لصالح هذه الفئة أو تلك الناس.

---

(76) – لينين. المؤلفات الكاملة. المجلد ٢٩ ص٣١٨.

تعد عملية التواصل ثاني أهم شروط وجود الرأي العام، وعن طريق التواصل تصل إلى وعي الفرد طلبات وتعاليم الرأي العام، وتتحقق وظيفته التربوية التنظيمية.

إن وجود التواصل بين الأفراد والرقابة الاجتماعية المرئية يستدعي لدى الفرد مزاجية سيكولوجية خاصة تظهر فيها نزعات متنوعة للغاية من حيث طبيعتها (المباريات والتعاونيات والإيماء ..... وغيرها).

حيث تخلق الحياة اليومية الحاجة إلى التواصل وضرورة توحيد القوى في العمل والفهم المتبادل والتعاون.

إن الفرد بوجوده في حالة ارتباط متبادل مع الناس الآخرين لا يستطيع الاقتداء فقط بمصالحه الخاصة، لكن عليه قياسها بأمنيات الآخرين ودوافعهم. ويتحقق التفاعل المتبادل أثناء التواصل للوصول إلى الأهداف المرجوة من العمل المشترك وتبادل الآراء والتجارب، وتتحقق متطلبات المعارف الجديدة وتقوم مواقف عامة مشتركة من هذه المسألة أو تلك .

ويتجذر سبب فعالية الرأي العام في طبيعة التواصل. والإنسان لكونه كائناً اجتماعياً يكون دائماً تحت ضغط (الضرورة للتواصل بالناس الآخرين))[٧٧] وتشترط مكانة هذه العملية في نظام ميكانيزمات الرأي العام، التواصل مع المحيطين واحترامهم، ووضع الشخصية الاجتماعية يعود إلى مجموعة من المتطلبات المرتبطة بتحقيق الذات وبتكوين إدراك الذات. والتواصل عبارة عن محرك أو ما يشبه كل ما يمكن أن يحرك ميكانيزم الرأي العام المعقد جداً.

يحقق التواصل وظائف اجتماعية واجتماعية – سيكولوجية مهمة فيزيل عن بعضهم التوتر النفسي أو لنقل الشعور بالوحدة، وتعطي بعضهم الآخر إمكانات التأكيد على انتمائه إلى هذه الفئة أو تلك أو غير ذلك.

---

(77) – ماركس – أنجلس – المؤلفات المجلد ٣ ص٢٩.

والفرد لا يمكن أن يكون غير مبالٍ بالنسبة لوضعه في المجموعات. فتأييد الناس له علاقته الجيدة به تدعم فيه التوازن الروحي والشعور بعزة النفس، والشعور بالاحترام من جانب المحيطين به يعد عاملاً أخلاقياً سيكولوجياً مهماً وإهمال المصالح العامة ينعكس على علاقات الفرد بالمجموعة.

فالفرد لا يستطيع أن يكون في عزلة دون مخاطرة، إذا تم تجاهل مطالبه التي يعبر عنها الرأي العام. لذلك يكون غالباً ما يؤمن الناس على أنفسهم من التعقيدات والمصائب التي يمكن أن تحدث عند مواجهتهم للرأي العام أو عند عدم احترامهم له ..... وهذا هو الخوف قبل كل شيء وسوء المناخ السيكولوجي بالنسبة لهم في البيئة التي يعملون فيها.

وهناك نوع آخر من الخوف عند الناس الذين يواجهون الرأي العام أو الذين لا يحسبون حساباً له هو الخوف من العزلة وفي أساس هذين النوعين من الخوف يقبع الخوف على السمعة والخوف على الشهرة))[٧٨].

ويمكننا استناداً إلى ما تقدم عن مماثلة المصالح وعن أهمية التواصل استنتاج مايلي:

أولاً:

- يرتبط الفرد رأياً وطريقة وسلوكاً بصورة أساسية بماهية المجموعة أو الفئة التي ينتمي إليها، ولأية درجة يؤيدها قواعدها ومقدراتها، وإلى أي مستوى تكون سمعتها مؤثرة عليه. وتتمثل هذه الفئة في الظروف الحضارية قبل كل شيء بالمجموعة العلمانية. ولكنه لابد من الأخذ في الحسبان أثناء التربية أن الإنسان في هذه الأثناء يدخل جمعيات أخرى منظمة أو غير منظمة تؤثر بدورها في تكوين تركيبته وتوجهاته.

---

(78) - مينشو. دراغانون - قضايا الرأي العام. صوفيا ١٩٩٣ ص١٢٥.

ثانياً:

- يتعزز دور التواصل في الفئة المقررة بين أفراد تلك الفئة التي تكون فيها العلاقة العكسية فعالة للغاية من خلال استيعاب الرأي العام. وهناك تناسب معين بين مستوى تعزيز الفئة ودرجة التأثير المتواصل بين الأفراد على استيعاب الأخبار الجديدة.

ثالثاً:

- وتقوم المقدرات التي توزعها المجموعة والتواصل بين الأفراد وبدور عوامل وسيطية في تأثير الرأي العام في الناس ولكنه غالباً ما يتم التوصل إلى الهدف دون هذه العوامل، فعلى سبيل المثال: ((إذا تحددت العلاقة بمسائل متعددة خاصة بالحياة الدولية)).

ولكنه عندما يكون التأييد وحده أو الاستنكار وحده، يكون الفعل الذي يتجاوب وأهداف الرأي العام قليلاً. ويبدأ ميكانيزم العلاقات الدولية بالتكوين وتعلن عن نفسها المقدرات التي تدافع عنها المجموعة.ويدخل التواصل في عملية التصنيف وتسوية العلاقات بموضوع الرأي.

وعندما يتمسك الرأي العام بمعايير أخلاقية وعادات وتقاليد معينة ويوجه بذلك الناس إلى نماذج من الروابط والسلوك مأخوذة من التجربة الملموسة، فإن هذه المقدرات (الأخلاق وغيرها) التي تفعل فعلها منذ سنوات عديدة تعد نتيجة لإعادة تركيب حقائق نموذجية متعددة وتقويمها، على وعي الناس. وأنها بالنسبة للرأي العام تصبح كمقياس خاص أثناء تقويم الظواهر الجديدة في الواقع.

ويتراكم الرأي العام أيضاً فيما يخص الظواهر التي لها تماثل في الماضي. فيكون على الأغلب موضوعة الظواهر المتكررة التي تخضع للقيم

وتكون حيوية لفترة طويلة من الزمن.

لذلك يمكن في أكثر الحالات توقع رد فعل الرأي العام على هذا الفعل السلوكي للفرد أو ذاك أو هذه الفئة الاجتماعية، توقعاً صحيحاً. والتقديرات في مثل هذه الحالات لا تخرج عادة عن نظام المقدرات السائدة، وإنما تعتمد على تعاليم قاعدية: في الأخلاق والمعتقدات العلمانية التقدمية التي تحدد العلاقة بكل ظاهرة مماثلة، باختراق نظام العمل مثلاً وسرقة خيرات الشعب وحقائق عدم المسؤولية وغيرها من الأفعال المعادية للشعب والمجتمع التي تقابل دائماً باستنكار الشعب، لأن العلاقة السلبية بها أصبحت ذات أساس متين منذ زمن بعيد في وعي الناس. والرأي العام ينسب الظاهرة المثمنة إلى المعيار الأخلاقي المناسب الذي يدافع عنه والذي يسلمه مسبقاً ببرنامج عمل في كل حالة مماثلة.

وفي هذه الأثناء يجد نفسه قانوناً مهماً جداً بالنسبة لفهم خصائص الرأي العام. وطبيعي ألا تلاحق أفعال السلوك تحت أي من المقاييس الصارمة، لأن الناس أنفسهم غير متشابهين والأسباب المحركة لأفعالهم تكون مختلفة أيضاً.

إلى جانب ذلك تتكرر مجموعة كبيرة من الحالات المماثلة في الحياة اليومية عندما تطلب من الناس علاقة موحدة أو شبه موحدة وتوجه أعمالهم وأسرهم وغيرها.

وهذا يقود إلى تربية صفات مماثلة عند مختلف الناس. فكتب أ.ي. ماكارينكو ((بالنسبة لي لم تطرح مسألة: هل يجب على تلميذي أن يخرج شجاعاً أو أنني مجبر على تربيته جباناً فهنا افترض ((المقياس)) الذي بموجبه على كل شخص أن يكون شجاعاً ومقداماً وشريفاً ومحباً للعمل ووطنياً))[٧٩].

---

(79) – أ.ي ماكارينكو. الجماعة وتربية الفرد. موسكو ١٩٧٢ ص٥٥.

وتحدث تحت تأثير الرأي العام نتيجة التشابه في المصالح الشخصية والاجتماعية من أطر تصورات المجموعة الاعتيادية تسوية العلاقات بين الناس ومواقفها من هذه الظاهرة الواقعية أو تلك.

عندئذ ((يجرون)) إلى مستوى القواعد (القوانين) التي يدافع عنها الرأي العام. وفي النتيجة تصنف سلوكية الأفراد. وبالفعل تدخل الحالة الملموسة شيئاً ما خاصاً بها ووحيداً في أي فعل سلوكي لكن لكل فعل شيئاً من العام خاص به.

تقود مماثلة المصالح التي تحدث أثناء التواصل إلى تسوية محددة لعلاقة الناس بموضوع الرأي. وفي النتيجة يبدؤون بالتصرف بصورة مشابهة. وكل انحراف حاد عن القواعد في هذا الاتجاه أو ذاك سيقابل بالتأييد أو الاستنكار مباشرة بعد أن يصبح علنياً.

وفي تسوية هذه العلاقة السلوكية يكمن التأثير التربوي للرأي العام على الناس وتحويله إلى بواعث للأفعال.

وبالتالي فإن سلوكية كل إنسان كبيرة كانت أم صغيرة تكون ضمن أطر عامة محددة وتصنف في ملامحها الأساسية، وبالتناسب مع معايير الأخلاق الاجتماعية ومتطلبات الرأي العام، ولذلك يمكننا القول كما أكد كافاليوف.

((إن الرأي العام يسوي الشخصية ويتطلب المعادلة. نعم إن ذلك هكذا لدرجة ما. لكن المعادلة لا تسير على المستوى الأدنى وإنما على المستوى الأعلى. فإذا طلبنا من كل فرد أن يكون على مستوى الطليعيين يجب الترحيب بمثل هذه التسوية لأنها تعني حركة الجماهير والفرد وإلى الأمام وليس الجمود والتراجع))[٨٠].

إن الطلب من كل فرد أن يحذو حذو نموذج محدد السلوك، صنعته التجربة الاجتماعية مهم وضروري، وهذا ما تمليه المصالح العامة. ودور الرأي

---

(80) - أ. غ. كافاليوف - الجماعة ومسائل القيادة الاجتماعية - السيكولوجية موسكو ١٩٨٩ ص٢٣٠.

العام في هذه الحالة لن يكون قليل الأهمية إطلاقاً ولديه النزعة نحو الارتقاء الدائم بناءً على التحسين اللاحق والمستمر للديمقراطية وتعميقها. والرأي العام هنا مدعوّ لتدارك الأفعال غير المرغوب فيها من وجهة نظر المصلحة العامة ساعياً بذلك إلى أن تكون الأفعال الممكنة اختيارية تماماً. وتصبح عادة من العادات. لذلك لابد من تكوين علاقة مماثلة عند الناس بموضوع الرأي، إلا أنه لهذا السبب أو ذاك لا يتحقق ذلك دائماً وعندها يصبح على الرأي العام أن يلجأ للضغط النفسي أي الإجبار على الالتزام بالمتطلبات التي فرضها.

إن العلاقة بالظواهر والحقائق الواقعية وتضامن الناس تكون مقدمة ضرورية لتصنيف سلوكية أعضاء المجموعة وتسويتها وحتى المجتمع بأكمله في حالات اجتماعية مهمة يسعى فيها الرأي العام إلى ضمان تطابق الأفعال في سبيل تحقيق أهداف مشتركة. عندئذ تكون المعايير التي على أساسها يرتبط الناس ارتباطاً مشابهاً إلى حدٍ ما بموضوع الرأي، غير متطابقة إطلاقاً، ويختلف من حيث الجوهر بعضاً عن بعضها الآخر.

إلا أنه في عملية تماثل المصالح يصبح لإرادة الناس توجه معين واضح تماماً مما يدفعهم إلى العمل بما يناسب إرشادات الرأي العام.

فتماثل مصالح الفرد مع مصالح الفئة الاجتماعية ومصالح المجتمع كله وعملية التواصل والتصنيف وتسوية العلاقة بموضوع الرأي، كل ذلك يشكل عوامل تحدد طبيعة تأثير الرأي العام مع الناس وتجبرهم على التقيد بالأطر المتبعة للسلوكية وبمساعدتهم، الرأي العام في مجال تأكيد المعايير الضرورية للحياة الجماعية فإنهم لا يستطيعون تنفيذ هذه المهمة باستقلالية تامة.

إنهم على الأغلب (يمارسون) تحري الظروف الحقيقية التي يجب التأثير فيها في الفرد أو تحضير الظروف لتحويل بعض الميكانيزمات إلى الدرجة الثانية. ويتعلق ذلك كله بالظروف التي تحدث فيها عملية مماثلة المصالح

وعملية التواصل وتسوية العلاقات، وتشير الظروف إلى أي الميكانيزمات من الدرجة الثانية. يمكن أن تكون أكثر فعالية في هذه الحالات بالذات، أو أي تناسق لها يعطي الإمكان للتأثير الحقيقي في الفرد والفئة الاجتماعية.

وسنتطرق هنا بإسهاب أكثر إلى الميكانيزمات من الدرجة الثانية.

الاستعداد للتقدير والفعل إن كل شيء بهذا الشكل أو ذاك يخص مصالح ومقدرات الناس يستدعي ردود فعل مناسبة من قبلهم تجد في انعكاساتها العمليات الجارية في أعماق الوعي الإنساني. إن بعض التأثيرات في العالم الخارجي من حيث المضمون يمكن استيعابه بصورة مغايرة جداً. ويمكن فرزه فرزاً خاصاً مع المعالجة.

وعلى إثر ذلك لا يستطيع الكل الوصول إلى الهدف، فبعضهم يخطئه لعدم استطاعته التغلب على العقبات القائمة، وبعضهم الآخر يحصل على أرضية سيكولوجية جيدة.

وهنا يشكلون طبقات سطحية على التأثيرات السابقة ويستدعون ارتقاباً معيناً ومتطلبات بشواهد جديدة توسع معارفنا حول الموضوع الذي بين أيدينا.

وفي النتيجة تتكون لدى الإنسان حالة الجاهزية والاستعداد لاستيعاب الأخبار ذات الاتجاهات المعينة. وتنعكس هذه الحالة، على تقديره للظواهر الواقعية كما تنعكس على أفعاله أيضاً.

إن التوجهات القيمة في هذه الأثناء تؤدي دوراً وكأنها مركز مرور لكل التأثيرات الخارجية على الوعي محددةً بذلك استعداده للإدراك واستيعاب الأخبار الاجتماعية. ويشارك في تكوين هذا الاستعداد (الجاهزية) القناعات والعادات ومعايير العلاقات المتبادلة بين الناس.

وإن المستوى الثقافي والتقاليد والعادات هي أيضاً تحدد إلى درجة ما استيعاب الناس للتأثيرات الخارجية ومن ضمنها المتطلبات المعلنة للرأي العام.

إن نظام تفضيل الناس مؤلف من الأعداد الكثيرة للظواهر العابرة والطويلة الأمد في البيئة المحيطة. التي تتجلى في نهاية الأمر وتظهر في تشكيل ثابت بشبه التعليمات الاجتماعية: وهي تجربة مسابقة لاستعداد الفرد أو المجموعة المتكون نتيجة لها، لاستيعاب هذا النوع من الظواهر الاجتماعية انطلاقاً من هذه المواقف أو تلك التي تحددها مقدراتها التوجيهية[٨١]. وبفضل ذلك تقوم التعليمات الاجتماعية بدور العامل المنظم لنشاط الناس وسلوكهم مكونةً عندهم وضع الجاهزية للاستجابة للحقائق الواقعية ولتوجيه النشاط نحو تحقيق نتائج معينة.

يكون للتعليمات (الإرشادات) عادة توجهات سلبية أو إيجابية. ففيها تنعكس علاقة الفرد (الإنسان) بالظواهر الحياتية التي بدورها تحدد طبيعة أحكامه وعندما تقوم التعليمات بإبعاد فعل السلوك وضع الشروط له تكون قد احتوت على برنامج خاص للعمل، ويختار الشخص باقتدائه بهذه التعليمات نوعاً واحداً من أنواع السلوك الكثيرة الممكنة، وهذا النوع يكون الأصح من وجهة نظر تجربته الحياتية ومعارفه وقناعاته ويكون أكثر تناسباً مع معايير المجموعة (الفئة) التي يلجأ إليها وتصبح التعليمات الاجتماعية ثابتة نتيجةً للتأثير الإعلامي الطويل. ويشكل تكون الرأي العام استقراراً في حياة الفرد لأن المواقف الحياتية المتغيرة باستمرار تخفض القدرة على الاتجاهات في الحالة (البيئة) ويعكس الإرشاد سعي الفرد للاستقرار وللحفاظ على بنيته الداخلية التي تتعرض لهزات غير قليلة إذا كان الخط السلوكي الإجباري مشترطاً خارجياً، وأنه لا يتناسب مع التجربة المكتسبة ومع التوجهات القيمة.

---

(81) – انظر ب.ب.بويف – البيئة الاجتماعية ووعي الفرد – موسكو ١٩٨٨.ص ٩٧-١٠٠.

يتقبل الإنسان التأثيرات الخارجية كلها بمساعدة الإرشادات التي ((تقرر)) أي نبأ من الأنباء يجب الأخذ به، وأياً منها يجب رفضه، ونأخذ فقط تلك الأنباء التي تشابهها بهذه الصورة أو تلك.

وتقود المعلومات الجديدة ليس إلى تغيير المواقف بقدر ما تقود إلى التثبيت والتقوية وإلى (تشديد) النظام القائم للآراء وبالتالي تقود إلى الجاهزية للعمل وليس العكس.

طبيعي أن تجبر الحياة الفرد على تغيير انطباعاته كي يتأقلم مع الظروف المتغيرة، لكن ذلك نادراً ما يحدث لأن الإرشاد لا ينصاع للتحويل بسهولة.

وتحدد طبيعة الإرشاد الانفعالي بأنه يعكس التركيب الخاص للأخبار التي جمعها الفرد أثناء عملية تأثيره المتبادل بالبيئة والمجتمع. ويتعلق استقرار الإرشاد بمدى أهمية الطلب بالمصلحة التي استدعتها إلى الحياة. ويخضع للتغيير بسهولة أكثر من ذلك الإرشاد الذي يعكس متطلبات غير جوهرية ومصلحة غير ذات أهمية.

ونستنتج مما سبق أن ثبات الإرشاد هو ظاهرة لكنها على الرغم من كونها واقعية فهي نسبية للغاية. ومن خصائص الإرشاد استبدال الشكل والتطور، ولكنه مع ذلك يحافظ على النزعة إلى الاستقرار المحدد. وهذه الخصوصية ضرورية لوصف تأثيره المتبادل على الرأي العام. ويقود جوهر الأمر إلى أن الإرشاد يسبق تكوين الرأي ويكون عاملاً لهذه العملية ... ويؤثر على انتقاء المادة وعلى تنظيمها وتقييمها ويتشكل الرأي عن طريق الأخذ ببعض الإرشادات للمواد الموضوعية التي حصل عليها من جديد أثناء عملية النشاط المعرفي [٨٢].. ويحدث ذلك على مستوى الفرد وعلى مستوى الفئة الاجتماعية.

---

(82) – ب.أ. بردلون. الرأي في أنظمة الوعي البشري. موسكو ١٩٩٣ ص٧٤.

إن الإرشادات المتكونة أثناء عملية التأثير الطويلة تعمل في نطاق واسع في المجالات الحياتية المتجانسة ناشرة في هذه الأثناء تأثير الرأي العام أيضاً. وتساعد الإرشادات المتكونة بوضوح على تصويب الشعب بسرعة وفعالية نحو التحقيق الناجح للمهمات التي وضعتها الدولة.

وكقاعدة يجد رأي الأوساط الاجتماعية علاقته مباشرة بالظواهر الأخرى التي تتوجه إليها كل الأنظار. وإن نضال الشعب المضطهد في سبيل حريته القومية والاجتماعية وحقائق العدوان الإمبريالي في مختلف أنحاء العالم والاستغلال الرأسمالي القاسي على سبيل المثال استغلاله لعمل الأطفال أو مظاهر التمييز العنصري تحصل دائماً على حكم صريح تماماً من الأوساط الاجتماعية التقدمية مباشرة بعد الإعلان عنها.

والأنباء الواصلة فيما يتعلق بهذه المسائل تعزز إثبات هذا التقدير أو ذاك وتقوي العلاقة المناسبة للشعب بها (التأييد أو الشجب) ويشترط التكيف بالتقدير الواضح للظاهرة الواقعية الجديدة المهمة اجتماعياً بأن الأخبار عنها تتأول من خلال موشور الإرشاد المتكون.

وعندما يكون الرأي العام بحاجة إلى تصحيح معين لابد من التأثير قبل كل شيء في إرشادات، ولا يحدث هذا بهذه السهولة لأن تعبير إرشاد واحد يستدعي رد فعل متسلسل لإعادة بناء نظام الإرشادات وذلك لا يمكن أن يمر دون صعوبات بالنسبة للفرد والجماعة على السواء.

ميكانيزم (آلية) خضوع الرأي للأكثرية:

إن الإنسان في ظروف الاستعداد يتبع بإرادة مطلقة دون أية مقاومة داخلية إرشادات الرأي العام لأنه يتفق مع توجهات القيمة السديدة، ومع مصالحه الخاصة المصالح الشخصية والعامة. لأنها قد تتناقض مع الأخيرة. وحتى لو لم

يتفق الفرد مع متطلبات الرأي العام فإنه في نهاية الأمر يخضع لها. ومغالاته بانتمائه إلى الفئة الاجتماعية لا يخاطر بمقابلة نفسه بها. أو أنه عندما لا يشعر بأنه مطلع بما فيه الكفاية على هذه المسألة أو تلك، ينحني أمام سمعة الرأي العام. وفيما عدا ذلك يمكن تفسيره بمتطلبات الفرد السيكولوجية (بالشعور بالدعم وبالتأييد لآرائه وأفعاله) وترتكز فعالية الرأي العام وبدرجة كبيرة إلى أن الرأي العام يشكل موقفاً تقاسمه عليه الأكثرية. وعلى كل حال يأخذ الرأي الفردي بسمعة الرأي العام.

وفي هذه الأثناء يحدث الآتي:

أولاً: تكون الظروف الاجتماعية الشخصية وإدراكها لذاتها عملية (التنشئة الاجتماعية).

ثانياً: إن أي مجتمع يتمتع بأشكال للرقابة الاجتماعية وبنظام اجتماعي إلا أن هذه الرقابة لا تعود لنظام معايير وممنوعات ((خارجية)) إن المعايير الاجتماعية ومعايير التوافق لأعمالها مع الأعمال الأخرى تتجذر في سيكولوجية الفرد إلى درجة من الثبات حتى إنه لا يدرك الطبيعة الاجتماعية لأفعاله ودرجة ارتباطه بالمحيطين به ((ولا بأس بالنظر في ذلك من خلال ظاهرة مثل ظاهرة (التماثلية – التكييف)))[٨٣].

عند استخدام مصطلح ((Conformis)) [*] كما يشير أندرييف تبرز صعوبات واضحة متعلقة بأن هذه الكلمة في اللغة الاعتيادية (التي إلى جانب بعض مصطلحات السيكولوجية الاجتماعية) أخذت معنى سلبياً واضحاً تماماً

---

(83) – انظر ي.س. كون علم اجتماع الفرد. موسكو ١٩٨٧ ص ٨٢-٨٣-٩٢.

(*) – التطبيق السلبي لنظام الأشياء القائم للرأي المسيطر .

على الرغم من أنها تدل في اللغة العلمية على معنى الخصائص السيكولوجية للشخصية[٨٤].

إضافة إلى ذلك إن دراسة طبيعة **(Conformis)** غير كافية وأنها تبدو أحياناً وكأنها (خضوع الشخصية غير الواعية لتأثير الجماعة)[٨٥] وأحياناً أخرى تعني الفهم الواعي لآراء وقيم ومعايير سلوكية فئة اجتماعية معينة تحت ضغط الظروف الخارجية على الرغم من القناعات الشخصية [٨٦] ففي هذه الحالة أو تلك تفسر كظاهرة شكلية خارجية تماماً. ولهذا السبب تكون سلبية. وفي حقيقة الأمر كيف يمكن تسمية التأييد الخارجي لظاهرة ما مع كل سلبياتها؟ وطبيعي أن تسميتها بالنفاق فقط كما فعل ي.س كون كانت على حق[٨٧].

وهذا جانب واحد فقط. لكن هناك أيضاً ما يسمى (بالخنوع الداخلي الجبري) (ويقود الإنسان تحت الضغط الجماعي إلى تغيير رأيه الأول باستيعابه رأي الأكثرية. زد على ذلك ليس بقوة الإقناع عن طريق البراهين (ويمكن ألا تكون أبداً) بل بقوة الخوف من أن يصبح في عزلة)[٨٨].

إن الـ **(Conformis)** ظاهرة ليست ذات مدلول واحد إلى حد معين. فالضغط السيكولوجي للجماعة. يجبر الفرد ليس فقط على الخطأ والقيام بالأفعال السلبية دائماً وهذا هو الأهم بل بالابتعاد عنها والسير وراء المعايير السلوكية المتخذة في المجتمع لذلك كان من الخطأ تطابق **(Conformis)** التكيف الذي

---

(84) – انظري ي.س. كون مسائل السيكولوجيا الاجتماعية السوفيتية الحيوية – اجتماعية) ١٩٨١ رقم ٤ ص ١٠٠.

(85) – السيكولوجيا الاجتماعية (موسكو) ١٩٥٨ ص٤٧٠.

(86) – القاموس السيكولوجي الموجز كيف ١٩٨٦ ص٨٣.

(87) – أنظر ي.س كون. علم اجتماع الفرد ص٨٤.

(88) – نفس المصدر ص٨٨.

تمليه تصورات الفائدة الشخصية والوصولية والتخاذل. وغيرها. ماعدا ذلك لا يوجد بين الظواهر الاجتماعية – السيكولوجية ظواهر إيجابية وسلبية مقصودة.

تضامن الفرد مع الجماعة:

تتقبل أكثرية الناس المقاييس الجماعية دون ضغوط سيكولوجية تذكر معبرة بذلك عن الخضوع الواعي لمتطلبات الرأي العام نتيجة للموافقة الداخلية على مواقفه.

ويؤثر الرأي العام في ظروف الديموقراطية في الفرد من خلال الجماعات التي يكون فيها الناس مرتبطين بعضهم ببعض بسبب عملهم المشترك، ومرتبطين بالمجتمع لوحدة مصالحهم السياسية والاقتصادية ووحدة الأهداف. فتتحسن في مجرى هذه العملية العلاقة الجماعية والروابط المتبادلة والرقابة المسؤولة المتبادلة. إن هذه العلاقة العملية بالذات وليس العلاقات المختارة للتعاطف والتنافر المتبادلين تميز الجماعات المنظمة. ففيها تتكون وتتعزز صفات الوعي السياسي والصفات الأخلاقية عند العاملين فيها، وتتقوى النشاطات الإبداعية عند الناس.

إن التأثير الأكثر تنظيماً في فرد ما يمس أقرب المصالح وأكثرها جوهرية ولذلك يكون أكثر قوة من قبل أقرب المحيطين به وقبل كل شيء هؤلاء الناس الذين لهم اختلاط مباشر معه في الجماعة الأولية، والفئة الأولى، وإن علاقتهم الخيرة تعد العامل المهم في حياته، ويأخذ هو بدوره بآرائهم.

وإلى جانب ذلك لكل فرد مصالحه التي لا يمكن تحقيقها في الجماعة الأولية. فيبحث ويجد علاقات لنفسه خارج هذه الجماعة في تواصل آخر

(شكلي) و (غير شكلي) مع الذين عليه أيضاً أن يأخذ بآرائهم، وعندئذ يتكامل (يتعمق) تأثير الجماعة الأولية ويمكن أن تصبح حيادية. وبالتالي يكون مثل هذا التأثير بحاجة إلى التصحيح والتدقيق في سبيل التخلص من النتائج السلبية.

إن الجماعة الأولية نفسها لا تؤثر في الفرد دائماً تأثيراً إيجابياً فقط كتب ماكارينكو في هذا الاتجاه (لا يمكن تحقيق التربية الجماعية فقط من خلال الجماعة الأولية، لأنه في مثل هذه الجماعة تظهر العلاقة الأسرية. وتحصل على ذلك النوع من التربية الذي لا يمكن تسميتها تربية إنسانية خالصة وفقط من خلال الجماعة الكبرى التي لا تتبع مصالحها من التواصل البسيط دائماً من التركيبة الاجتماعية الأكثر عمقاً. يمكن التحول إلى التربية السياسية الواسعة عندما يقصد من الجماعة المجتمع بأكمله).

كان ماكارينكو يقصد هنا الجماعة المدرسية وليس الجماعة التي يتشكل بها الصف الواحد. وفي مجال الإنتاج تمتلك جماعة المصنع كله هذه الأفضليات (التركيب الاجتماعي الأكثر عمقاً) بما يتعلق بالجماعة الأولية. وفي الجماعة العمالية الكبرى بالذات يتم (التحول إلى التربية السياسية الأكثر اتساعاً والتي لابد من أن تترك آثارها في طبيعة الأحكام والتقديرات العامة. وإن رأي مثل هذه الجماعة يعكس بعمق وشمولية أكبر مصالح المجتمع بأسره، وقلما تظهر فيه عناصر ما يسمى الرفاهية الكاذبة وبدرجة أكبر الجماعة الحقيقية.

أما طبيعة الرأي وفعاليته تتحدد بدورها بمستوى تطور الجماعة. فعلى المستوى الأدنى عندما تكون الجماعة غير متكونة بعد، وفي داخلها لم تعمل قوة متمركزة للتضامن الجماعي، يغيب الرأي العام. وعلى المستوى المتوسط، وعندما تكون قد تكونت الروابط الداخلية، ولكن عودها لم يتصلب بعد، يبدأ الرأي العام بالتكون. وعلى المستوى الأعلى لتطور الجماعة يتم التوصل إلى

وحدة الأفكار والإرادة منظماً حقيقياً للسلوكية والعلاقات داخل الجماعة)[٨٩]. ومن الطبيعي أن يكون ذلك ممكناً عندما تتوافق قناعات الفرد الداخلية مع مواقف الجماعة.

إن الفرد في الجماعة (يعود إنتمائياً إلى التأثيرات الاجتماعية. متقلبة بعضها ورافضة بعضها الآخر بناء على وساطة تأثيرات القيم والقناعات والمثل (ويكتسب صفة خاصة الروح الجماعية الحقيقية والمؤكدة، التي بها يتحدد الفرد في الجماعة)[٩٠].

إن هذا التحديد الجماعي للذات ينمو ويبرز في الجماعات التي توحد الناس في سبيل تنفيذ المهام والأفعال المفيدة اجتماعياً. ومضمون هذه أو تلك عن وجهات النظر يتمتع بأهمية كبيرة بالنسبة لهم. وهنا الثقة المكتسبة في صحتها سيكون من الصعب جداً هزها بواسطة الأخبار ذات الطبيعة المعاكسة حتى عندما تضمها الأكثرية.

وتؤدي القناعة دوراً مهماً في تكوين وتوظيف الرأي العام.

أولاً: إنها تصدر الإرشادات التي تشكل أساساً سيكولوجياً للرأي،

وثانياً: تعزز الإرشادات القائمة بفضل الأخبار الجديدة.

وثالثاً: إنها تقوي الرأي بوساطة ما يسمى التغيرات الصغرى.

ورابعاً: تساعد على استبدال بما هو موجود من الإرشادات الاجتماعية.

تعد العودة إلى جو العقلاني الذي يساعد على المعرفة الإيجابية للأحداث والعمليات الواقعية ميزة خاصة للقناعة، وترتبط عودة هذه المعرفة إلى وجهة

---

(89) – انظر أ.غ. كوفاليوف. الجماعة ووسائل القيادة الاجتماعية السيكلوجية ص٤٠-٤١.

(90) – أ.ف. بروفسكي. نحو بناء نظرية اجتماعية – سيكولوجية للجماعة (مسائل الفلسفة) ١٩٩٣ رقم ١٢ ص٧٦-٧٧.

نظر الفرد بالذات بجاهزية القبول (أو الرفض) للأخبار. وبذلك يتم تحديد مستوى قناعته. وتقوم هنا المصالح الأساسية بدور جوهري.

عندما برهن الباحث كون، على بطلان أحلام علماء الاجتماع الغربيين فيما يتعلق بإعادة تربية الاستغلاليين المعزولين بوساطة الإقناع كتب قائلاً :(لا يخضع الاستغلاليون والوحوش الإقطاعيون والطبقة الرأسمالية للإقناع).

تشكل القناعة بتجليها في الإرشاد، في نهاية الأمر حالة من الثقة القوية بحقيقة بعض الناس والتصورات. ولكي لا تضعف ولا تخضع (للتآكل) على القناعة أن تتغذى دائماً تأكيدات جديدة لحقيقتها وحيويتها والقناعة ضرورية فقط كبرنامج وكتبرير أخلاقي لأفعال ما. وهذا ما يجعلها واحداً من الميكانيزمات الاجتماعية السيكولوجية للرأي العام.

لا يلجأ الرأي العام دائماً في تأثيره في الفرد إلى البراهين الموسعة، بل غالباً ما يعود إلى ذاكرته الاجتماعية وتجربته الجماعية التي تكون دليلاً صحيحاً في مختلف الأوضاع الحياتية. لذلك غالباً ما يقبل الناس أو يرفضون دون تفكير بعض الدوافع للفعل التي إما تتناسب مع الرأي العام وإما تتناقض معه.

الإيحاء – هو أسلوب من أساليب التأثير في وعي الناس مخصص لاستيعاب الأنباء دون انتقاء. (يعتمد الإيحاء على الثقة المكونة دون برهان منطقي والتي تنتشر بصورة آلية من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى الشخصية وبالعكس)[٩٢].

إن درجة الإيحاء عند الناس متنوعة وتقع في علاقة عكسية من مستوى التطور العام وقوة الإرادة والقناعة الفكرية والتجربة الحياتية والخ.

---

(92) – ي.ت غالدوفا. آلية الإرشاد وفاعلية الإيحاء (مسائل السيكولوجية)١٩٨٧ رقم ٢ ص ٤٢.

ويؤدي كل من القناعة الانفعالية والعدوى والتقليد والشهرة والثقة بالشيء الجماعي والرأي العام دوراً رئيسياً أثناء الإيحاء. ومن التجربة السابقة يمكن حذف القناعات التي ليست بحاجة للبراهين والتي تحولت إلى إرشادات وعوامل تكييف بما يسمى بمناخ الرأي الذي يهيئ لاستيعاب أخبار ذات اتجاهات معينة. ويعتمد الإيحاء على جاهزية الفرد لاستيعاب الأنباء المتلقاة كشيء حتمي وتعليمات للبدء بالعمل. ولذلك لا توجد هنا ضرورة للبراهين المنطقية أو نتيجة لذلك تستطيع تقديراته وأحكامه وتصوراته ومفاهيمه أن تكون حقيقية أو خاطئة (كاذبة) وتنعكس التجربة السابقة عندما يكون هناك مكان للتوجه الشهير في الإيحاء فيستوعب الفرد في مثل هذه الحالة النبأ معتمداً على أهلية المصدر وصحته والاعتراف العام به.

ويمكن القول في هذا المعنى أن الإيحاء دون الثقة لا يمكن أن يكون، إلا أنه (يمكن الإيحاء للناس فقط بما هو متناسب بشكل عام مع اتجاه متطلباتهم ومصالحهم وقناعاتهم وإراداتهم)[٩٣].

إن استقلالية الإيحاء كظاهرة سيكولوجية وميكانيزم التأثير في الناس محدودة جداً محددة من قبل القناعة بالذات التي لا تتفاعل معه فقط وإنما تمتلكه بصفة مقدمات لها.

يظهر التقليد في حياة بعض الناس وجماعات بكاملها كأنه سعي لإعادة القيام بأعمال ما وآراء وتصورات بعضهم. فبفضله – ولدرجة كبيرة – يتفهم الجيل الجديد تجربة الأسبقين وعاداتهم وتقاليدهم. والتقليد يرتكز على شمولية المصالح والاعتراف بالشهرة. وتستخدم رغبة الناس بالتقليد في العمل التربوي بصورة واسعة.

---

(93) – ب.ف. بورشنيف . السيكولوجيا الاجتماعية والتاريخ. موسكو ١٩٨٦ ص١٤٧.

إنهم عندما ينظرون إلى المحيط ينقلون صورة طبق الأصل لنموذج معين من الأفعال والسلوكيات. ويظهر التقليد بشكل واضح تماماً في الموضة الخاصة، فأكثر من ذلك في الشكل الذي يظهر عفوياً للسلوكية الجماهيرية المرشحة للحصول على الشهرة التي لا تقبل التأويل، ولا تؤثر الموضة في الأشكال والمعالم الخارجية الخ فقط وإنما تمس ما يقع خارج الظاهرة وما (يعود إلى جوهرها) والمهم أن ندرك أن موضوع التقليد في هذه الأثناء يصبح النموذج المعين للأفعال وطريقة العلاقات المتبادلة. وليس الأشياء (العصرية الموضوعية بحد ذاتها ولا الأدوات والأشكال الخارجية للحياة ولا السلوكية....)[٩٤].

إن قوة الاستمرار مرتبطة بكل الأشكال ومواد الأفعال الإنسانية الثابتة مثل الاعتيادات والعادات والتقاليد التي تقوم بدور عامل استقرار من نوع خاص ووسائل تعبير عن العلاقات الاجتماعية من قبل أجيال جديدة.

وتنحصر الاعتيادات الاجتماعية في أن الناس يشعرون بالحاجة في أفعالهم التي تحددها وتفرضها هذه الاعتيادات، وإن تقوية الاعتيادات الاجتماعية الملائمة في التطبيق الاجتماعي تقود إلى تكوين العادات التي تنظم العلاقات بين الناس والتي تتجسد في التقاليد كنماذج للسلوكية في حالات معينة، وهذا يشبه حصيلة للتجارب القيمة جداً وجدول للتعاليم غير المعروفة.

ولا يمكن للتقاليد أن تثبت دون الرأي العام. ويتعزز الرأي العام بدوره في المضمون الفكري للتقاليد (يمكن تصور الاختلاف بين الرأي العام والتقاليد كالاختلاف بين الماضي والحاضر في حياة المجتمع الروحية، وما يقلق الناس اليوم هي المسائل التي يقومون في الوقت الحاضر بحلها، وتكون موضوعاً

---

(94) – ف.ي. تولستيخ – الموضة كظاهرة اجتماعية – مع الموضة أو ضدها موسكو.

للرأي العام، أشكال سلوكية هذه أو تلك من العلاقات الاجتماعية والنشاطات والسلوكيات للناس في تعاليم ثابتة أي في التقاليد) [٩٥].

إن العادات والتقاليد بفعل قوة الاستمرار وبدرجة الاستقلالية النسبية تتفوق على الظواهر الاجتماعية السيكولوجية الأخرى. وإن العادات والتقاليد بإدخالها الاستقرار الواضح إلى الحياة الاجتماعية وكأنها تقوم على تنظيمها ويتكون نمط الحياة ويصبح نظاماً ثابتاً متيناً فقط في عملية تعزيز العلاقات الأكثر فعالية في مجال التربية وتحويلها إلى مقياس عام، لذلك تستخدم تقاليد الشعب وأفضل تقاليد الجماعات المتنورة بصورة واسعة في عمل المنظمات الاجتماعية في مجال تكوين الصفات الأخلاقية لدى الجماهير. وتعمل كمصدر للتقديرات في المجتمع وكأساس للرأي العام الواعي.

ويرتكز التأثير الموازي في القلق المشترك والعدوى بالمزاجية العامة، وجوهره هو التأثير المتزامن في الجماعة وفي كل فرد على حده. إذ يجب أن يكون كل تأثير تربوي على الفرد متزامناً مع التأثير في الجماعة. مثلاً: إذا نظر مجتمع ما في أفعال أحد أعضاء الجماعة وشجبها بقسوة، فإن كل واحد من الحاضرين بإرادة أو دون إرادة سيأخذ بالحقائق المكتشفة كعبرة لسلوكيته الخاصة ونواياه. ويكمن جوهر هذا الأمر في أن شجب سلوكية أي عضو من أعضاء الجماعة يعني تحذيراً لتكرار مثل هذه الأفعال عند الآخرين ويحفزهم بالشكل المناسب لتحليل أفعالهم أيضاً إلى أنفسهم من وجهة نظر المتطلبات المعلنة.

---

(95) – الأسس العلمية للإعلام الاشتراكي. مواد الندوة العالمية موسكو ١١-١٣ شباط ١٩٨٥ موسكو ١٩٨٥ ص٣٤٧.

بيد أنه يجب دفع الأفعال الإيجابية في الجماعة وتحفيزها وليس فقط التحذير من السلبي منها. ويظهر التأثير الموازي بكل قوته عندما يشار علينا إلى المنجزات في العمل الاجتماعي المفيد والنجاحات الإنتاجية الأخرى التي يقوم بها أشخاص محددون وكذلك الجماعات بأكملها. ويكون الدفع الأخلاقي في هذه الحالة موجهاً ليس فقط لإبراز المتفوقين، وإنما لدفع الآخرين لأخذ العبر منهم.

العمل (المتفجر) – هو الظهور المتكرر للتأثير المتوازي (جوهره في أن الرأي العام لا يجبر على التقيد بمعايير الحياة الجماعية، وإنما السعي إلى إحداث ترميم أخلاقي معين في الشخصية لإبعاد إمكان حدوث الأفعال المعادية للمجتمع. كما تحدث في تطور الشخصية باستمرار عمليات مختلفة غالباً ما تكون غير مرئية ليس فقط من الجانب الآخر، بل من قبل الإنسان نفسه. إن هذه أو تلك من استعدادات الفرد وتغيير السيكولوجيا تحضر باستمرار ودون إرادة. ومن أجل تكوينها لابد من لحظات حادة (انفجارات في بنية الإنسان الروحية تقود إلى تغييرات نوعية جذرية في توجهاتها القيمة).

يستدعي رأي الجماعة الذي يكون على شكل شجب واستنكار تحركات مختلفة إلى الأمام في وعي الناس. وإن كل شخص يخضع للإيحاء من جانب الجماعة (يفجر) في نفسه آراء قديمة عديدة تنشأ مكانها فوراً آراء جديدة ويشعر بوضوح بحقيقة مشاركته في أعمال الجماعة.

ويتصف الفعل (المتفجر):

أولاً: بالتأثير المعبر والانفعالي المكثف في الفرد.

ثانياً: بإرادة الجماعة القوية ورأيها العام[٩٦].

---

(96) – انظر أ.س ماكارينكو المؤلفات في سبعة أجزاء الجزء الخامس ص ٥٠٧-٥١٥.

وهذا هو بشكل عام نظام الميكانيزمات (الآليات) الاجتماعية السيكولوجية للرأي العام.

إنها تعكس الأشكال الأكثر جوهرية للرأي العام وطرائق تأثيره في الوعي الجماهيري دون الأخذ بكل الطرائق الممكنة للتأثير. إن التعرف عليها يسمح بالتوصل إلى حل مسائل النشاط العملي في مجال تكون الوعي الاجتماعي بصورة موضوعية وهادفة أكثر.

Damascus University

الفصل الثاني:

القوالب الجامدة (القولبة) الاجتماعية السيكولوجية في عملية تكوين الرأي العام

إن تشكل الرأي العام وتوظيفه يكون في أطر إلحاق المصالح المتنوعة ببعض والتي يتم التعبير عنها بهذا الشكل التعميمي أو ذاك، إلا أنها تتكون في أنواع خاصة ومطلقة للتقدير. لذلك يكون الرأي العام نزعة نحو تسوية الجزئيات تعكس خصائص التفكير الفردية عند بعض الناس وبعض النماذج الاجتماعية. وأنه يبرز في الوعي الاجتماعي الأكثر عمومية والأكثر دواماً والأكثر أهمية. وكلما كانت الجماعية التي أصبح رأيها العام موضوعاً للبحث أكبر كان هذا التقدير مطلقاً أكثر وأصبح هناك إمكان إدخال معانٍ مختلفة إليه وإلا لا يمكنه أن يكون عاماً أي لا يعكس مصالح جميع الأفراد.

إن الرأي العام ما هو إلا الحكم الذي يقبل تفسيرات وقراءات مختلفة. ولكي يكون التقدير مقبولاً بشكله المميز لابد أن يقبل تصديقاً من قبل الفئة الاجتماعية كتوجه من توجهاتها الإرادية ويعد تصديقاً واضحاً ومفهوماً من قبل كل عضو من أعضاء المجموعة ويكون مهماً موحداً.

والرأي العام كحكم هو تقدير يوقظ في وعي أكثرية الناس تصورات ونماذج وصوراً متماثلة وذات أهمية وفهم متساو، وهذه بالذات تستدعي ردات فعل مناسبة أثناء الحياة العملية والتي تحمل في ذاتها تقديراً واضحاً تماماً تدل على كيفية التعامل الصحيح مع الظواهر التي تعكسها. ومن هنا نرى أن الرأي العام يعمل (يظهر) في شكله المسجل والواصل إلى علاقة محددة حتى المستوى المنقول يشكل الوعي الاجتماعي.

ويظهر الرأي العام ويتعزز في وعي الناس بمساعدة القوالب الجامدة:

القالب الجامد هو (تصور) أو صورة تتميز بدرجة عالية من **التقريبية** والثبات والانتشار الواسع في الفئة الاجتماعية ويتميز كذلك بصفات انفعالية تقديرية معينة وبفضل هذه الصفات تكونت القوالب الجامدة وأصبحت وسيلة مميزة للرأي العام تعبر عن تقدير الظواهر التي تقف أمام الناس بملامحها العامة وغالباً ما يشار إليها من قبل كل الإدارات المعروفة ولكنها مفهومة للجميع ولها معناها الموحد ولابد أن نتذكر هنا أن ميكانزم تماثل (تشابه) المصالح الشخصية بالمصالح العامة في عملية توظيف الرأي العام يكون ممكن دون المصلحة الجماعية المنقولة بشكل (تصويري) له فهم واحد ويتم التعبير عنه بسهولة من قبل الناس أن اللون الانفعالي شبيه بالشكل السيكولوجي يشهد على علاقة واحدة بهذا النوع أو الشكل أو النموذج للظواهر المعبرة عن مجمل مصالح الناس.

والقالب الجامد يعني: تماثل المصالح الفردية والعامة التي تحدث في أطر نظام محددة للقوالب الجامدة. وهكذا يستكشف تماماً وبدقة أكثر دور القوالب الجامدة في ميكانيزم تقبيس (قولبة) سلوكية الناس كنتيجة لتأثير الرأي العام.

إن مقياس وصيغة العلاقات العامة وأطر السلوك والحد المسموح به وأسلوب النشاط الوحيد المقبول هو ما يرسمه الرأي العام. وإن النموذج المتشكل الذي تعرضه الأساليب المختلفة لإظهار الرأي العام هو القالب الجامد أي صورة الفعل المسجل والمتجمد التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالصورة العامة للسلوك الصحيح بالنسبة لنوع (وشكل وصنف ونموذج) الظاهرة المعطاة.

ويفسر تأثير الإعلام في الرأي العام واشتراكه النشيط في تكوينه وتوظيفه ودوره في تأييد وتقوية تأثير الرأي العام، بأنه لدى الإعلام الجماهيري شيء كثير مشترك مع ميكانيزمات الرأي العام. وبالنظر لطبيعته العملية

الإعلامية يربط الإعلام بعض الناس بالأوساط الاجتماعية مزوداً إياهم بالمعلومات التي تساعدهم على الشعور بوحدة المصالح وعلى إلحاق مطالبهم الفردية بها ويضمن الإعلام بتصويره للأحداث بألوان معينة وبإعطائه تفسيراً محدداً للظواهر وبوصفه للحقائق المعينة. تصوراً متشابهاً عن العملية الاجتماعية. وبامتلاك الإعلام الجذور الأيديولوجية في أساسه ويدعم التبيان الثمين للرأي العام لأنه يعكس الوضوح الفكري والمساعي الهادفة لأعضاء هذه الوحدة. ولا يمكن أن يكون على غير ذلك لأنه آخر نتائج لكل إعلام جماهيري فعال ينعكس في ميول الناس الأيديولوجية الواعية أو غير الواعية في وضع البواعث المناسبة للسلوك. وطبيعي أن الإعلام لا يستطيع عدم استخدام القوالب الجامدة، ويضع ارتباط التفكير بظاهرة القولبة للرأي العام والإعلام إلى حدٍ ما صف الظواهر ذات النموذج الواحد ويوحدها ويساعد على تحويل الإعلام إلى أداة لتكوين الرأي العام.

وبما أن قضية القوالب الجامدة النفسية هي الطريق إلى فهم مضمون العمليات الاجتماعية السيكولوجية المرتبطة بتوظيف الرأي العام فإنها بحاجة إلى دراسة خاصة.

يفهم مصطلح ((قولبة التفكير)) قدرة العقل الإنساني على تثبيت الأنباء عن الحقائق والمواد والعمليات والناس والظواهر المتشابهة وغيرها من هذه أو تلك من التشكيلات الثابتة والمتماثلة. وإن قولبة الظواهر النفسية التي تثبتها على شكل قوالب جامدة تفكيرية – التصورات والصور والتقديرات تسمح للناس بتبادل الأنباء وبالاشتراك في النشاطات المشتركة وبتكوين الآراء المشتركة والتوجه الموحد والعقيدة الواحدة، ولا يمكن لهذه الوظيفة أن تصبح ممكنة لولا توحيد التشكيلات النفسية القولبية، ولولا التعاليم الثابتة المرتبطة بها، ولولا التعابير الرمزية المناسبة لها مثل (الكلمة، الصورة المرئية أو المسموعة أو

غيرها) وفي الواقع أنه دون التصوير الرمزي للظهور الخارجي للقوالب الجامدة التفكيرية يكون من غير الممكن تصورها. إنها تظهر في قوالب جامدة كلامية أو في أية قوالب جامدة وغيرها وبدونها لا نستطيع أن نكون في متناول الجميع.

ولكي يعمل الرأي العام على (قولبة التفكير) عليه أن ينعكس بصورة ملموسة بالنسبة لأعضاء الوحدة المناسبة بشكله الشفهي أو الكتابي أو غيرهما (قالب جامد – رمز قالب جامد – إشادة) والمادة الإعلامية هي طاقم ونظام لهذه الإشارات.

– يعد حالة خاصة مثل: القالب الجامد – الرمز، القالب الجامد – الإعلامي الذي يتشكل بصورة هادفة في عملية النشاط الأيديولوجي لتكوين الوعي الجماهيري المنظم وتعزيز سلوكية العديد من الناس. ويمكن أن يكون مثالاً نموذجياً القالب الجامد الإعلامي، الشعارات السياسية والكاريكاتيرات والوصف القصير المعبر و (الكلمات المجنحة) الواسعة التي تحدث عنها لينين قائلاً: ((توجد هناك كلمات مجنحة تعبر بمهارة مدهشة عن جوهر الظواهر المعقدة جداً))[٩٧].

إن الكلمات المجنحة التي يطلقها الصحفي المجرب للتداول وكأنه (تأصل) بالظاهرة المناسبة واكتسب بلاغة مجازية ضرورية بنقل الصفة الرئيسية بشكل يُفهم ويُحفظ بسهولة وبفضل بلاغة القالب الجامد الإعلامي يستيقظ في وعي الناس القالب الجامد التفكيري.

يمكن نسبة ما يسمى (إيمدج) إلى القوالب الجامدة الإعلامية بهذه الكلمة يسمون في الغرب العنصر المنتشر الإعلامي (إيمدج) صورة وهمية لبعض الأجزاء المعينة، والمنظمات وغيرها مما يحدثها الإعلام حسب المخطط الغربي بهدف استدعاء الانطباع المرجو لدى الجماهير عن موضوع به وبالتالي هذا

---

(97) – لينين – المولفات الكاملة ٢٥ ص١٣٨.

النشاط أو ذاك في السلوكية[٩٨] الكاذبة التي تفرض بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الموضوع،إن هذه أو تلك من الملامح والخصائص وترسمه بالألوان التي تريد وتجعل بعض خصائصه خصائص اعتيادية (إيمدجية) (إيمدج) لتجذير الكراهية أو التعاطف أي تكوين قالب جامد اجتماعي سيكولوجي ويكون نظام (إيمدج) مضافاً من أجل إدارة الرأي العام بالأجهزة الإعلامية المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وتتحقق بمساعد الـ(إيمدج) وبفعالية عالية عملية التحكم بالوعي الجماهيري الذي أصبح أسلوباً نموذجياً للرقابة الاجتماعية على الجماهير الكادحة في المجتمع البورجوازي. إن التصورات والصور والمقاييس القولبية هي تكشفات التجارب الاجتماعية وانعكاس الرأي المتكرر وتظهر نتيجة التشديد في الرأي العام على جوانب وخصائص تلك الظواهر التي تكون معروفة وظاهرة أو مفهومة مباشرة إذا لم يكن من قبل الجميع فعلى الأقل من قبل الأكثرية وإن هذه أو تلك من الظواهر تبدو لكل إنسان كما هي. لكن حسب بعض من نظم (القولبة) العامة تظهر في ملامحها المماثلة أو المطابقة العامة [٩٩] هذه بالذات تراها بعض فئات الناس ظواهر وحقائق تصبح موضوعاً للرأي العام.

إن عمل ميكانيزم قوالب العمل الفكري يرتكز على قدرة المخ في نشر الأخبار الآتية من الخارج أو المتكونة نتيجة لعملية منطقية وتسمى هذه القدرة في علم النفس بالتخفيض (تخفيض) وهي تعد قانوناً من قوانين النشاط النفسي وينحصر التخفيض في إبعاد الرئيسي عن الثانوي وفي تكوين طراز الظاهرة (المخفضة) بصورة صحيحة.

---

(98) - انظر و.أ. فيوفانوف – الإعلان والمجتمع – موسكو ١٩٩١.

(99) - ب.أ. سازونتيف – موديل الذاكرة الكلامية – المنطقية (مجلد وأخبار الجمعية اللغوية) الإصدار الثاني لينينغراد ١٩٨٩ ص١٨-٢١.

ويتشكل هذا الطراز (الموديل) في الذاكرة ويتكون فيما بعد بصفة عصر أولي لترويج برنامج الظاهرة كلها مع إعادة تكوينها بواسطة الوسائل اللغوية.

وأثناء إعادة التكوين في أذهان العديد من الناس مرات أخرى يصبح الموديل قالباً جامداً أي يعود إلى جو الوعي الاجتماعي ويكبر الموديل بفضل الذاكرة الإنسانية وتسهل عملية استيعاب المعارف الجديدة التي تصنف مباشرة بعد وصولها إلى المخ حسب المعيار الجاهز للفكرة وهكذا.

وبناءً على ارتفاع المستوى الثقافي للناس ومشاركتهم في حياة المجتمع ينمو كذلك طلبهم على الأخبار التي لا يمكن الحصول عليها من التجربة الذاتية إذ يجب على التجربة الفردية أن تلم بالمفاهيم والتصورات، والتقديرات والآراء التي تكونت دون هذا الفرد وتعكس التجربة المعممة للعديد من الناس. ويجب على هذه التصورات وغيرها أن تكون مفهومة بالنسبة لكل أو الأكثرية أو لأي جزء ما من أعضاء الجماعة الاجتماعية الراهنة ولكل المجتمع وألا تكون معقدة ومتعددة الجوانب، وتختلف بأجزائها المتنوعة، وكما يجب ألا (تخلط) بالتفاصيل التي تكون معروفة من قبل المطلعين فقط والتي تكون مرئية فقط من قبل مجموعة صغيرة من الناس.

ولابد من التركيز على وجود الجماعات الاجتماعية التي بفضل وضعها في مجال الحياة الاجتماعية تدرس الأحداث والظواهر والحقائق من جهة واحدة (جانب واحد) مشروطة بصفة مصالح الجماعة وكلما كانت الظواهر أهم في معناها الاجتماعي كانت هناك مجموعات أكثر وبالنتيجة لولا جهاز القوالب الجامدة في التفكير لتكون نوع من الآراء والطرائق متعدد الألوان، وأنه لم يكن في المجتمع أي من المسائل الراهنة وحتى يمكن تصور الحالة التي سيبدو فيها وكأن الحديث يدور حول العديد من الظواهر المختلفة في الوقت الذي تكون فيه الظاهرة هي الوحيدة وحتى يكون جوهر الأهداف مفهوماً فهماً واحداً لابد من:

أولاً – البحث عن الكلمات والصور التي تشمله بالكامل وفوراً ودون التفاصيل التي تذهب به جانباً أو التي لا تلم بشيء ولا تتكلم بشيء إضافة إلى الدرجة الضرورية للتعميم من الأهم.

ثانياً – إيجاد ذلك الشكل بظاهرية الرمزية الذي يجب أن يكون واحداً بالنسبة للجماهير الواسعة.

وأثناء التكرار المعروف يصبح بذلك تصوراً قولبياً. كنا قد تحدثنا في البداية كتابة من الوعي الاجتماعي.

إن أشكال قولبية العمل الفكري متنوعة للغاية , صور وتصورات وتقديرات وغيرها. وكل كلمة في مثل هذا المعنى تعد) دارجة (قولبياً لشكل الانعكاس النفسي, وبالمقياس نفسه تتكون طرق التعبير متعددة عن القوالب الجامدة الفكرية – كلمة واحدة وقالب كامل واستنتاج...الخ.

وهذا يمكن أن يكون صورة – منظورة (مرئية) ومسموعة ومشمومة ومتذوقة ومحسوسة – محركة وبحكم اندماج التفكير بالكلام تصبح الكلمة في آن واحد قالباً جامداً داخلياً (تفكيرياً) وقالباً جامداً خارجياً (قانوناً,رمزاً) وبصفتها قالباً جامداً – دلالياً تحمل الكلمة في ذاتها ((معنى)) أي تشير إلى المادة كي يستطيع أي إنسان في هذه الجماعة أن يفرقها عن غيرها وأن يرى دورها بين أدوار الأشياء الأخرى ويشمل المعنى العام في الموضوع وإن كلمة قالب جامد– تفكيري تحتوي على فك رموز هذا المعنى – الفكرة.

أي التصور حول الموضوع الراهن كما يراه الإنسان وماهية العلاقة التي يستدعيها لنفسه [١٠٠] لتوضيح جوهر ميكانيزم تأثير القوالب الجامدة من المهم إجراء تصنيف لها (القوالب الجامدة النفسية العامة والنفسية الاجتماعية).

---

(100) – أ. ن. ليونتيف – النشاط – الوعي – الشخصية – موسكو ١٩٨٥ – ص ١٤٠-١٥٨.

القوالب الجامدة النفسية العامة:

يمكن إرجاع الظواهر التالية إلى طائفة القوالب الجامدة النفسية العامة مثل الظواهر النفسية وعمليات الانعكاس التي تجري في شكل أكثر عمومية بالنسبة لكل الناس . وكل ظاهرة نفسية تحوي ثلاثة جوانب : المعرفة والعلاقة والحجة ويسود القوالب الجامدة العامة العنصر الأول من هذه العناصر- المعرفة ويتراجع الاثنان الآخران ويظهران فقط في الوعي الشخصي عند الناس.

وتحمل القوالب الجامدة النفسية العامة المعاني التي تنعكس بالنسبة للعديد من الناس (بغض النظر عن انتمائهم لهذه أو تلك من الجماعات الاجتماعية) في صور وتصورات مقولبة (استريوتيبية) ولذلك تقوم القوالب النفسية العامة بدور حلقة الوصل في الاتصالات في كل أنواعها وأشكالها وكأنها تغييرات منظمة تضمن الفهم العام المتبادل بين الناس. وأنها تعمل بالنسبة لكل الناس بغض النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية (مثلاً: الطاولة بالنسبة للجميع تعني طاولة والفرس هي الفرس، والنهر هو النهر) فالمهم هو الإشارة إلى جوهر المادة كما هي إن القالب الإشارة هنا جوهري وغالباً ما يتطابق تماماً مع التفكيري لأنه يستدعي الارتباط والصور والتصورات المجردة مباشرة عن العديد من الناس.

الإستريوتيبات (القوالب) الاجتماعية النفسية:

إن مجال عمل القوالب الاجتماعية – النفسية أضيق بكثير من مجال عمل القوالب النفسية العامة، إنها تنقل التجربة العامة ليس تجربة كل الناس ولا أكثريتهم – وإنما فقط تجربة الجماعة الاجتماعية هذه (كبيرة أم صغيرة لا أهمية لذلك) عندئذ يدور الحديث فقط حول التجربة الاجتماعية التي تخص الموضوعات والعمليات والظواهر ونماذج الناس وغيرها ذات الأهمية الاجتماعية.

ومن الصفات المميزة للقوالب النفسية الاجتماعية أنها تنقل تجربة الناس برمتها بشكل تركيبي (صناعي) أكبر في تشكل العلاقة الموحدة بالموضوع.

يمكن تحديد القالب الاجتماعي – النفسي وكأنه العلاقة الثابتة القائمة تحبس (علم الاجتماع) بين هذه أو تلك من الجماعات الاجتماعية وبين الظواهر المماثلة أو المتجانسة. ويكون رد فعل الناس على القالب – الرمز لأن الناس يضمنونه معنى واحداً ويشعرون ويقلقون بصورة متشابهة وأثناء تكوين الرأي العام يحدث التخفيف (تخفيض) (خفض التوتر) ويبقى في التصور حول الموضوع فقط القاسم المشترك عند الجميع والذي لا يستدعي أي تساؤل أو تفسير غير مرغوب به عند أحد ما، ومن تقسيم القوالب إلى نفسية عامة ونفسية اجتماعية يتجلى موضوع الآتي وعلى الرغم من عدم إمكان وجود القوالب التفكيرية والدلالية الواحدة دون الأخرى، فإنهما لا يعتبران متطابقين تطابقاً مطلقاً فيمكن أن يكون القالب الدلالي (الرمز) مماثلاً هنا. ويمكن أن يكون صورة قريبة للقالب التفكيري.

فالقوالب الدلالية ماهي إلا مكثفات للصفات القليلة والنموذجية والأقل انتشاراً والأكثر بعثرة بالنسبة للظاهرة، والقوالب التفكيرية تكون بفضل فردية التفكير أكثر تنوعاً وأكثر ألواناً منوطة بالطرائق والأجواء التي خلقت فيها وبوساطة أي أنباء أولية حصل انتشارها وأي تجربة اجتماعية تنعكس فيها.

وهكذا فالأمور بالنسبة للرأي العام حيث حكمة التقديري محدد الاتجاهات الأساسية للفكر والسلوك لكنه لا ينفي التفسيرات الفردية للحالة وأن إقراره يصبح دون عائق لكن أثناء الإلحاحية يمكن أن يفسر بصورة مختلفة من قبل مختلف الناس.

ويعد الرأي العام في هذه الأثناء على شكل صفات مختلفة وذلك يعود إلى أوضاع الناس الشخصية واهتماماتهم الخاصة أو إلى معارفهم بجوهر

ومسألة القضية. إلا أن هذه الصفات كلها لون واحد لأن الرأي العام معنى واحداً ومطلقاً وإن تغيير الرأي العام ومحاولة رؤية الموضوع بلون آخر يعتبران في كثير من الحالات من الظواهر المؤقتة عمل ميكانيزمات التضامن والتشابه، وتعود الأحكام الفردية مرة أخرى إلى ذلك اللون بالذات ويمكن أن تشير الكلمات الرموز نفسها في مختلف الجماعات الاجتماعية ومختلف البلدان وفي الدول ذات النظم الاجتماعية والسياسية المختلفة إلى مفاهيم مختلفة من حيث الجوهر وأن يكون لها معانٍ مختلفة (حتى التناقض) في المعنى ويمكن أن يوجد قالبان تفكيريان أو أكثر في القالب لإشارة (الدلالة) الواحدة بمعنى آخر يمكن وجود عدة قوالب اجتماعية نفسية في القالب العام الذي يتجسد فيه معنى واحد للظاهرة المصورة ومدى (تثبتها) في آلية المفاهيم لهذه اللغة وأسطع مثل على ذلك كثرة المعاني التي تحدثها طبقات مختلفة للمجتمع الاستغلالي نفسه في التصورات كما أن هذه هي ((الحرية)) إن ((الحرية)) بالنسبة للطبقات المستغلة هي قبل كل شيء الحق في الامتلاك الخاص والأدوات ووسائل الإنتاج أي الحق في استغلال الآخرين من خلال القطاع الخاص والمبادرات الخاصة) (الحرية هي التعاونيات والدعوة إلى الفردية حتى أشكالها القصوى، ففي الظروف المعاصرة وعندما تفضح نفسها يتم المجتمع البورجوازي هذه أكثر فأكثر لكونها وسيلة خداع الجماهير الكادحة يبدأ الإعلاميون والآيديولوجيون البورجوازيون يتشدقون بـــ (الحرية الطبيعية) التي لا حدود لها بالنسبة للروح الإنسانية وإن الدعوة إلى هذه الحريات المطلقة تعتبر من حيث الجوهر تغطية كل المقدرات غير الثمينة للمجتمع البورجوازي التي أصبحت تفقد صداها يوماً بعد يوم في قلوب ملايين الناس. إن مثال الحرية بالنسبة للطبقات الكادحة هي التحرر من الاستغلال والحق في العمل والراحة والحق في التطوير الحر للشخصية دون النظر إلى الوضع الاجتماعي والانتماء القومي وغيرهما.

والآن عندما تصبح الجماهير أكثر نشاطاً تنمو مساعي الكادحين نحو الحصول على الحرية الحقة والاشتراك في إدارة المجتمع والإنتاج ضامنين بذلك تحقيق القدر الأكبر من متطلباتهم، وعلى خلاف الفهم البورجوازي (الحرية) الذي يضع الفردية فوق كل شيء يرى الكادحون الحرية في توحيد مصالح الشخصية (الفرد) والمجتمع. وهذا بالذات ما جاء في كثير من مقترحات المنظرين التقدميين.

يجب أن يعي كل مواطن بوضوح أن الضمانة الأساسية لحقوقه في نهاية الأمر هي قدرة وازدهار الوطن، سبيل ذلك على كل مواطن أن يشعر بمسؤولية أمام المجتمع وأن يقوم بواجبه أمام الدولة والشعب بضمير نظيف.

يجب البحث عن سبب ثنائية القوالب الاجتماعية والنفسية في أنها تتشكل أثناء العمل الجماعي وترتبط بارتباط الناس الطبقي والمهني وغيرهما هي عبارة عن ظهور مركز لتوجهاتهم التقديرية وهي تنقل الانعكاس الجوهري الأكثر تنظيماً والأكثر بساطة والأكثر تحديداً لهيكل الوعي الشخصي لدى الناس كأعضاء ولدى هذه الجماعة الاجتماعية.

وتعد القوالب انعكاساً مميزاً لجاهزية الناس لاستيعاب الظواهر أو المواد بالعودة إلى الإدراك المتواجد المرتبط بالتجربة الحياتية ويستطيع القالب الدلالة بالذات ألا يحمل معنىً مختلفاً فحسب وإنما متناقضاً بالنسبة للطبقات المتصارعة.

إن التصور الدلالي المشابه للقالب – الرموز المختلفة من حيث المغزى مرتبط بالأيديولوجية المسيطرة التي تبدو في كثير من الحالات في وضع تؤثر فيه بجدية على تكوين الاتجاهات التقديرية للطبقات الكادحة ويتعرض محتوى الأنباء التي تنعكس بوساطة هذا القالب – الرمز أو ذاك والتي تمر من خلال تشكيلاتها اللغوية إلى تغييرات متنوعة ومختلفة ويستطيع الإنسان أن يشير

بوساطة هذه القوالب – الرموز – إلى محتوى آخر مختلف تماماً فالمحتوى القديم للقالب – الرمز – قد (مُحي) منذ زمن طويل والظاهرة التي وصفها قد فقدت صفاتها ودورها القديم، تستطيع الكلمات أن تستمر بالعمل على الرغم من زوال مدلولها الاجتماعي منذ زمن طويل [١٠١].

يظهر الرأي العام في هذه الحالة بصورة محافظة. أنه يتكون نتيجة لتوضيح الأشياء المعروفة والمقهورة عموماً ودون الانحراف إلى أية جهة من الجهات.

إن المعاني الجديدة والأكثر من ذلك المدلولات الجديدة لا تصل مباشرة لأحدهم وتصبح اعتيادية للآخرين. وتنعكس تقديرات الحالة أثناء تكوين الرأي العام في المفاهيم المقبولة والحقيقة للأكثرية الساحقة.

بالنتيجة يكون للرأي العام نزعة لطلي المفاهيم والتصورات الميتة. وهنا يصبح الإعلام بحالة يستطيع فيها تقوية هذه النزعة أو إطفاءها. من قدرة الإعلام مثلاً أنه يعيق الانتشار الواسع للمعنى الجديد أو المدلول الجديد وأن يسكت على ضرورة تغيير هذا أو ذاك من الانعكاسات اللغوية أو بالعكس الوصول بذلك إلى كل فرد وما ذكرنا يكفي للسماح لنا بالحديث عن دور الإعلام النشيط والهام في عملية تكوين الرأي العام ولكي يجاري الزمن ويساعد بصورة قصوى النزعات التقدمية للنمو الاجتماعي لابد من أن تكون التغيرات في القمة والقاعدة مصحوبة بعملية (بعث الشباب) في القوالب المستمرة ودون انقطاع والتي تعكس بنشاط النظام السائد بما يتناسب وحقائق الحياة المعاصرة. وهو الرأي العام يسير باستمرار ودون انقطاع ودون تدخل من الخارج، ولكنه يتغلب بتأثير الأيديولوجي الهادف على غريزة (الفرملة) لدى الاعتيادات والعادات والتقاليد التي يمكن أن تصبح رواسب الماضي.

---

(101) – ع. كلاوس – قوة الكلمة والتحليل الجنسي للغة – موسكو ١٩٦٧ ص٤٧.

مهما كانت القوالب التفكيرية مسجلة بقوة فإنها تكون في حركة دائمة وتتطور باستمرار وبصورة ملحوظة بالنسبة للآخرين مع تطور الوسط الاجتماعي ومع عالم الشخصية الداخلي.

إن هذه الشروط الحياتية الخارجية وتغير تصوراته عن العالم المحيط به ومضمون المفاهيم المعتادة، ومن زاوية المصالح لا يخلق المعنى مدلولاً بل الحياة تخلقه. والمدلول في تصورنا للواقع ماهو مشروط بخصائص عمل كل فرد على حدة [١٠٢] عندئذ إما ألا يتغير الانعكاس عندما يصبح الفارق بين الدلالة والمعنى ليس فقط ملحوظاً وإنما زائداً عن حده. مثلاً في روسيا القديمة كان يعني القالب (غني) هؤلاء الناس الذين كانوا يعيشون حياة مترفة جداً. وفيما بعد أصبح يستخدم الدلالة على أولئك الذين يستطيعون التصرف بأموالهم ويعيشون حياتهم الممتعة. وقد كان لهذا القالب صفة محترمة بصورة أساسية كأنه كان مرتبطاً بشكل رئيسي بالعلاقة الإيجابية مع هذا النوع من الناس (على الرغم من أنه كان يشكل علاقة حقد من بعض فئات الشعب).

وبعد قيام الثورة استمر فترة طويلة بشكل مفهوماً سلبياً لأنه كان يرمز إلى ظاهرة العداء للنظام الاجتماعي الجديد وللتوجهات الجماهيرية الجديدة وكل استخدام له كونه صفة ينعت بها الوضع الغني للناس كان يحمل مفهوماً معيناً في أحاديث الجماهير مرتبطاً بالعلاقة السلبية بالطبقات التي كانت قبل الثورة تعد (غنية) من حيث الجوهر أصبح هذا القالب قالباً آخر لأنه ارتكز على علاقة جديدة. إنه يدخل الحياة الجيدة التي يعيشها الشعب السوفييتي. وأن الصفة الطبقية لهذا القالب ألغيت (مثلاً الفيلم السينمائي (العروس الغنية)) لكن هناك قالب آخر يعمل بموازاة هذا القالب يعبر عنه بالكلمات نفسها – الرمز (غني) الذي يستخدم في النظام. وله عند الشعب السوفييتي دلالة أخرى مغايرة تماماً للدلالة الأولى

---

(102) – أ.أ. ليونتيف : عالم اللغة والسيكولوجيا. موسكو١٩٨٦ ص٣٤.

وفي عملية النشاط الآيديولوجي هناك إمكان لتحول معاكس. ويبقى القالب التفكيري كما كان عليه لكن بفعل عدد من الأسباب يتغير معناه الإعلامي. ففي جنوب إفريقيا أقرت الحكومة العنصرية في الخمسينات ما يسمى (قرار حول الصراع مع الشيوعية) كانت مهامه التشهير (نزع الثقة) بالمناضلين في سبيل تحرير شعب بلدهم المستعبد. واستطاع حكام جمهورية جنوب إفريقيا ولفترة طويلة إلصاق صفة (كومي) بكل المعادين للنظام (إذا كنت مناضلاً من أجل الحرية في أفريقيا الجنوبية) فأنت بكل بساطة شيوعي حتى ولو طالبت بتنفيذ القوانين السائدة هناك، ولو أكدت على حقوقك. عندما لا يكون بذلك فائدة)[١٠٣].

إلا أن هذه السياسة في أواسط الستينات أصبحت غير فعالة لأنه حتى أكثر الناس جهلاً بين الجماهير المظلومة أصبحت ترى أنهم باتوا يطلقون تسمية شيوعي على أولئك الذين يناضلون في سبيل تحقيق حقوق المضطهدين والمستعبدين. وبذلك تكون (كومي) قد فقدت معناها المخيف كما كانت عليه في الأوقات السابقة عندما كانت الجماهير لا تعرف شيئاً ولا تفهم شيئاً.

إن التطور الداخلي للقوالب التي تسير سوية مع تغيير الظروف الحياتية للناس يعتبر أن تفسيرات ثبات الرأي العام قد تغير أشكال القوالب الخارجية أو مضامينها. لكن انعكاساتها في الوعي الجماهيري لا تتغير بنفس الوتيرة فتبقى الأشكال القديمة المضامين للقوالب فعالة عند الكثير من الناس وبالنتيجة تلاحظ قوة استمرار محددة للرأي العام ولا يلاحظ الناس مباشرة التغييرات التي تحدث في العالم المحيط لأنهم يتطورون في آن واحد معها، ويمر وقت معين كقاعدة قبل شعورهم وإدراكهم للظروف والأجواء الجديدة للحياة الاجتماعية وبعد ذلك يتم القيام بإعادة نظر ضرورية بالقوالب والحياة هي مقياس المقاييس للقوالب القديمة وغالباً ما يعتمد الرأي العام على ردة الفعل البطيئة للأرثوذكسيين

---

(103) – السيكولوجيا – موسكو ١٩٨٦ – ص٢٣١.

(مستقيمي الرأي) وليس على القرارات السريعة (التي تنظر إلى الأمام) فيعكس موقف الأولى المرئي والمدروس جيداً والمقبول. أما موقف الأخرى فيعكس غير المعروف وغير المفهوم على الإطلاق من قبل المجتمع. وجاء في أحد كتب علم النفس (لكي يتوجه الإنسان بشكل صحيح في الأحداث الحياتية بسرعة ولكي يحدد سلوكه بصورة صحيحة يضع كل حادثة تحت قاعدة عامة ما وبالتالي يحل كل مسألة ملموسة.[١٠٤]).

يمكن عد تكوين القالب الاجتماعي – النفسي على ما يبدو ظاهرة من مظاهر تلك القاعدة العامة التي تعد تركيباً من نوع خاص لكل أنواع الذاكرة – الانفعالية المرئية، المسموعة المتحركة، الآلية، البلاغية، اللغوية، المنطقية والمدلولية.

وكأن القالب يقع على ملتقى كل الأشكال الأخرى للتعميمات السيكولوجية. ولكونه يمثل انعكاساتهم العامة ومجموعة النتائج الانفعالية للتجربة الفردية والاجتماعية التي تتكون في الذاكرة الإنسانية كعلاقة محددة يتقاسمها الناس في نهاية الأمر وعلى شكل قلق مشترك (مواساة) وهذا القلق ينشأ عند العديد من الناس (في آن واحد أو في أوقات مختلفة) تحت تأثير التصادم مع الرموز التي تكون بالنسبة لهم واحدة، وتملأ بالدلالات الغريبة في معانيها على الرغم من أنها غير متشابهة، إن تنوع العوامل التي تشارك في تكوين القالب يعتبر واحداً من الأسباب الرئيسية التي تحدد مرونة وثبات ومقاومة القالب في آن بالنسبة لمحاولات تدميره أو تعديله الحاد. فلا تكون صورة الموضوع كما يبدو عبارة عن جوانب وصفات موحدة بوحدة وثيقة وملتحمة – ومتناسبة يفسر بعضها البعض الأخر ويكمله. وبذلك تنعكس بدايتها التوحيدية العامة – التوجه المجيد: ففي لحظة معرفة شمولية التصور حول هذه الظاهرة أو تلك يتكون مثلاً

---

(104) – {Sechaba} , 1972 . P. 12

لنموذج اجتماعي معين. والأكثر من ذلك ما أن تمس جزءاً من أجزاء القالب المكونة له. حتى تبدأ عناصره الأقرب بالانتعاش وتكون مهيأة للظهور في الجو المناسب.

بالارتباط بمتطلبات الفرد الداخلية أو الخارجية وعندما يستوعب الإنسان بعض الصفات الخاصة بنموذج اجتماعي معين، وغالباً لا يشعر هو نفسه بذلك، يصبح تحت تأثير سلطة (سلسلة ردود الفعل) متنوع مثلاً على الشريحة العصرية جداً أن تتناسب مع طريقة معينة من اللبس وذلك يتطلب بدوره طريقة خاصة للتعامل والحركة. وكل ذلك يتشكل بطريقة قضاء الوقت ويظهر كما بعد في أسلوب الحياة الذي يعد من ممتلكات نمط الحياة. وهكذا تستطيع التأثيرات الأيديولوجية التسرب من خلال ميكانيزم التقليد الذي من خصائصه تضخيم الموضة ونمط الحياة هي ظاهرة طبقية إذا اعتبرت جماعة اجتماعية ما نفسها نموذجاً لطراز اجتماعي ما. فإن في صورته ستدخل حتماً ليس فقط العلاقات الخارجية وإنما طرائق السلوك المميزة له والتي تتناسب مع كل صفاته ويوقظ القالب الصورة التي تدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبأي شكل (كامل أو ناقص أو حتى قليل الملامح) في حكم الرأي العام إلى جانب التصور عن الموضوع مع تقديراته من مواقع السلوكية أيضاً وتملي دوافع شكل السلوك والفعل الخاص والطراز الأولي المأخوذ كأساس للصورة – المقياس. إن الرأي العام في حالات العلاقة السلبية مع الموضة نفسها (اللباس والتسريحة .... الخ) وإنما ينم عن هذه الموضة من سلوكية غريبة عن القيم المتعارف عليها. إن الموضة هنا تأتي كما يقال من الطرف الآخر ولا تولد على أرضية هذه الجماعة الاجتماعية ومن المميز هنا أن الرأي العام يناضل ضد الموضة لكونها ظاهرة غريبة. مادامت الروابط موجودة بينها وبين الوسط الذي أوجدها ألا وهو نمط الحياة .... الخ. وعندما تصبح الموضة اعتيادية وتتطور فيما بعد من المصادر

العائد ((لهذا)) وليس ((لذاك)) الوسط لم تعد تبدو غريبة وباندماجها بالتوجهات هنا تصبح نوعاً من أنواع التعبير عنها والتأكيد عليها ولم تعد قناة للتأثير الإيديولوجي غير المرغوب فيه. يحدد الشكل الانفعالي للظهور الخارجي للقالب الاجتماعي – النفسي سهولته وعفويته ويتكون القالب من مجمل الإرشادات المسجلة (الموضحة) التي ينسب كل منها جانباً من جوانب الظاهرة إلى قالب تفكيري معين ويظهر بذلك العلاقة بينها محدداً بذلك مكان الظاهرة بين التوجهات عند الناس. إن الاعتماد المباشر للقالب الاجتماعي – النفسي على أساس (قاعدة) الإرشادات المناسبة له والتي تتواجد على السطح وعلى الفرد هنا بالذات يكمن سبب رد الفعل الفوري للناس على القالب – الرموز الظاهرية وهناك سبب آخر يمكن في الاندماج الفعلي لهذه الرموز (المعنى) في بعض التشكيلات النفسية الذي يعني بالنسبة للجميع موضوع الانعكاس (القالب النفسي العام) وفي بعضها الآخر تسود (الدلالة) وتفسير الموضوع وفهمه مع العلم أنه يصل إلى أبسط أشكال ردة الفعل على الرمز – المحرض أي أنه انفعالي – تقديري تماماً (القالب الاجتماعي النفسي) وبفضل هذا القالب تظهر نتيجة تركيب الإشكال الجديدة للذاكرة إن تجربة الإنسان السابقة كلها وكأنها تتكون أثناء عملية إدراك ردة الفعل ذات المعنى الواحد على الحقيقة الاجتماعية الخارجية (الظاهرية): كيفية العلاقة بها وكيف يتم تقديرها وهل هي مهمة أو غير مهمة، إيجابية أم سلبية، مفيدة أو غير مفيدة.

إن كل النشاطات العديدة السابقة لتسهيل وتعميم النبأ الاجتماعي تجد لنفسها نبأ ذا تأثير واحد – للعلاقة بكل مجموعة معينة من الظواهر، وهذا ما ينعكس في تناسبه مع بعض التقدير الذي يحيله نظام القيم هذا. وتتم ولاة وتكوين القوالب ذاتها أثناء المشاركة المباشرة لكل التشكيلات النفسية الممكنة – التقديرات القوالب المتكررة والصورة والأحكام والتشديدات المعنوية والنبرات

الانفعالية وغيرها وتترك كل واحدة من هذه التشكيلات آثاراً مميزة في الذاكرة – في أحد أوجه القالب المقبل.

وهكذا تفسر (تحول) تعددية الأوجه وتركيبة القوالب إلى لغة الرأي العام فالرأي العام ليس فقط انعكاسها الواضح والبين، وإنما هو بحد ذاته مثال للقولبة في مجال الوعي البشري إن سهولة ظهور القوالب تجعل التقدير ممكناً بين الجماهير الواسعة وإذا اشتركت وسائل اتصال الجماهير في انتشار القوالب تصبح هذه العملية أكثر فعالية. غير أن طبيعة القوالب الاجتماعية النفسية ذاتها تسمح بتوقع ردة الفعل هذه تكون تقديرية بالتالي انفعالية ويرمز إليها بقالب – رمز – يميزه شكل الحكم.

الباب الخامس

- **الفصل الأول:** دور وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في تكوين الرأي العام ص١٥٥

- **الفصل الثاني:** الإعلام الشفهي في عملية تكوين الرأي العام وتوظيفه..... ص١٦٩

- **الفصل الثالث:** التحريض السياسي في نظام وسائل التأثير الهادف في الرأي العام.....ص١٨١

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الخامس

وسائل تكوين الرأي العام والتعبير عنه

الفصل الأول

دور وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في تكوين الرأي العام

تؤدي وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية دوراً كبيراً في تكوين الحياة الروحية في المجتمع الإنساني فنتيجة للمستوى الفكري وتنسيق وفعالية عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية ارتفع تأثيرها بصورة أكبر في تطوير الاقتصاد والعلم والثقافة وفي كل الحياة الاجتماعية.

- إن الانتشار الواسع للإعلام وإمكان استخدام الصحافة والتلفزة والإذاعة يضمن حرية الكلمة والحرية الصحفية، ويضمن حق المواطنين في أغلب بلدان العالم باستخدام المنجزات الثقافية عن طريق تطور وسائل الإعلام وقد وجد الدور الخاص لوسائل الإعلام الجماهيري في عملية تحقيق الروابط المتبادلة بين السكان وأجهزة الدولة انعكاساته في شتى مجالات الحياة.

- وفي سبيل التقدير الأكثر شمولية للتأثير المتنامي للصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون في تكوين وعي الشعب والرأي العام فلا بد أن تتبع في المسار أيضاً عدة عوامل لها طبيعتها العالمية.

فقد تسارع التطور الاجتماعي بشكل عام تحت تأثير نجاحات الثورة العلمية التقنية وتصاعد النشاط الاجتماعي – السياسي للشرائح الواسعة من سكان

الكرة الأرضية. وهكذا ((يمكن استخدام قدرة الرأي العام **في حل** المسائل الجوهرية في المجال الاقتصادي والثقافي والحفاظ على البيئة .....الخ))[١٠٧].

وفي النضال ضد الظواهر السلبية في سلوكية الناس. ((لابد من الحزم في توجيه الرأي العام نحو النضال ضد اختراقات أنظمة العمل وضد السرقات والرشوات والإدمان على المخدرات ..... والخ))[١٠٨].

إن استخدام إمكانات الرأي العام يتطلب معرفة سبل وأساليب التأثير الهادف على سلوكية الناس.

- وتؤثر في تكوين الرأي العام مجموعة من الشروط الموضوعية وعدد من العوامل الذاتية. ويمكن طبعاً، إحداث تصنيف لها، وعلى هذا الأساس تحديد تأثير كل عنصر من عناصرها في نشوء وتطور الرأي العام بالإضافة إلى أهمية دراسة الظواهر المرتبطة بكل شرط من الشروط أو عامل من العوامل الذاتية لتكوين الرأي العام، وقبل كل شيء العملية التي تعكسها بصورة حسابية تفصيلية العملية الإعلامية.

ويقوم هذا التأكيد على الجانبين التاليين:

أولاً:إن الإعلام الاجتماعي الفاعل في المجتمع يعكس حتماً الظروف الموضوعية لوجود هذا المجتمع.

ثانياً: ما يميز الإعلام الاجتماعي أنه يفترض النشاط الإنساني وبفضل ذلك يتضمن مصالح ومتطلبات الناس.

---

(107) - مطـــيع المختار: الإعلام العربي المشترك من أجل التنمية والوحدة - مجلة الوحدة - العدد ٥٤ ص١٨، ١٩٨٩.

(108) - محمد أحمد إسماعيل: الإعلام العربي والوعي التنموي - مجلة الوحدة - العدد ٥٤ ص ١٠٧/١٩٨٩م.

- ويرتبط الرأي العام ارتباطاً وثيقاً بذلك الإعلام الذي يؤثر في أمزجة الجماهير، بخاصة إذا كانت الأنباء منتقاة بشكل معين.

((تتمتع الأنباء المختارة بوعي وبصورة هادفة بقوة إقناع كبيرة تستطيع بشكل جدي تغيير صورة أفكار ورأي كل فرد ومعه الرأي العام وتكوين آراء وأفعال الناس المتناسبة مع المتطلبات الاجتماعية))[١٠٩].

وتؤدي وسائل الإعلام الجماهيري في حياة المجتمع وفي ظروف الاستخدام الواسع للصحافة والسينما والإذاعة والتلفزيون دوراً متنامياً في عملية جمع ومعالجة وانتشار أنباء الحياة الداخلية والخارجية واشتراك السكان فيها. فلا تعبر وسائل الإعلام الجماهيري عن الرأي العام فقط، وإنما تعمل على تكوينه وقد أثار كارل ماركس قائلاً: ((تعتبر الصحافة الحرة نتاجاً للرأي العام وبالقدر نفسه الذي تعتبر فيه خالقة له))[١١٠].

- يعد الإعلام وفق ذلك المادة التي يصنع منها الرأي العام، إنه يملك أهمية خاصة في المراحل الأولى لتكوين الرأي. ويؤدي مصدر الأنباء هنا دوراً خاصاً.

- لقد أعير الاهتمام الأساسي من قبل الباحثين في وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية إلى تلك المجالات التي يجب أن تكون في صلب اهتمام الصحافة المسؤولة والسينما والراديو والتلفزيون وكل أجهزة الإعلام.

- وتضع الدولة المعاصرة أمامها مهمة المشاركة النشطة لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في التطوير اللاحق للمبادرات الإبداعية المسؤولة.

---

(109) - ف. غ أفاناسوف. الإعلام الاجتماعي وقيادة المجتمع. موسكو ١٩٨٥ م ص٤٩.

(110) - ماركس، أنجلس المؤلفات المجلد٤. ص٢٠٦.

- إن أحد المبادئ الأساسية للمبادرات الإبداعية وتتضمن الإمكانات الواسعة لتركيز الرأي العام على مسائل رفع إنتاجية العمل والكشف عن احتياطي الإنتاج ورفع الشهرة الاجتماعية لرواد العمل.

فللصحافة والإذاعة والتلفزيون بإعلامها المستمر للشعب عن نتائج المبادرات الإبداعية إمكان التأثير الدائم في تكوين الرأي العام في مجال النشاط العلمي. وفي هذه الأثناء من المهم نشر الدعاية بين جميع شرائح السكان وبوساطة وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية لتحقيق الرقابة الاجتماعية باستمرار على سير تنفيذ الخطط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لهذا لم يكن انتشار الأنباء الاقتصادية والحيوية التي تؤثر تأثيراً واضحاً في تكوين الرأي العام عملاً سهلاً.

- إن توضيح ما يسمى الموضوعات الإنتاجية يتطلب حساباً دقيقاً وبشكل خاص العوامل الاجتماعية النفسية، التي تقوم بدور ملحوظ للغاية في عملية تكوين الرأي العام ومن المعلوم أن الإنسان يلقى في عمله أعباء نفسية وانفعالية كبيرة مرتبطة بالاشتراك في العملية الإنتاجية.

- وأثناء وقت الفراغ في هذه الفترة بالذات كالعادة يقرأ الناس الجرائد ويرتادون دور السينما ويستمعون للإذاعة ويشاهدون البرامج التلفزيونية .

- يسعى الإنسان إلى تغيير الخلفية الانفعالية والدخول في مجالات أخرى من النشاط.

- فإذا رأى في هذا الوقت موضوعات إنتاجية خالصة في وسائل الإعلام الجماهيري (معطاة بصورة رسمية ناشفة) فإما أن يفهمها بشكلٍ سيء وإما أن يمر بجانبها بكل بساطة.

- لقد أشير في الدراسات الإعلامية إلى ضرورة وحدة التربية الأخلاقية والعملية والفكرية -السياسية مع الأخذ في الحسبان خصائص المجموعات المختلفة من السكان. والأسلوب الجامع يتطلب النشاط الجاد من العناصر المكونة لنظام وسائل الإعلام الجماهيري. كما طالب باحثو الصحافة والإذاعة والتلفزيون أن تؤثر بفعالية أكثر في تكوين العقائد العلمية والعلمانية عند الشعب بالإضافة إلى العلاقة المسؤولة بالعمل في الحياة، وفضح الدعاية المعادية بحزم، والنضال ضد الانحراف عن قواعد الأخلاق الحضارية.

ويفترض ربط تكوين الرأي العام بالعملية الإعلامية وقبل كل شيء الأنباء. وتقدر قوة السيل الإعلامي في طبيعتها الكمية: عدد الصحف والمجلات وحجمها وعدد نسخها وعدد ساعات البث التلفزيوني والإذاعي وكمية البرامج التي نبثها وغيرها. وتعير الدول النامية اهتماماً كبيراً بتنمية إمكانات النظام الإعلامي، حيث ازدادت نسخ الصحف العالمية في الأعوام الأخيرة وتعاظمت كمية الإصدارات الجديدة. ففي المتوسط تحصل كل أسرة على أكثر من أربعة إصدارات دورية في البلدان المتطورة))[١١١].

- ولا تحدد قدرة تأثير الصحافة والإذاعة والتلفزيون بإمكاناتها التقنية فقط بل وبشكل رئيسي بالاستخدام الفعلي من قبل الناس لهذه الوسائل.

---

(١١١) - الإمبريالية الإعلامية - كاشلوف. غير معروف اسم المترجم.

- ((وحسب معطيات بحوث قسم الرأي العام في معهد البحوث الاجتماعية التابع لأكاديمية العلوم في روسيا البيضاء في مينسك (روسيا البيضاء) عام ١٩٩٢م))[١١٢].

فإن ٧٥% من السكان البالغين في هذه المدينة يقرأ الصحف اليومية و ٦٠% يستمع للإذاعة و ٦٤% يشاهد البرامج التلفزيونية. ومدينة مينسك تعد من المدن المتوسطة.

- والطلب على وسائل الإعلام الجماهيري أثر في المدن الكبرى. وهكذا ((إن استفتاء العاملين من السكان في بيترو غراد عام ١٩٩٣ أظهر أن كل عامل يقضي ١٠,٤ ساعات في سماع الراديو - ليس أقل من ٣ ساعات في قراءة الصحف. نحو ٧٠% يشاهدون التلفزيون يومياً و ٨٣% يستمعون إلى الراديو و ٧٥% يقرأون الصحف))[١١٣]

- وبما أن سيول الأنباء في الظروف المعاصرة كبيرة من حيث الحجم ومتنوعة من حيث المضمون ومتميزة من حيث الشدة (القوة)، فإن السكان يستخدمون جزءاً من الأنباء التي تنشر بوساطة مصادر مختلفة للأنباء. وهكذا يمكن أن تحدث تصاعدية خاصة بالمصادر التي لا تنطبق غالباً على تصاعدية المصادر من حيث القدرة وهكذا تم التأكد من أنه بالنسبة لأحد القضايا مثل (مكافحة الإدمان على المخدرات) احتلت الصحافة المكان الرائد بين وسائل الإعلام الجماهيري، أما بالنسبة لتوضيح قضايا أخرى (قضاء وقت الفراغ) مثلاً، احتل التلفزيون والسينما المكان الأول دون منازع فمن المهم الأخذ في

---

(112) - مجلة العلاقات الدولية العدد ٨ ص١٠٢ عام ١٩٩٣م.

(113) - ب.م - فيرســـوف. سبل تطور وسائل الاتصال الجماهيري (بحوث اجتماعية) بطرس بورغ ١٩٩٣ ص ١٨١ - ١٢٠.

الحسبان أثناء تكوين الرأي العام الهادف ليس نوعية وكمية الأنباء المنتشرة فقط، وإنما أيضاً خصائص الوسائل التي تبثها.

- يزداد تواصل الناس بعضهم ببعض في الظروف المعاصرة وتتعاظم إمكانيات وصول الأنباء إلى مختلف أنحاء العالم، فلا تؤثر وسائل الإعلام الجماهيري في الرأي العام في بلدٍ واحد أو في مجموعة من البلدان (الرأي العام في الدول النامية) فقط بل في الرأي العام العالمي. وإلى جانب ذلك أن تتطور التكنولوجيا الإذاعية والتلفزيونية التي توسع العلاقات السياحية وغيرها مع الدول الأوروبية تعود إلى تسرب بعض مصادر الأنباء في البلدان النامية والتي هي معادية إيديولوجياً لها. فإن أكثر الطرائق في المستقبل إقناعاً لفضح العداء الإيديولوجي الغربي هي تكوين القدرة عند كل مواطن من البلدان النامية على تقدير الأنباء القادمة إليه باستقلالية ومن مواقف وطنية قومية وقدرته على فهمها من منطلق اقتصادي لرفع مستوى إخبارية السكان دائماً والسرعة في عمل وسائل الإعلام الجماهيري وفعاليتها).

((تبذل القوى الاستعمارية جهوداً ضخمة لرفع الإمكانات المادية - التكنولوجية لتأثيرها الثقافي الروحي المباشر في شعوب الدول الأخرى))[١١٤].

وفي هذه الحالة لابد من الاستخدام الأكثر فعالية لوسائل الإعلام الجماهيري في عملية تكوين الرأي العام. ويكون حل هذه المسألة مستحيلاً دون تحليله.

لكن دراسة مثل هذه العملية - الديناميكية لا تتطلب - معرفة مراحل تكوين وتطور وقياس الرأي العام فقط، بل تتطلب أيضاً تحديد القوى التي تؤثر

---

(114) - مختار التهامي: الرأي العام والحرب النفسية ص١٢٢.

فيه، فالعالم الاجتماعي البلغاري م. فيه يبرز على سبيل المثال بعض العوامل التي تحدد ديناميكية الرأي كما هو.

وأشار من بينها إلى نظام وسائل الإعلام الجماهيري (التي تحفز نشاط العلاقات بين الناس ..... الخ). وخاصية النظام السياسي -- الاجتماعي، الوضع الاقتصادي - الاجتماعي الملموس والجو السيكولوجي- الجماهيري والصفات الديموغرافية- الاجتماعية لحاملي الرأي العام))[١١٥].

إذ تؤثر كل هذه العوامل فعلاً بشكل أو بآخر في تكوين الرأي العام وكل عامل منها يستحق دراسة خاصة مستقلة عند وجود مصلحة مشتركة للناس في هذه أو تلك من القضايا يمكن التأثير في تكوين الرأي العام المناسب مع ضمان الشروط التالية:

أولاً:

رفع مستوى الأخبار حول مجموعة من المسائل المتعلقة بقضية واحدة.

ثانياً:

تركيز اهتمام الناس عليها بالإشارة إلى أهميتها ومعناها.

ثالثاً:

إحداث التوق لديهم نحو الطلب في النظر بهذه القضية على مستوى عقائدي معين من المعلوم مثلاً، إن قضية قضاء وقت الفراغ من أحد القضايا الملحة في المرحلة الراهنة لتطور المجتمع لذلك تكون وسائل الإعلام الجماهيري مدعوة إلى التأثير في إحداث رأي عام يساعد على قضاء الناس لأوقات الفراغ بعقلانية مع الاستفادة منه في سبيل التطور الفيزيولوجي والروحي.

---

(115) - مينشودراغانوف. قضايا الرأي العام صوفيا ١٩٨٣ ص٢٠٠.

- وهكذا يعترف سكان مدينة مينسك بالتأثير الجوهري الكبير للصحافة والراديو وبخاصة التلفزيون في تكوين العلاقة مع القضايا الحياتية.

ومن الأهمية بمكان أن يطرح السؤال: هل تعطي الصحف والراديو والتلفزيون الأنباء بما يكفي حول مسألة ما؟ وهل ترفع درجة الإخبارية عند الناس إلى حدها الأقصى في هذا الاتجاه؟ يبدو أن الأحوال هنا ليست على ما يرام. لقد أجاب فقط ٣٧% ممن شملهم الاستبيان بالإيجاب على شمولية المعلومات التي تلقوها من المواد المنشورة في وسائل الإعلام الجماهيري بما يخص أين ومتى وكيف يمكن قضاء وقت الفراغ والنصف عبر عن رغبته بالحصول على معلومات أكثر و١٣% وجد صعوبة في الإجابة على هذا السؤال. لقد انعكس نقص الأخبارية كذلك في الإجابة على السؤال: ماذا يجب أن نعمل ليستطيع سكان المدن قضاء أوقات الفراغ بصورة أفضل وأمتع ومتنوعة أكثر. فأعلن الربع تقريباً عن ضرورة توضيح هذه المسألة بشكل أوسع.

- إن تكوين الرأي العام حول أي قضية ليس مرتبطاً فقط بتعاظم مستوى الأخبارية، بل وحث الناس على النظر إلى هذه القضية انطلاقاً من عقيدة محدودة وهذا يتطلب الجدية من وسائل الإعلام الجماهيري وخاصة تلك المرتبطة بقضية قضاء أوقات الفراغ. وهكذا طالب نحو ٣/٢ من سكان مدينة مينسك الصحافة والراديو والتلفزيون والدعاية الشفهية أن تعير انتباهاً أكبر للحديث (للعرض) عن كيفية قضاء بعض الناس والأسر والجماعات وقت فراغهم. والحديث هنا يدور حول وجوب وجود نماذج لتقليدها والتي تدعو إليها وسائل الإعلام الجماهيري. ويتضمن مسألة التأثير الهادف على تكوين الرأي العام ضرورة التوافق الهرموني للأخبار النفعية والمعيارية.

إن وسائل الإعلام الجماهيري حين ترفع المستوى الإخباري حول قضية ما وبإشارتها في الوقت نفسه إلى أهميتها بالنسبة للمجتمع بشكل عام، وبالنسبة لشرائحه الواسعة تجعل منها قضية ملحة وتضعها في صلب الاهتمام. وهذا مرتبط بالأهداف الاستراتيجية والمهمات الفورية لوسائل الإعلام الجماهيري.

وبصورة خاصة عمل تلك الميزات العملية المهمة للصحافة والراديو والتلفزيون كالظهور المنتظم للمواد وتكرارها. وقد أشارت البحوث في مدينة مينسك إلى أن الناس الذي يقرؤون باستمرار الجرائد والمجلات ويستمعون إلى الراديو ويشاهدون التلفزيون ويدركون إلى درجة كبيرة جداً (مثلاً بـــ ٢,٥ مرة) الإلحاح على هذه أو تلك من القضايا بالنسبة للمجتمع وتصور الآثار الاجتماعية لحلها بالمقارنة مع أولئك الذين نادراً ما يهتمون بمواد وسائل الإعلام الجماهيري.

- إن تطور المجتمع يطرح دائماً القضايا التي تتطلب تكوين الرأي العام بالعلاقة بها بمساعدة وسائل الإعلام الجماهيري. مثال ذلك تحسين عمل الخدمات فقد أشار أ.ن. كوسيف ((إن مجال الخدمات هو ذلك المجال الذي يستخدم خدماته دائماً المواطنون كلهم والذي يحدد في كثير من الأحيان مزاجيتهم ويؤثر في علاقاتهم بالعمل وبالمحيطين. لذلك لابد من القضاء على كل مظاهر الشكلية في هذا المجال وتعزيز الاهتمام بمسائل تحسين نوعية الخدمات ورفع مستواها وتشديد رعاية الناس والاهتمام بصحتهم))[١١٦].

فمن جهة يجب على وسائل الإعلام الجماهيري رفع مستوى سمعة العاملين في مجال الخدمات وإظهار أهمية عملهم بالنسبة للمجتمع كله ومن جهة

---

(116) - أ.ن كوسيفين ((البرافدا)) السوفيتية ٥ت٢ ١٩٨٨م.

أخرى المشاركة في تكوين الرأي العام الذي يندد بالحقائق السلبية في هذا المجال.

– وترتبط المصلحة الاجتماعية الكامنة في أساس تكوين الرأي العام بميزات الرأي العام، مثل الانتشار، الشدة، الاستقرار. ويتضمن الرأي العام مجموعات اجتماعية وشرائح كاملة لها تقريباً علاقة واحدة (من حيث المضمون) بالظاهرة والحدث والعملية.

– إن ميزة الانتشار للرأي العام بين مختلف شرائح السكان تتطابق فعلاً (جزئياً أو كلياً) مع جماهير وسائل الإعلام الجماهيري التي خصصت بطبيعتها لخدمة الجماهير الواسعة من الناس.

– يتميز الرأي العام حول قضية ما مأخوذة وحدها بدرجة مختلفة من قوة العلاقة، من العلاقة الإيجابية (المؤيدة) حتى العلاقة السلبية الحادة (التنديد) وتؤثر وسائل الإعلام الجماهيري التي توضح القضية بهذه الدرجة أو تلك من قوة العلاقة تأثيراً جوهرياً في سير عملية تكوين الرأي العام.

وأخيراً تتجاوب تلك الصفة من صفات عمل وسائل الإعلام كالانتظام مع متطلبات استقرار الرأي العام. إن إمكانية خلق الأوضاع الاجتماعية بصورة دائمة أو مع بعض الانقطاعات بواسطة الصحافة والإذاعة والتلفزيون التي تتطلب علاقة تقويمية تساعد على تكوين رأي عام مستقر.

– يعتمد الإنسان أثناء تكوين الرأي العام حول الحدث أو الظاهرة التي تشكل بالنسبة إليه مصلحة اجتماعية وقبل كل شيء على تجربته ومعرفته بالعالم

الخارجي المحيط به. وتصبح العقيدة التي تعد نواة للوعي الاجتماعي والفردي قاعدة لتكوين علاقة الإنسان بالحقائق الحياتية ورأيه فيها.

- إن وسائل الإعلام الجماهيري التقدمية بتنفيذها لوظيفتها الخاصة بها التربية الأخلاقية والعملية والسياسية - الفكرية تنشر بين جماهير الكادحين الواسعة معرفة النظريات العلمية وقوانين تطور المجتمع وتساعد على الوعي المعمق لسياسة الحزب والمسائل الماثلة أمام المجتمع. فبرامج الإذاعة والتلفزيون مسائل معرفية تؤثر تأثيراً ملحوظاً في تكوين الرأي العام وتقوي من المقدرة العقائدية وشهرة آراء الجماهير الواسعة. ولا يمكن إعطاء الصفة المطلقة لمستوى هذا التأثير عن الحديث عن تأثير وسائل الإعلام الجماهيري في تكوين الرأي العام في مراحل قيامه المختلفة، وتشير التجربة إلى أن هناك حدوداً معروفة لتأثيرها في تكوين الرأي.

- والأمر ينحصر في أن بعض القضايا لم توضح أبداً أو أنها موضحة بصورة غير كافية وأن جزءاً من المواد لا يتم استيعابه من قبل الجماهير. وتتجذر أسباب مثل هذه الظواهر في داخل نظام وسائل الإعلام الجماهيري (مثلاً عدم تطابق شكل المواد ومضمونها مع المتطلبات الإعلامية الجماهيرية).

تنحصر مهمة وسائل الإعلام الجماهيري في أن تستجيب للمسائل التي تشكل مصلحة الجماهير الواسعة من السكان بدقة أكثر من حيث المضمون ومدركة أكثر من حيث الشكل وسريعة أكثر من حيث الوقت وفي هذه العلاقة يتعاظم دور الدراسات المنتظمة للرأي العام على مستوى البلد بشكل عام ومع مستوى المناطق ويتسع الاستخدام السريع للنتائج الحاصلة في عمل نظام وسائل الإعلام الجماهيري.

– إن ديناميكية وشمولية المسائل التي تقوم على حلها الآن شعوب العالم تزيد من أهمية التأثير الهادف في الحياة الروحية للمجتمع. ولقد أشار د. عبد القادر حاتم في هذا الصدد: (إن قوة النظام في وعي الجماهير) ويرى المهمة الدائمة في تربية الوعي العلمي والجاهزية والإرادة والقدرة على بناء المجتمع العصري الحضاري)[١١٧].

– إن وسائل الإعلام الجماهيري بتكوينها الرأي العام الموجه نحو حل المسائل التي تطرحها الحياة تعرض بوضوح مهماتها الاجتماعية الرفيعة.

(117) – د. عبد القادر حاتم، الإعلام والرأي العام ص٩٢.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثاني

الإعلام الشفهي في عملية تكوين الرأي العام وتوظيفه

يحتل الإعلام مكانة مهمة بين وسائل التأثير الفكري الآيديولوجي التي تشارك بنشاط في عملية التكوين الهادف للرأي العام بينما في نظام التثقيف السياسي والاقتصادي يعمل ملايين من الأشخاص في مجال الدعاية كأعضاء في جمعيات علمية ثقافية، من بينهم حزبيون ونقابيون وشبابيون وأكاديميون ومديرو مؤسسات ومصانع وورشات بناء، واقتصاديون في الاقتصاد الوطني وأدباء وفنانون ومدرسون في مجال التعليم العالي ومعلمو مدارس وغيرهم [118].

وتشمل أشكال الإعلام الشفهي الذي يضمن عملية (التعليم والتثقيف السياسي والتثقيف الاقتصادي والتعليم الشبابي...الخ) عدداً كبيراً من الناس ويشكل جمهور محاضري الجمعيات الثقافية عدداً يصل إلى عشرات الملايين من الناس في العالم [119].

وقد حذر م.أ. سوسلوف من عدم تقدير أهمية الإعلام الشفهي في الظروف الراهنة بقوله من الصعب ومن المستحيل عموماً الوصول إلى كل جماعة عمالية (ورشة، مجموعة) وإلى كل إنسان دون الإعلام الشفهي لموضوع والمعد جيداً وبشكل واسع. والتحريض السياسي والكشف للإنسان عن المعنى الكبير عن النشاط اليومي وربط الأهداف السياسية والحكومية العامة بالمهام الاقتصادية والسياسية الملموسة التي عليها أن تحلها في مكانها [120].

إن التثقيف السياسي والتعليم الشبابي يحتلان مكانة مركزية في الإعلام الشفهي. بحيث أصبح التثقيف الاقتصادي الآن جزءاً لا يتجزأ من تكوين العقيدة

---

(118) – انظر (الحياة الدولية) ١٩٨٧ رقم١٠ ص٢٣.

(119) – ((الأسس العامة للدعاية السياسية)) مواد المؤتمر العالمي. موسكو ١١-١٣ شباط ١٩٨٩ ص٧-٨.

(120) – انظر ميخوتسيف ميخايلوف. نيناشيف. محاضرة في تقدير المستمعين موسكو ١٩٩٣ ص١١-١٢.

السياسية والفهم العميق لسياسة الدولة وقد لاقت انتشاراً واسعاً أشكال الإعلام الجماهيري تلك مثل: مدارس العمل والجامعات الشعبية.

ويعد الإعلام الشفهي حلقة مهمة من حلقات العمل الأيديولوجي ووسيلة جيدة لتربية السكان تربية علمية وتكوين العقائد السياسية. ولهذه الحلقة إمكانات هائلة حقاً وكأنها إمكانات إضافية للتأثير في توجهات الناس الاجتماعية والفكرية بالمقارنة مع وسائل الإعلام الجماهيري.

لقد طرح السؤال التالي في الاستمارة التي وزعها علماء الاجتماع في مدينة تشيليابينسك: ((ماذا تختارون لو عرض عليكم سماع المحاضرة نفسها في الإذاعة أم التلفزيون أم في القاعة؟)) وبناءً على أجوبة المستفتين فقد فضل ٧٨ % منهم سماع المحاضرة في القاعة. وعند تحليل دواعي هذا الاختيار أوضح الباحثون أن الأكثر أهمية بينها الطلب في التواصل مع المحاضر كما مع الناس الآخرين الجالسين إلى جانبهم.

لقد أصبح للإعلام الشفهي مكان حقيقي في التأثير مباشرة وبفعالية في تكوين الرأي العام حول القضايا الملحة كاشفاً عن جوهرها من منطلق الأيديولوجيا المطروحة والموقف الطبقي والعلاقة الحزبية بها عندما تستخدم الطلب في التواصل مباشرة مع الإنسان المحضر جيداً الذي يمكن توجيه السؤال إليه والحصول منه على الجواب الضروري فوراً.

لا يستطيع أي شكل آخر من أشكال الإعلام أن يسمح بهذا القدر من التعمق في الرفض المدعوم بالحجج للأحكام الكاذبة ودعم كل جديد وطليعي ويتجاوب بسرعة مع المتطلبات الفكرية للشعب. ويتطلب استخدام أسلوب الإقناع في الإعلام الشفهي من الإعلام نفسه أن يضع الناس في ذلك الموقف الذي يحفزهم إلى تبادل الآراء ومقارنة وجهات النظر المختلفة .... وتسمح عملية النقاش الموجه من قبل الإعلامي (رجل الإعلام) للناس الخوض بشكل أعمق في

جوهر هذه أو تلك من الظواهر وتكوين الخبرة في الفهم المستقل للحقائق الاجتماعية. وبالنتيجة تتم عملية إغناء مضمون الرأي الفردي ومن خلاله الرأي العام.

بيد أن تبادل الآراء ليس مهماً بحد ذاته فقط والجوهر هو أن الإنسان لا يبقى غير مبالٍ بالأنباء التي تصله وإنما يفهما بشكل معين ويطرح أسئلة ويفتش عن أجوبة عنها حتى أثناء الدروس والمحاضرات. وتتكون الرغبة عند الكثيرين في التحدث عن ذلك في الأسرة ومع الأصدقاء والرفاق في العمل، ويسعى آخرون وراء الحصول على معلومات إضافية بناء على هذه الأسئلة.

ولا ينحصر التأثير الذي يبديه الإعلام الشفهي في أطر ووقت اللقاء المتبادل للإعلامي والجمهور. بل تستمر عملية فهم وتقدير المعلومات الواصلة بعد الدروس والمحاضرات أيضاً وهنا تحصل الأنباء على أهمية خاصة بالنسبة للمستمعين وتدخل في نظام نشاط ومصالح الإنسان وتتحول من حالة (خارجية) (غريبة) إلى ((داخلية)) (خاصة) وتثبت في وعيه.

وليس نادراً ما تتضح أثناء تبادل الآراء والانطباعات علاقة الناس النهائية بالأنباء الواصلة ويظهر تطابق أو اختلاف مواقفهم. وفي هذه الأثناء تقوم بحوث بجمع الأحكام الفردية المتشابهة وتكوين الآراء الجماعية والمجموعاتية على هذا الأساس.

وغالباً ما يتم في الأدبيات الخاصة تصوير فعل عمليات التقليد والعدوى وغيرها التي تخفف على الإعلامي التغلب على الحواجز المواصلاتية (الإرشادات، القوالب، الآراء) التي ترفع إلى درجة كبيرة من إمكان التنفيذ الناجح للتأثير الهادف [١٢١].

---

(121) - انظر ((مسائل الدعاية بوساطة المحاضرات)) الإصدار ١ موسكو ١٩٩٣ ص ٥٠-٦٦.

والشرط الأهم هنا كقاعدة لابد منها هو أن الجماهير والإعلامي والمحاضر يعرفون بعضهم بعضاً بشكل جيد. فحين يتوجه الإعلامي عن طريق الصحافة أو الإذاعة أو التلفزيون إلى جمهور غير معروف ليس له صفة ما، وواسع جداً،وغالباً ما يبلغ عدده ملايين من الناس، أما بالنسبة للمحاضر فإنه عند تنظيم المحاضرة العلنية يكون عدد الجمهور محدداً بصورة ما.

وتسمح خاصية الإعلام الشفهي للمحاضرين والإعلاميين حتى قبل وصول الجمهور والحصول على تصور كافٍ وواضح عن مواصفاته الديموغرافية والاجتماعية المهنية وأثناء سير المحاضرة أو الدرس والموضوعات والمصالح والمعايير ذات الأفضلية للمستمعين. عند تقديمه بعض المعلومات للجمهور يتلقى الإعلامي بإيجابية الانتباه أو عدم الانتباه الفهم أو عدم الفهم التأييد أو عدم التأييد.

إن أخذ خصائص جمهور معين (مصالحه ومعاييره) يسمح للمحاضرين والإعلاميين استخدام أساليب الطرح والبراهين و المناسبة تماماً لهذه الحالة ولهذا الجمهور وبذلك يكون قد ضمن في الواقع الطريقة المناسبة للإعلام و(الدعاية) الشفهية.

إن المستوى العالي من المعارف عند المحاضر والإعلامي وقدرتهما على الإقناع بصحة ما يقال من موضوعات وكسب ثقة المستمعين بهما كل ذلك يسهل بلا شك (ويضمن) تحقيق المهام الماثلة أمام الإعلام الشفهي. بل تساعد سمعة وشهرة مصدر الرأي والحكم على إزالة الشكوك إلى فترة طويلة محددة علاقة الناس بهذه أو تلك من الظواهر الواقعية.

وتترك خاصية الإعلام الشفهي المشروطة بظروف نشاط أو عمل المحاضر والإعلامي تأثيراً متبادلاً في وسائل الإعلام الجماهيري (الصحف،

الإذاعة، التلفزيون). ويحل الإعلام الشفهي ومعه وسائل الإعلام الجماهيري الأخرى ثلاث مسائل أساسية أثناء عملية تكوين الرأي العام:

أولاً: - يحقق مهمة (تثبيت) ما تكون من الرأي العام الذي يثمن تماثل هذه أو تلك من القضايا والظواهر في الحياة الاجتماعية والعادات وغيرها.

ثانياً: - يساعد الإعلام الشفهي على تكوين الرأي العام حول المسائل التي لم تتكون بعد ويدخل هنا العمل المشترك للمحاضرين والإعلاميين والمعلقين السياسيين والصحفيين وغيرهم بما يخص القيام بحملات إعلامية معينة وكذلك عملهم بخصوص توضيح تلك القضايا والمسائل التي لم تحصل على توضيح كافٍ في مواد الصحف والإذاعة والتلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى.

ثالثاً: - مهمة الإعلام الشفهي هي تغيير رأي وسلوك تلك الجماعات والأفراد الذين لديهم آراء خاطئة بصدد بعض المسائل والذين تكونت لديهم اعتبارات تتناقض مع معايير السلوك المعترف عليها في المجتمع الإنساني. ويرتبط هذا بأنه في مجتمعنا بما لدى الناس من آراء متباينة وخاطئة حول بعض مسائل الحياة الاجتماعية وبما تتبع به الآراء الوهمية الخيالية وحسب العادات والتقاليد البالية أو ((المستوردة من الخارج)).

يحقق الإعلام الشفهي تكوين الرأي العام على أساس من الأنباء المعينة وبوساطة التقدير المبدئي الذي يقدمه المحاضر لهذه أو تلك من الظواهر المهمة اجتماعياً في الواقع أثناء قيام المحاضرة نفسها أو بعدها أثناء الأجوبة لتفسير الأسئلة غير الواضحة التي تقلق الناس. وهذا التقدير يعطى على أساس النظريات العلمية ويعتمد على قدرة وشهرة الرأي العام المعبر عنه سابقاً.

وباستخدام القدرة والتأثير الكبير والشهرة للرأي العام على الحياة الاجتماعية بشكل عام وعلى التوجهات الاجتماعية وأفعال بعض الناس. يحصل الإعلام السياسي (ومن ضمنه الإعلام الشفهي) على إمكانات حقيقية لتنفيذ المهمات التنظيمية والتربوية الماثلة أمامه بصورة فعالة: [تكوين موقف الناس من هذه أو تلك من القضايا والظواهر والحقائق الواقعية وغيرها] والشيء الرئيس تنظيم سلوكية بعض الأشخاص الجماعات على مستوى علاقاتهم المتبادلة مع المجتمع (الجماعات أو المجموعات) وعلى مستوى العلاقات فيما بينهم.

إن العمل باتجاه التعبير عن الرأي العام يعطي عمل المحاضر الإعلامي طبيعة البحث الواضح ويتطلب ذلك منهما الاطلاع الواسع على أمزجة الجمهور وآرائه ومعرفة مصادرها وهذه المعرفة ضرورية للنقد الجدي للآراء والنماذج السلوكية والتي إذا ما اتبعت ستؤدي إلى التأييد الاجتماعي وإلى تحقيق رغبات ومتطلبات الناس الملحة.

وهكذا لا تشمل وظائف وسائل الإعلام كل وظائف الإعلام الشفهي أثناء عملية تكوين الرأي العام. فالإعلام الجماهيري الشفهي يصنع طرائقه الخاصة به ليعكس الواقع (ومن بين هذه الطرائق تكوين الرأي العام) التي تأخذ بالحسبان متطلبات الجمهور الراهنة وفي أثناء سير عملية تنفيذ مشروع ((تاغاروغ))[١٢٢] ثم تحقيق تحليل متعدد الجوانب لمصالح المستمعين وتصورات المحاضرين عن هذه المصالح. وأظهر هذا التحليل أن المحاضرين في مجال القضايا السياسية الاجتماعية وجمهورهم ينظرون إلى المحاضرة كوسيلة أساسية لانتشار برنامج المعلومات النظري القائم.

إن التحديد والحيوية من أكثر الصفات الجوهرية للإعلام الذي يعد ضرورياً للنشر من قبل المحاضرين في مجال السياسة – الاجتماعية والسعي

---

(122) – قام بهذا البحث (الدراسة) معهد البحوث الاجتماعية التابع لأكاديمية العلوم السوفييتية في عام ١٩٨٩.

لما يجب أن يحصل عليه الجمهور في المحاضرات المتنوعة ولقد سمحت هذه الدراسة بتسجيل ما حصل عليه. فمن جهة تدل نتائج البحوث الاجتماعية المتعددة بلا شك على أن الناس يتلقون النبأ الأول من الراديو والتلفزيون والصحف، أي من المصادر التي تتمتع بتفوق كبير بلا جدال في مجال الإعلام ثم عن طريق المحاضرات في مجال نشر النبأ الحيوي عن الأحداث).

ومن جهة أخرى يسعى جمهور المحاضرة إلى الحصول ويحصل في المحاضرات على النبأ السريع أيضاً الذي إذا اتبعنا منطق العبارة السابقة يجيب المستمعين ويعرفهم على ما يريدون قبل المحاضرة عن طريق الأخبار في الصحف والإذاعة والتلفزيون وبعدها في المحاضرة.

وأشار البحث المتعمق السابق إلى أن إزالة التناقضات المشار إليها تتم بوساطة الاختلاف في طرق إعداد وعرض ونقل هذا النبأ أو ذاك العائد إلى الإعلام الشفهي ووسائل الإعلام الجماهيري. وتملك الصفات التي يتميز بها عرض المحاضر مثل التجديد والحيوية وغيرها التوافق مع فعالية وسرد المادة فيعطيها خاصتها التي تصنف كل جوانب المعلومات المنتشرة وإذا كان التعليق الصحفي يؤثر بشكل عام وبخاصة في الجريدة حسب رأي بعض الباحثين فإنه ليساعد على تفسير جوهر وآثار الحدث بقدر ما يؤثر في تحضير النبأ للاستخدام الفعلي المفيد [١٢٣]. فمن الواضح أنه في تعليق المحاضر تفسير للجوهر وأثار الحدث وربط علاقته (شراكته) مع الأحداث والظواهر الأخرى حيث تدفع إلى المقدمة. تراقب المظاهر التطبيقية أشكال الإعلام الشفهي المشار إليها فتدفع الجمهور إلى دور المصدر المعتمد في المحاضرات والدروس وفي النظام السياسي .

---

(123) – انظر بي.بي برونين. الصحافة والرأي العام موسكو ١٩٩١ ص٤٨.

إن شمولية المعلومات التي ينشرها الإعلام الشفهي تكون مشروطة في كثير من الأحيان بصفة خاصة وهي التجديد الذي يتم ضمانه بنشر الجديد المطلق للنبأ الواصل لتوه وكذلك بالمقدرة على إظهار الجديد فيما هو معروف.

وبتعريض الحقائق والظواهر والأحداث وعمليات تكوين الرأي العام الملحة للدراسة المتعددة الجوانب التي تجد لنفسها مكاناً في الداخل وفي الخارج ومتابعة علاقاتها بالحقائق والأحداث والظواهر والعمليات الأخرى يعطي المحاضر والإعلامي خبراً له نوعية جديدة يبدو بالنسبة للمستمع وكأنه غير معروف من قبل وتفسر بذلك المسائل الناتجة.

وهكذا فإن الإعلام الشفهي ووسائل الإعلام الجماهيري لا تنفي بعضها بعضاً بل تكمل الواحدة منها الأخرى وتساعد الطرائق المختلفة على أعداد نقل الأنباء مع استيعابها بعمق وشمولية أكثر.

إن وسائل الإعلام الشفهي بطرحها المتعدد الجوانب وبشرحها لظواهر الحياة الاجتماعية الملحة وبإظهارها الجديد فيما هو أصبح معروفاً تفصح عن دورها الخاص في تكوين الرأي العام وتعطي الأبحاث في الوقت نفسه الحق في عد النشاط العملي للمحاضرين والإعلاميين في مجال تكوين الرأي العام إلى جانب ما أشرنا إليه أعلاه من القضايا الموضوعية ما يجعل التحويلات السلبية المتنوعة تعبر عنها ما يمكن أن تساعدها على تطورها في الظروف الخاصة نحو التأثير الإعلامي الشفهي المطلوب [١٢٤].

ويبدو أن استفتاءات رأي المحاضرين في مجال القضايا السياسية الاجتماعية والإعلاميين في مجال نظام التثقيف السياسي في /تاغانروغ/ فقد أظهرت فهماً متنوعاً للغاية عندهم ووضوح دورهم في عملية تكوين الرأي العام حيث عدت الأكثرية منهم أنه في حال عدم تطابق وجهات نظرهم بخصوص

---

(124) – عبد الوهاب كحيل: (الإعلام والرأي العام) ص١٥٠.

هذه أو تلك من الأحداث السياسية – الاجتماعية مع عدم تقديرها من قبل الصحافة والإذاعة والتلفزيون. ولابد من التعبير عن وجهة النظر الرسمية للمستمعين إلى جانب التعبير عن وجهة النظر الخاصة بهم.

إن هذا التوجه نحو إخبار المستمعين بالنبأ الخاص (غير الرسمي) والتعبير عن وجهة النظر الخاصة الأخرى تكشف عدم تناسي مثل هؤلاء المحاضرين للتعاليم العلمية حول دور الإعلام وكيف ينظر دائماً إلى نفسه بأنه ممثل للسلطة يعكس آراءها فقط ولا يقل عنصر المفاجأة أهمية في نتائج تحليل مضمون المحاضرات حول القضايا السياسية – الاجتماعية وكيف تتم عملية الدعاية لتفوق البناء الحضاري وكيفية مساعدة المحاضرين على تكوين العلاقة المناسبة للمستمعين وأخذ ظروف حياتهم في الحسبان في شتى بلدان العالم.

لقد قام التحليل على الشكل التالي: برزت في المحاضرات عناصر المضمون أي مقتطفات مؤلفة من جملة واحدة أو عدة جمل تتضمن فكرة مكتملة (حكم مع تقدير) فيما يتعلق بالصفات الأكثر جوهرية (خصائص لبناء الحياة) يعكس الاختلافات الجذرية في صلب طبيعة الأنظمة السياسية وصفات نظام الاقتصاد طبيعة معيشة الناس، طبيعة الديمقراطية، طبيعة الأيديولوجيا، طبيعة الأخلاق، طبيعة ظروف التطور، وطبيعة بنية الشخصية.

وأظهر التحليل بخاصة أن نصف ما أشير إليه من عناصر المضمون في المحاضرات حمل إلى جانبه علامة (+) والنصف الآخر علامة (–).

يبدو من الوهلة الأولى أن توزيع التقديرات مرضٍ للغاية.

وتتحدث عن التحليل المتعدد الجوانب للظواهر وحسبان الجوانب الإيجابية للتطور والجوانب السلبية مما يعد بحد ذاته عاملاً مهماً من عوامل

التربية. فالقناعة تحصل على ثبات كبير وعلى الوزن والأهمية. إذا كانت توجد بين العناصر السلبية والإيجابية[١٢٥].

كما أن هذه التكملة المتبادلة للتقديرات السلبية والإيجابية غالباً ما تغيب عن جوهر المحاضرة.

ظهرت مثلاً نتيجة للتحليل الحقيقية التالية: أثناء توضيح مسائل طبيعة الحياة يدور الحديث حولها بشكل عام بصورة إيجابية. أما الحديث عن مدة معينة وعن حياة السكان فيها كان سلبياً. وواضح أن فائدة مثل هذا النوع من المحاضرات يكشف أين الإيجابي العام والسلبي الخاص في افتراضية الهدف. وهذا يمكن أن يقود إلى أن علاقة الناس بطبيعة الحياة ستتكون ليس على أساس الأنباء الإيجابية العامة حول العمليات الجارية في البلد بشكل عام فقط بل على أساس الأنباء السلبية الخاصة القريبة من تجربة الفرد ((المباشرة)).

ومن المميز أن نتائج التحليل الكمي لمضمون المحاضرات حول الموضوعات السياسية الاجتماعية بشكل عام تتطابق النتائج الحاصلة أثناء عملية الانتقاد والتواصل.

وهكذا يضع المناقشون في عداد نواقص المحاضرات الأكثر جوهرية وأحياناً التي تمر لتوها انتقاءً وتفسيراً للحقائق والأمثلة في آن واحد واستبدالاً بالتحليل الإيجابي الطريقة الإيجابية والتزويق الذاتي لبعض الحقائق ولبعض جوانب الحياة المعاصرة وتسويد سمعة الأخرى وعدم مقدرة بعض المحاضرين على عرض تفوق الديموقراطية بالإقناع وبالحجم والكشف عن منجزات حضارية توحد كل الظروف والشروط لتطور الشخصية الإنسانية وهذا يؤكد

---

(125) – شتارتشينكو. التركيب المنطقي لقياس ((القناعة)) /مجلة كلمة المحاضر/ ١٩٩٢ رقم٣ ص٥٤.

مرة أخرى على التشابك المتين وصلابة المهمات في تكوين الرأي العام وجمع وتحليل وتعميم الأنباء الاجتماعية الضرورية لتنفيذ العملية الأيديولوجية بنجاح.

إن هذا العمل صعب جداً وبالأحرى يفوق طاقة الإعلامي – الاجتماعي لذلك يتم القيام بهذا العمل من قبل لجان واعية عديدة يدخل في عدادها اختصاصيون في علم الاجتماع وسيساعد الإعداد اللاحق لأشكال هذا النشاط السريع والفعال المحاضرين والإعلاميين في الكشف عن تفوق النظام الديمقراطي على أساس من الأمثلة الحياتية الساطعة والكشف عن تفوق الأيديولوجية العلمية ونماذج الحياة والعمل المسؤول رغم حسبان التغيرات الصغرى في موضوع التأثير والظروف المحلية لحياة وعمل الناس والآراء المتكونة والعادات والتقاليد وغيرها. وبتعبير أبسط ((ربط الديمقراطية والنضال السياسي بكل مسألة عملية ضيقة))[١٢٦].

كل ذلك يساعد على رفع مستوى فعالية الإعلام الشفهي وتقوم الوسيلة القوية الضخمة والديناميكية للتأثير في الرأي العام.

والمصدر الإعلامي (ليس الجديد والحيوي فقط) ولكن في الوقت نفسه المتعدد الجوانب الموسع والمدعم إلى أعلى الدرجات حيث يساعد الناس على تفهم القضايا السياسية – الاجتماعية والحصول على تفسير مسائل السياسة الخارجية والداخلية بعمق أكثر من مواقع التفكير العملي.

---

(126) – /وسائل الاتصال الحديثة/ وبناء الذاتية الثقافية. د. نبيل سليم – مجلة الوحدة – العدد ٥٤ ص١٦٨ عام ١٩٨٩.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثالث

التحريض السياسي في نظام وسائل التأثير الهادف في الرأي العام

كان التحريض السياسي ولا يزال مجالاً لنشاط الدول المتنوع، وأحد أشكال علاقة الدولة الدائمة والثابتة بالجماهير، والأداة الفعالة بيد القادة السياسيين ووسيلة لتربية الجماهير وجذبها لحل المسائل الملحة في عملية التطور الاجتماعي.

يبنى التحريض السياسي على قاعدة الإعلام المنظم والواسع للسكان عن حياة البلد الثقافية والاقتصادية والسياسية وعن الأوضاع الخارجية ويتميز بتنوع الأشكال والأساليب المستخدمة ومضمونها الهادف عبر الصدق والوضوح والبساطة في طرح الموضوعات الساخنة وسرعة تغطية الأحداث بالحقائق والظواهر الحياتية الاجتماعية والحيوية وتنظيم الشروط اللازمة للنجاح، وتحديد قدرة تأثيره في الناس، ومن صفاته السلبية المطلقة الابتعاد عن القضايا اليومية الملحة.

وبما أن التحريض يعد البرهان الملموس والمقنع لربط العلاقة الحية لقرارات الحكومة لمهام الجماعات الإنسانية وبواجبات كل عضو فيها على أساس من الحقائق والأمثلة لمساعدة الناس على الفهم العميق للأهمية الاجتماعية لعملهم من حيث الجوهر وتوضيح كل حقيقة خاصة بوساطة التحليل النظري الدقيق (١٢٧).

فإنه يهدف إلى الحصول على عمل واع للجماهير فيما يتعلق بتنفيذ سياسة الدولة وتعليماتها وإرشاداتها السياسية بحيث تصبح تربية الجماهير الأخلاقية والعملية و السياسية – الفكرية من المهمات الأساسية للتحريض الشفهي والكتابي.

إن للتحريض مجاله الخاص الذي يتفوق فيه أمام غيره من وسائل التأثير

---

(127) – انظر: محمد بوعزي أي إعلام؟ وفي خدمة من؟ مجلة الوحدة العدد ٥٤ ص٣٥، ١٩٨٩.

الإيديولوجـــي . التحريض السياسي الشفهي يضمن التغطية الكاملة لكل جوانب الحياة الاجتماعية ولكل نتائج النشاط العملي ونتائج البناء الاقتصادي والحضاري ومهمـــات التطور اللاحق للإنتاج. وبما أنه يقوم على أساس التواصل الحي مع الناس، فإنه يعطي الإمكانات بالأمثلة الملموسة والواضحة والمفهومة للناس وفي عـــرض الـــنجاحات خلال عملية البناء ويفسر ويشرح سياسة الدولة وقرارات الأجهـــزة الحكومـــية ويرفع النشاط الاجتماعي والإنتاجي للجماهير عبر دراسة أمـــزجة الناس والانتباه في الوقت المناسب إليها، ويقيم حواراً مفتوحاً وصريحاً مع الجماهير حول النواقص والصعوبات وطرق التغلب عليها والوصول إلى كل فرد بالكلمة الصادقة والعمل الناجح.

إن أخـــذ هذه المتطلبات في الحسبان أثناء تطبيق التحريض الشفهي يساعد على توفـــير جو من العلانية الإخبارية والاهتمام بنتائج العمل العام في الجماعة.وفي هذه الظروف بالذات تتأكد روح المسؤولية العالية لما أوكل إليه من أعمال وعدم مهادنـــة التقصير والأنانية وغيرها من الظواهر السلبية، فيخلق هذا الجو الروح الإبداعـــية التنافســـية ويساعد على النشر الأوسع لأفضل الطرق والأساليب في العمـــل لأن غـــياب الأخبار المقنعة والموثقة والمفصلة حول دور كل عامل في نتـــيجة العمـــل ودور عمل الطليعي في الوعي الجماعي، ويؤدي إلى عدم فهم الـــناس للـــدور الفردي المتقدم وقتل عامل التحفيز المعتمد على الاهتمام المادي الخاص.

بـــيد أن درجـــة الأخبار لا تحدد تشابه انعكاس ظواهر الواقع الاجتماعي وذلك لنقصـــان مستوى إثارتها ولتباعد أحكام مختلف العمال حول هذه المسألة أو تلك وفي أوقات مختلفة.

ويتضـــح أيضـــاً أن تطـــابق المصالح هو أمر طبيعي لا يمكن أن يجعل هذه المصالح مستوعبة ومدركة بطرق مختلفة. وأثناء نقصان أو غياب الأخبار تحدد

وجهة نظر الناس إلى درجة كثيرة بوساطة تجربتهم الحياتية المباشرة وتصوراتهم البسيطة وكلما كانت معرفتهم للأخبار أوفى اعتمدوا على هذه التصورات التي تصبح محدوديتها مشروطة في أطر تفاعل (التأثير المتبادل) للفرد ووسطه حين تكثر الآراء المبتذلة فإن الرأي الصحيح يعود إلى الاعتماد على الأخبار الموضوعية، فيرتفع مستوى الآراء المدعمة بالحجج ويمكن لمضمون الرأي العام في بعض الحالات أن يختلف جوهرياً عن تلك الأفكار التي يحملها الإعلام.

إلا أن هذا الاختلاف يمكن أن يكون كاملاً أو جزئياً بالعلاقة مع ظروف كثيرة وفي مقدمتها طبيعة المصلحة المشار إليها ودرجة استيعابها من قبل الناس وتحصل الظاهرة على تسمية عندما يبدي سيل الأنباء تأثيراً مفاجئاً يقود تقريباً إلى نتائج متناقضة وهذا ممكن فقط في الظروف التي يتناقض فيها النبأ مع الآراء والإرشادات القائمة فعلاً.

لذلك تكون المقاومة النفسية لهذه الأنباء ثابتة للغاية، ويفسر العالمان الألمانيان غ.غيبس وم.غوردبرغ هذه الظاهرة بأنها ((توجه تغييرات الإرشاد ليرتبط بالنظام الواسع المعد مسبقاً لمقدرات الإنسان المناسبة، ولا علاقة نسبية لها بمضمون التحريض))[١٢٨] وبالتالي يستطيع التحريض الهادف إلى تغير إرشاد ما، أن يمتلك حظاً أوفر في النجاح حين لا تكون التصورات السابقة التي رفضت بقوة البراهين الجديدة قد ثبتت نفسها في النظام العام لمقدرات الفرد.

ومن الطبيعي أن تصادف الأنباء في طريقها إلى قلب وعقل الإنسان مثل هذه العوائق التي يتوجب عليه إزالتها إذا وضعت في الحسبان خواص موضوع التأثير الإعلامي وترقب الناس وإذا لبت الرغبات وطورت متطلباتهم الروحية وباختصار إذا تناسبت مع الإرشادات الاجتماعية. وفي هذه الحالة يرتبط كل

---

(128) - غ.غيبش وم م. غوردبرغ، مدخل في علم النفس الاجتماعي موسكو ١٩٩٢/ص١٨٢.

شـــيء بطبيعة الأنباء فعلاً وبسعتها وطرائق عرضها، ولكي تحصل على مثل هذه الحالة لابد من الأخذ بالحسبان متطلبات الناس وأمزجتهم واكتساب الأولوية فـــي تكويـــن الإرشادات الاجتماعية، فيتم تحديد توجه الرأي على الأغلب بفعل الفهـــم الأول لهـــذا أو ذاك النبأ. أما الأنباء المنبثقة إذا لم تكن متناسبة مع النبأ الأول يفـــترض العـــدول عن التصور القائم وهذا أصعب بكثير في تكوينه من (الفراغ) كما يقال. لذلك تعطى الأولوية في نقل النبأ وتكوين الإرشاد المماثل له تفوقاً واضحاً في مجال إعداد المناعة لاستيعاب الحجج ذات الطبيعة المغايرة.

ومـــن المهم بصورة خاصة أخذ هذا في الحسبان أيضاً في الظروف الخارجية، ومـــثل هذه الأولوية ترفع من فعالية العمل التحريضي الجماهيري وتساعد على قطع مختلف الأقاويل وعلى عدم تكوين الثقة بمصدر النبأ.

وهذا في الوقت نفسه يستدعي دعم جو الكثافة الإعلامية مما يؤثر على مضمون وفعالية الرأي العام.

لقـــد أشارت نتائج الدراسة التجريبية الانتقائية للرأي في مدينة ((كييف)) حول الوضـــع الأمنـــي في المدينة والإجراءات المتخذة لتعزيزه إلى أن ٤,٢% ممن سئلوا يقدرون اطلاعهم على وضع مكافحة الجريمة في المدينة بدرجة جيدة، و ٣٦,٧% يقدرونـــه بدرجـــة وسط وعلى ٣٩,٣% بأنهم مطلعون على ذلك لكن بدرجـــة سيئة (ضعيفة) أما ١٩,٨% منهم لم يجيبوا عن الأسئلة. هل يمكن في هذه الحالة الاعتماد على الاجتماع في تقديرات الإجراءات لتعزيز الأمن؟ طبيعي أن يرى كل شخص ويسمع أو يقرأ فهل يكفي كل هذا لتكوين رأي صحيح حول ماهو ضروري القيام به لرفع فعالية مكافحة الجريمة؟

يـــرى ٣/٢ من المستجوبين أن أفضل الطرائق لتحقيق هذا الهدف هي تقوية الإجراءات المنصوص عليها في قانون العقاب على الجريمة، ٣٤,٢% عبر عن

تحسين الوقاية من مخالفة القوانين وتقوية التأثير التربوي في الجماعات العمالية وعلى من يخالفون القانون.

وأشار ٤٦,٣% إلى ضرورة الاشتراك الأوسع للأوساط الاجتماعية في مكافحة الجريمة والمجرمين [١٢٩].

وعندما يكون الرأي العام في حالة لا يستطع فيها التوظيف الكامل لسيل المواد الجديدة العملية الملموسة والضرورية وإنما لتأكيد وتجديد الإرشادات الاجتماعية فإن هذا يستدعي سيلاً من الأنباء المعينة الضرورية للفرد كالشعور بالروابط المتصلة والمستمرة مع الوسط كدافع لتطوره الروحي.

إن التواصل الإعلامي يغذي الشعور والانفعال والعقل عند الإنسان ويؤثر تأثيراً نشيطاً في تكوين الشخصية الوطنية و الاجتماعية النفسية.

وهذا نوع خاص من الأكسجين في الأجواء الروحية للفرد الذي بدونه يصبح التكوين الاجتماعي الفعلي والتطور اللاحق غير معقولين. [١٣٠].

يجب التعامل مع خصائص الإعلام من وجهة نظر كمالها، ودرجة عكسها للعمليات الحياتية الحقيقية وتناسبها مع مصالح الناس وتوجهاتهم الصحيحة نحو ظواهر الواقع المحيط. لأن الإعلام ليس وسيلة لتكوين الرأي العام فحسب بل هو شرط حتمي لوجوده وشكل من أشكاله وبدونه لا يمكنه إظهار نفسه. ويكون تفسير مصطلح ((التكوين)) ذاته كتحقيق لمثل هذه الحالة غير صحيح عندما يكون الرأي العام قد استقر في تطوره، عندما يتكون ذات مرة لا يعني أنه سيبقى دون تغيير. فتدعم وسائل الإعلام الجماهيري والتحريض الشفهي باستمرار العاملين بمعلومات جديدة وجديدة عن الأحداث في الجماعة وفي البلدان وفي الخارج،ويبحث الإنسان في السيل الهائل من الأنباء وقبل كل شيء

---

(129) - انظر أ.ب اكاليوس – التأثير الاجتماعي والوقاية من المخالفات القانونية كييف ١٩٩٤ ص١٣٨-١٣٩.

(130) - ((الإعلام السياسي وبعض المسائل النظرية والتطبيق)) موسكو ١٩٨٤ – ص١١.

يستوعب النبأ الذي يتناسب مع أوضاعه الاجتماعية. بيد أن الاحتكاك بالمادة الجديدة لا يؤكد صحتها وأثرها في الشعور بالرضا ولا يوسع ويعمق التصورات عن الأحداث والحقائق، فهو يستدعي النشاط المعين في الوضع الاجتماعي لتلك التفاوتات الطفيفة التي تكونها وتكيفها الأوضاع الجديدة باستمرار إذا لم نقل جذرياً، فجوهرياً. وهذا بدوره ينعكس على جوهر الرأي.

إن تكوين الرأي العام هو العملية التي لا تتقطع بل تؤكد آراء معينة في وعي الناس باعتباره حالتهم المسجلة. ويستمر مادام الرأي نفسه مستمراً حول قضية بعينها، ويعني استقرار الأوضاع والرأي العام.

إن هذه العملية تجري كقاعدة لها ببطء شديد فيما تتراكم التغيرات أحياناً لسنوات وحتى لعشرات السنين. وتحدث هذه التغيرات دائماً تحت تأثير الظروف الحياتية والأخبار المتناسبة حول المسألة التي تعد موضوعاً للرأي العام.

إن الأخبار الجديدة بتلبيتها لمتطلبات الناس بالأنباء تدفع وتطور وتغني اهتماماتهم ويؤدي إتقان حسبان هذه الاهتمامات دوراً كبيراً في العمل الأيديولوجي فيعد مقدمة من المقدمات الضرورية لفعاليته وكما أن العمل الفكري التربوي في معناه المعروف ما هو إلا تكوين الرأي العام والضمان الإخباري لتوظيفه وتأثيره في الناس أما صنع رأي عام محدد يعني تحقيق إدراك الاشتراك المتبادل للاهتمامات الفردية والعامة على المستويين النظري والتطبيقي.

وترجع هذه الاهتمامات على المستوى النظري إلى المقدرات المؤسسية والأساسية على صنع المثل الإنسانية النبيلة، وتكوين العقيدة العلمية عند كل العاملين كمهمة تطبيقية هامة في مجال العمل الفكري التربوي.

وهي في الوقت نفسه مسألة الميزات النوعية للرأي العام وفعاليته كوسيلة للتربية. ويدرس في نظام التعليم العام ملايين الناس الاقتصاد السياسي والفلسفة وأسس الاقتصاد والإدارة والمسائل النظرية والتطبيقات في المرحلة المعاصرة.

وتطور تطويراً واسعاً التعليم السياسي والتثقيف الاقتصادي للعاملين في مدارس العمل والجامعات، كل هذا يساعد على رفع المستوى الفكري السياسي عند الدارسين ونشاطهم وفعاليتهم في وضع الحلول لمسائل البناء الحضاري.

اتخذت المعاهد الاجتماعية العالمية، ومن مهمات التعليم العام الذي ينظر فيه إلى تحسين الإعداد الفكري النظري للكوادر عوامل مهمة في تعزيز الوحدة الوطنية ورفع سمعة المثقفين، بين العاملين. واتخذت إجراءات ملموسة وعملية باتجاه إغناء مضمون دراسة الأفكار والنظريات العلمية ورفع مستواها النظري المدعوة إلى تعليم الجيل الصاعد وكل العاملين إتقان عملية الدفاع عن المبادئ الإنسانية العامة، التي تساعد انطلاقاً من المواقع العلمية على تقدير الظواهر الجديدة في الحياة الاجتماعية وتساعد أيضاً على الاستنتاج الصحيح في سبيل العمل التطبيقي [١٣١]. إن التحريض بتفسيره سياسة الدولة للعاملين اعتماداً على الأمثلة المقنعة، والملموسة يظهركم تتوافق هذه السياسة اهتماماتهم وماذا يجب القيام به في سبيل تلبيتها بسرعة وحسب المستطاع بشكل شامل.

لا توجد دائماً بين المجموعات العمالية صحف أو إذاعات محلية لذلك تنمو أهمية الإعلام والتحريض الشفهي. وغالباً ما يكونان السبيل الوحيد لنشر الأخبار المحلية والوسيلة المعتمد عليها لتركيز اهتمام الجماعة على أهم مسائلها. لكن من الصعب دائماً التعويض عن غياب الأنباء المحلية بأي شيء آخر وخاصة في قضية تكوين وتوظيف الرأي العام. فمعلوم النبأ على مستوى الدولة يدرك بشكل أسرع وأعمق من خلال موشور الحقائق المحلية ومن دونها يتحول الرأي العام حول المسائل التي تمس الاهتمامات والمصالح القريبة للناس إلى رأي مجرد يعتمد على المصالح الملموسة دائماً، ويدافع عن المتطلبات التي هي ملموسة أيضاً.

---

(131) – انظر: تيخنوف .ف.ي مهام اسوسولوجيا المعاصرة – موسكو ١٩٨٨ – ص٤٣٧-٤٤١.

ويعـــتقد أن التناقض بين الآراء الرسمية أو غير الرسمية على الأغلب **له مكان** فـــي تلـــك الحالـــة، إذ أن الأول يحصل على دعم كاف على شكل مادة محلية موثوقة، إذا لم يكن مؤكداً بالتجربة الفردية أو الجماعية.

وغالـــباً مـــا تشـــاهد مثل هذه الثنائية في الرأي ويظهر التطبيق أنه في بعض الجماعات يقف الناس بصبر وإمعان بالغ تجاه المخالفات والمخالفين للانضباط. وينطبق هنا رأي الجماعة (غير الرسمي) مع الرأي العام وأحد الأسباب في ذلك هو الاهتمام في العمل التوضيحي. حيث تسوده أحياناً المواضيع العامة. وخارج الـــتجربة الحياتـــية وخارج العلاقة بالمصالح أنها تمر على سطح وعي الناس. فالفكـــرة التي لم تعتمد على مادة تجريبية ملموسة لا تستطيع الدخول إلى نظام مقدرات الإنسان.

لقـــد كتـــب مكاريـــنكو في حينه: يجب على انضباطنا بخلاف الانضباط القديم كظاهرة أخلاقية وسياسية أن يرافق بالوعي، أي الفهم الكامل لمعنى الانضباط، ولمـــاذا وجد هذا الانضباط[١٣٢]. وفي عملية تكوين مثل هذا الوعي يعود الكثير إلـــى التصـــورات الملموســـة وخاصـــة فيما يتعلق، بما يلحق من أذى بالإنتاج وبالجماعـــة بالـــتأخر أو الغياب عن العمل. وهنا على الناس أن يعرفوا مقياس ذاتهم. ففيما يتعلق بالغياب، من يخسر أكثر نتيجة ذلك الإنتاج أم المتغيب نفسه؟ حينئذ المهم كيف يقدر المذنب وضعه وإنما كيف يكون موقف المحيطين به من ذلـــك. ففي كثير من الأحيان تبلغ الجماعة فقط بالإجراءات والعقوبات المتخذة ضـــد المخالف والانضباط (منع المكافأة عنه، تأخير الإجازة الصيفية، .....الخ) لكـــن لا يتم التطرق إلى ماذا أدى إلى مثل هذا الغياب أو ذاك، وما الثمن الذي دفعه الإنتاج والجماعة والمجتمع بسببه. ويمكن القول أن على التحريض الشفهي حـــول موضوع الانضباط في العمل ألا يترك هذا جانباً، بيد أن النقاشات تبنى

---

(132) – أ.ي مكارينكو: الجماعة وتربية الفرد- موسكو ١٩٧٢ ص١٧٩.

علـــى الأغلـــب على أساس الصحف والمجلات ومن الطبيعي أن تطرح أسماء الغـــياب وتذكر حقائق محلية أخرى لترويض هذا الموضوع أو ذاك مع تفسير هـــذه الحقائق. دائماً بمعناها السياسي الاجتماعي الاقتصادي. ومع أن الخسائر تكـــون عادة واضحة في كثير من المشاريع (بفعل خصوصية الإنتاج) إلا أنها موجودة وحسابها ممكن جداً، وبعد إحصائها لابد من إعلام الناس بذلك. وعندما يمكن الاعتماد على الشعور بالمسؤولية عند الناس نحو القضية العامة والمصالح الجماعـــية التـــي تـــربط ارتباطاً وثيقاً بالمصالح الفردية. وينحصر الأمر بأن المحرضين والإعلاميين السياسيين نادراً جداً ما يعتمدون على هذه المعلومات.

إلـــيكم مثلاً ما أشار إليه تحليل نقاشات ثلاثة صحفيين من اللجنة الحزبية التابعة لشـــركة الصناعات النسيجية في سورية، فموضوع النقاشات بشكل عام كان ذا مضـــامين عديدة، تدور حول الحرص الاقتصادي وتمت على مستوى عالٍ من المنهجية. لكن لم يذكر أحد من المحرضين أسماء أولئك الذي يجب الاقتداء بهم، فأصـــحاب العمـــل يقصـــدون المواد. ومن الناحية السلبية أيضاً يذكر واحد من المهملين. وهكذا لم يستطع أحد المستمعين الحصول على النقاش على جواب عن الســـؤال الأكثر إلحاحاً في هذه الحالة، وهو كيف تنفذ الالتزامات بالحرص على الاقتصـــاد أو أظهـــرت النقاشـــات أنـــه في الفرق العمالية لم يزل هناك أعداء للاقتصـــاد الوطنـــي، لكن وللأسف لم يقابل الصحفيون أحكام هؤلاء بأي رهان مقنع.

أمـــا الحقائق في هذه الأثناء تتحدث عن أن الخسائر ((بالصغائر)) وفي النتيجة تقدر بالألوف من الليرات.

وكما أظهرت الدراسات أن الأخبار في الجماعات الإنتاجية عن بعض الجوانب الهامة بحياتها ونشاطها لم تزل على غير ما يرام مثلاً في المعامل التابعة لريف

دمشـــق نجد أن جزءاً من العمال لا يعرفون مبادرات الرواد حتى في ورشتهم ومعملهم(١٣٣).

وفـــي مصـــنع الجرارات في حلب تنحصر الأخبار السياسية في وضع نتائج النشاط الإنتاجي في أوقات المناسبات وفي بعض الأحداث الدولية))(١٣٤).

مـــثل هـــذه الحقائق للأسف ليست جيدة ولا تساعد على سعة الأخبار ووحدة الآراء حـــول هـــذه أو تلك من القضايا وتطوير العمل. لقد أكد الصحفي محمد حســـنين هـــيكل أهمـــية رفع الحقائق والأحداث في الحياة المحلية إلى مستوى السياسة الكبرى وطلب ربط التقدم الاقتصادي والنضال السياسي بكل مسألة من محلية ضيقة (١٣٥).

إن تجربة العديد من المحرضين والإعلاميين السياسيين تؤكد على أن كثرة الندوات تساعد على فهمها وبالتالي على فعاليتها. فالأخبار السياسية والتقارير تستدعي لدى المستمعين الاهتمام إذا كانت تمس القضايا الحيوية لمصالح الجماعة وتوضيح إشكاليات العمل الإنتاجي الحاد، وتساعد على فهم الغامض منها، وعلى وضع خطط المستقبل وباختصار تجيب على الأسئلة التي تتعلق بالعاملين، والموضوع المحلي ضروري ليس فقط (البروظة) والمواضيع العامة مما يسهل استيعابها طبعاً بل وقبل كل شيء لأجل إعطاء الأنباء قوة استعداد وتوجيه الفكر والإرادة. عند المستمعين إلى حدوث أهم المسائل الماثلة أمام هذه الجماعة. وهذه الأخبار بالذات تساعد أفضل من أي شيء على تربية الشعور بالملكية الذي يخلق عدم السكوت عن مظاهر عدم المسؤولية والأنانية والتبذير التي تؤذي مجتمعنا.

---

(133) – صحيفة الثورة ١٣/٨/١٩٩١.

(134) – صحيفة تشرين ١٨/٥/١٩٩٢.

(135) – محمد حسنين هيكل: في شاكر إبراهيم، الإعلام ودوره في التنمية، ليبيا، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ١٩٨٠-ص٢١٥.

غالباً ما تصطدم في التطبيق بانعدام التواصل بين الأنباء المحلية والعامة، فإحدى المهام للبحوث الاجتماعية التي قامت بها أكاديمية العلوم الاجتماعية الروسية في مصنع الآليات الكهربائية في مدينة ستافروبل وفي مصنع (آزوت) في مجمع نيفينوميسك [١٣٦] كانت الدراسة مستوى الأخبار عند العاملين حول قضايا مجموعتهم الإنتاجية . ولكن الانطلاق من موقف الناس، ولنقل من حقائق مخالفات الانضباط في العمل يتجدد في كثير من الأحيان بآراء المجموعة، وهذه الآراء هي مستوى اطلاعهم على مختلف جوانب عملهم وحالة الإنتاج بشكل عام وكذلك بالأنباء المقنعة والموثقة والتفصيلية عن دور كل فرد في النتيجة الإجمالية ونلاحظ بشكل عام سلسلة من الروابط المتبادلة الاطلاع – الرأي – التأثير في الناس، وترتبط متانة كل السلسلة ودرجة تحقيقها للهدف بطبيعة الحلقة الأولى زد على ذلك أن الناس في أكثريتهم بإرادة أو بدون إرادة يعيدون إلى الوعي المصالح العامة لأنفسهم مثل الانضباط والتنظيم وغيرهما.

والإدراك هذا يساعد قبل كل شيء التجربة الخاصة والأخبار المحلية الملموسة. إن الإخبار عن القضايا المحلية في وضع لا يحسد عليه. ففي واقع الأمر أن ٨٢% من الذين شملهم الاستبيان في مصنع الآلات الكهربائية قد أعلنوا أنهم لا يعلمون من الذي تغيب أكثر عن ورشتهم في الفترة الأخيرة. وفي مجمع (آزوت) لا يعلم عن ذلك ٦٩% من الذين شملهم الاستبيان هناك من المفرح أن أكثرية المشاركين في الاستفتاء كانت بشكل عام مطلعة اطلاعاً لا بأس به على نتائج العمل، ويعرفون لمن ومن أجل ماذا قدمت المكافآت، ومن انتصر في المسابقة الفردية (خاصة في مجال المهنة) وصورة من علقت في لوحة الإعلانات فأصبح صاحبها في عداد الطليعيين.

---

(136) – المسائل النظرية وأساليب العمل الإيديولوجي / الإصدار ١٨ موسكو ١٩٨٧ ص٢٦.

وهكذا تطغى الموضوعية في الأخبار عن نتائج العمل، والناس مطلعون جيداً على نتائج العمل والمنجزات التي حققها بعض الطليعيين وكذلك المجموعات العمالية، وهذا مفهوم تماماً، فيجب تكريم أفضل البارزين وتهيئة الظروف لإظهار قدرات الأمثلة الإيجابية وإشعال روح المنافسة الشريفة في العمل، لكن ضمان علانية المسابقات لا تتطلب ذلك فقط، وأشار كون إلى أن النجاح في العمل الإبداعي الحي للجماهير لا يتطلب فقط الدعم القوي والتشجيع للطليعيين وإنما يجب الإشارة إلى أن أولئك الذين قصروا، أو يعلمون باللامبالاة يجب تسميتهم علناً أمام الجميع كي يعلم الناس ليس فقط عن الذين يعملون بكل قوتهم وقدراتهم بل وعن الذين يعملون ببرودة دون حماسة[١٣٧]. ويمكن أن يعلو صوت بعضهم عندما يتقبلون التزامهم يصمتون عند إعلان نتائج تحقيقها وبخاصة عندما تكون ليست جيدة. وبالتالي تصبح الأخبار ضرورية عن النواقص، والظواهر السلبية في حياة الجميع وعملهم.

إن هذه الناحية من القضية لم تطرح بشكلها الأفضل في المصنعين اللذين أجري فيهما الاستبيان. فعلى السؤال: هل تستطيعون القول أي الورشات (الجماعات) احتلت المرتبة الأخيرة في المسابقة في المصنع؟..

كانت الأجوبة إيجابية وسلبية. ففي مصنع الآلات الكهربائية كانت النسبة طرداً ٢٨% و ٦٢% من المشاركين في الاستبيان وفي مصنع (آزوت) كانت النسبة ٣٦% و ٦٤% أي أن أكثر من النصف لا يعرف من يعمل بشكل سيء ويعيق عمل الورشة، وينتج عن ذلك أن هذه الحالة لم تترك قائمة.

---

(137) - مقالات الجزء /٤/ موسكو ١٩٨٨ ص٩١-٩٢.

((يعرفون المتفوقون عندنا، أما المهزومون فلا وجود لهم كما يبدو بذلك يشوه جوهر المنافسة الفعلية والسباق الفعلي في العمل أي العوامل التي أعطيت أهمية خاصة[١٣٨]).

تظهر هنا قبل كل شيء الأخطاء في الحسابات التي أكد عليها التطبيق في وضع نتائج المسابقة، عندما يحدد من احتل المراتب الأولى والثانية والثالثة ويسقط مبدأ إعطاء كل حسب جهده، عندما لا تسمي المنتصرين والخاسرين، فمن إذاً يعد قبل غيره مصدراً للأنباء المحلية في المصنع؟.

لقد أعلنت أكثرية المشاركين في الاستبيان الذي جرى أثناء الدراسة في مصنع السيارات (فولغا) إن المصدر هم الرفاق في العمل)[١٣٩]. على الرغم من أن هؤلاء الرفاق (مصطلح) له عدة معانٍ أهمها المصادر (غير الرسمية). بخلاف تلك التي يجب أن تكون مدعوة بشكل خاص لتحقيق مثل هذه المهمة – أخبار العاملين عن حياة المجموعة مع الأخذ في الحسبان ما الذي يعنيهم من نتائج المسابقة والنشاط الاقتصادي.

وتكرر السؤال حول مصادر الاطلاع على أخبار المصنع في استمارة وزعت في مصنع ((الآلات الكهربائية)) و ((آزوت)) ففي مصنع الآلات الكهربائية عد ٥٦% من المشاركين في الاستفتاء، أن المصدر الأساسي للأخبار هو الرفاق في العمل وتأتي في الدرجة الثانية الاجتماعات ١٣% من ثم التحريض المرئي (١٠%) والإعلاميون السياسية (٩%) والمحرضون (٤%) وفي مجمع (آزوت) تم الحصول على المعطيات التالية: يتلقى الأخبار ٢٧% من المشاركين في الاستبيان عن طريق ((الرفاق في العمل)).

---

(138) – نفس المصدر ص ٩٢.

(139) – نفس المصدر ص ٩٣ .

وعن طريق الصحف والمجلات ٢٠% وعن طريق الإذاعة ١٦% وعن طريق الاجتماعات ١٥% وعن طريق الإعلاميين السياسيين ٩% وعن طريق التحريض المرئي ٧% وعن طريق المحرضين ٥%.

يستدل من هذه المعطيات أهمية الصحيفة والإذاعة المحلية في رفع مستوى الاطلاع، فهما يتغيبان عن مصنع (الآلات الكهربائية) لكنهما موجودان في مجتمع ((آزوت)) وما يلفت النظر إليه أن تقدير عمل الإعلاميين السياسيين والمحرضين في المصنعين واحد عملياً لكن وللأسف احتلوا المرتبة الأخيرة. وبالنتيجة ليس هؤلاء بل ((الرفاق في العمل)) في أغلب الأحيان بمساعدة المعطيات الموثوقة التي هي على الأغلب مشوهة أن ذلك يحدث كثيراً عندما تنتقل المعلومات من شخص إلى آخر حول مختلف جوانب نشاط الجماعة التي تشكل الرأي حول العديد من المسائل الملحة.

ولتوضيح المواد المحلية التي تستخدم بصورة غير كافية في العمل الجماهيري السياسي هنا. قام استبيان رأي الخبراء في إذاعة عام ١٩٨٩ في مجمع ((آزوت)) في نيفينو ميسك، أي أمناء الورشات والمنظمات الحزبية في العمل الإيديولوجي وطرح عليهم السؤال التالي:

هل تحضرون المواد المنهجية على أساس الحقائق المحلية للمحرضين والإعلاميين السياسيين؟ وتوزعت الأجوبة على الشكل التالي:

٣٧% نعم تحضر، ٢٢% تحضر من حين لآخر، ٢٦% لا تحضر أبداً، ١٦% يحضر المحرضون والإعلاميون بأنفسهم هذه المواد.

والمكانة الرئيسية في هذه المواد (بالطبع في الأماكن التي نحضر فيها) تشغلها مسائل التطور اللاحق للإنتاج ونتائج تنفيذ الخطط والالتزامات العملية ونادراً ما يشار إلى مسائل الانضباط في العمل، بيد أنه من حيث الكم والكيف ليس هذا مما يمكن أو يجب القيام به في سبيل رفع فعالية التحريض السياسي.

وكما في العديد من الجماعات حيث يتكرر الشيء نفسه من شهر إلى شهر ومن سنة إلى سنة و((نتائج العمل في شهر الماضي والمهام في هذا الشهر)) وهكذا نرى أن الأسئلة المتكونة موحدة ومتشابهة من حيث الشكل والمضمون ونادراً ما تقدم للمستمعين أرقاماً وحقائق ومقارنات ونتائج. وفي غضون ذلك لم يكن واضحاً تماماً ما يختبئ وراء نسب التنفيذ للمهمات الإنتاجية وتسمية الرقم النهائي لا يعني إعلام الناس. فلابد من الكشف عن ما تعني هذه الأرقام بالذات من وجهة النظر السياسية والاقتصادية.

ويعلم الناس عن نتائج التنافس في العمل من المصادر الرسمية بشكل أساسي من (الاجتماعات والصحف) والتحريض المرئي (المنظور) والإعلاميين السياسيين والمحرضين والصحف الجدارية وغيرها. وإذا كان المصدر الرئيسي بالنسبة للأكثرية هو (الرفاق في العمل) فهذا يتكلم عن أي مفهوم (الأخبار المصنعية) لا تدخل نتائج النشاط الإنتاجي فقط، بل أيضاً مسائل كثيرة أخرى من مسائل حياة الجماعة. أن الوزن النوعي الكبير للأشخاص الذين يعرفون أخبار المصنع عن طريق (الرفاق في العمل) يجب أن يفهم كعلاقة لمنظمي العمل الفكري التربوي الذين لا يعرفون المعرفة الكاملة عن حياة الجماعة العمالية.

أثناء دراسة مجمع (أزوت) طرح السؤال التالي على الخبراء:

هل تعدون ضرورياً اطلاع العمال على حجم الأرباح الداخلة إلى مصنع وعن كيفية صرف أموال صندوق الحوافز المادية؟

أجاب الكل بالإيجاب وحتى إن بعضهم أكد على ذلك بكلمة حتماً مما يدل على الاهتمام الكبير بالمادة.

وقد اقترح على عمال مصنع الآلات الكهربائية ومصنع (آزوت) القول، أتريدون معرفة حجم الأرباح التي يحصل عليها مصنعكم وكيف تعرف؟

أجابت أغلبية من سئلوا (٨١% من مصنع الآلات الكهربائية و ٨٤% من مجمع آزوت) إن تلك المعطيات تهمهم ومع ذلك أن ٣/٤ من شارك في الاستبيان لا يعرفونها، الأمر الذي يكشف عن أن هناك من يخفي هذه المعطيات لأنها تقدم إلى الناس (على الأغلب عن طريق التقارير المقدمة في الاجتماعات والمؤتمرات العمالية).

لكن يشار إلى هذه المعطيات بصورة عابرة ولا يتركز الاهتمام عليها ولا يتم الكشف عن الطريقة التي جاءت بالأرباح وكيفية صرفها وعلى مستلزمات الإنتاج والتطوير الاجتماعي للجماعة. وفي غضون ذلك تظهر هذه الأرقام بشكل مقنع الاهتمام بالإنسان بصحته وسعادته، ونكشف الروابط العضوية بين المصالح الشخصية والجماعية، بيد أنه في العمل التحريضي الجماهيري في المصانع لم تستخدم هذه الدراسات تقريباً. وتعد هذه الحقيقة مميزة إلى درجة ما، وهنا تظهر بوضوح فاعلية عدم إتقان استخدام حقائق وظواهر الحياة اليومية في العمل الفكر التربوي التي أصبحت منذ زمن اعتيادية بالنسبة للمواطنين لدرجة أنه يفهمها وكأنها حتمية، فالموضوع المحلي لا يستخدم للأسف، كما يلزم دائماً في التحريض الشفهي.

وهنا حتى في الأنباء حول المسائل الاقتصادية – الإنتاجية التي كما يبدو يكرس لها الكثير من الاهتمام تسقط أشياء جوهرية للغاية، وليس من المدهش والمستغرب أنهم في الاجتماعات الصباحية اليومية (ينسون) الإعلام عن الحقائق (الوقائع) والظواهر السلبية ويعتبرونها إفراطاً غير لائق بالإعلام عن التنقلات الفردية وعن أسباب إزاحة أحد من الوجوه الإدارية عن العمل وما شابه.

يتضح هنا أن المواطنين يستخبرون عن الأحداث والقضايا الدولية من القضايا والأحداث التي تجري في مصانعهم. وهذا يؤثر بلا شك في طبيعة رأيهم الجماعي والذي يعكس بفعالية واقعهم في ظروف الإعلام الكافي عن

الأحداث الدولية والمحلية. وبالتالي المهم جداً معرفة كيف تكون علاقة الأخبار بأوضاع الرأي العام ملزمة للجميع ويخضع لها الفرد بإرادته بحيث تكون هذه القوة دائماً وبلا تردد خادمة للقضية، وطبيعة بناء المجتمع الحضاري.

ويمكن أيضاً مواجهة الأفعال التي تتناقض مع مقاييس الأخلاق الإنسانية والمتطلبات في سبيل الدفاع وحماية الرأي العام وذلك بكشف أسبابها المؤثرة كعدم معرفة النشاطات المعادية للمجتمع والمخالفات الانضباطية في العمل وعدم التنظيم والتسيب ... الخ ولا تتميز دائماً الأخبار في الجماعة بالشمولية اللازمة والتنوع. فغالباً ما يسود فيها هذا الموضوع أو ذاك من المواضيع والأسماء والمعطيات الرقمية. دون الكشف عن جوهر الظواهر ومعناها الأخلاقي والاقتصادي والسياسي.

وتظهر الدراسات الاجتماعية أن العمال المطلعين جيداً على الأوضاع في المصانع والذين يشاركون باستمرار في مناقشة الخطط والالتزامات الأكثر اهتماماً في تحقيق مؤشرات عالية في العمل يملكون فرصاً أكبر على اتفاق الخامات والكهرباء وسواهما. إنهم بشكل مبدئي المبادرون الذين يتقبلون أكثر الأشكال الجديدة لتنظيم العمل ويساعدون الآخرون وبمسؤولية أكبر ينظرون إلى تحقيق الالتزام. وهنا تعمل الأنظمة السياسية بتفان في سبيل تحسين وضع التحريض السياسي الشفهي في الجماعات وفي سبيل رفع دوره وتحسين الطبقة النوعية للرأي العام، حول مثل تلك المسائل التي تكون عادة أولويات واهتمامات التحريض السياسي.

ولها معناها وأهميتها الحاسمة في سبيل تنفيذ خطط التطوير الاجتماعي-الاقتصادي.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب السادس

- **الفصل الأول:** دراسات الرأي العام الاجتماعية شرط ضروري لتحسين العملية الإعلامية ص٢٠١

- **الفصل الثاني:** الرأي العام حول المسائل السياسية كموضوع للدراسات الاجتماعية"سورية نموذجاً" ص٢١٩

- **الفصل الثالث:** الرأي العام حول مسائل الحياة الاقتصادية ...ص٢٤٥

- **الفصل الرابع:** دراسة الرأي العام بهدف تحسين النشاط الإعلامي التحريضي من خلال تجربة الحزب الاشتراكي الفرنسي ص٢٦١

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب السادس

الفصل الأول

دراسات الرأي العام الاجتماعية شرط ضروري لتحسين العملية الإعلامية

إن دراسات الرأي العام (النظرية التطبيقية) تفتح المجال واسعاً أمام الإمكانات لاستخدام المعارف عن أحواله والتغيرات التي تطرأ عليه وعلى تطوره في العملية الإعلامية إذ تحلل الدراسات السوسيولوجية تجربة غنية ومتنوعة في إظهار آراء الأوساط الاجتماعية وتقويمها فتستخدم في تجربة الأعمال الحزبية الواضحة بهدف تحسين النشاط الأيديولوجي وتعزيز العلاقات مع الجماهير بشكل واسع واللقاءات المنتظمة مع السكان والاجتماعات والدراسات المباشرة للقضايا في مكان حدوثها وتحليل رسائل العاملين، وحتى الأشكال والأساليب الأقرب لدراسة الرأي العام.

وعلى الرغم من ذلك ففي الوقت الراهن وعندما نمت ميول الأنباء ومن بينها المعادية بصورة كبيرة وعندما اتسعت مرات عديدة قدرات النشاط الأيديولوجي وارتفع المستوى الثقافي وتعقدت طبيعة متطلبات المواطنين، بدأت مهمة القيام بدراسات علمية خاصة (سريعة وأساسية) في مجال دراسة أمزجة الجماهير وطبيعة الجهود المبذولة في مجال الأيديولوجيا وإنتاجية الأعمال الإعلامية(١٤٠).

إن الدراسات الاجتماعية بإعطائها أخباراً متعددة الجوانب ومتميزة حول أوضاع الرأي العام والعوامل التي تحدد هذه الأوضاع وتكمل بصورة عضوية الأخبار الداخلية تضمن الالتزام بالمتطلبات العلمية أي إنقاذ وتحديد أمزجة الجماهير في

---

(140) انظر بوليكاكوف – المؤلفات الكاملة – المجلة – ٤ – ص٣٤٨.

أي مسألة وفي أي وقت ومتطلباتها الحقيقية ومساعيها ودرجة وعيها وقوة تأثير هذه أو تلك من الرواسب[١٤١].

إن الدافع نحو البدء بالدراسات الاجتماعية الموسعة للرأي العام قد جاء كحاجة ضرورية لفهم حاجة التطور الإنساني حول العمل في مجال اختيار الكوادر الآيديولوجية وتربيتها في المنظمات الحزبية والاجتماعية حيث أن دراسة الرأي العام ترتبط مباشرة بوضع الحلول الصحيحة لقضايا العمل الآيديولوجي الملحة، وبالنتيجة تدخل في التطبيق أثناء الدراسة الاجتماعية للرأي العام وبشكل واسع للغاية أعمال اللجان النقابية والحزبية (أما الدعوة إلى التحليل الاجتماعي فقد أصبحت إحدى الصفات المميزة لتفكير الصحفي المعاصر).

وقد تم في التحسين اللاحق للدراسات الاجتماعية للرأي العام في الدراسات الاجتماعية السوسيولوجية (حول التحسين اللاحق للعمل الأيديولوجي والسياسي –التربوي) وأهم الشروط لدفع فعالية النشاط الإعلامي في كل تجمع إنساني وفي كل جماعة تتمثل فيما يلي:

- التوجه الرئيس للدراسات التي يقوم بها عدد كبير من المؤسسات الاجتماعية والبحوث العلمية هو الدراسة النظرية والتطبيقية للرأي العام في علاقته مع نشاط وسائل الإعلام الجماهيري، هذا التوجه لا يعد مصادفة إنه ينطلق من المقدمات التي تعد النشاط في مجال تكوين الرأي العام لا ينفصل عن دراسته كمؤثر تكاملي.
- فعالية الجهود المبذولة كمصدر للأنباء عن الاهتمامات والآراء والتوقعات والرغبات والجاهزية والسلوكية لدى أوسع فئات السكان التي تشكل الجماهير الحقيقية والاحتياطية في نظام الإعلام بشكل عام وبعض

---

(١٤١) انظر . خ.ل. سميرنوف- مسائل الإعلام الجماهيري في العصر الراهن – الأسس العلمية للإعلام مواد الندوة الدولية – موسكو- ١١- ١٣ شباط ١٨٥ ص٢٣.

أنواعه وأشكاله ووسائله أي تقوم الدراسات الاجتماعية للرأي العام بدور المصدر الموثوق به للأنباء المتنوعة في سبيل اتخاذ القرارات الإدارية تجاه وسائل النشاط الإعلامي الملحة والشاهد على ذلك هي تجربة العمل الحزبي والاجتماعي، ويعبر الإعلام في المجتمع عن آراء العاملين في وظيفة المجموعات المؤلفة خصوصاً في اللجان الحزبية والاجتماعية التي تمثل باستمرار الأجهزة الاجتماعية والحزبية العليا وبشكل عام توصل الآراء في البلد إلى الجماهير الواسعة[١٤٢].

وهناك تجارب دراسة الرأي العام في الإدارات العلمية الأخرى أيضاً، فقد قام قسم الصحافة في كلية الآداب باستطلاع الرأي العام في شتى محافظات القطر، وفي مواضيع مختلفة ودرس قسم علم الاجتماع دور وسائل الإعلام الجماهيري وتكوين الرأي العام، والآن من المهم جداً تقييم هذه التجربة ونشر كل ما هو إيجابي ومن المفيد أن يكون هناك تعاون في الخبرات بين المنظمات الحزبية والاجتماعية وبين المؤسسات العلمية أثناء دراسة الرأي العام وانتشارها الواسع ليس في البلد فقط بل وفي بلدان أخرى.

ولكي نعتمد دراسة الرأي العام على أساس علمي عليها أن تستجيب على الأقل للمتطلبات التالية:

أولاً: عدم الاكتفاء لتصوير الرأي العام والكشف عن جوهره.

ثانياً: رؤية المصالح ومطالب بعض الجماعات خلف بعض الأحكام بصدد هذه أو تلك من القضايا.

ثالثاً: يجب أن تؤخذ بالحسبان نتائجها أثناء تقديم التوصيات للأجهزة الحزبية والحكومية.

---

(142) انظر (حول العمل الإيديولوجي العام) – مجموعة وثائق موسكو ١٩٩٠، ص٤٠٧.

رابعـاً: يقتضـي قيامها استخدام الأساليب المتنوعة، ويمكن أن تستخدم **الرقابة** الجماهـيرية وتحلـيل الوثائق ورسائل العاملين واستطلاعات الرأي والنقاشات الشـعبية وغـيرها من الوسائل، وبشكل واسع في عملية البحوث، وإن دراسة الـرأي العام مدعوة للكشف عن طبيعة الرأي العام الكمية وكذلك الكيفية وليس فقط في وضعها الحسابي، وإنما في ديناميكيتها وتطورها وعند ذلك من المهم ألا نجعـل مـن هـذا الأسـلوب أو ذاك أسلوباً مطلقاً وإنما تستخدم هذه الأساليب بمجملها.

تجربة دراسة رأي الجماهير القراء

جـاء فـي أكـثر من وثيقة حكومية حول التحسين اللاحق للعمل الأيديولوجي والسياسـي الـتربوي والتأكيد على ضرورة التوصل إلى عدم تكرار الدراسات نفسـها مـع اعتـبار أن عـائلات كثيرة تدخل إليها الصحافة وتشاهد بانتظام الـتلفزيون وتسـتمع إلـى الإذاعة، ولذلك فيجب أن تكون الصحف والمجلات (وجهها البارز الواضح في مجموعة من المواضيع الخاصة بها وأن تقدم المواد حسب تخصصها وأسلوبها وشكلها).

ولكـي نعرف القراء وحاجاتهم واهتماماتهم ومطالبهم لا بد من معرفة الـرأي العـام عندهم، ونسمح بالحكم على ذلك بالذات أو الدراسات الاجتماعية لجماهـير قـراء بعض الصحف المركزية: (البعث، الثورة، تشرين) (الأسبوع الأدبـي) التـي أجرتها في أواخر الثمانينات مجموعة من الباحثين المختصين بالصـحافة فـي جامعـة دمشق، تضمنت نتائج البحوث أخبار إدارة مهمة عن ممـيزات الجماهـير السـيكولوجية الاجتماعية والديموغرافية الاجتماعية، مما أعطى الإمكان لهيئات التحرير وبدرجة كافية من الدقة أن تتوقع حدود وتركيبة جماهير مواد صحفية معينة، وتحديد علاقة المواد العامة بالخاصة بدقة أكثر من

ذي قـبل، وكان لتحليل دوافع الاشتراك في الصحف التي سمح بتوضيح درجة تطـابق توجـه القراء الاستراتيجية التي يجب أن تتبعها هيئة التحرير في هذه الظروف أهمية عملية كبيرة.

إن استقرار ملاك القراء يساعد على انتقاء المواد المكتوبة في الصحف إضافة إلى الحصول (حصول هيئات التحرير) على معلومات هامة وثمينة عن شـعبية مختلف العناوين والمواضيع والأنواع الصحفية والعديد من المعلومات الأخرى المفيدة جداً.

وقـد نشـرت التقارير التي قدمها الباحثون وتم نقاشها على شكل واسع واسـتخدمت مـن قـبل العاملين في الصحف، فمثلاً كلفت هيئة تحرير صحيفة "تشـرين" بعـض الصـحفيين بتطبيق نتائج البحوث ووضعت توصيات عملية ملموسة وقد شارك في نقاشها كل العاملين في الهيئة تقريباً، إن الإنجاز الأساسي لأول البحوث حول جماهير القراء وكما يرى مؤلفوها أضفوا على الأجواء في هيئة التحرير (جواً اجتماعياً) وحفزوا الطلب على الدراسة المنتظمة والمستمرة لوجهات النظر والآراء لدى القراء.

قام قسم الصحافة عام ١٩٨٩ في جامعة دمشق بدراسة مقارنة لجماهير جـريدة البعـث أظهرت بعض الاتجاهات التي لها أهمية كبيرة بالنسبة لتحقيق سياسة هيئة التحرير فاتضح مثلاً استقرار الدوافع الأساسية للاشتراك بالصحيفة التي تجذب أكثرية القراء وحسب جدارتها الإعلامية وسعتها وشموليتها وعمقها وسـرعتها ومصـداقيتها. وهذا يشهد على تحسين مضمون الصحيفة والاهتمام المتنامـي للقـراء بمسائل الاقتصاد الوطني والأخلاق والتربية والأدب والفن، وكذلـك التقدير العالي نسبياً لموادها النقدية المتميزة بالتحليل والدقة، لقد أثبتت الدراسـات فـي العقود الأخيرة استمرار الارتباط المتنامي للإنسان بنشاط نظام وسـائل الإعلام الجماهيري بشكل عام، واستقلاليته بما يتعلق ببعض الأجهزة،

وبـــناء علـــى معطيات الدراسة المقارنة لا يشكل قراء (البعث) هذا استثناء إذا ارتفع بينهم عدد الذين يقرؤون صحفاً أخرى، إن هذا حسب رأي الباحثين يحدد ضـــرورة تخصصـــية الصـــحيفة والاســـتخدام الأكثر فعالية لمساحة الصحيفة المحدودة.

لقد استندت تلك الدراسة إلى الاهتمامات المعرفية لجماهير الجريدة وعلاقة القراء بمواضيعها المبوبة من خلال أحداث الحياة الداخلية والخارجية وعلاقة القراء بالصحيفة وحالة الرأي العام حول أكثر القضايا إلحاحاً التي يتم مناقشتها على صفحاتها ... وبكلمة أخرى أظهرت الدلائل التي ميزت النتائج المرحلية المعينة (التأثيرات) للإعلام في قضية حل المسائل الماثلة أمامه. لقد كانت الدراسة موجهة بشكل عام إلى التحديد الدقيق للدور الراهن للجريدة وخصائصها بين مصادر الأنباء الأخرى إلى وضع الطرائق الفعلية المناسبة لتقوية تأثير الجريدة في مختلف المجموعات السكانية.

جرت الدراسة على كل المجتمع السوري باختيار عينات من الأفراد البالغين قد ساعد ولأول مرة في حل مسألة إظهار عدد جماهير ((البعث)) الفعليين وأكدت الدراسة الطبيعة الجماهيرية والشعبية العامة لهذا الجهاز الإعلامي الحزبي والمتمثل في تركيبة جماهير الجريدة والصفات الأساسية والتركيبة الاجتماعية للمجتمع السوري واحتل الكادحون وضعاً في تركيبة جماهير قراء هذه الجريدة، وقد تميز قارئ البعث بنشاطه الإعلامي الذي أظهر حجم الطلب الكبير على الأخبار في الصحف والراديو والتلفزيون، وفي تنوع الاهتمامات بالمواد والموضوعات وبمتطلبات إخبارية أكثر رفعة بالمقارنة مع باقي سكان البلد ودوائر قراءاتهم المتعددة الجوانب ومن ضمنها الأخبار بمعدل متوسط من (٣-٤) صحف وفي غضون ذلك نجد أن قراء البعث مرتبطين ارتباطاً أشد عند جزء كبير من الجماهير بقراء صحف أخرى مثل (تشرين

الثورة) ومن هنا نرى ضرورة التنسيق الأكثر فعالية لأعمال ونشاطات الصحف الثلاث التي تلتزم برامجها بالموضوعات السنوية بتغطية بارزة بحيث يكمل بعضها بعضاً بصورة منسجمة وأظهر التحليل أيضاً أن ما يميز صحيفة ((البعث)) هو التجديد اليومي للجماهير ولا سيما أن تصورات جماهير الصحيفة هذه يعود إلى الدور الأساسي في النظام العام للإعلام، وإلى جانب ذلك تعاني الجماهير من نقص في الأخبار حول المشاكل والقضايا الدولية واتضح أيضاً أن ما يقارب ٣/١ الجماهير غير مطلع فعلاً على جملة من مسائل وقضايا الحياة اليومية. ومن هنا يكون الاستنتاج واضحاً للغاية وكما قال الباحث (بير جنوني) من الضروري أن يكون الإعلام حول القضايا الدولية أكثر سرعة وإدراكاً وتركيزاً حول فعل الحقائق الملموسة وأن تسير التعليقات الدولية كما يقال على آثار الخطوات الجديدة للأحداث وأن تعممها [١٤٣] كما أظهرت الدراسة أن هناك إمكانات كبيرة لرفع فعالية الصحيفة وعلاقتها بالمواد النقدية التي تظهر بانتظام على صفحاتها. إن عدم رضى العديد من القراء على المواد النقدية مرتبط بكل الظواهر السلبية التي تجد انعكاساً لها على صفحات البعث. عندئذ نرى كل ستة قراء من أصل عشرة يعتبرون أن المواد النقدية يجب أن تكون أكثر وأقوى وأعمق. وتم الحصول من خلال الدراسة على معلومات ثمينة حول نتائج النشاط الإعلامي لأسرة الصحيفة ووسائل الإعلام الجماهيري بشكل عام. وقد أكد الباحث (ليسنكو فايس)[١٤٤] مراراً وتكراراً على أهمية وضرورة هذا النوع من الإعلام وطلب توجيه الاهتمام الفائق بالأخبار حول الانطباع الذي تتركه هذه المادة أو تلك أو هذا الكراس أو ذاك على مختلف فئات القراء كما

---

(143) – مجلة (الحياة اليومية) العدد ١٧ – عام ١٩٨٩ ص١٦.

(144) – ليسنكو.ف.س: المؤلفات الكاملة – المجلد٢ ص٢٢١.

يعطي الإمكانية لهيئة التحرير معرفة (هل يدرك نشرها) وهل يستجيب الناس لها كيف تغيرها الحياة وما هي الإضافات والتصحيحات الضرورية[١٤٤].

ومن وجهة نظر طبيعة وعمق التأثير الذي تقوم به وسائل الإعلام الجماهيري تبدو مفيدة وفعالة دراسة عمليات (ما وراء الاتصال) التي كما تظهر تجربة الدراسات الخارجية (الأجنبية) أنها تؤثر تأثيراً كبيراً على تشكيل الرأي العام ويعد في أكثر الأحيان التشكيل الأخير معقداً ومتعدد المراحل فالتأثير الإعلامي لا ينتهي دائماً عند إدراك القراء والمستمعين والمشاهدين للأخبار المقروءة وأهم مؤشر لتأثيره هو (البث الشفهي المتكرر) اللاحق من قبل الجماهير للأنباء التي تصلها (نشر واستخدام الأنباء في مختلف أشكال التواصل الاجتماعي والرسمي وحتى الفردي....) مما يوسع باستمرار حالة التأثير الإعلامي المطولة والمعمقة له. لذلك نرى في دراسة صحيفة (البعث) وإلى جانب ما أصبح تقليداً من الضروري مراجعة اهتمامات الجماهير بأقسام الصحيفة وشمولية قراءتها وتقديراتها (درجة تلبية المضمون للرغبات) مما يوجه الاهتمام التام إلى ذلك التبادل بالآراء والانطباعات والأفكار التي تنشأ نتيجة لارتباط القراء بالمواد المنشورة في الصحيفة وكما بدا من التحليل هناك علاقة متينة جداً بين كل ما ذكرنا من دلائل تشهد على درجة معينة من وسط نقاش جماهير القراء وتبرز إمكانات هيئة التحرير في تكوين الرأي العام بنشاط. وهنا لابد من اكتساب ثقة القراء بالمواد الجديدة ومن وجهة نظرهم (الحصول على التقدير الإيجابي) ودفع الاهتمام بمضمونها وجعله مضموناً ملحاً(أن يكون له معناه الشخصي أو الاجتماعي) ومفهوماً سهلاً فإذا توافرت الشروط المشار إليها وتم التقيد بها لحلها يصبح ممكناً تعميق مجال التأثير الإعلامي وتوسيعه في عملية الانتشار اللاحقة للأنباء الواصلة. وبكلمة أخرى إن النقاش وتبادل

---

(144) ـ ليسنكو.ف.س: المولفات الكاملة ـ المجلد٢ ص٢٢١.

الانطباعات والأفكار حول مواد الصحيفة ماهو إلا مؤشر من نوع خاص شامل لفعاليتها يعكس تقدير المواد والاهتمام بها وبقراءتها كاملة.

إن تحليل أقسام الصحيفة من وجهة نظر مؤشرات الفاعلية يكشف علناً وبوضوح عن وجود احتياطات لم تستخدم لدى هيئة التحرير لتوسيع تأثيرها في الجماهير... وهكذا إن أقسام الثقافة والتحقيقات قد استقرت في آخر القائمة من حيث التقدير والاهتمام والقراءة الشاملة في حين أن دائرة القراء الذين عليهم تبادل الآراء والانطباعات فيما يتعلق بمواد هذين القسمين كانت محدودة (١٥% - ٢٠%) لكنها خاصة وتتألف من الوجوه التي تحوز التعليم الثانوي كحد أدنى والجمهور الأساسي من حملة الشهادات أو من الذين لم ينهوا الدراسة الجامعية وعلى ما يبدو أن هيئة التحرير لا تستطيع بناءً على ما ذكر من موضوعات أن تحقق ذلك التحول بالأفكار في سبيل الانتشار والدخول في أوساط الجماهير الذي أكد على ضرورته آنذاك كارل ماركس حيث كتب مخاطباً كافيرو. أحد المؤلفين الذين أخذوا على عاتقهم الكتابة المبسطة (لرأس المال) استلمت منذ فترة عملين مماثلين ... لكنهما خاطئان لرغبتهما إعطاء موجز قصير ومبسط (لرأس المال) على الاحتفاظ بالشكل العلمي في الوقت نفسه وبصورة مختلفة جداً ويبدو في نتيجة ذلك أنهما لم يتوصلا إلى هدفهما في إعطاء انطباع حسن للجماهير الواسعة التي خصصت لها مثل هذه الأعمال [١٤٥].

وبغض النظر عن أهمية مؤشر البث المتكرر للأخبار الذي يشهد على توغلها المتعاظم في وعي الناس. لاشيء يتحدث لنا عن انتشار الأخبار الواصلة بدلالة إيجابية أو سلبية أو أي درجة تشوه في عملية التداول وكيف تقدر من قبل المتلقين وماهي درجة توافقها مع تغطية هذه المشكلة أو تلك وفي نهاية الأمر وإلى أي مدى تتطابق هذه التقديرات مع مقاييس ومقدرات المجتمع المتطور؟

---

(145) - ماركس – المؤلفات الكاملة – المجلد ٤ ص١٢٢.

ويسمح بالحكم على ذلك فقط تحليل حالة الرأي العام نفسه بالعلاقة مع القضايا السياسية الاجتماعية الملحة من خلال دراسة (البعث) تم القيام بمحاولة توضيح حال الرأي العام حول مسائل نمط الحياة الجديدة كشرط يحدد إلى درجة معينة سياق العمل التربوي بشكل عام كمؤشر على فعالية نشاط وسائل الإعلام الجماهيري في الدعاية وأفضلية النمط الجديد للحياة الجديدة.

إن تقديرات السكان بشكل عام والقراء والأفراد الذين لا يقرؤونها وبعض العناصر الأكثر أهمية في ظروف حياة البلاد وفي أكثر البلدان تقدماً تعد دليلاً ملموساً يميز حال الرأي العام وفي الوقت نفسه يميز فعالية نشاط وسائل الإعلام الجماهيري وفي هذه الحالة وتعتمد هذه العناصر على دراسة الظروف اللازمة للحصول على التعليم والمهنة وشروط الراحة والتطور الفيزيولوجي وتلبية المتطلبات الثقافية عند الناس وشروط الحصول على المساعدة الصحية اللازمة. لقد كان على المشاركين في الاستطلاع تقدير الإمكانات حسب جدول درجات مؤلف من خمس نقاط متوافرة عند أكثرية سكان المدينة والقرية التي يعيشون فيها وكذلك في الإمكانيات المماثلة عند أكثرية سكان البلدان الأكثر تطوراً. أظهرت الدراسة أن الحال المتوفرة اليوم للرأي العام تناسب القيام بالعمل التربوي لكل الفئات الاجتماعية الديموغرافية الأساسية لسكان البلاد التي كادت أن تعترف بالإجماع اعترافاً غير مشروط بأفضلية نمط الحياة الاشتراكي الديموقراطي.

طبيعي أن يكون من الصعب توقع تقديرات أخرى من حيث المبدأ عند الأخذ بعين الاعتبار ظروف المشاركين في الاستبيان عند تقدير عناصر ظروف الحياة في البلد. وإن أكثرية سكان المدن والقرى كانت نتيجة للدراسة تستدعي رضاً خاصاً وتشهد بوضوح على إدراك الناس لتفوق نمط الحياة الجديدة الحقيقي وعلى الفعالية العالية لمواد صحيفة (البعث) هنا يوجد كثير من

جماهيرها الذين يقدرون تقديراً نقدياً ظروف الحياة في الدول الرأسمالية. وإن الجماهير بالمقارنة مع ((اللاجماهير)) تتقدم إلى الأمام بناءً على نسبة الأشخاص الذين أعطوا أعلى التقديرات لظروف الحياة في البلد.

وأظهرت الدراسة في الوقت نفسه ما يسمى الأماكن الضيقة في العمل الإعلامي واتضح مثلاً أن التقدير العالي لبعض عناصر في الدول الرأسمالية يقدرها إلى درجة كبيرة الشباب (وفي المقدمة الطلاب وتلاميذ الصفوف المتقدمة) وكذلك الأشخاص المتلقين الأنباء من المصادر الأجنبية (الإذاعة والمجلات والأفلام السينمائية) وهذا دليل قاطع على ضعف دراسة الطرق التي يتبعها الإعلام البرجوازي في حجمه وبالتالي على نقص عمل الإعلام في البلاد. وهكذا تؤثر البعث تأثيراً جوهرياً في تشكيل آراء جمهورها وبالمعنى الكامل تؤثر الجريدة تأثيراً كبيراً على تكوين الرأي العام لأن موادها إلى جانب انتشارها الواسع بين الناس تستخدم بفعالية ونشاط من قبل القراء أثناء التحضير للأخبار السياسية (التوجيهات السياسية) والندوات والمحاضرات وفي الدروس في نظام التثقيف الاقتصادي والسياسي والمقالات في الصحف الدورية وأثناء تقصي ووضع قرارات اجتماعات الأجهزة وانتخاباتها. إلا أن دراسة الجريدة تظهر بقناعة تامة أن تأثيرها في تكوين الرأي العام يمكن أن يكون أقوى على حساب أهمية نشر مواد كثيرة مخصصة للفئات الواسعة من السكان وكذلك على حساب تغير أشكال تقديم هذه المواد التي يتم رفضها اليوم (أي أن تبقى بدون سبب وغيره مفهومة) من قبل جماهير القراء ومن حيث الجوهر لقد كرس لتوسيع وتعميق تأثير الجريدة العمل في تحسين مواد مضمونها لانتقاء مكانها في المجرى العام للأنباء وينطبق على الصحافة الصغرى البحث التجريبي على قاعدة الصحيفة المحلية (العروبة) ومثال على الصحافة الصغرى المرتبطة بمنطقة أو مدينة فإننا نرى محدودية مكانها ودورها.

لقد انطلق الباحثون من أن الصحف (المحلية) لا تستطيع منافسة الصحافة (الكبرى) لا من حيث السرعة ولا من حيث الاتساع ولا من حيث الشمولية والكمال في تغطية الأحداث الجارية في العالم. إلا أن الجريدة المحلية تبقى مصدراً مستقلاً لأنباء عن حياة الجماعات العمالية والمدن والقرى والبلدان التي يعيش ويعمل فيها السكان قراء هذه الجريدة وبالتالي لابد من حل مسألة دور ومكان الصحافة (الصغرى) في عالم الصحف الذي يجب عليها ألا تكون بديلاً فيه عن الصحافة المركزية مع الوضع في الحسبان كل ما أشير إليه من خصائص. وقد طرحت على هذا الأساس النظرية القائلة أن علاقة الجماهير بالجريدة لتقديرها من قبل القراء وإعدادها وكمية الرسائل إلى هيئة التحرير ... الخ،مرتبطة مباشرة بمدى تكريس صفحات الجريدة للموضوعات المحلية ولحياة تلك المنطقة التي تقوم بوظيفتها فيها.

وبالتوافق مع النظرية المقترحة والتنفيذ المتوالي للتغيرات الجذرية في مضمون جريدة العروبة كالتقليل من المواد التي لا علاقة لها بحياة المنطقة وتنامي الوزن النوعي للمواد المكرسة للمواضيع المحلية بنسبة ٩٢% وتقليص الموضوعات الأخرى من ٢١% إلى ٣% وأما الموضوعات الدولية من ١٠% إلى ٥,٣%.

لقد وصلت أعداد الصحيفة في عام ١٩٩١ إلى ٢٠٠٠ نسخة مقابل ١٠٠٠ نسخة قبل البدء بالتجربة وتصاعد بريد القراء أكثر من أربع مرات. وأصبحت الجريدة تقرأ حسب معطيات استطلاع رأي المشتركين فيها وسكان المنطقة من قبل ٣٥% من عدد السكان البالغين في هذه المنطقة ويعد ٨٢% من المشتركين أن الصحيفة قد تغيرت أثناء التجربة نحو الأفضل و ٩٠% منهم

تضامنوا تماماً مع الخط العام لهيئة التحرير أي تركيز الاهتمام على القضايا الحياتية في المنطقة [١٤٦].

ومن الإشارة إلى الفعالية العلمية والتطبيقية الكبيرة لمثل هذا النوع من الدراسات ويعني إدخال العامل التجريبي مباشرة في النشاط التطبيقي للناس والخروج من أطر التحليل العلمي للبحث. وهذا يعني أنه في آن واحد يجب إدخال نتائج البحوث والتجربة العملية للمقترحات النظرية التي تسمح بالكشف عن العلاقات المتبادلة الأكثر جوهرية في تطوير هذه أو تلك من العمليات والظواهر وإيجاد أكثر السبل الجدية لإدارتها. لقد أخذت في الآونة الأخيرة بالانتشار الدراسات التي ينظر فيها إلى نشاط وسائل الإعلام الجماهيري في مجال تكوين الرأي العام بالارتباط بالقضايا المحلية التي تتطلب حلاً فعلياً وإن هذه الدراسات تتم بناءً على قرارات من الأجهزة الحزبية التي تعرف جيداً مشاكل منطقتها ولديها القدرات الواسعة في التنفيذ الفعلي لتوصيات العلماء والرأي العام. فمن هذه الدراسات مثلاً الدراسة (دور وسائل الإعلام الجماهيري في تكوين علاقة سكان المدينة بمسألة استغلال وقت الفراغ) التي قام بها الباحثون في قسم الصحافة عام ١٩٩٠ باشتراك مباشر مع القيادة الحزبية في مدينة حمص. وأظهرت الدراسة أن التركيب الحقيقي لوقت الفراغ عند سكان المدينة متطور ومتنوع للغاية مع الميل إلى النشاط الإعلامي الاستهلاكي لقراءة ومشاهدة وسماع البرامج الإذاعية والتلفزيونية وغيرها).

لكن الأساليب الإيجابية في قضاء وقت الفراغ مثل الإبداع الفني وممارسة الرياضة والتصوير و التصوير السينمائي وغيرها التي يكون فيها الفرد هو الفاعل من حيث الجوهر لم تحصل مع الانتشار الواسع. وفي الوقت

---

(146) - انظر: مضمون وفاعلية صحيفة (العروبة)
مشروع تخرج بإشراف الدكتور عطا الله الرحيمين ١٩٩٠.

نفسه تم التعرف على نسبة المواطنين الذي يثمنون (يقدرون) إيجابياً هذه الأعمال تزيد بعدة مرات على نسبة أولئك الذين يكرسون لها وقت الفراغ أي بالنسبة للنشطين والطرائق ذات الطابع الإبداعي المتبعة في قضاء الفراغ ويصبح واضحاً الفارق الكبير بين علاقة السكان بها وبين استغلالها الفعلي وتكشف هذه الحقيقة عن أن الناس مطلعون على فائدة الرياضة وأهمية وقيمة الألعاب الرياضية والسياحية والإبداع الفني وغيرها. إلا أن هذه المعرفة لم تصبح بعد بالنسبة لأكثريتهم دافعاً محفزاً للسلوك الفعلي في مجال وقت الفراغ من الواضح اليوم أن عمل وسائل الإعلام الجماهيري الأكثر توجيهاً أو ضرورة في مجال تكوين العلاقة القوية بين الناس والأعمال التي تساعد على تطوير مبادرة الناس وإبداعهم وتعزيز صحتهم الجسدية والأخلاقية وهذه من الصفات التي تستجيب لمتطلبات المجتمع الناضج. كما أظهرت الدراسة على وجه الخصوص مصداقية الاستخدام الواسع لقوة النماذج المعروفة جيداً من قبل التربويين وعلماء النفس في مواد وسائل الإعلام الجماهيري وفي مقدمتها التلفزيون أي عرض نماذج من قضاء وقت الفراغ بشكل ملموس وعلني موثوق. زد على ذلك أن هذا ضروري كي يشعر الناس (وبخاصة الشباب منهم) بسرعة نقلها لمثل هذا النوع من الأنباء.

وقد أظهر التحليل في الوقت نفسه أن الشباب يقتدون في أكثر الأحيان بالسلوكيات التي يشاهدونها في الأفلام السينمائية والتلفزيونية وفي البرامج التلفزيونية المركزية المعتمدة على الأعمال الأدبية أو على التجربة الشخصية في مخالفة الأصدقاء والمعارف خارج العمل لقضاء وقت الفراغ. وبالعكس إن مواد وسائل الإعلام الجماهيري المحلية (المنطقية) بما فيها برامج التلفزيون المحلي ونموذج الرفاق في العمل والأقارب تلعب هنا دوراً ليس بقليل. وفي النتيجة إن نماذج السلوك في وقت الفراغ الذي يسعى الجزء الأكبر من الشباب

لقضائه تبدو مكونة بمساعدة التجربة (غير المباشرة) البعيدة عن الحياة اليومية لهم والتي لا تتطابق دائماً مع غير تجربتهم الحقيقية (المباشرة) وإمكانيتهم كما يعتبر غالباً أساساً لمختلف الانحرافات في سلوك الشباب،والبعد بين وعيهم ونشاطهم حيث تتشكل في جماعات شبابية غير شكلية، لا علاقة لها بالعمل ولا بالدراسة كما في مفهوم (قتل) الوقت.

إن التقارب الأعلى لسيول الأنباء القادمة إلى الفرد عن طريق قنوات التجربة غير المباشرة هو أحد الشروط المهمة لنجاح العمل التربوي وكذلك الفعالية لنشاط وسائل الإعلام الجماهيري وخاصة الوسائل المحلية التي على ما يبدو لا تستغل دائماً إمكاناتها المتاحة في تكوين الرأي العام والسلوك الموجه نحو الحفاظ ودعم وتطوير العناصر التقدمية المستقبلية الموجودة في التقاليد القائمة والمتكونة في وقت الفراغ وعدم القبول بالعناصر المحافظة والقريبة والمستوردة من الجانب الآخر والاستنتاج المهم الآخر من الدراسة بالنسبة للتطبيق المعروض على الرأي العام هو تحسين استغلال وقت الفراغ بقدر ما هو مرتبط بالاستغلال الأكثر فعالية للإمكانات القائمة كتحسين عمل المؤسسات الثقافية والملاعب والقاعات الرياضية وأماكن الراحة والاستجمام وغيرها وتعزيز الاهتمام بمسائل تنظيم أوقات الفراغ عند الأطفال والأولاد مع إحداث جو لا يقبل اختراقات ومخالفات النظام العام مع استخدام إجراءات التأثير الإداري والاجتماعي الأكثر صراحة في هذا المجال. وتتم متابعة التوجه لتحسين مضمون وسائل الإعلام الجماهيري بشكل واضح تماماً.

بعد الانتهاء من الاستبيان مباشرة كان من الضروري أن تنظر قيادة الحزب في المدينة بشكل خاص في مسائل تنظيم سكانها لأوقات فراغهم واستغلالها اعتماداً على النتائج الأساسية للدراسة التي شرحنا بعض نتائجها

أعلاه [١٤٧] وأن تضع المنظمات الحزبية نتيجة للنقاش الواسع والمفصل لهذه المسائل ونصائح العلماء برنامجاً متكاملاً بأجزائه الملموسة الموجهة إلى توسيع وتحسين استغلال الإمكانات المتاحة لقضاء أوقات الفراغ بصورة مفيدة وأن يجبر العديد من هذه الإجراءات تجسيداً له في الحياة العملية مباشرة.

وهكذا لأجل القضاء على النقص في الأنباء حول أوقات الفراغ والتقارب الأعلى لسيل هذه الأنباء حول أوقات الفراغ عن طريق التجربة المباشرة وغير المباشرة وإلى جانب جريدة (العروبة) والبرامج الإعلامية في التلفزيون المحلي يجب وضع عناوين جديدة مكرسة لإمكانات قضاء أوقات الفراغ واستغلالها في سبيل نشر التجربة والاستغلال الأمثل مع الوضع في الحسبان الظروف المحلية لإدخال عناوين مماثلة على صفحات الجرائد الصادرة عن مناطق أخرى وفي سبيل جر أكثر عدد من الناس إلى الممارسة المنتظمة للرياضة والألعاب الرياضية والاشتراك في الفرق الفنية الخاصة وغيرها ويجب اتخاذ قرارات حول جعل الأعياد الرياضية الصيفية والشتوية والمباريات الجماهيرية والحفلات وكذلك الإكثار من أعداد المجموعات الصحفية والتربية الرياضية وتطوير الخدمة السياحية والدعوة لانتشار النشاطات الفنية والحلقات السينمائية وحلقات كرة القدم والنوادي التي توحدها اهتمامات موحدة وجعل ذلك كله تقليداً وهنا لابد من إشارة خاصة إلى أن الاستخدام المتنوع والسريع والفعال لنتائج دراسة الواقع يصبح كبير الأهمية في التخطيط المستقبلي بالإضافة إلى ذلك الظرف الذي أصبحت فيه الدراسة منذ البداية قضية عامة تهم الباحثين والحزبيين [١٤٨] إن الارتباط العضوي لموضوعات الدراسات بالواقع

---

(147) – انظر: وسائل الإعلام الجماهيري وقضايا الرأي العام – مشروع تخرج بإشراف الدكتور عطا الله الرحيمين ١٩٩٠.

(148) – مع هذا المبدأ بالذات يبني كل نظام الدراسة الكاملة للرأي العام.

والاشتراك المباشر في تنظيمها وتطبيقها من أجل الباحثين والحزبيين والنقابيين وكذلك من قبل ممثل المعامل والمصانع والمؤسسات وغيرها يضمن التحليل المتعدد الجوانب تطابق الظروف الملموسة للظواهر والعمليات الملحة والإدخال التام والمباشر للنصائح المعدة معاً وتطبيقها وهكذا إن تجربة القيام بدراسات اجتماعية للرأي العام يظهر مدى فعاليتها الواسعة على الإعلام المتذبذب من التغيرات الجارية في واقع نشاط جماعات إبداعية معينة (الهيئات) وفصائلها حتى التحولات التي تمس كل نظام وسائل الإعلام الجماهيري في إطار مناطق كاملة وتظهر هذه التجربة أيضاً أن دراسة الرأي العام بمساعدة أساليب علم الاجتماع هي شرط من الشروط الضرورية لتحسين كامل العمل الإيديولوجي ولتحقيق مبادئ مجمل العملية التربوية. إن الدراسات الاجتماعية للرأي العام تكشف عن نواقص وحسنات الإعلام وعن توجهاته وطبيعة التغيرات في مضمونه وتنظمه وتساعد على حل القضايا النظرية الملحة والمسائل التطبيقية المهمة لإدارة العملية الأيديولوجية وتساعد أيضاً على وضع واتخاذ القرارات والتعديل الناجح في نشاط رجال الإعلام والأجهزة الحزبية.

إن توسيع المجال وتعقيد طبيعة المواجهة الفكرية في ظروف انتهاء الحرب الباردة وتبادل الآراء والأفكار والأخبار يفرض ضرورة الدراسة الدقيقة لقضايا توظيف الرأي العام في مجتمعنا والتأثير المتبادل بين الإعلام والرأي العام. كي يصبح الطلب على الأنباء الدائمة والموثوقة من الأفكار والآراء المقترحة والأمزجة عند الناس كبير جداً لعلاقته بالمسائل الملحة وفعالية المعرفة الإعلامية للحقائق التي تحددها. وإن تنشيط العمل وتحسينه في مجال دراسة ما تقوله الأوساط الاجتماعية ومن ضمنها تجربة القيام بالدراسات الاجتماعية للرأي العام وإنشاء نظام عام للدراسة على مستوى البلاد كلها يعد مقدمة لهذه المسائل وضمانة أساسية لحلها.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الثاني

الرأي العام حول المسائل السياسية

كموضوع للدراسات الاجتماعية

(سوريا نموذجاً)

يطرح نمو عدد من الدراسات الاجتماعية حول الرأي العام فيما يتعلق بقضايا السياسة بصورة حادة مسألة علمية تطبيقية مهمة، وهي إلى أي درجة تسمح نتائج الدراسات الاجتماعية برفع فعالية النشاط الإداري للجان الحزبية والأجهزة الحكومية؟ وماذا تقدم من جديد؟ وماهي الحدود التي ضمنها يمكن، أو يجب تصديق المعطيات الاجتماعية واستخدامها؟.

إن هذه الأسئلة تقلق أكثر فأكثر الأيديولوجيين. وهنا تم القيام بمحاولة إظهار دور وأهمية الدراسات الاجتماعية بالاعتماد على مثال دراسة آراء العاملين حول مسائل الحياة السياسية التي أجريت عام ١٩٨٩[١٤٩].

ومن المعلوم أن الدراسات (البحوث) الاجتماعية تقوم بوظائف متعددة في الحياة الاجتماعية بكل أبعادها النظرية والتطبيقية والإيديولوجية، وهي وسيلة لجمع الحقائق العلمية ولتطوير النظرية ووسيلة تحسين القرارات الإدارية وتطوير الوعي الاجتماعي والتربية الاجتماعية.

إن الدراسات الاجتماعية بتنفيذها للوظيفة النظرية تساعد على تطوير موضوع الدراسة وتفسير اتجاه وقانونية (شرعية) وجودها وتطورها.

وتدعو الدراسات التطبيقية للارتياب وللشك من غيرها، التي توجه على الأغلب نحو تصوير الموضوع. ويعلل هذا بأن الدراسات لا تعطي شيئاً جديداً وتكشف فقط الحقائق المعروفة للجميع. وكما يشير الاختصاصيون في هذه الأثناء إلى الدراسة المتمعنة لتجربة علماء الاجتماع العملية (تسمح على الأقل

---

(149) – تم القيام بهذه الدراسة في تشرين أول عام ١٩٨٩ (المؤلف).

بافتراض وجود مثل هذه الدراسات التي من المفيد فيها البرهان المعروف للجميع)[١٥٠].

ولهذه الدراسات أهمية جوهرية لأنها تلعب دوراً مهماً في الحالات التالية:

أولاً:

عندما تتأكد فعلاً عملية الانتشار الواسع للرأي وبالنتيجة تملك قوة الحقيقة الموضوعية علمياً. ومن الواضح للجميع أن الشعب العربي السوري يتميز بنشاطه السياسي القوي ودراسة آراء العاملين في منطقة ريف دمشق تؤكد هذه الحقيقة بجلاء.

ثانياً:

عندما يكون الرأي الشائع ليس مؤكداً تكون صفاته الكمية محددة ولابد في هذه الأثناء من الاعتبار الدائم لظروف الدراسة الاجتماعية للرأي العام، إذ أن العاملين في منطقة ريف دمشق بإبدائهم النشاط القوي في التعبير عن الرأي العام في مسائل السياسة قد أكدوا الاتجاه العام لتصاعد النشاط السياسي للشعب العام السوري فيما يتعلق بالمجتمع الحضاري الجديد وفي الوقت نفسه تعتبر المحدودية الكمية لهذا النشاط البالغة ¾ من المشاركين في الاستبيان. وقد حددت أثناء سير عملية الدارسة الاجتماعية نتيجة لفعل العوامل الملموسة في الظروف الملموسة.

يتشكل نصف العاملين في منطقة ريف دمشق البالغ عددهم ٢٧٢ ألفاً من العمال والصناعيين ,١٤٠ ألف عامل (١٥,٣ %)لذلك وعند التطرق إلى طبيعة الطبقة العاملة لابد من القول أنه يدخل تعدادها العديد من العمال الكوادر,والمنحدرين من عائلات عمالية.الطبقة العاملة في ريف دمشق معروفة

---

(150) – محاضرات في منهجية الدراسات الاجتماعية الملموسة ص٣٤ (الكتاب بدون مؤلف)

بتقاليدها العمالية حيث يوجد عدد كبير من المزارع التي يعمل فيها بالتتالي ٢٨٥٥ (١٠,٣%) و ٥٨٠ (٢,١%) من العمال الزراعيين ويشكل المختصون بالاقتصاد الوطني والمستخدمون غير المختصين مجموعة كبيرة من العاملين في المنطقة أي ٩٨٤٠ (٣٦,٣%) من تعداد العاملين. لقد اشترط التناسب الواقعي للمجموعات الطبقية الاجتماعية لطبيعة الكمية لفاعلية الآراء التي تم التعبير عنها.

وتؤكد المعطيات الكمية التي تم الحصول عليها في الوقت نفسه الحقيقة القائلة أن التجانس الاجتماعي في مجتمعنا يتطور ويتعزز، وتتقارب الطبقات والجماعات الاجتماعية نحو القضاء التدريجي على الفوارق الموجودة ومسح الحدود الاجتماعية بينها. وهذا يعني تقوية وحدتها السياسية – الإيديولوجية.

ويظهر ذلك بصورة ملموسة أثناء تطور المضمون الوطني التقدمي للآراء حول المسائل السياسية وأثناء رفع فعالية الأحكام التقديرية التي يتم التعبير عنها ويستقصي تقارب الأفكار واتجاهات الناس مثلاً أثناء مقارنة آراء العمال والفلاحين والمثقفين حول نشاط المؤسسات السياسية.

وهكذا عبرت دراستنا عن الاهتمام بنشاط النواب في مجلس الشعب و القواعد الحزبية ٧٤,٧% من الذين تم استطلاع آرائهم من المختصين بالاقتصاد الوطني والعاملين غير المختصين، و٧٢% من العمال الصناعيين وعمال الخدمات، ٦٨,٩% من الفلاحين والعاملين في المزارع.

إن وضع الحدود الكمية للظواهر المدروسة تكمل من حيث الجوهر معارفنا بما يسمى (بالمعروف للجميع) بصورة جيدة، ويسمح برؤية الأشكال الملموسة لبروز الاتجاهات المعروفة ويعطي الإمكانات للمنظمات الحزبية والأجهزة الحكومية في معالجة قضايا تكوين الرأي العام معالجة فعلية وأكثر فعالية ووضع الحلول للمسائل العملية.

إن إظهار الصفات الكمية يوسع أطر التحليل المقارن وإمكانات تحديد مراحل تطور الآراء فيما يتعلق بهذه أو تلك من الظواهر.

وهكذا كانت أحد اتجاهات التحليل في دراسة آراء العاملين في محافظة ريف دمشق حول المسائل السياسية هي تحليل اتجاهاتها وعلاقاتها بالآراء التي تعكسها. فكان لابد من إيضاح أي الجهات في الحياة تعد موضوعاً للأحكام التقديرية في الأجواء السياسية.

ويظهر تحليل أجوبة العاملين أن نسبة عدد المشاركين في الاستطلاع التي عبرت عن أحكامها على أعمال وسائل الإعلام الجماهيري قد بلغت في المتوسط ٨٤,٧% وعلى المعايير السياسية ٧٨,٥% وعلى عمل المؤسسات السياسية (المجالس المحلية والقواعد الحزبية) ٧٢,٣% وعلى الأحداث السياسية الملموسة ٦٦,٥%.

والعمل الأكثر اعتيادية (بالنسبة للعاملين كان التعبير عن آرائهم حول الرضى عن عمل وسائل الإعلام الجماهيري. فالأكثرية العظمى من المشاركين في الاستطلاع كان لها رأي فيما يتعلق بالمعايير السياسية المتجسدة في حقوق وواجبات المواطنين السوريين المثبتة في الدستور السوري. بالمقارنة كان عدد المشاركين بالاستطلاع الذين عبروا عن أحكامهم حول نشاط المؤسسات السياسية العلاقة بالأحداث السياسية الملموسة أقل بقليل من سابقتها.

ويظهر التحليل المقارن للمعطيات الكمية فيما يتعلق بفعالية التعبير عن الرأي أنه قد نشأت أكثر الصعوبات أمام العاملين أثناء تقدير الأحداث السياسية الملموسة. وهكذا فإن أكثر من نصف المشاركين في الاستطلاع بقليل (٦٠,٨%) قد أدلى برأيه حول الحملة الدعائية للدول الغربية فيما يخص (الدفاع عن حقوق الإنسان في المجتمع السوري).

فعلى ما يبدو أنه في وقت إجراء الاستطلاع لم يتكون بعد في الجماعات

الاجتماعية التي قامت عليها دراسة الرأي الكمي نهائياً حول الموقف من الحملة الإعلامية الغربية الذي يعكس الرأي العام المتكون في بلدنا بصورة متساوية. فكان الرأي العام السوري حول الحملة الغربية يعكس فيما يتعلق (بالدفاع عن حقوق الإنسان في المجتمع) في هذه الأونة قد تشكل وانعكس في تقرير وزارة الإعلام السورية.

يعد المستوى المتدني لإطلاع العاملين في هذه المنطقة على الحملة الإعلامية الغربية فيما يتعلق بـــ (الدفاع عن حقوق الإنسان في المجتمع السوري) أحد الأسباب الرئيسة لتأخير تكوين الرأي عندهم حول هذه المسألة. فالكثيرون من بين أولئك الذين سمعوا عن سير هذه العملية كانت لديهم تصورات عامة للغاية عنها، لكنها بدت غير كافية لتهيئة علاقاتهم (أحكامهم التقديرية) بها. ومع ذلك لم تركز المنظمات الاجتماعية التي تقود العمل الفكري – التربوي اهتمام العاملين بهذه المسألة. ومن حين إلى آخر اكتفت الصحف وغيرها من وسائل الإعلام الجماهيري بالأخبار عن الحملة التي لها طبيعة عامة للغاية. وبالنتيجة ليس كل من سمع عن حملة (الدفاع عن حقوق الإنسان) في المجتمع السوري والتي كان من بينها وكالات الإعلام الغربية استطاع أن يعبر عن رأي مطلع بالكامل مضمونها واتجاهها. والحالة الثالثة من حالات ضرورة ملاءمة الدراسات الاجتماعية التطبيقية الموجهة في الغالب نحو تصوير الموضوع، تنحصر في أنه بمساعدتها يحدث تصحيح أو حتى رفض الرأي المنتشر بشكل واسع. وهذا يعني أنه في دراسة الرأي العام يجب التدقيق بالتصورات المكونة لدى الأجهزة الحكومية والمنظمات الشعبية عن حالة وعي بعض المجموعات الطبقية – الاجتماعية أو الجماعات العمالية على أساس نتائج الدراسة.

وقد اعتمد على معطيات ونتائج الدراسات السابقة حول فعالية الإعلام

الحزبي والتوجيه السياسي في الجماعات العمالية في دمشق ومناطق حمص وحلب التي أظهرت أن أكثرية المشاركين في الاستطلاع يصفون تفوق النمط التقدمي – الاشتراكي للحياة على النمط الرأسمالي ويشيرون إلى مبادئ وميزات الديمقراطية الاشتراكية كإحدى أهم أفضليات النظام الاشتراكي(١٥١).

وفي دراستنا أيضاً أشارت الأكثرية الساحقة من الذين أدلوا بأجوبتهم إلى أفضلية البلدان الأجنبية التي تعيش حياة ديمقراطية وهي البلدان الاسكندنافية حسب رأيهم وما يلفت النظر والانتباه إلى أن هناك من لم يجب على هذا السؤال ومن كان من الصعب عليه الإجابة أو من كان قد امتنع عن الإجابة أو التعبير عن رأيه.

الاستبيان:

ولذلك تبقى مهمة تكوين الرأي العام و انعكاساته المماثلة في الآراء الجماعية حول الموقف من قضايا الديمقراطية الشعبية كما كانت عليه مهمة حيوية من مهمات العمل الإيديولوجي.

لقد جرى الحديث حتى الآن عن أهمية الدراسات الاجتماعية في قضية تطوير موضوع هذه الدراسة حول مسائل الحياة السياسية. إن الدراسات الاجتماعية الموجهة نحو تصوير آراء العاملين وتطبيقها محصورة بمنطقة ضيقة نسبياً وفي مجال طبيعة المعطيات الحاصلة. ويضعف مثل هذه الدراسات إلى درجة كبيرة دور الجزء النظري من البرنامج التطبيقي حيث لا يمكن البدء في جمع المعلومات التجريبية إن كنا لا نملك التصورات النظرية عن طبيعة الرأي العام. إلا أنه يمكن هنا الاكتفاء بالمعلومات العامة عنه، ويتم التعبير عن هذا بوضوح عندما يبدأ الباحث في دراسة الظاهرة فإما أن لا يقترح في هذا

---

(151) – محاضرات حول منهجية الدراسات الاجتماعية الملموسة.

المجال أية فرضية وإما أن يكتفي بوضع الفرضيات التصويرية التي تتضمن عادة افتراضات عن نموذج العلاقات في المادة (الموضوع) وعن طبيعة ((جمع الحقائق)) أو الافتراضات حول مدى قوة هذه العلاقات.

وتقوم الدراسات الاجتماعية أيضاً بمهمة تفسير الروابط السببية – التحقيقية في موضوع الدراسة كوسيلة للكشف عن شرعية وجوده وتطوره. وتتعاظم في مثل هذه الدراسات.

ولقد خصص مكان مهم في دراستنا لمسائل معالجة الجزء النظري من البرنامج إذ تعد آراء العاملين حول الحياة السياسية شكلاً مهماً من أشكال الرأي العام من حيث المواقف العلمية، وتتداخل خصائصه بخصائص موضوع الانعكاس (المجال السياسي للحياة الاجتماعية) القائم على الانعكاس (المجموعات الاجتماعية – الطبقية) والميكانزمات السيكولوجية الاجتماعية (الوعي السياسي).

وتكون حياة المجتمع السياسية والأجواء السياسية بمنزلة موضوع انعكاس الرأي العام حول مسائل السياسية. فالسياسة ظاهرة اجتماعية معقدة تحتوي على مجموعة وجهات النظر السياسية والأفكار والنظريات والعلاقات والمنظمات والمؤسسات السياسية أيضاً[١٥٢] إن العلاقات السياسية في هذه المجموعة هي الجزء المحدد والأساس والذي يتمثل قبل كل شيء بالعلاقات الطبقية التي أكدها لينين بقوله: (السياسة هي العلاقة بين الطبقات)[١٥٣].

إن جماهير الناس الواسعة بالذات والطبقات خصوصاً هي الجماهير المشاركة المهتمة بالعلاقات السياسية، وإن بعض الناس لكونهم ممثلين للمصالح الطبقية يقيمون علاقة طبقية. ففي هذه الحالة تكون العلاقة بينهم ذات طبيعة

---

(152) – انظر أ.ك بيلليخ التنظيم السياسي للمجتمع والإدارة الاشتراكية. لينغراد ١٩٨٧ ص١٥٢-١٥٥. و ن.ي أزاروف لينين حول السياسة كظاهرة اجتماعية. موسكو ١٩٧١ ص٢٩.

(153) – لينين – المؤلفات الكاملة. المجلد ٤٣. ص٧٢.

سياسية [١٥٤]. ولابد من أخذ هذا بعين الاعتبار عند البدء في الدراسة التجريبية الموجهة نحو جمع وتحليل الحقائق الاجتماعية، ومن المهم عند دراسة أفراد معينين ومراقبة سلوكهم إظهار ذلك المضمون فيهم والذي يرتبط مباشرة بتحقيق المصالح الطبقية مما يسمح بالتوصل إلى تحليل العلاقات السياسية وانعكاساتها في الآراء الجماعية العامة.

إن العلاقات السياسية في الظروف المعاصرة هي علاقات الجماهير الواسعة. والسياسية هي قضية ملايين، والطبيعة الجماهيرية للعلاقات السياسية هي الصفة المهمة التي من الضروري الأخذ بها أثناء الدراسة الاجتماعية للرأي العام.

وتكتسب العلاقات أبعادها في مجال السياسة عندما يتكون مضمونها من العلاقات المتبادلة بين الطبقات فيما يتعلق بالسلطة ومكتسباتها وصمودها وتطورها.

لذلك بالذات أشار لينين قائلاً: (تعتبر السياسة علاقات كل الطبقات والشرائح بالدولة والحكومة، ومجال العلاقات المتبادلة بين كل الطبقات)[١٥٥]. وبخلاف ذلك فإن العلاقات الإنتاجية رغم اعتبارها طبقية، لا تدخل في العلاقات السياسية. ولا تعتبر سياسية بصورة خاصة العلاقات خاصة العلاقات العائلة – الحياتية والاقتصادية والدينية والقانونية والأخلاقية والجمالية.

وقد تعامل لينين مع طبيعة العلاقات السياسية بشكل مميز موضحاً بنيتها في المرحلة الانتقالية من الرأسمالية إلى الاشتراكية وأدخل إليها العناصر التالية:

١- علاقة الطليعة العمالية بجماهيرها.

٢- علاقة العمال بالفلاحين.

---

(154) – انظر آزاروف. حول السياسة كظاهرة اجتماعية. موسكو ١٩٩١ ص٣٣-٣٤.

(155) – انظر. لينين. المؤلفات الكاملة – المجلد٦ ص٧٩.

٣- علاقة العمال (والفلاحين) بالبرجوازية[١٥٦]

وعند بناء المجتمع الحضاري تحدث تغيرات جوهرية في بنية العلاقات الاجتماعية، ومع انتصار الفكر النقدي تبقى المجموعة الثالثة من العلاقات فقط من وجهة نظر المهمات الخارجية للدولة. أما من وجهة نظر مهمات التطور الداخلي، تفقد أهميتها وتسقط ليصبح الممارس الأساسي للسياسة هم العاملون أنفسهم والجماهير الصديقة: العمال والمزارعون الفلاحون والمثقفون الشعبيون. وحسب رأي لينين تحتل مركز القيادة فيما يتعلق بعلاقات الطبقتين وكل العاملين علاقة ((طليعة العمال بجماهيرها)).

وتحتل علاقة العمال والفلاحين والمثقفين بطليعة المجتمع ممثلة بحزب البعث العربي الاشتراكي وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية مكانة مرموقة في نظام العلاقات السياسية في المجتمع المعاصر.

إن ميزة السياسة والعلاقات السياسية كموضوع للرأي العام تنحصر في أنها تلاصق بشكل مباشر علاقات المجتمع الاقتصادية والإنتاجية ويستوجب استقرار العلاقات الاقتصادية وثبات العلاقات السياسية مما يظهر من خلال النشاط السياسي الواضح والمبدئي للحزب والدولة والدفاع عن المصالح الشعبية ومتطلبات الشعب وضمانها.

وفي الوقت نفسه إن العلاقات السياسية هي الجزء المتحرك للبناء الفوقي الخاضع ليس فقط لتأثيرات العوامل الأساسية (الاقتصاد والبنية الطبقية) بل ولتأثير عوامل أخرى محلية لها فعاليتها (المصالح الفردية والجماعية والمستوى الثقافي والمستوى التعليمي وغيره). إن نشاط وحركة العلاقات السياسية كظاهرة فوقية تنحصر في أنها تبدي بدورها تأثيراً عكسياً في العلاقات الاقتصادية

---

(156) - لينين المؤلفات الكاملة – المجلد ٤٣ ص٣٨٣.

وغيرها ولاسيما أن لهذا التأثير في المجتمع الطبقي أهمية جوهرية. إن العلاقات السياسية بصفتها موضوع الرأي العام تكون دائماً في حركة، لأن التطور هو نتيجة لحل التناقضات. فتعتبر الجوانب المتطورة والملحة بالذات للعلاقات السياسية موضوعاً للنقاش المثير بين جماهير الشعب الواسعة. وتنسب إلى مثل هذه القضايا علاقة البدايات الحكومية والاجتماعية في إدارة المجتمع وطرق تحسين الديمقراطية الشعبية والقضاء على الفوارق الاجتماعية بين الطبقات. ومن الأهمية بمكان تدقيق جوانب العلاقات السياسية التي تهمنا مع الأخذ بما قيل في الدراسة التجريبية. وكقاعدة تُدرس أحكام العاملين التقديرية التي تميز علاقاتهم بالأحداث السياسية الجارية والمؤسسات السياسية والمعايير السياسية.

يستوجب التدقيق اللاحق إظهار السياسية الخاضعة للتقدير في كل مجال من المجالات المذكورة وتلك المسائل التي تعتبر أكثر إلحاحاً ويتوجه إليها اهتمام الدراسة. وهكذا تم التركيز في الدراسة التي أجريت في محافظة ريف دمشق، على دراسة قضايا الديمقراطية الشعبية، وكان ذلك ممثلاً على الشكل التالي:

١- الأحداث السياسية الجارية:

(حملة الدفاع عن حقوق الإنسان في المجتمع السوري) التي يقوم بها الغرب.

٢- المؤسسات السياسية:

آراء العاملين حول الحقوق والواجبات المدونة في دستور الجمهورية العربية السورية، وينسب إلى الدلائل العامة للديمقراطية الشعبية: مساواة المواطنين (بغض النظر عن انتمائهم القومي أو الجنسي) أمام القانون، حرية المواطنين السياسية الموافقة لمسؤولياتهم أمام الدولة، والاجتذاب الأقصى للمواطنين إلى إدارة الأعمال الحكومية اليومية والفعلية، وحل القضايا التي

تخص الدولة وبإرادة أكثرية المواطنين وخضوع الأقلية للأكثرية، والمركزية الديموقراطية. يمكن للدلائل المذكورة أن تكون أساساً لمقارنة آراء العاملين بناءً على مصداقيتها ومسؤوليتها وكمالها وثباتها وفعاليتها.

إن دراسة الرأي العام حول مسائل الحياة السياسية تتطلب وصف خصائص القائمين عليها، أي القائم والمعد والحامل للرأي العام. ففي بعض الحالات تتطابق هذه المفاهيم وفي بعضها الآخر يختلف، واختلافها ليس مرتبطاً بضرورة فضح نظريات العلماء الغربيين عن الرأي العام التي تهدف إلى تغيير الرأي العام برأي بعض الأشخاص أو بعض الجماعات.

إن مقولة الطبقات وأحزابها السياسية التي كانت وما زالت في الوقت الراهن المحول الأساسي للنشاط السياسي، تفسر إلى درجة كبيرة لماذا يمكن أن تقوم بدور صاحب الرأي العام حول المسائل السياسية.

إن قدرة مثل هذه الطبقات الاجتماعية بالذات على إدراك طبيعة مصالح الطبقة العاملة كمصالحها الخاصة وجوهر وثقل بعض الظواهر والأحداث السياسية، وأهميتها بالنسبة لوجودها ووجود مجتمعها بشكل عام تعطي الإمكان لها بأن تكون صاحبة وحاملة الرأي العام الطليعي الذي يعد أحد أشكال ظهور حالة الوعي الاجتماعي عند الطبقة الفقيرة.

وانطلاقاً من هذا، فمن المفيد إبراز مضمون التركيبة الطبقية لبعض المجموعات مع حسبان اختلافها وطبيعة عملها ومضمونه ومهاراتها الإنتاجية ودورها في تنظيم الإنتاج الاجتماعي وإبراز ذلك كله في الدراسة التجريبية من وجهات النظر التطبيقية والعلمية.

وفي الواقع قد تضع أمام عدسة اهتمام الباحثين كقاعدة منطقة ما (إقليم أو ناحية أو مدينة) أو جماعة عمالية، ولا يتمثل فيها موضوع الطبقتين (العمال والفلاحين) وهكذا تنشأ مسألة دراسة المجموعات والشرائح الطبقية الداخلية.

يُقسم العمال بناء على مستواهم المهني إلى ثلاث مجموعات **عمالية:** مجموعة ذات خبرة عالية ومجموعة ذات خبرة متوسطة ومجموعة ذات خبرة متدنية أو غير مدربة. ويمكن أن يقسم الفلاحون إلى: الفلاحين المهنيين الذي لديهم خبرة (الميكانيكيون) العمال الذين ليست لديهم مهن معينة أو خبرة ما.

أما تقسيم المثقفين فهو أكثر صعوبة، فقبل كل شيء من الممكن تقسيمهم حسب مستوى الخبرة إلى اختصاصيين ومستخدمين (المستخدمين غير المختصين) والاختصاصيون هم أولئك الأشخاص الحاصلون على التعليم العالي والمتوسط المتخصص الذين يمارسون أعمالاً ذهنية معقدة. ومع الأخذ في الحسبان خبرتهم، يمكن تصنيفهم على الشكل التالي وهم: الاختصاصيون الحاصلون على التعليم المتوسط المتخصص، والمهندسون والأطباء والمعلمون وغيرهم من الاختصاصيين الذين حصلوا على التعليم العالي، ومجموعة غير كبيرة من حيث العدد، ولكنها من حيث دورها الاجتماعي هي مجموعة العاملين الذين يبرز من خلال عملهم عنصر الإبداع (الاختصاصيون الأكثر خبرة في العلم والتكنولوجية والفن والأدب ومجال الإدارة).

ويمكن أن يدرج في عداد المستخدمين، بناءً على خبرة أشخاص لهم خبرتهم القليلة (الحراس والمراسلين الخ) وأشخاص لهم خبرتهم المتوسطة (المحاسبين وقسم من البائعين وموظفي صناديق المحاسبة).

إن طبيعة عمل مختلف الجماعات الخاصة تكون جوهرية بالنظر إلى دورها في نظام الإنتاج الاجتماعي. ففي هذه الحالة تبرز مجموعتان اثنتان بشكل واضح: المنظمون والمنفذون. المنظمون هم قادة المشاريع والمؤسسات والشركات ونوابهم ورؤساء الورشات والمختبرات والأقسام وغيرهم من الذين تطفي على عملهم الصفة التنظيمية. والمنفذون وهم العمال الذين يقومون بالوظيفة التنفيذية التي تغلب على طبيعة عملهم.

إن المجموعات الخاصة التي أبرزتها الدراسة تؤدي دوراً أساسياً، أي أدوار المجموعات القاعدية (القواعدية).

وإن انتماء الإنسان إلى هذه المجموعة أو تلك يظهر بحد ذاته الظروف الاجتماعية العامة التي تصف بشمولية أكثر اهتماماته السياسية وبالتالي تحدد مستوى وجهات نظره وقناعاته وآرائه ونشاطه السياسي. ويعد الرأي العام حول مسائل السياسة تشكيلاً سيكولوجياً اجتماعياً خاصاً ومعقداً. وهو الحالة والشكل للوعي السياسي الذي يميز الأحكام التقديرية لدى المجموعات الطبقية – الاجتماعية فيما يتعلق بالظواهر الملحة والعامة للقضايا السياسية في حياة المجتمع. والمقياس الأساسي (لانتقاء) القضايا الواقعية في مجال توظيف الرأي العام فيما يتعلق بالمسائل السياسية. هو الاهتمام العام بهذه القضية، وبأهميتها الاجتماعية بالنسبة للمجتمع عامة ولكل فرد بشكل خاص.

يتكون الرأي العام كقاعدة في عملية إعداد الحكم التقديري الذي له أهمية عامة بالنسبة لهذه أو تلك من الطبقات أو الجماعات. إن الرأي العام المتكون على هذه الشاكلة بفعل المفارقات المتواجدة بين وجهات النظر والأحكام على القضايا المختلف عليها، رغم حيويتها بالنسبة للمجتمع (المجموعات الطبقية – الاجتماعية) تكتسب في مسار التوظيف قوة خاصة معروفة، أي تبدأ باحتواء رأي وإرادة الأكثرية فيما يتعلق برأي وإرادة الأقلية.

لقد أكد الباحث مصطفى الحفناوي عندما أشار إلى هذه المسألة قائلاً: ((يسمى ديموقراطياً)) الرأي العام – الرأي المجتمع المتعلم من وجهة نظر شهادات الدبلوم الحكومية وليس رأي السكان. وطبيعي بالنسبة لليبراليين أن يعدو رأي البورجوازية ((رأياً عاماً)) وليس رأي الفلاحين والعمال. فالديمقراطي لا يستطيع أن يؤيد وجهة النظر هذه مهما تعرض للإغراءات على حساب مصالح ومساعي الجماهير، الديمقراطي يؤمن بالجماهير وعمل الجماهير

وفي شرعية الأمزجة وبصحة أساليب نضال الجماهير))[١٥٧].

الرأي العام هو رأي وإرادة أكثر العاملين: العمال والفلاحين والمثقفين العاملين. إن متطلبات ومصالح أكثر العاملين وما يناسبها من آرائهم تكمن في أساس تكوين الرأي العام حول المسائل السياسية. وهنا يبرز السؤال التالي: متى يمكن عد الرأي العام عند الجماعة الطبقية – الاجتماعية متشكلاً؟

يصبح الرأي العام متكوناً وموجوداً فعلاً عندما لا يتمتع بشرعية الحكم التقديري المتضمن له ولمزاجيته، وإنما عندما يصبح فعالاً، أي أنه يصبح له قوة داخلية وخارجية وما يشجع نشاط الجماعة الاجتماعية هذه (المجتمع بشكل عام، أو المجموعة الطبقية – الاجتماعية).

إن الرأي العام حول المسائل السياسية حين يقوم بدوره في المجتمع ويهيئ الجو السيكولوجي – الاجتماعي المعين، ويؤثر تأثيراً كبيراً على المؤسسات الاجتماعية القائمة وعلى سلوك ووعي الناس. ويمكن أن يكون هذا التأثير إيجابياً ويمكن أن يكون سلبياً يحد من مجرى العمليات الاجتماعية المعينة ومن تحقيق هذا المشروع أو ذاك من المشاريع الإيديولوجية.

إن قوة الرأي العام الاجتماعية هي نتيجة لتشابه رأي هذه الجماعة مع رأي أكثرية أعضاء المجموعات الاجتماعية وجاهزية هذه الأكثرية ليس للدفاع عن رأيها فقط وإنما في بعض حالات خضوع الأقلية إلى تحقيق المطالب المناسبة لرأي الأكثرية. ومن خصائص الرأي العام حول المسائل السياسية تلك الحقيقة التي تقول: أنه عندما يصبح الرأي العام شعبياً و يعمل فعلاً يأخذ مع الوقت ونفسه باكتساب (دعم) الدولة له. أي يجد له نفوذاً في السياسة الحكومية وسياسة الدولة – في المعايير السياسية – الحقوقية. إن الدولة التقدمية لكونها المعبر عن مصالح الشعب العالم تأخذ في الحسبان وأثناء تنفيذ سياستها الداخلية

---

(157) – مصطفى الحنفاوي: الدعاية السياسية والاستعلام، ص٢٥٢.

والخارجية الرأي العام وتستغل قدرته وتعتمد على دعمه. ويمكن أن تتواجد أثناء الدراسة التجريبية لقضايا الرأي العام مجموعة من الاتجاهات، ومنها تحليل وضع الرأي العام، وعملية توظيفه في الفئات الاجتماعية، وتحليل عملية تكوين الرأي العام حول المسائل السياسية.

ويتطلب وصف الرأي العام حول المسائل السياسية وتوظيفه في المنطقة وفي الفرق العمالية دراسة الجانبين التاليين:

١- إظهار الرأي العام المتكون حول قضية سياسية ما ليتم التعبير عنه بوساطة وسائل الإعلام التابعة للمنظمات الاجتماعية.

٢- إظهار طبيعة انعكاس الرأي العام من قبل آراء الجماعات العمالية (الجماعة العمالية).

لهذا الهدف يقوم التحليل **Koh Teht** لمواد وسائل الإعلام الجماهيري[١٥٨] ووسائل إعلام المنظمات الاجتماعية. ويظهر الرأي العام المتكون الذي يتم التعامل معه كـ (مقياس) معروف أثناء التحليل **KohTeht** وبواسطته يمكن مقارنة الآراء الجماعية المسجلة وآراء الفئات الاجتماعية أثناء سير الدراسة الاجتماعية والخروج بنتائج حول طبيعة توظيف الرأي العام في الحلقات الاجتماعية وتقدير فعالية عمال الجهاز الإعلامي والفكري – التربوي.

ولابد من الأخذ في الحسبان التصورات النظرية عن موضوع الدراسة – الرأي العام حول مسائل الحياة السياسية والكشف عن مضمون تلك المفاهيم الأساسية لبرنامج الدراسة في ريف دمشق مثل ((القضية))، ((الموضوع)). ((المادة)) ، ((المهمة)) و ((الافتراض)).

---

(158) - انظر (كتاب علم الاجتماع التطبيقي) موسكو ١٩٨٧.

القضية:

إن تطورات الرأي العام في ظروف معاصرة يتميز بالوحدة السياسية – الأخلاقية وإن الرأي العام حول المسائل السياسية كحالة للوعي السياسي يتميز أيضاً بوحدته. وتظهر هذه الوحدة كاتجاه مميز في تطور المضمون التقدمي للرأي العام حول المسائل السياسية الأساسية (الموقف من الدولة والحزب). ويفترض في الوقت نفسه فوارق معينة في آراء العاملين حول العلاقة بتلك الصفات مثل عمق صلاحية (أهلية) الانعكاس في ظواهرها الفعلية وفعالية أو قوة تأثيرها في السلوك والثبات والاستقرار.

يفهم من صلاحية وإثبات (برهان) الآراء درجة (مستوى) وحدة الأحكام التقديرية لدى العاملين ومدى إطلاعهم ومعارفهم حول هذه أو تلك المسائل. وتحدد فعالية الآراء بالنظر إلى مستوى وحدة الأحكام الصادرة وتقارب الأفعال، ويظهر الاستقرار والثبات في الآراء كنتيجة لتشابه طبيعة الأحكام التقديرية فيما يتعلق بمختلف المسائل (تقدير مختلف الأحداث والمؤسسات والمعايير).

موضوع الدراسة:

آراء مختلف الفئات الطبقية – الاجتماعية في المنطقة حول المسائل السياسية.

مهمات الدراسة:

مع الأخذ في الحسبان كلٌّ من قضية الدراسة وموضوعاتها. تتألف مهماتها من:

١- إظهار الوضع الحقيقي لآراء الفئات الطبقية – الاجتماعية حول مسائل الحياة السياسية.

٢- وضع تصنيف تجريبي لآراء العاملين حول المسائل السياسية انطلاقاً من عمق انعكاسها في واقعها ومن قوة التأثير على السلوك.

٣- تحديد طبيعة توظيف الرأي العام في الفئات الطبقية - الاجتماعية (طبيعة انعكاس الرأي العام في الآراء الجماعاتية).

فرضيات الدراسة:

تتمثل الفرضية الرئيسية في أن آراء العاملين حول المسائل السياسية تتميز بالوحدة التي تظهر كنزعة سائدة وثابتة للأجوبة الصحيحة السائدة (التقدير الإيجابي لسياسة الدولة ودعم المتطلبات والمعايير الحكومية ومبادئ الديمقراطية الشعبية).

وتفترض الوحدة الفكرية السياسية في الوقت نفسه اختلافات محددة في آراء العاملين حول المسائل السياسية هذه الاختلافات تمس صلاحية الآراء وفعاليتها واستقرارها وثباتها. ويمكن الافتراض عند التطرق لصلاحية الآراء والبرهان على أن المعارف الواسعة وكثرة الاطلاع تكون بتأثيرها الأحكام التقديرية دون تحديد طبيعتها واتجاهاتها تماماً إذا لا يوجد هنا ارتباط مباشر، ولهذا الارتباط طبيعة أكثر تعقيداً. وتكون فعالية الآراء مشروطة بالمصالح الاجتماعية وليس بصفات الآراء نفسها كظواهر سيكولوجية - اجتماعية (الصلاحية ، الكمالية والاستقرارية).

إن المستوى العالي للرأي العام حول المسائل السياسية الذي ظهر في المجموعة الاجتماعية - الديمقراطية التي تمت دراستها (المستوى العالي للبرهنة عليها واستقراريته وثباته المؤقت) وكذلك المستوى العالي للنشاط السياسي - الاجتماعي لأعضاء هذه المجموعة كل ذلك يعد نتيجة لما يوازيه من مستوى عال للوعي السياسي (القناعة) للمجموعة الاجتماعية - الديمقراطية التي تمت

دراستها.

وتؤكد الدراسة بشكل عام الفرضيات المقترحة وبشكل أساسي الفرضية القائلة إن آراء العاملين حول المسائل السياسية تتصف بالوحدة. ويحدث دائماً في الظروف المعاصرة في التقارب اللاحق للطبقات والفئات الاجتماعية بناء على علاقاتهم بوسائل الإنتاج وبطبيعة العمل وفي مجال التوزيع.

إن التقارب المتنامي للطبقات والفئات الاجتماعية حسب المقاييس الإيجابية يعني في الوقت نفسه القضاء على الاختلاف في وعيهم.

وتظهر الوحدة الفكرية كوحدة رئيسة في العلاقة بالدولة وفي دعم ومساندة سياسة الحزب وفي المشاركة الفعالة والنشطة من قبل العاملين في البلاد السياسية – الاجتماعية وفي إدارة الدولة. وفي المقابل تظهر كاتجاه محدد في تطور المضمون التقدمي للرأي العام حول المسائل السياسية الأساسية (الموقف من سياسة الحزب والدولة).

إن مقارنة نتائج أجوبة العاملين على الأسئلة المطروحة في الاستمارة: (ماهي الحقوق التي ترونها أكثر أهمية بالنسبة لكم شخصياً؟) و (ماهي الحقوق التي تمارسونها فعلاً في حياتكم؟) تشهد على أن حجم الحقوق التي مورست فعلاً في الحياة أكثر من حجم الحقوق التي تعتبر أكثر أهمية. وتعتبر الوحدة الإيديولوجية – السياسية في المجتمع من أعظم المكتسبات التي حققها الشعب، فلم يستطع أي نظام من الأنظمة الاجتماعية على مدى التاريخ عدا النظام التقدمي توحيد كل الطبقات والفئات الاجتماعية في وحدة متينة متراصة. لذلك بالذات ركز الإيديولوجيون الصهاينة والبرجوازيون هجماتهم على الوحدة الإيديولوجية – السياسية للشعب العربي السوري التي هي مصدر قوته.

وتكمن القناعة العميقة عن تفوق النظام الوطني – التقدمي في أساس الأحكام التقديرية للعاملين العرب السوريين حول الحملة التي يقودها الإعلام المعادي

فمثلاً أشارت الأكثرية العظمى من المشاركين في الاستفتاء إلى أنه لا توجد مسألة (حقوق الإنسان) في الدولة السورية لا يمكن لها أن تكون وحسب آراء العاملين أن هذه المسألة ماهي إلا مسألة مختلفة. ويعد هؤلاء أن الملفقين المعادين يضخمون بصورة اصطناعية بعض التناقضات الموجودة في عملية تطور المجتمع السوري. ويشهد التحليل العام لحالة الرأي الجماعي للفئات الاجتماعية التي تجري دراستها على ثبات انعكاس الرأي العام المتكون في مجتمعنا: اتجاهه السياسي وتوجهاته القيمة.

وتشكل أجوبة العاملين التي تصف الديمقراطية الشعبية مثلاً ساطعاً على وحدة وثبات آراء الفئات الاجتماعية التي تجري دراستها. فيتضمن نحو ٢٠% من الأجوبة أمثلة تصف الديمقراطية الشعبية بصورة كاملة وشاملة.

و٤٥,٣% أمثلة غير كاملة لكنها مقنعة و٣١% أقل توضح إما حقوق وواجبات المواطنين وإما بناء الدولة، بيد أن جوهر الديمقراطية الشعبية فيها واضح تماماً.

وفقط ٣,٧% أعطوا أمثلة تصف الديمقراطية الشعبية بصورة عامة وسطحية.

تسمح الأمثلة المعطاة إلى جانب النتائج الأخرى للدراسة بتأكيد وحدة وثبات الآراء الجماعية للعمال والفلاحين والمثقفين في محافظة ريف دمشق حول مسائل الحياة السياسية في البلد.

وتفترض الوحدة الإيديولوجية – السياسية في الوقت نفسه اختلافات معينة أيضاً. فمن المتقدمات الإيجابية لذلك الاختلافات الطبقية والاجتماعية التي لها حضورها في الفكر التقدمي والتأثير الإيديولوجي على مجتمعنا من قبل المحيط الرأسمالي وبعض النواقص في العمل الإيديولوجي.

وتم في فرضيات الدراسة في محافظة ريف دمشق عرض الافتراض

التالي: إن الاختلافات في الآراء يجب أن تظهر قبل كل شيء في علاقة تلك الصفات مثل الصلاحية والبرهان والفعالية أو قوة التأثير على السلوك. وأثبتت الدراسة هذا الافتراض: (انظر الجدول رقم (١)).

وهكذا قد أظهرت الدراسة بشكل خاص أن بين مستوى اطلاع العاملين (٥٧%) وبين فعالية تعبيرهم عن الآراء (٧٣,٣%) حول نشاط المجالس المحلية والقواعد الحزبية وجود فجوة واضحة. فالعديد من أولئك الذي أبدوا عدم اطلاعهم على الرغم من ذلك، يبدو أنه من العدل أن توقع أكثرية التصورات عمومية عن الموضوع أو الظاهرة التي يتم بها التعبير عن العلاقة تكمن في صلب الآراء لذلك يمكن عد الآراء الجزء الأكبر من المشاركين في الاستفتاء آراء لا تكفيها القناعة المطلوبة.

إن الدراسة الاجتماعية (السوسيولوجية) للرأي العام حول مسائل السياسة حين تقوم بوظيفتها النظرية والعلمية تمتلك أهمية كبرى بالنسبة للنشاط العملي للأجهزة الإدارية. وتتعاظم الأهمية العملية للدراسات (السوسيولوجية) الاجتماعية بصورة واضحة عندما نستخدم نتائجها بسرعة من قبل أجهزة الإدارة الاجتماعية والمنظمات الحكومية والاجتماعية واللجان الحزبية. ويظهر الدور العملي لدراسة الرأي العام في رفع المستوى العلمي للتخطيط الاجتماعي الآتي والمستقبلي، وفي اتخاذ القرارات الإدارية الملموسة وفي بناء ووضع نظم موحدة للإعلام الاجتماعي. وتكون الدراسات التجريبية في جميع هذه الحالات وسيلة لوضع المؤشرات الضرورية وجمع المعلومات.

الجدول رقم (١):

إطلاع ونشاط العاملين في التعبير عن آرائهم في نشاط المجالس المحلية ومنظمات القواعد الحزبية.

(بالنسبة المئوية من عدد المشاركين في الاستفتاء).

فئات العاملين	عدد المطلعين	نسبة الذين عبروا عن آرائهم
- وسطياً حسب كل فئات العاملين	٥٧	%٧٢,٣
- الاختصاصيون في مجال الاقتصاد الوطنيون المستخدمون غير الاختصاصيين	٦٦	%٧٤,٧
- العمال الصناعيون وعمال الخدمات	٥١	%٧٢
- الفلاحون والعمال الزراعيون	٥٥	%٨,٩

يحدد حجم المؤشرات والأنباء الضرورية وطبيعتها بوساطة الأهداف والمهمات الإدارية. وهكذا تم الحصول من خلال دراستنا على صورة موسعة لآراء العاملين حول مختلف اتجاهات نشاط منظمات القاعدة الحزبية والتي تسمح لنا باستخلاص عدد من الاستنتاجات الجوهرية بالنسبة للتخطيط والإدارة. ولابد من الإشارة في هذه الأثناء إلى أن النتائج التي تم الحصول عليها لها أهميتها الكبيرة لوصفها للحالة الملموسة للمنطقة التي تقوم عليها الدراسة.

وهكذا نرى أن الأكثرية المشاركين في الاستفتاء أشارت إلى أن المنظمات الحزبية في المجموعات العمالية تضع حلولاً جيدة لمسائل التربية الإيديولوجية - السياسية ولتطوير العمل المفيد وللإنتاج وللتعليم العام المتخصص.

وسنعرض فيما بعد تقديرات العاملين لقضايا تنظيم العمل الثقافي الجماهيري، وللتخطيط الاجتماعي، ولضمان الدور الريادي للبعثيين وباقي التقدميين ولتكوين أسلوب العمل العملي الإبداعي ولجمع وتوزيع وتحضير الكوادر القيادية ولحل مسائل الحياة وللموقف المهتم بمتطلبات واحتياجات العاملين.

إن صورة الآراء حول مختلف جوانب نشاط المجالس المحلية تحتوي على أنباء قيمة وثمينة بالنسبة لأهداف الإدارة، وهذا ما أشارت إليه الدراسة وهو موضح في الأرقام (الجدول رقم ٢)

لقد قدر العاملون إيجابياً تنظيم التعليم وتشغيل وتأمين السكن للقوى العاملة وحماية الانضباط الحكومي الاجتماعي وتطوير الخدمات الاجتماعية وقطاع الثقافة والراحة والرياضة والصحة البدنية ومشاريع الصناعة المحلية والزراعية المحلية – وأعطيت تقديرات سلبية لقطاع التجارة والتغذية والبناء السكني ولعمل وسائل النقل العام ولإنتاج البضائع الاستهلاكية ولبناء وترميم الطرق والمواصلات. بشكل عام إن لتركيبة آراء مختلف الفئات الطبقية – الاجتماعية طبيعة ثابتة ومتماثلة. يتعلق هذا بدرجة كبيرة في بنية آراء الاختصاصيين والمستخدمين غير الاختصاصيين من جهة وإلى العمال الصناعيين وعمال الخدمات الاجتماعية من جهة ثانية، وهنا كانت الفوارق في حدها الأدنى. وهذه الفوارق ترتبط قبل كل شيء بالمتطلبات الكبرى للمثقفين والمستخدمين – غير الاختصاصيين في تنظيم قطاع الراحة والعمل التثقيفي – التربوي مع صلاحياتهم واطلاعهم الواسع على تلك المسائل مثل تنظيم وتخطيط التطور الاجتماعي للجماعات العمالية، وجمع توزيع وتحضير الكوادر القيادية والحفاظ على النظام الحكومي والاجتماعي.

ولبنية أحكام مجموعة الفلاحين والعمال الزراعيين المتواجدة في المنطقة

التي تمت دراستها خاصية أكثر جوهرية مشروطة بمستوى تلبية متطلباتهم الملموسة ورعاية مصالحهم.

أولاً – إن نصف الفلاحين والعاملين في الزراعة تقريباً الذين طلب منهم التعبير عن آرائهم أعطوا تقديرات سلبية.

الجدول رقم (٢)

آراء المجموعات الطبقية – الاجتماعية العمالية حول نشاط المجالس المحلية

الرقم المتسلسل	اتجاهات نشاط المجالس التنفيذية للمجالس المحلية	الدليل الاجتماعي العلاقة حسب سجل المجموعات التي تم استطلاعها	دليل علاقة المثقفين الاختصاصيين و المستخدمين غير الاقتصاديين	دليل علاقة العمال الصناعيين والعمال في مجال الخدمات	دليل علاقة الفلاحين والعمال في الحقول
١	تنظيم التربية والتعليم	٠,٩٦	٠,٩٧	٠,٩٤	٠,٩٠
٢	مسائل تشغيل القوى العاملة وتوزيعها	٠,٧٠	٠,٧٤	٠,٧٧	٠,٣٧
٣	الحفاظ على النظام العام وحقوق الإنسان	٠,٢٧	٠,٠١	٠,٤٠	٠,٤٢
٤	تطوير وتوزيع المصانع والمشاريع الزراعية	٠,٦	٠,٢٤	٠,٢٥	٠,٣٦
٥	تطوير مجالات الخدمات الاجتماعية	٠,٢١	٠,٢٤	٠,٢٥	٠,١٢

٦	تطوير التربية البدنية الرياضية	٠,١٤	٠,١٩	٠,٢٧	-٠,٤٤
٧	عمل المؤسسات ما قبل المدروسة	٠,٠٩	٠,١٩	٠,١٤	٠,٠٦
٨	تطوير المجالات الثقافية وقضاء وقت الفراغ	٠,٠٨	-٠,٢١	٠,٣٤	-٠,٠٠٧
٩	إنتاج المواد الاستهلاكية	-٠,٠٢	٠,١٢	٠,٥٨	٠,٠٧
١٠	تنظيم التجارة والتغذية	-٠,٤٣	-٠,٥٧	-٠,٤٦	٠,٠٨
١١	مسائل بناء المساكن وتوزيع المساكن	-٠,٥٦	-٠,٦٦	-٠,٥٦	-٠,١٧
١٢	تنظيم عمل وسائط النقل العامة	-٥٨	-٠,٦٥	-٠,٥٧	-٠,٣٤
١٣	بناء وترميم الطرق والمواصلات	-٧٨	٠,٨٤	٠,٦٣	-٠,٤٦

وقد كان للعاملين في القرى آراء جيدة حول النشاط الإنتاجي والمنظمات الحزبية. وتختلف بشكل واضح آراء الفلاحين عن آراء العمال حيث يدور الحديث حول دور اللجان الحزبية في تنظيم الدعاية الحزبية والتحريض السياسي والعمل التثقيفي – التربوي الجماهيري وغيرها. (الجدول رقم ٢)

يتم تحديد دليل العلاقة حسب المعادلة $\frac{\text{آ} - \text{ب}}{\text{آ} + \text{ب}}$ حيث آ = مجموع

الأجوبة الإيجابية و ب= مجموع الأجوبة السلبية.

يتألف الدليل من الكمية التي تصف تفوق الأجوبة الإيجابية على الأجوبة السلبية وبالعكس.

ثانياً:

تختلف تركيبة آراء الفلاحين عن تركيبة آراء المثقفين والمستخدمين والعمال الصناعيين والعاملين في مجال الخدمات الاجتماعية فيما يتعلق بعدد كامل من المظاهر الملموسة التي تشهد على خصائص ظروف حياتهم وعملهم. لذلك قدروا تقديراً متدنياً تطور مجال الخدمات في القرى وتنظيم تشغيل وإيواء العاملين في القرى وتطور الرياضة والتربية البدنية، وفي الوقت نفسه قدروا عالياً العمل لوضع الحلول للمسألة السكنية ولتنظيم عمل النقل الجماعي العام.

وتقوم الدراسات السوسيولوجية (الاجتماعية) حول مسائل السياسة إلى جانب وظائفهما العملية والنظرية بدور إيديولوجي مهم في تربية العاملين ورفع مستواهم الثقافي. فيحصل كل المشاركين بالاستفتاء أثناء الدراسة على معارف جديدة ويبدون نشاطاً اجتماعياً ويعبرون عن آرائهم بصورة علنية. ويمكن ذكر مثال للدور الإيديولوجي للدراسة في محافظة ريف دمشق الحادث التالي: لقد اتضح أثناء عملية الدراسة ومن ثم الدراسة الأساسية أنه لدى العديد من العاملين رأي ثابت وأن العاملين غير الحزبيين لا يملكون الحق في التعبير عن آرائهم حول نشاط المنظمات الحزبية.

لكن التعليمات واللقاءات والنقاشات والحوارات التي أجراها منظمو الدراسة والأعضاء الحزبيون ساعدتنا على تذويب هذه القناعة، وساعدت العديد من العاملين على التأثير الأكثر فعالية وشمولية على نتائج الدراسة بوساطة آرائهم، ومثل هذه الأمثلة كثير جداً. وقد زادت الدراسة من نشاط العاملين وغالباً ما كانت سبباً لقيام الحوارات وتبادل الآراء وساعدت العديدين منهم على

توسيع معارفهم وعلى المشاركة في الحياة الاجتماعية وهكذا يكون دور الدراسات السوسيولوجية (الاجتماعية) للرأي العام حول مسائل السياسة واسعاً ومتعدد الجوانب، وهذا ما يؤدي إلى رفع مستواها العلمي والتنظيمي.

إن إجراء دراسة الرأي العام حول مسائل السياسة وتوظيفها في الجماعات الطبقية – الاجتماعية يؤكد مرة أخرى وحدة الشعب الإيديولوجية – السياسية التي تكونت في بلدنا. ووجد تقريب الطبقات والفئات الاجتماعية وكذلك شرائحها وصفوفها انعكاسه من حيث الموضوع الإيجابي في نمو عمومية مصالحها والآراء الاجتماعية المطابقة لها.

لا تتضمن آراء مختلف المجموعات الطبقية – الاجتماعية حول المسائل السياسية فوارق متضاربة من حيث المبدأ ، فهي متشابهة أساساً. ويختلف بعضها عن بعضها الآخر بشيء لا يستحق الذكر من حيث الصلاحية والثبات والنشاط والفاعلية والقدرة على التأثير على سلوك أعضاء المجموعات الاجتماعية المتناسبة.

ويسمح الاستخدام الواسع للدراسات السوسيولوجية للآراء العامة والجماعاتية في عمل اللجان الحزبية بالاجتذاب الأوسع إلى الصراع مع الظواهر السلبية قوة السمعة والشهرة التي يتمتع بها الرأي في الفئات الطبقة – الاجتماعية. ويسمح التحليل الاجتماعي للرأي العام ولانعكاساته في الوعي بالاستنتاج حول الموضوع السياسي لوعي الناس ونشاطهم السياسي. إن مثل هذه المعطيات يمكن أن تستخدم بنجاح أثناء تنظيم العمل الفكري – التربوي بين صفوف الفئات الاجتماعية – الطبقية.

الفصل الثالث:

الرأي العام حول مسائل الحياة الاقتصادية

يعكس الرأي العام دائماً القضايا الملحة والحيوية للحياة الاقتصادية للمجتمع. والرأي العام هو أحد المنظمين الروحيين والإيديولوجيين للعلاقات الاقتصادية. وقد عبر الباحثون أن قضية (تنظيم الحياة الاقتصادية وإظهار نواقصها) واستدراكها يجب أن تحل من قبل الجماهير نفسها وفي سبيل ذلك(لابد من البدء مباشرة من الأعلى إلى الأسفل)[١٥٩] ولذلك من الضروري الاستعانة باستمرار (برأي العاملين)[١٦٠] لقد ربط الباحثون مسائل الحياة الاقتصادية إلى بدايات التطور بمختلف أشكال نشاط العاملين الاقتصادي من خلال مشاركتهم في عمليات الإنتاج وتنظيم العمل ورفع مستوى إنتاجيته، وقيام العلاقات الاقتصادية للإنتاج والتبادل والتوزيع والاستهلاك وقيام الرقابة الشعبية العامة للحفاظ على الخيرات المادية وحساب الاستهلاك ..... الخ[١٦١].

إن التحول الجذري في حياة الناس الاقتصادية الذي قام في أعقاب القضاء على الإقطاعية وضرورة بناء مصالح طبقية جديدة، على أساس ملكية الشعب والوحدة الوطنية ويتطلب تكوين الوعي التقدمي العام ووضع رأي عام جديد من حيث المبدأ، وسيكولوجية جماهيرية جديد.

كما كتب أحد الباحثين في ظروف المجتمع الطبقي (كان من المحتم بناء مثل هذه السيكولوجيا، لكي لا يقوم الرأي العام الجماهيري بعدم السير وراء

---

(159) – انظر: بالكين: الميكانيزم الاقتصادي لتطور المجتمع الإنساني، موسكو ١٩٩٢ ص٢١٢.

(160) – انظر: بالكين: الميكانيزم الاقتصادي لتطور المجتمع اللاإنساني، موسكو ١٩٩٢ ص٢١٣.

(161) – انظر: بالكين: الميكانيزم الاقتصادي لتطور المجتمع اللاإنساني، موسكو ١٩٩٢ ص٦١٣.

العمل السيئ أو التكاسل عن العمل فقط، كي يرى في ذلك حتمية وشرعية الاستنكار أو طريقة المقاومة لما يتطلبه المستغلون)[١٦٢].

ففي وضعنا المعاصر يعمل الناس انطلاقاً من (أنهم يعملون من خلال وعيهم لضرورة العمل في سبيل الفائدة العامة)[١٦٣].

يتميز البناء الاقتصادي في الظروف المعاصرة بالتصاعد الحاد لدور العامل الشخصي والاستخدام الواعي للقوانين الاقتصادية الإيجابية ولمنجزات الثورة العلمية التكتيكية وإدخال التنظيم العلمي للعمل وتحقيق نظام صارم في الاقتصاد ومشاركة جماهير العاملين الواسعة في إدارة الإنتاج وهذا كله يتطلب تغيرات عميقة وجذرية في إدراك الناس وخاصة في مجالهم السيكولوجي.

إن حسبان العوامل السيكولوجية الاجتماعية – والرأي العام شرط ضروري للقيادة الاقتصادية الفعالة الناجحة [١٦٤].

ومن الصعب تطبيق القرارات الاقتصادية في الحياة إذا لم يكن الرأي العام جاهزاً لاستيعابها وتطبيقها على الواقع، ويتطلب كل عمل جديد تحطيم (القوالب الجامدة) القديمة في فكر وتقديرات وأحكام الناس. فمثلاً: إن عدداً من الظروف الموضوعية آنذاك (ضرورة تأسيس الصناعة، وقبل كل شيء وإنتاج وسائل الإنتاج بشكل عام وما شابه) قد دفع إلى الدرجة الثانية وضع الحلول لقضايا إنتاج وسائل الاستهلاك إلى وقت ما محدد. وتكونت في هذه الظروف في الرأي العام مواقف صبر وردة على النوعية السيئة للبضائع الاستهلاكية والخدمات الاجتماعية السيئة، والآن قد تغير الوضع بصورة جذرية.

---

(162) – باشكوف: مسائل العلوم الاقتصادية، موسكو ١٩٨٩ ص٩-١٢.

(163) – باشكوف: مسائل العلوم الاقتصادية، موسكو ١٩٨٩ ص١٢-٥.

(164) – نيكتين.ف.ي: الاقتصاد السياسي، الطبعة الروسية الثالثة ١٩٨٩ ص١٨.

لقد سمحت الإمكانات الاقتصادية المتنامية بالقضاء على ما كان موجوداً من صعوبات آنذاك لأن النهج في سبيل رفع فعالية ونوعية العمل بمجمله، وخاصة نوعية البضائع الاستهلاكية يتطلب في سبيل تحقيقه إعادة بناء سيكولوجي جدي للناس، وعدم تهاون الرأي العام بالنسبة للنوعية المتدنية في كل مجالات العمل وفي كل حلقات الاقتصاد الوطني. ومع ذلك (لم يستطع الجميع حتى الآن التغلب حتى النهاية على السلبيات في إنتاج البضائع الاستهلاكية).

ولم يفهم الجميع حتى الآن أن هذه قضية ذات أهمية سياسية واقتصادية كبرى مرتبطة ارتباطاً مباشراً بتنفيذ مطالب الحياة)[١٦٥].

ويقوم الرأي العام بدور المؤسسة الاجتماعية في جعل الحياة السياسية ديمقراطية وكذلك الحياة الاقتصادية في المجتمع الوطني التقدمي. فمن المعروف أنه كانت تتفوق في الماضي الأساليب الإدارية في إدارة ما. وكانت المسؤولية الإدارية تقع في الدرجة الأولى على القادة الإداريين، وكان سائداً نظام صارم من العقوبات الإدارية والجنائية.

وقد حصلت الأساليب الاقتصادية للقيادة الوطنية في الظروف المعاصرة على تطور واسع على أساس مبادئ الديمقراطية الشعبية، وقد تطلب ذلك مسؤولية واعية من الشعب كله عن الوضع الاقتصادي، وليس فقط من القيادة الوطنية التقدمية: بيد أنه كان من الخطأ اعتبار أن الأساليب الإدارية الآن أصبحت تنهي نفسها، بل إنها أصبحت تفقد أهميتها القيادية، ومع ذلك تبقى بحاجة إلى التحسين المستمر حيث تتطلب الظروف الراهنة وحدة ديالكتيكية بين أساليب القيادة الاقتصادية والإدارية، وأحسن السبل إلى تحقيق هذه الوحدة هو أخذ الرأي العام بعين الاعتبار.

---

(165) - أهمية العمل في حياة المجتمع، موسكو ١٩٨٩ دار نارو كا ص١١٢.

يواجه كل قيادي اقتصادي باستمرار التعددية في اختيار واتخاذ القرار الضروري والأمثل وغالباً ما يحدث هذا الاختيار يكون مشروطاً بأفعال حكومية – معيارية: بالتعليمات، بالقرارات، والإرشادات، وغيرها. إلا أنه غالباً ما يتحتم على القيادي أن يختار بمفرده النوع الأكثر عقلانية وفاعلية من وجهة النظر العامة ويتخذ لذلك القرار المناسب. طبيعي أن تكون أول مساعد له أهليته وتجربته الحياتية وفي الوقت نفسه يعد العاملون والجماعات العمالية ورأيهم العام مستشاراً لا يقل حكمة وعقلانية. إن عبقرية القيادي والحكمة الشعبية هي أهم قيادة اقتصادية مشتركة وناجحة.

والرأي العام هو أحد تلك المؤسسات الديمقراطية التي تساعد على اجتذاب جماهير العاملين الواسعة إلى إدارة الإنتاج وإلى ترتيب ميكانيزمية (آلية) اقتصادية متطورة.

لقد أشار الباحثون مراراً في أعمالهم إلى مشاركة العمال أنفسهم في إدارة الإنتاج هي شرط ضروري لبناء المجتمع المتطور [١٦٦].

ورأى الباحثون أن المشاركة الفعلية لجماهير السكان في قضايا (أمور) الدولة وليس المشاركة الشكلية، هي إحدى الوسائل الأساسية للصراع مع البيروقراطية، وأكدوا قائلين:

((إن النضال ضد البيروقراطية حتى النهاية، حتى النصر النهائي عليها، يصبح ممكناً فقط عندما سيشارك كل السكان في الإدارة))[١٦٧].

إن الرأي العام الذي يحتوي على آراء أكثرية السكان يقوم بدور أحد المؤسسات العاملة فعلاً لمشاركة العاملين في مناقشة المسائل الاقتصادية ووضع الحلول العملية لها. ولنتساءل مثلاً:

---

(166) – انظر لينين ف.ي: المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٣ ص٨٦-١٠٨.

(167) – انظر لينين ف.ي: المؤلفات الكاملة، المجلد٣٨ ص١٧٠.

بأي اهتمام وفعالية يشارك الملايين من العرب السوريين في مناقشة قرارات تطوير الاقتصاد الوطني؟ وهذا أحد العوامل المقنعة لظهور الرأي العام في الحياة الاقتصادية.

يرتبط الرأي العام ارتباطاً وثيقاً بحل تلك القضية الاقتصادية الاجتماعية الحيوية مثل تكوين البنية العقلانية الكبرى للمتطلبات الفردية. إن تطور المتطلبات ليس عملية فطرية وتلقائية ولا يمكن التحكم بها. والمتطلبات كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى تنشأ وتتغير حسب قوانين محددة حيث يؤدي ظهور الرأي العام دوراً هاماً. ودراسته تستطيع أن توجه متطلبات الناس وتضمن النسبة الضرورية بين البينية الإنتاجية والاستهلاك، وبين الطلب والعرض وتقلل من عدد البضائع النادرة وتساعد على النضال ضد سيكولوجيا التشييء والاستهلاكية وضد المضاربة والاتجاهات الأخرى السيئة المعيبة.

بيد أن قيام الرأي العام بالوظائف المشار إليها بنجاح في حل القضايا الاقتصادية مرهون بدرجة من درجات نضوجه وموضوعيته وصلاحيته.

ويعد الرأي العام حول المسائل الاقتصادية الحيوية حالة من حالات الوعي الاقتصادي التي ينظر إليها كشكل مستقل نسبياً من أشكال الوعي الاجتماعي(١٦٨).

لذلك يرتبط نضوج آراء الناس في العديد من المسائل بنضوج الوعي الاقتصادي بشكل عام. إن الطلب في تطور وتوظيف الوعي الاقتصادي يشترط استقلالية اجتماعية اقتصادية سياسية للعاملين في المجتمع المعاصر، فكل عامل في النظام الوطني التقدمي يكون المالك لكل وسائل الإنتاج وعليه أن يهتم اهتماماً بالغاً بتطور الاقتصاد بصورة نموذجية وبفعالية.

---

(168) - انظر: باشكوف. أ.ي: مسائل العلوم الاقتصادية، دارتشييف الوعي الاقتصادي عامل من عوامل تطور الإنتاج الاجتماعي.

لذلك لابد من أن يكون عمل كل فرد متناسباً إلى أعلى درجة من النشاط الواعي لملايين العمال الآخرين القائمين على عمل موحد هدفه تلبية الرغبات الفردية والاجتماعية، وتتطلب الملكية العامة علاقة عقلانية وحذرة بها واستخداماً ملياً بالمسؤولية الاقتصادية من قبل الشعب كله. والتطبيق الفعلي لهذه الإرشادات الموضوعية يتحقق أثناء العملية الاقتصادية الواعية.

يمكن تقسيم نشاط الناس الاقتصادي الواعي إلى ثلاثة مستويات. نشاط الناس الاقتصادي الهادف في المجال الحياتي، ونشاط الناس الواعي في إدارة الإنتاج والعمليات الاقتصادية الأخرى، والنشاط الاقتصادي المعرفي أي النشاط في مجال تكوين وتوزيع الأفكار، و المعارف الاقتصادية وهكذا يكون الوعي الاقتصادي صفة ضرورية وجزءاً لا يتجزأ من نشاط الجماهير الاقتصادي في النظام المعاصر.

ويعد الرأي العام حول المسائل الاقتصادية أحد العناصر الفعالة لهذه الروابط المتبادلة، ويجد الاهتمام الشعبي انعكاسه فيه بالإضافة إلى علاقة الشعب وتنميتها واستخدامها العقلاني. ويعد الرأي العام أيضاً من أهم عناصر التربية الاقتصادية حيث أكد أحد الباحثين (علينا أن نحول وسنحول، الصحافة من جهاز للإثارة، ومن جهاز بسيط لنقل الأخبار السياسية، من جهاز صراع مع الكذب إلى أداة لإعادة التربية الاقتصادية بين الجماهير وإلى أداة لتعريف الجماهير بكيفية تنظيم العمل تنظيماً جديداً)[١٦٩].

غالباً ما نستخدم في أدبياتنا موضوعات عن تأثير الاقتصاد في الإيديولوجيا ونادراً عن التأييد المعاكس للإيديولوجيا والوعي الاجتماعي، على العلاقات الاقتصادية.

---

(169) – لينين ف.ي: المؤلفات الكاملة، المجلد ٣٦ ص١٤٩

إن الثقافة والتربية الاقتصادية والدعاية والتحري الاقتصادي أصبحت تمتزج، باتجاه مستقل نسبياً للعمل الإيديولوجي الذي يعد حجر الزاوية في التأثير المتبادل للاقتصاد والإيديولوجيا والإعلام.

إن وسائل الإعلام الإيديولوجية ذات التوجه الاقتصادي موجهة نحو تكوين الرأي العام حول القضايا الحيوية في أهم المجالات الحياتية للمجتمع ألا وهو الاقتصاد، وإن الاقتصاد بفعل دوره القاعدي لا يجذب اهتمام الاقتصاديين المحترفين أو الإيديولوجيين فحسب، بل ويهم مصالح كل فرد، ويخرج الاهتمام العام بالموضوعات الاقتصادية خارج أطر الحياة الاقتصادية. وأصبح ما يسمى الموضوع الإنتاجي، أحد الموضوعات الرائدة في الأدب والفن السوريين، إن دل هذا على شي فإنه يدل على أهمية تكوين ودراسة الرأي العام في مجال الاقتصاد والشيء الرئيسي نتائجه في العمل التطبيقي.

وتشهد نتائج الدراسة التي قمنا بها على مدى فائدة دراسة آراء الباحثين للعمل الاقتصادي والإيديولوجي والوطني.

لقد قمنا باستطلاع آراء العاملين حول المسائل الاقتصادية في أحد مصانع مدينة دمشق ووقع الاختيار على عمال الوحدة الإنتاجية العلمية ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذه الوحدة ليس فقط وحدة إنتاجية، إنما هي وحدة إنتاجية علمية حيث يعمل معاً العمال والعلماء والاختصاصيون وعاملون في مختلف المهن، وقد وجهت الأسئلة إلى ١٣٠ شخصاً فقط (٨% من العدد الكامل للعاملين من بينهم (٨٠% عمال) و (٢٠مهندساً تكنولوجياً) و (مستخدمين) و (٢٥ من العاملين في البحوث العلمية).

إن الوحدة الإنتاجية الحلقة الأساسية في مجتمعنا ونواته الاقتصادية البنيوية الأهم لذلك يتصف رأيها بالصفات العامة إلى جانب الخصائص المتميزة.

كان لابد من توضيح القضايا التالية قبل البدء بالدراسة: ماهي مكونات الحياة الاقتصادية لمجتمعنا التي يمكنها أن تكون في آن واحد موضوعاً للرأي العام وموضوعاً لرأي الفئة العاملة المحدودة؟ إن الإجابة الموحدة عن هذه الأسئلة صعبة للغاية إذا أخذنا في حسباننا أن الرأي يعكس من جهة الواقع الاقتصادي اليومي الذي تؤثر فيه تأثيراً جوهرياً ظروف الوضعية العامة، ومن جهة ثانية تتكون أحكام الناس تحت تأثير الإيديولوجي الهادف الذي يمكنه أن يكون في مختلف الجماعات والمناطق، مما يُظهر الواقع، منظماً تنظيماً مختلفاً (مع التركيز على الموضوعات الاقتصادية الداخلية المواضيع المؤسساتية أو الفرعية) وباختصار، إن اختيار موضوع الرأي العام، أي وضع تلك المسائل والقضايا التي على أساسها يتم استطلاع رأي العاملين، ماهو إلا جزء من أجزاء الدراسة، المعقد والمستقل دائماً.

لقد وضعت المهمة التالية أثناء القيام بهذا الاستبيان.

- محاولة إظهار درجة تشابه الرأي الجماعاتي بالرأي العام، أي إلى أي مدى استطاع الرأي الجماعاتي استيعاب الرأي العام وبالعكس. كيف ينعكس الجماعاتي في العام.

- محاولة إظهار أن رأي العاملين حول مسائل الحياة الاقتصادية يشكل مؤشراً ومعياراً هاماً جداً لفعالية الإعلام الاقتصادي، وللتربية الاقتصادية وبمجمل عملية ضمان التنفيذ الإيديولوجي لمخطط التطور الاقتصادي والاجتماعي في الجماعة ويشكل أيضاً وسيلة للكشف عن (الأمكنة الضيقة) في قضية تنظيم العمل الاقتصادي.

- محاولة دراسة كيفية الاستيعاب ومن أية زاوية تتحد الأفكار الاقتصادية والإرشادات والتعليمات والقرارات والتوجهات الإيديولوجية في جماعة معينة.

لقد جرى الاستبيان حول تلك القضايا الاقتصادية الاجتماعية المهمة مثل رفع مستوى إنتاجية العمل وانضباطيته وتنظيمه، والنضال ضد الإهمال والتقصير والبحث عن الاحتياطي في الإنتاج، وإظهار أكثر القضايا الاقتصادية حيوية التي تقلق الجماعة، ومعلوم أن هذه المسائل تجد لنفسها انعكاساً في الوثائق الحزبية والحكومية المناسبة لتأخذ بذلك بيعة معيارية - رسمية وبالتالي أهمية أحد المعايير التقديرية لواقع الرأي الجماعاتي.

وهكذا، إلى أي مدى تكون انضباطية العمل حيوية؟ لقد أشار مدير المؤسسة إلى أنه ((من الضروري إبداء الاهتمام الأكثر بواقع انضباطية العمل. ولم يزل عندنا الكثير والكثير جداً من التغيب عن العمل والتأخير والتوقف.

إن هذا شر كبير تضيع بفعله الملايين من ساعات العمل. فلابد من دفع المنظمات الحزبية والأوساط الاجتماعية لمكافحته))[١٧٠].

تمثل أمام الجماعات العمالية مهمة تربية علاقة الانتقاد للعمال أنفسهم لضياع أوقات العمل وتكوين ذلك الرأي العام الذي عليه أن يشكل عدم المهادنة مع الاختراقات الانضباطية الشريرة، وإلى القضاء على أسباب التنظيم المتدني للعمل.

ولذلك كان لابد من معرفة كيف يمكن لرأي العاملين أن يعكس واقع النضال في سبيل الانضباطية في العمل. فحسب آراء العمال، تولي الدولة أهمية كبيرة لمسائل رفع مستوى انضباطية العمل وتعلق العديد من أعضاء المجموعة العمالية كما كان سابقاً، وقبل كل شيء مستوى انضباطية العمل

---

(170) - من حديث جرى مع المدير العام لهذه المؤسسة. دمشق ٢٣ حزيران ١٩٩١.

وتنظيمه، وأشار نحو ٤٠% من المشاركين في الاستبيان إلى مظاهر عدم المسؤولية والعلاقة السيئة بالعمل لبعض العاملين وبالتالي إن احتياطي الجماعة حسب آراء العاملين لم يستهلك بعد.

حيث تأكدت معطيات الاستبيان والمعطيات الإحصائية فخلال ٩ أشهر من عام ١٩٩١ خالف نظام العمل وتعليماته (تأخيراً، عدم التقيد بالتعليمات وغيرها) ١٨٥ شخصاً في الوحدة الإنتاجية، ولابد من الإشارة بشكل عام إلى أنه قد تكون في هذه الوحدة رأي جماعي له طبيعة نقدية حول مسائل المخالفات الانضباطية في العمل وكان للمنظمة الحزبية في مدينة دمشق، دور كبير في المسؤولية عن تنفيذ قرارات الحزب والدولة حول تربية الانضباطية في العمل عند العمال. وتسمح نتائج هذه الدراسة بتسجيل اتجاه التشابه أو التطابق بين آراء العاملين في هذه الجماعة العمالية وبين الرأي العام التي حصلت على انعكاسها المعياري (العادي) في المبادئ الأساسية للقانون الخاص لبناء المجتمع الحضاري، ومعروفة الأهمية التي تعطي في مجتمعنا للتطور اللاحق للمبادرات الإبداعية التي يتضمنها ويشارك فيها العديد من العمال الذين لديهم أحكام معينة وتقديرات خاصة بالمبادرات الإبداعية، ففي المجتمع الإنتاجي في دمشق يعمل توجيه واضح تماماً حول المبادرات الإبداعية. والعمل على تحسين هذه المبادرات كبيرة جداً. ولكننا إذا توجهنا إلى آراء العمال والمهندسين التكنولوجيين حول هذه المسألة فنجد هنا أيضاً بعض النواقص، فقد عبر عن الرضا (إلى هذه الدرجة أو تلك) عن تنظيم المباريات. كل عامل ثالث.

وكل مهندس تكنولوجي ثان والأسباب هي عدم وضوح ودقة الواجبات والعلانية غير الكافية والرقابة الضعيفة والطريقة الفوضوية، وتقدير النتائج الذي غالباً ما يكون غير عادل وغير صحيح.

وقد تطلب الوضع في هذه الجماعة العمالية طريقة عملية للتنفيذ الفعلي للمبادئ العلمية لتنظيم المبادرات. فالآراء الجماعية العاملة فعلياً غالباً ما لا تتفق مع الأوضاع المرغوب فيها أو القياسية (المتحدة رسمياً وفي المجتمع العلمي الإنتاجي) التي وافق على مضمونها آنذاك أكثرية أعضاء الجماعة العمالية (أثناء مناقشتها).

والمهمة التالية للدراسة كانت إظهار تلك القضايا الاقتصادية التي تقلق العاملين أكثر من غيرها. واتضح أنه يجري نقاش المسائل التالية أكثر من غيرها.

- بين العمال قضايا رفع نوعية (جودة) السلع المنتجة، وزيادة لإنتاج السلع الزراعية وتحسين المستوى المادي بشكل عام.

- وبين العلماء والمهندسين التكنولوجيين والمستخدمين قضايا تحسين عمل المواصلات والتجارة وأجواء الخدمات وقضايا تحسين نوعية السلع المنتجة ووسائل تحسين المستوى المادي.

جرت في الفترة التي تمت فيها عملية الاستطلاع في الجماعة دراسة القضايا الأهم (لتطوير الاقتصاد في المرحلة الراهنة)[١٧١] منها (رفع فعالية ونوعية العمل وتسريع العملية العلمية - التقنية، والخدمات بين السكان وإدارة الاقتصاد وتطوير العلاقات الاقتصادية الخارجية)[١٧٢].

أظهرت مقارنة نتائج الاستطلاع المذكورة أعلاه وتعداد القضايا الحيوية. أن عمال المجتمع الإنتاجي في دمشق تقلقهم المسائل الملحة للسياسة الاقتصادية المعاصرة وأنهم يناقشونها باستمرار في جماعاتهم، ويؤثر، هنا الواقع الفعلي تأثيراً مهماً، الواقع الذي لا ينطبق تماماً مع الأوضاع النظرية.

---

(171) - انظر: مرجع سابق.

(172) - انظر: مرجع سابق.

وتتم إظهار رأي العاملين أثناء عملية الدراسة حول النواقص التي تعيق التطبيق الناجح للسياسة الاقتصادية. فمن المهم (رؤية النواقص كي يكون النضال ضدها (مكافحتها) أكثر حزماً)[١٧٣].

وبدا أن ما يقلق العاملين قبل كل شيء النواقص المتعلقة بضمان الإنتاج المادي التكنولوجي وبتنظيم شروط العمل، وبالحالة السيئة للتجهيزات وبنقص اليد العاملة وبهروب الكوادر.

وقد أشار العديد من المهندسين التكنولوجيين والعلماء والمستخدمين إلى ضعف تنظيم العمل والإمدادات السيئة الحالة السيئة للتجهيزات وإلى نقص اليد العاملة والاستخدام غير العقلاني للاختصاصيين وإلى انخفاض مستوى انضباطية العمل والشعور بمسؤولية صاحب العمل متطوراً عند أكثرية العاملية (¾) إضافة إلى التفكير الاقتصادي المحسوس وإذ إنهم يحللون النواقص ويبدون القلق حول قضايا وأمور الإنتاج.

وأظهرت نتائج استبيان آراء الجماعة أن لمظاهر عدم الانضباط وعدم التنظيم مكاناً معيناً هذه المظاهر التي لا تستطيع أن تغيب ثمن أخطار العاملين بل لديهم نحوها أحكام انتقادية، ولا يمكن إلا أن نأخذ هذا الحسبان في تنظيم العمل الإنتاجي والإيديولوجي أيضاً وبخاصة في تحسين عملية التربية الاقتصادية.

أشار أحد المسؤولين إلى أن (الحساب بدقة الاستخدام الفعال لكل ليرة ولكل ساعة عمل ولكل طن من السلع وحتى النهاية القضاء على الاستهتار والعبث وهذا كله واجبنا الحزبي الرفيع).

فكيف يعكس الرأي الجماعاتي وإرشادات الحزب هذا؟ وإلى أي مدى نجد العمال أنفسهم غير مبالين بالاستهتار؟ وما هي المظاهر التي يدونها العمال

---

(173) – انظر: مرجع سابق.

قبل غيرها؟ اقترحت الإجابة عن السؤال: ((إذا واجهتهم حقيقة الاستهتار، فما هي مظاهره التي تقلقهم أكثر من غيرها)).

فاتضح أن العلاقة بالحفاظ على التجهيزات الكهربائية وبتوفير استخدام المواد الخام والمواد الأخرى في المجتمع تقلق العمال والمهندسين والعلماء والمستخدمين أكثر من غيرها وقد أشار إلى ذلك كل من المشاركين في الاستبيان. وهذا في الظروف التي يشارك فيها ٨٠-٨٥% من العمال والمهندسين في النضال في سبيل التوفير ففي خلال تسعة أشهر من عام ١٩٩٢ تم توفير ستة آلاف طن من المحروقات وأكثر من ١٠ أطنان من المواد الحديدية و٢٠طناً من المعادن ومع ذلك كما اتضح من استبيان آراء العمال والمهندسين لم تستهلك كل الاحتياطات إلى حد كبير.

وبدا أثناء الاستبيان أيضاً الاتجاه العقائدي لانعكاس الواقع الاقتصادي وانبعاث الدعاية الاقتصادية في أحكام الناس والواضح تماماً أن كل عامل رابع سمى من بين العوامل المكونة التي تبرهن على تفوق نهجنا الاقتصادي تلك العوامل مثل، التخطيط الاقتصادي المستمر للحالة للشعب والتواتر السريع للإنتاج والثقة بيوم الغد وغياب الأزمات وغيرها وأشار إلى هذه العوامل ٥/٤ من عدد العلماء والمهندسين التكنولوجيين الذين شاركوا في الاستبيان.

في حين نوه أكثرية العمال والعلماء والمهندسين إلى أن العيوب الاقتصادية الدائمة هي قبل كل شيء البطالة والأزمات والتضخم المالي وارتفاع الأسعار ومسائل الدفاع. وتدل هذه المعلومات على التوجه السياسي – الإيديولوجي لوعي العمال وعلى نضوجهم السياسي والفكري والتقدير الانتقادي للأسس الاقتصادية للمجتمع القديم.

وهكذا تظهر نتائج الدراسة التي قمنا بها لأحكام العاملين حول بعض مسائل الحياة الاقتصادية.

إن الرأي العام يعد عاملاً كافياً قوياً للتأثير الفكري وعلى وعي الناس وسلوكهم و يصبح معياراً لعمل المنظمات الحزبية الاقتصادي والإيديولوجي وكان استطلاع آراء العاملين مصدراً إضافياً للأنباء حول التطور الاقتصادي وقد سمح بذلك بأن ننظر بأعين العاملين أنفسهم إلى عمل الخدمات الاقتصادية والإيديولوجية التي يقوم بها المجتمع وقد كشف بذلك عن بعض الاحتياطات (الخامات) التي لم تستخدم بعد.

وبعد مرور شهر على الاستبيان عرضت نتائج هذه الدراسة على الكادر الحزبي في المدينة وعلى جهاز الحزب في مدينة دمشق وعلمت بها أيضاً الأوساط الاجتماعية وأكثرية من تم استبيان آرائهم إلى جانب الكادر الحزبي في المجتمع الإنتاجي.

وقد استخدمت العديد من المعطيات أثناء تدقيق الخطة المستقبلية لعمل المنظمات الاجتماعية في المجتمع وتم تركيز اهتمام خاص على تحسين العمل في سبيل التطور اللاحق للمبادرات الإبداعية وتعزيز الانضباطية في العمل وتربية العلاقة الجديدة به عند العاملين وتطوير النشاطات الاجتماعية ولهذا تم النظر في المسائل التالية:

مسألة الحالة الراهنة للمجتمع وقضية الإجراءات اللازمة لتحسين الثقافة الاقتصادية للعاملين فيه، مسألة عمل اللجنة النقابية ومهامها في التقرير اللاحق للانضباطية في العمل، ومسألة تطوير المبادرات الإبداعية في ظروف المجتمع الإنتاجية. وقد ناقش الكادر النقابي المسائل التالية:

مسألة نشر الأشكال الفعالة للمبادرات التي يقدمها العمال الطليعيون في دراسات المصنع وتنظيم العمل المفيد بالاتفاق بين الأقسام العلمية والإنتاجية والمخابر والورشات ومسألة دور المهندسين التكنولوجيين في تنظيم المبادرات.

وقد قامت الجهات المسؤولة في المجتمع بتحليل خاص لنظام التثقيف والتوعية السياسية لأجل رفع مستوى خدمة المهندسين – التكنولوجيين. وأعير اهتمام خاص بمضمون عملية تدريس الكوادر إلى رفع عدد المستمعين في نظام التثقيف الاقتصادي، وبعد عام فقط على قيام الدراسة، وصل عدد المستمعين إلى المحاضرات في المسائل الاقتصادية إلى أكثر من ٢٧٠ شخصاً وأقيمت اجتماعات الكوادر الاقتصادية حول عدد أكبر أكثر بجوانب الحياة الاقتصادية والسياسية للجماعات العمالية.

وأقامت الصحافة ندوات حول مسائل دراسة الرأي العام في الجماعة معتمدة في ذلك على التجارب الطليعية. وهكذا أصبحت مثل هذه الاستطلاعات لآراء العاملين بحد ذاتها إجراءً تربوياً جوهرياً. فعند تعبير العاملين عن آرائهم أصبحوا يشعرون أنهم يشاركون في قضايا الجماعة والدولة بشكل عام، وإن نتائج مثل هذا النوع من الدراسات إذا أقيمت بانتظام يساعد على إيجاد حلول حالات النزاع أو التوتر التي تحدث أحياناً في الجماعة.

إن دراسة آراء العاملين ما هي إلا محادثة بين القائمين على الإدارة حول ما يهم الإدارة وهذه في الوقت نفسه شكل خاص ومميز من أشكال تبادل النصائح بين المسؤولين وبين جميع أعضاء الجماعة لقيام علاقة سريعة ومنتظمة بين الأجهزة القيادية والجماهير.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الرابع

دراسة الرأي العام بهدف تحسين النشاط الإعلامي

التحريضي من خلال تجربة الحزب الاشتراكي الفرنسي

إن دراسة الرأي العام بالنسبة للحزب الاشتراكي الفرنسي، ومن أهم وسائل تعزيز المكتسبات الحضارية للشعب الفرنسي. وبفضل ذلك وجدت روابط متينة وحيوية بين الحزب والجماهير.

فالأجهزة القيادية في الحزب الاشتراكي الفرنسي تقوم بدراسات للرأي العام الفرنسي تستخدم في وضع قراراتها، وقد أصبح ذلك اتجاهاً مهماً من اتجاهات العمل السياسي والاجتماعي. وهكذا اكتسب الحزب الاشتراكي الفرنسي خبرة كبيرة، في مناطق (ليل – ليون – مرسيليا – باريس) وتجربة فعالة أفادته كثيراً أيضاً في أكبر المصانع في البلاد (مصنع معالجة الحديد في تشيبيل ومصانع الطائرات) إن معرفة الرأي والأمزجة العامة تعد عاملاً مهماً للتخطيط لعملية الإعلام والتحريض لتصبح عملية تحسين إعلام القادة الحزبيين حول جميع المسائل التي تدخل في مجال عملهم ومساعدة أعضاء الأجهزة الانتخابية في التعرف على التوجهات العامة للأوضاع النفسية السياسية والرأي العام ولتغدو واحدة من الوسائل الدائمة المستخدمة من قبل القيادة الحزبية وإن نظام الإعلام مدعو لجمع وتقديم آراء العاملين حول السياسة الخارجية والداخلية إلى الجهات المختصة بشكل منتظم وتؤدي هذه الطريقة للإعلام واستخدامه المناسب دوراً هاماً في تصحيح القرارات وفي رفع فعالية التحريض والعمل الجماهيري السياسي للمنظمات الحزبية وفي تعزيز الديمقراطية أيضاً بإغناء المنظمات الشعبية الحزبية بالتجربة التطبيقية في هذا المجال وتعليمها التحليل العميق كي تقع في الحسبان في نشاطها اليومي آراء الناس وأمزجتهم ومطالبهم ومصالحهم وهذا كله يساعد على التطبيق، الدائم في الحياة العملية للمبادئ التي بموجبها

يتمتع الحزب بالدعم الجماهيري وذلك عندما يجري الحديث علانية وبصراحة عن الصعوبات والإشارة إلى سبل التغلب عليها.

لقد كانت الدراسات التي قام بها المركز العلمي لدراسة الاتصال الجماهيري تدور حول القضايا الاجتماعية – السياسة ذات قيمة ليس بنتائجها فقط، بل باكتسابها التجربة والخبرة اللازمة. وفي هذه المرحلة لم يكن هناك ما يكفي من الأنباء في كل فرنسا، ولكن جزءاً من المعطيات التي درست كانت أساساً لتقارير الأجهزة الحزبية والحكومية وكانت مواد هذه الدراسات قد استخدمت في العمل الإعلامي والتحريض أيضاً. وتمت تهيئة الظروف لإطلاع الحزبيين بشكل واسع على نظرية وتطبيق الدراسات في مجال الرأي العام. وفي الوقت نفسه أعلن عن دورات مناسبة خاصة ومحاضرات تمت قراءتها في الدوائر وفي الاجتماعات حول التحريض والإعلام وفي دورات لسكريتارية المنظمات الحزبية.

وقد بدا أثناء أولى الدراسات أن الأجواء السياسية والاجتماعية ملائمة لدراسة الرأي العام وقد حددت أطرها المناسبة لخصائصه الفرنسية وأخذ قسم الدعاية والتحريض في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الفرنسي على عاتقه هذه القضية المهمة ووضعها تحت رقابته المباشرة، وبرزت أمام دراسة الرأي العام مهمة الكشف بدقة وعمق عن جوهر ظواهر الحياة الاجتماعية وقوانين تكوين الوعي العام وطرق التأثير فيه.

لكن الأمر لم يقتصر بالطبع على مجموعة قضايا الإعلام والتحريض فكان على رسم سياسة الحزب ووضع القرارات ذات الطبيعة التكتيكية والاستراتيجية أن تبنى على أساس نظرية الفكر الاشتراكي الديمقراطي والقوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي مع الأخذ بالحسبان مستوى تطور البلد الاقتصادي والروحي وأوضاع الرأي العام ذاته. وتشهد تجربة الحزب

الاشتراكي الفرنسي على أن الدراسة المنتظمة للمقترحات والملاحظات وآراء العاملين والبحث عن الأجوبة عن الأسئلة كيف تؤثر الظروف الموضوعية في الناس وحياتهم؟ وكيف يستوعبون القرارات الحزبية والحكومية؟ وكيف تتم معالجتها في أفكار وأعمال الناس وكيف تعزز حجج وفعالية القرارات الحزبية؟

لقد ساعد تطور نظام الإعلام القادة على تحسين أسلوب عملهم بالتوافق مع متطلبات الوقت الراهن فوضعت اللجان الحزبية للحزب الاشتراكي الفرنسي أمامها مهمة قيام نظام التوجيه السياسي للعاملين ومهمة التحضير النظري والمنهجي للاشتراكيين الذين يقودون العمل. وتنظر اللجان الحزبية بالمعطيات الواردة إليها كوسيلة لتكوين الأمزجة القوية والضعيفة للنشاط المتنوع للمنظمات الحزبية في مجال الرأي العام، فالجوهري منها لم يكن دائماً منفصلاً عن الأقل أهمية بل كانت تعمم بعض الأحكام بصورة خاطئة وتقدم وكأنها هي الرأي العام، وفي سبيل التخلص من مثل هذه النواقص حصلت المنظمات الحزبية على مجموعة معلومات أعدها قياديون معدون إعداداً جيداً. وقد طلب منهم التمسك بالطريقة العلمية أثناء تحليل أوضاع الرأي العام، وتعد المنظمات الحزبية الشرط الأساسي لنجاحها في نشاطها العملي اليومي الاعتماد الدائم على معطيات علم الاجتماع، وتنطلق من أنه في كل ظاهرة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو إيديولوجية معينة ستجد لها انعكاساً في القوانين العامة المحددة وتتمتع الأشكال وبعض مظاهرها ببعض المميزات تحت تأثير ظروف معينة، لذلك يتطلب تحليلها واستخدام استنتاجاتها في الواقع مرونة كبيرة وأسلوباً إبداعياً وأخذ الحزب يستخدم بقوة نتائج الدراسات الاجتماعية في العمل الحزبي وإن منظمة الحزب في منطقة ليل تتخذ قراراً حول تطبيق المهمات الاقتصادية في الخطط المستقبلية، واستوضحت في البدء بشكل مفصل عن مدى اطلاع قادة المصانع على الظروف الداخلية والخارجية، التي سيتوجب عليها تنفيذ الخطة الجديدة فيها

وفي الوقت نفسه أصبح واضحاً الاتجاه الذي يجب تطوير العمل السياسي فيه بين القادة أنفسهم،وذلك في سبيل ضمان تنفيذ المهمات وكيفية التركيز على نشاط المنظمات الحزبية السياسية الجماهيرية بين العاملين وأصبح لديها الآن أساس للتحدث عن نظام محدود للعمل نحو دراسة الرأي العام، وهكذا يتألف نظام العمل في مصنع الطائرات مثلاً من الدراسات الإصلاحية الترقيعية، وغيرها من أنواع الدراسات التي تجري مرة أو مرتين في الشهر حول بعض المسائل العامة المتكررة في سبيل إبراز (التبدلات) في الآراء والأمزجة ووضع خريطة للقضايا، التي تقلق العاملين في هذه المرحلة (كوظيفة للكشف عن القضايا) إن فكرة ومضمون وحيوية هذه القضية أو تلك تعد بحد ذاتها أنباء قيمة بالنسبة للقادة بالإضافة إلى أنها نقطة انطلاق لدراسة متكاملة لهذه المسألة أو تلك وتجري بعض الدراسات مرة واحدة خلال أربعة أشهر أو ستة أشهر وتشمل عدة موضوعات والهدف منها تقديم المعلومات بانتظام عن الرأي العام حول المسائل الحيوية الملحة. وإلى جانب هذه الأنواع من الدراسات تجري في المصنع المذكور سنوياً دراسة للآراء الفردية واستطلاعان اثنان لها والهدف من دراسة المسألة أو تلك من المسائل مع العلم إنها لا تخرج عن إطار التدوين الآني لأحوال الرأي العام، وهذا النوع من الدراسات،يعطي صورة واضحة للآراء وقد أسست اللجنة الحزبية في المصنع لجنة خدمات من الأشخاص الذين يجمعون المعلومات، ويجرون الاستطلاع ويعالج مركز الحاسوب في المصنع المعلومات التي يحصل عليها وهكذا ستصبح دراسة الرأي العام بوساطة وسائل علم الاجتماع والسيكولوجيا الاجتماعية في الأعوام القادمة جزءاً لا يتجزأ من العمل الحزبي.

وهذا هو التوجه الآن دون العدول عن الأساليب التقليدية التي أثبتت أهميتها وقدرتها في الواقع العملي. إن دراسات الرأي العام التي نفذت حتى الآن

في فرنسا يمكنها أن تنضم إلى المواضيع الأساسية التالية: (انعكاس السياسة في الرأي العام ومستوى الاطلاع السياسي ومصدر الاطلاع السياسي – لدى السكان((المنظمة الحزبية كإحدى القنوات الإعلامية)) واستيعاب السكان لقرارات الحزب والحكومة).

وترتبط عملية التحسين الواعي للعلاقات الاجتماعية بدرجة كبيرة بمستوى اشتراك السكان في الحياة السياسية في البلاد ويعبر مستوى اطلاع الناس على الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية أحد الشروط والمؤشرات لذلك.

يرتبط تبدل مستوى الاطلاع السياسي بانتماء الإنسان إلى هذه أو تلك من الفئات الاجتماعية، وهذا المستوى يكون عند الشرائح الخبيرة، وأعضاء الحزب وسكان المدن أعلى مما هو عليه عند العمال الأقل خبرة، وغير الحزبيين من سكان الريف. لقد جرت في فرنسا دراسة الرأي العام عدة مرات حول المسائل التي تغطيها الصحافة أو الراديو أو التلفزيون بشكل يومي ومع ذلك تبين أنه حتى الأحداث التي يتم التذكير بها باستمرار لا تصل بالصورة المطلوبة إلى وعي الجماهير، وأظهرت الدراسات نواقص في المعارف ذات طبيعة أخرى فمثلاً:

كانت المفاهيم مثل (تصدير)(استيراد)التي تذكرها يومياً وسائل الإعلام الجماهيري والضرورة لفهم الأنباء عن الأعمال والقضايا الاقتصادية غير معروفة تماماً في أوساط واسعة من السكان وبخاصة بين الناس الذين لا يحملون شهادات علمية ويقوم مصدر المعلومات الذي أصبح يؤثر بدرجة كبيرة على اتجاه وطبيعة الآراء دور هام في هذا المجال ويمكن للقنوات الشفهية المنظمة ولوسائل الإعلام الجماهيري، أن تصبح مصادر الإعلام تحدد درجة اطلاع السكان وأفضلية هذا أو ذاك من الآراء.

إن الناس الذين يستخدمون كل قنوات الأنباء يكونون عادة مطلعين أكثر من أولئك الذين يكتفون بوسائل الاتصال الجماهيري أو التواصل (المخالطة). بيد أن الفرق ليس في أن الفئة الأولى تمتلك معلومات كبيرة والفئة الثانية تمتلك معلومات أقل، بل في النوعية أيضاً ففي الحالة الأولى تعطي الفرد صورةً أكثر قرباً ودقة لظواهر الواقع. لقد أظهرت الدراسات الاجتماعية أن المستهلكين للأنباء النشيطين، أي أولئك الذين يستخدمون يومياً تلك المصادر الإعلامية مثل الراديو والتلفزيون والصحافة يكونون أكثر اطلاعاً حول كل المسائل من أولئك الذين يستخدمون المصادر بشكل أقل أو يفضلون بعضها فقط.

وتشكل نسبة المطلعين بين (المستهلكين للأنباء) النشيطين ٦٠-٧٠% (فيما يتعلق بالموضوع أو من الممكن أكثر أيضاً) لكن عندما يدور الحديث حول المسائل المعقدة تنخفض هذه النسبة إلى ٣٠-٤٠% إن (المستهلكين للأنباء) النشيطين عند استماعهم لآخر الأنباء في الراديو أو التلفزيون أو يقرؤون الصحف يومياً لا يستطيعون الإجابة باستقلالية عن هذا السؤال وذاك من الأسئلة السياسية الحيوية الملحة.

تعتبر وسائل الاتصال الجماهيري الموزع الرئيسي للمعلومات السياسية وقد أوضحت الدراسات أن كل شيء يرتبط بكيفية (استهلاك) الناس للأنباء الواردة عن طريق هذه القنوات.

مثلاً:

إن الأشخاص الذين يستمعون يومياً إلى الأخبار في الراديو والتلفزيون وبالوقت نفسه يقرؤون الصحف تراهم أكثر عدداً من أولئك الذين يحملون شهادات متوسطة أو عالية ممثلي الفئات المثقفة والقادة والعمال ذوي الخبرة. ومن المميز أن هذا يعطي الأفضلية في هذا المجال لسكان المدن على سكان الريف. ولتقوية روابط الحزب بالجماهير من المهم أن تصل للأنباء السياسية

الحيوية أي كل السكان. ويستوعب الناس الأنباء التي تنقلها الصحافة والراديو والتلفزيون بأشكال مختلفة وذلك بسبب نمط الحياة والمستوى التعليمي وقوة الاهتمام بالسياسة. ويتطلب ذلك طريقة تفاضلية ووسائل أخرى من بينها قنوات الاتصال الفردية.

في السنوات الأخيرة قامت المنظمات الحزبية بإعلام أعضائها عن أهم الأحداث في البلد ووضعت أمامها مهمة نشر هذه المعلومات بين الجماهير. إلا أنه لا يزال هناك أناس لم تصلهم دائماً هذه الأنباء الهامة.

إن الرأي العام حساس جداً بالنسبة لمسائل الاقتصاد مثلاً فهو ينتبه لها بسرعة وحيوية. إلا أنه لا يستطيع إعطاء التقديرات المماثلة للعديد من العمليات الاقتصادية، ولم تزل معارف الناس مختلفة في هذا المجال عن متطلبات العصر. إن التحريض الاقتصادي مدعو من يوم إلى يوم لإعطاء الجواب عن السؤال: بأية علاقة ترتبط المصالح الفردية للعمال بالإنتاج العام وبالدخل القومي؟ لقد مضت أعوام عديدة من العمل المتواصل لتغيير القصور الخاطئ المتكون سابقاً عند الناس فيما يتعلق بماذا يمكن تحديد مستوى المعيشة علماً بأن الجميع لا يريدون أن يفهموا إن لتخفيض الأسعار حدودها التي تفرضها النفقات على الإنتاج إنتاج هذه المادة أو تلك. وقد ساعدت دراسات الرأي العام والاستنتاجات النابعة منها على انكشف عن هذه الأمزجة وتوجيه التحريض الاقتصادي نحو التغلب عليها.

إن التحريض والدعاية موجهان إلى إعلام الرأي العام وتوجيهه نحو أوضاع الاقتصاد الفرنسي كي يعلم الناس أيضاً مستقبل السياسة وتطورها اللاحق. فضمان استمرارية ومصداقية مثل هذه الأنباء ماهو إلا عنصر ضروري للتخطيط وقيادة العمل الفكري – التربوي، فمنذ سنوات عديدة يتم التحليل المنظم لأوضاع الرأي العام حول المسائل الاقتصادية. وقد جرت ثلاث

دراسات اجتماعية في أقل من عام واحد. وإليكم النتائج التي كان أساسها الاستبيان الفرنسي ففي تشرين أول عام ١٩٨٩ قدرة ٣٥% من المشاركين في الاستبيان تقديراً صحيحاً الوضع الاقتصادي في البلد وبعد شهرين شكل مثل هذا النوع من الأجوبة نسبة ٦١% وفي أيام عام ١٩٩٠ أصبحت النسبة ٦٣% فالديناميكية واضحة. وأخذ العمل نحو دراسة وتوضيح وتفسير مقررات مؤتمر الحزب تطوراً واسعاً في الوقت نفسه، واتسع النشاط الإعلامي التحريضي في هذا الوقت بفعالية على خلفية العمل الجاد لوسائل الإعلام الجماهيري وفي النهاية فإن مجمل تأثيرها على الرأي العام قد أعطى نتائجه المرجوة.

وتستخدم الأنباء عن أوضاع الرأي العام قبل كل شيء من قبل قسم الدعاية والإعلام في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الفرنسي مباشرة في توجيه القائمين على الإعلام من صحافة وراديو وتلفزيون أو في الرقابة على نشاط الكوادر الإيديولوجية، وفي العمل اليومي مباشرة لرفع مستوى التحضير الخاص لمنظمي الأعمال الدعائية والإعلامية والتحريضية.

إن المعلومات التي يتم الحصول عليها عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري والتحريض والدعاية الشفهية لا يمكن لها أن تبقى فقط في وعي الناس إنها لا تتأثر بكل مصدر من مصادر الأنباء بتأثيرات مختلفة مدعمة أو مضعفة بعضها البعض. فأحدهم يعرف أولاً شيئاً ما من زميله في العمل وآخر يعرف من البرامج التلفزيونية وكل واحد منهم يستوعب النبأ ويفسره على طريقته الخاصة.

فالمعطيات التي تم الحصول عليها أثناء الدراسات التي شملت عمال في أربعة مصانع كبيرة في مدينة باريس كانت مدهشة من هذه الناحية. فعندما سأل المحققون عن مصادر الأنباء اتضح أنه من أصل مئة شارك في الاستبيان كان ٢٧ منهم قد علموا بالأحداث السياسية الداخلية المهمة عن طريق التواصل

و١٥ منهم استوعبوا الأنباء و ٢٥ فقط من أصل مئة قرءوا الصحف و١٣-١٤ قرءوا هذا النبأ. والاستنتاج الواضح هنا هو: أنه لا يكفي انتشار وسائل الإعلام الجماهيري لضرورة التواصل. وبالتالي لا يمكن إلغاء الطلب على مثل هذا التحريض في الظروف الراهنة بل على العكس من ذلك يزداد الطلب عليه، ولكن لابد من البحث عن أشكال جديدة أكثر فعالية لتحقيقه.

وهكذا ولدت فكرة نظام الحلقات السياسية للمناقشة التي يستطيع فيها الناس تبادل الآراء حول المسائل الحيوية ويغنون معارفهم السياسية، ويطورون قدراتهم الخطابية. إن ذلك مدرسة جيدة لأعضاء الحزب، حيث يتعلمون تطبيق معارفهم النظرية واستخدامهم في تحليل الظواهر الحياتية. ويتطور مجال تفكيرهم السياسي من خلال النقاشات مما يساعدهم على شرح سياسة الحزب على أساس أرضية واسعة من الأحداث الداخلية والخارجية بطريقة أكثر وضوحاً وعمقاً وتحديداً وإقناعاً. ولكي يستجيب التحريض السياسي لمتطلبات العصر يجب القيام به فقط أثناء توفر الجاهزية العالية. عندئذ يمكن الإجابة عن سؤال يُطرح من قبل الجماهير وتبدد شكوكها (إذا كانت موجودة) وإيصال كلمة الحزب إلى عقولهم وقلوبهم ومعرفة إلى درجة ترتبط وتأثر التحرك العام إلى الأمام بالحلول الناجحة للمهمات الملموسة.

إن تطور وسائل الإعلام الجماهيري يجعل الناس اكثر اطلاعاً وتظهر عندهم أسئلة جديدة باستمرار حيث ينتظرون الإجابة عنها من جانب المتواجدين في محيطهم مباشرة، ولذلك على الاشتراكيين أن يكونوا (أنفسهم) هذا المصدر للأنباء إضافة إلى الكشف عن الروابط المتبادلة والأسباب التي ولدت هذا الرأي أو ذاك، يوجه التحريض والدعاية ويساعد على إعطاء عملهما الفكري، التربوي الاتجاه الضروري وإيجاد السبل إلى مختلف المجموعات والشرائح السكانية. إن دراسة الرأي العام ماهي إلا نوع من أنواع قنوات الروابط المتبادلة بين النشاط

الإعلامي التحريضي وموضوعه فعالية الجمهور الإيديولوجية وتكشف عن الإمكانيات الموضوعية لبعض الشرائح الاجتماعية، في إدراك الأنباء المطروحة عليها واستيعابها وتساعد المعلومات التي يحصل عليها في تفاصيل هذه الأنباء مشيرةً بذلك إلى ميكانيزم تكوين الآراء ودور وسائل مختلفة للتأثير الإيديولوجي في هذا الاتجاه. ومن المستحيل بدون هذه المعلومات التخطيط الصحيح للعمل الدعائي، التحريضي. ويعطي تحليل أهم العوامل المؤثرة في تكوين الرأي العام ومستوى الاطلاع والتقاليد والاعتيادات .... الخ. الإرشادات الضرورية للتخطيط ولتنظيم التأثير الإيديولوجي وتعد الاستنتاجات العملية جوهرية للغاية أثناء دراسة الرأي العام. فمثلاً: من غير الممكن عد النبأ الإيجابي مشوهاً بفعل الشكل غير الناجح لإخراجه.

ومن المهم أيضاً تحضير الناس بصورة مناسبة لاستيعاب حقيقة معينة فانحراف الأحداث المفاجئة يمكن أن يستدعي لدى بعض الناس ردة فعل غير مرغوب فيها، وفي الوقت نفسه إن الشرح المطول لا يعطي دائماً نتائج إيجابية جوهرية أيضاً ليس في كم الأنباء فقط بل وفي مستوى فوارقها بين الأنباء الشفهية والخطية وبين الأنباء المعدة للأفراد والمجموعات وللجماهير الواسعة وأحياناً يعتقد يجب ألا تكون مرتبطة بخصائص هذه أو تلك من الشرائح والمجموعات ولا بخصائص طريقة تقديم الأنباء لأن الأنباء تؤثر في وعي وعمل الناس عن طريق (ميكانيزم العرض) المعقد. ويمكن الحصول على فعالية إيجابية فقط أثناء استخدامها الجيد، ومع ذلك يجب عدم إعادة تقيد إمكانات التحريض والدعاية، ولا يكفي التأثير الإيديولوجي فقط للحصول على رأي عام متماثل إذ عليه أن يكون مدعماً بالتجربة العملية للوضع الفعلي للقضية. لقد استطاعت دراسات الرأي العام في فرنسا أن تساعد فعلاً على رفع فعالية النشاط

الإيديولوجي وأصبح التعرف على آراء وأحكام السكان بالنسبة للقرارات الحزبية والحكومية على التعزيز الدائم والمستمر للروابط مع الجماهير.

وأشارت وثائق الحزب الاشتراكي الفرنسي، إلى ضرورة الأسلوب العلمي في تحليل الرأي العام كإحدى أهم الوسائل لرفع فعالية العمل الفكري. التربوي. إن النشاط الإعلامي الدعائي يصبح أكثر جاهزية ويستجيب بسرعة أكثر للأحداث ويصبح أكثر تميزاً عندما يأخذ بعين الاعتبار وبصورة أفضل متطلبات ومصالح مختلف الجماعات السكانية. وتساعد الدراسة المنتظمة والمبرمجة للرأي العام على تعميق مضمون النشاط الإعلامي الدعائي وعلى رفع فعاليته في تعبئة الجماهير نحو تطبيق سياسة الحزب وتحقيق أهدافه.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب السابع

- الإعلام الغربي ونظريات الرأي العام.....ص٢٧٥

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب السابع

الإعلام الغربي ونظريات الرأي العام

إن المرحلة الراهنة للتطور العالمي المتميز بالتغيرات السياسية والاجتماعية الجذرية والتباعد المتنامي للقوى الداخلية في الدول الرأسمالية حول مسألة الحرب السلام والديمقراطية والبناء الجديد للمجتمع وتعاظم درجات تأثير القوى الاجتماعية في السياسة ارتبطت قبل كل شيء بالعمليات الموضوعية الجارية في العالم (النمو المتسارع للتغيرات العالمية الكبرى وانهيار الأنظمة الاشتراكية في أوربا ومحاصرة حركات التحرر الوطني ، والانتشار الواسع لمفهوم النظام العالمي الجديد الذي يؤثر تأثيراً مخيفاً في وعي الجماهير الشعبية). ومع ذلك أشار الخبراء في الشؤون السياسية إلى أن التحركات الإيجابية في السياسة الدولية ونزع السلاح وتهيئة الإمكانات الجديدة للانتشار الواسع لأفكار التعايش السلمي وقد ساعدت هذه المسائل إلى درجة كبيرة في تنشيط الأوساط الاجتماعية العلمية العملية – التكنولوجية – التي حفزت انتشار المعارف وقربت (بوساطة تطوير وسائل الإعلام الجماهيري وانتشار التعليم وغيرها) الأحداث المعاصرة المهمة في سياقها السياسي الجاد من الطبقات الواسعة.

لقد أنشأت الحقائق الجديدة في العالم مقدمات موضوعية للاجتذاب اللاحق للطبقات الشعبية الواسعة في الدول الرأسمالية وخارجها لحل مسائل التطور الاجتماعي – السياسي الجذرية.

وبدورها تعد التأثير الأكثر نشاطاً وفعالية للجماهير الشعبية الذي يأخذ حيويته من تقوية تأثير القوى الإنسانية الأساسية المعاصرة في العمليات السياسية باعتبارها مصدراً مهماً لتسريع التطور الاجتماعي في العالم أجمع وقد أشار

الباحثون إلى الوتيرة المتنامية للتطور الاجتماعي قائلين ((إن السبب الأساسي لمثل هذا التسارع الهائل للتطور العالمي هو إشراك مئات ومئات الملايين الجديدة من الناس في العمل السياسي وأشاروا إلى أن أكثرية سكان الكرة الأرضية استيقظت الآن وبدأت الحركة التي ليس بمقدور الدول الأقوى والأعظم إيقافها)).

ويلحظ بصورة خاصة تأثير الأوساط الاجتماعية المتنامي باستمرار في القضايا الدولية. فقد أشار الباحثون إلى أن التحركات الحالية في الوضع الدولي هي ثمرة نشاط القوى الاجتماعية ونتيجة للنشاط الذي لم يلحظ من قبل الجماهير الشعبية التي أظهرت عدم رضاها عن السياسات الاستعمارية وعن إرادتها الصلبة للحفاظ على السلام.

إن الإيديولوجيين التنفيذيين في ظروف النظام العالمي الجديد بمحاولاتهم التأثير في الوعي الذاتي عند الجماهير وإخضاع الرأي العام لهم وامتلاكه يستخدمون أجهزة ومنظمات متعددة تعمل في مجال انتاج الأفكار وتربية الناس ودبلجة أدمغتهم وأيضاً وسائل الاتصال الجماهيري الضخمة : الصحافة والتلفزيون والإذاعة والمؤسسات الطباعية والتوجه بشكل خاص للأخبار المعدة إلى الشرائح السكانية الواسعة، إن هذا بلا شك يعطي ثماره ونتائجه. وقد أشار كارل ماركس وفريدريك أنجلس في ((الإيديولوجيا الألمانية)) إلى : ((إن الطبقة التي تكون بين أيديها وسائل الإنتاج الروحي خاضعة بشكل عام للطبقة الحاكمة))[1].

إلا أن نظام الرقابة الإيديولوجية للبرجوازية الاحتكارية على الجماهير الواسعة في الوقت الحاضر يصطدم أكثر فأكثر بحواجز جدية.

---

(1) ماركس ـ انجلس المؤلفات المجلد ٣، ص٤٦.

وفـــي الظـــروف الجديـــدة عندما تضاف إلى عملية تعميق المشكلات الاقتصـــادية الأزمة الفكرية – السياسية – يصبح من الصعب أكثر فأكثر على الطبقة الحاكمة تحقيق الرقابة اليومية على الجماهير الشعبية الواسعة ولا يعطي الســـيل المستمر للأنباء عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري النتائج المرجوة على الرغم من أنه – وبلا شك – لم يزل يملك حتى الآن تأثيراً قوياً.

إن القوى الحاكمة مع إدراكها لما يجري من تغييرات كبيرة في الوعي الجماهـــيري تحاول تغيير تكتيك التأثير وتحسين الدور الإعلامي ورغم ذلك لا تســـتطيع القـــوى الاستعمارية أن تأمل بالنجاح عند طرحها المكشوف لأهدافها الحقيقـــية فـــتراها مجبرة على إحداث نظام متكامل للأساطير الإيديولوجية التي تعتم على المغزى الصحيح الأصلي لنواياها التي تحاول عن طريقها إغفال يقظة الشعوب.

وإن الإيديولوجيـــين الغربيـــن بســـعيهم وضع الرقابة على الجماهير يحـــاولون تحســـين وتطوير النظرية والتطبيق الإعلامي لوضع أساليب وطرق التأثـــير الإعلامـــي الأكـــثر فعالـــية، فتستخدم معطيات العديد من العلوم وعلم الاجـــتماع والســـيكولوجيا والأنثروبولوجـــيا وحـــتى الفيزيولوجيا. وتبنى أكثر الأســـاليب والطـــرائق علـــى أساس دراسة الرأي العام، كما في مجال التعميم الـــنظري فـــي مجـــال قياســـه العملـــي الملمـــوس، وقبل كل شيء بمساعدة الاســـتطلاعات. وتـــنفذ الدراسات في مجال الإعلام بعلاقة أكثر ارتباطاً بتحليل الـــرأي العـــام. وهـــذا ليس غريباً لاستقلال الشعوب إذ لا بد من معرفة وضع (حالـــة) العقول والمشاعر فيها، وإتقان استخدام القوانين وتعقيدات عملية تكوين وعيها.

ولتصـــور العلاقـــة المتبادلة بين النظريات البرجوازية للإعلام والرأي العام لا بد من متابعة الملامح العامة لتطور الدراسات النظرية في مجال الإعلام والرأي العام.

تعـــود أول الدراسات المنظمة لقضايا الإعلام إلى العلاقة مع ديناميكية الـــرأي والجـــدل حولـــه إلـــى أوائل القرن الحالي الذي بدأت فيه عملية انتقال الرأســـمالية إلـــى مرحلـــتها الاحـــتكارية في تطورها ولقد تميزت بداية القرن العشـــرين بالانتشار غير العادي للاهتمام بالرأي العام وبظهور الدراسات التي وضـــعت الأســـاس لمـــرحلة جديدة في دراسته وإذا كان ينظر في مرحلة قيام الديمقراطـــية البرجوازية – إلى الرأي العام كأداة للرقابة الاجتماعية على نشاط الدولـــة من جانب الأوساط الاجتماعية فإنه اليوم – في مرحلة العصر الجديد – قد تحول التركيز على قضايا تكوين الرأي العام والرقابة عليه عن طريق دراسة ميكانيكـــية الســـيكولوجية الفـــردية والجماعاتـــية والسلوك الفردية والجماعاتي وتعليلاته حيث تبدلت وظائف الرأي العام وتم خرقها وأصبح النظر إلى أهميته ودوره الاجتماعي مغايراً لما كان عليه.

لقد أظهرت الحرب العالمية الثانية بجلاء تام أهمية الناحية الإعلامية في دراســـة الرأي العام. فالمسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية التـــي تعرضـــت لها الأوساط الحاكمة في الدول الرأسمالية الكبرى قبل وأثناء الحرب قد كشفت بوضوح الدور المتنامي للرأي العام وتعقيدات إدارته الهادفة.

فعـــندما فتحـــت الحرب العالمية الأولى بارومترات جديدة لقياس الرأي العام دفعت إلى نمو الاهتمام بمسائل الإعلام السياسي الجماهيري ليس فقط في أوقات الحرب وإنما في أوقات السلم أيضاً[1].

---

(1) R.H. Lutz . (Studiesin world propagacda- 1919-1933) (The Jornal. Moden. History) 1933 December, vol.5p.q96.

إن الاهـتمام المتنامـي للإيديولوجيين البرجوازيين والإعلاميين بنظرية إدارة الصـراع الإيديولوجي وتطبيقها بعد الحرب العالمية الأولى قد عكس قبل كل شيء موقف العالم الرأسمالي من الحركة الشيوعية. وأكد التاريخ توقعات كارل مـاركس وفر يدريك أنجلس اللذين كتبا عن ((خوف البرجوازية من الصراع المحـتم لـيس فـي سـبيل الحـياة فحسب. بل وفي سبيل الموت بينها وبين البروليتارية والخوف من النهاية الحتمية للصراع الطبقي المعاصر))[٢].

لقـد وجهـت أول ضربة ساحقة عام ١٩١٧ للعالم الرأسمالي الممزق بالتناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والذي كان يبدو أنه لم يزل متيناً. إن ثـورة أكـتوبر الاشـتراكية العظمى التي رمزت إلى النصر الطبقي على الإيديولوجـيا الرأسمالية المعادية والتي أعلنت قيام أول دولة اشتراكية في العالم وأول دولـة للعمـال والفلاحين استدعت القلق الواضح والارتباك في صفوف الرأسـمالية العالمـية وقد دفع الخوف من التأثير الثوري لانتصار البروليتاريا الروسـية البرجوازية العالمية إلى الجمع بين الصراع السياسي والاقتصادي مع الدولـة السوفييتية الفتية وبين الصراع الفكري السيكولوجي الذي ما برح نطاقه يصـل إلـى أبعاد لا سابق لها في التاريخ العالمي. فكتب لينين عام (١٩١٩) قـائلاً: (نـأمل فقـط : إن الدول المتقدمة والأكثر تحضراً أو ((الديمقراطية)) والمدججـة بالسـلاح والسـائدة في الناحية العسكرية على الأرض دون منازع تخـاف، كخوفهـا مـن النار، من العدوى الفكرية الآتية من بلد جائع ومدمر ومتخلف وحسب تأكيداتهم حتى نصف متوحش))[٣].

وبعـد الحـرب العالمـية الأولى ظهر في عداد المشهورين في مسائل الإعلام السياسي والحربي الذين احتلوا مواقع متباينة كل من كريك وليبمان في الولايات المتحدة الأمريكية وستيورات في إنكلترا وشتيرين – روبارت وميزيك

---

(2) ماركس. انجلز - المؤلفات – المجلد ١٩ ص١٧١.
(3) لينين، المؤلفات الكاملة – المجلد ٣٨ ص٣٠١.

فـــي ألمانـــيا. وفي نهاية العشرينات وخلال الثلاثينات أنضم إلى قائمة المؤلفين المختصـــين فـــي مجال دراسة أشكال وأساليب النشاط الإعلامي على المستوى العالمـــي والوطنـــي كـــل مـــن الأمريكيين غلاسويك وهارد غريف وبريتيس وكانـــتريك وأولبورت ولا مبيرت وإيرويت ورتليت ولي وكيسي والإنكليزيان ماكينزي وروجيوسين والألماني بلينفيه وباشافيش وتينيس.

وكـــان بين هؤلاء المؤلفين عدد لا يستهان به من الذين كانوا يشغلون مناصب مســـؤولة في الإدارات الإعلامية التابعة للبلدان الرأسمالية المتقدمة أثناء الحرب العالمية الأولى.

وعلى الرغم من أنهم لم يملكوا دائماً تصوراً واضحاً معيناً عن التاريخ الطويل للجمال الذي اختاروه في دراساتهم، فإنهم كانوا يتمتعون بشعور سياسي وطبقـــي متطور بما فيه الكفاية لفهم أهمية ومعنى فن التأثير في الرأي العام في العصر الراهن.

وســـيكون مـــن الخطـــأ أيضاً النظر دون تمييز إلى كل الدراسات التي عالجـــت قضايا الإعلام. فقد كان لموجة النشاط الإعلامي بدون شك المدافعون عـــنها، إلا أن هذه الموجة بالذات استدعت في بعض الحالات ردة فعل انتقادية ســـلبية وكـــان بين هؤلاء الأقطاب بعض الباحثين الذين درسوا نظرية وتطبيق الإعلام وكانوا يعارضون كثيراً فيما يتعلق بالعديد من الأشكال الملموسة للنشاط الإعلامي. إن لتحديد مفهوم الإعلام بالذات أهمية كبرى ومعنى مهماً ففي بداية القـــرن الحالـــي لـــم تـــورد الفهارس العالمية المتعددة ومن بينها ((الموسوعة البريطانـــية)) كلمة ((الإعلام)) أبداً وإذا وردت فقد كانت تفسر بالتاريخ القصير لقيام الجمعيات الدينية البابوية الداعية للدين وكأنها تقدم للقارئ مفهوماً لا وجود له بغير هذا المعنى[1].

---

(1) إن عمر مصطلح الإعلام- في معناه الحالي لا يزيد على ٣٥٠ عاما وهي كلمة لاتينية قديمة تعني أي نشاط في مجال نشر الأنباء.

وفي آخر طبعة فقط ((للموسوعة البريطانية)) عام ١٩٢٩ تم الاعتراف بحقيقة مجال هذا النشاط الإنساني المستقل من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية وأعطته تفسيراً له طبيعة عمومية للغاية. إن الثلاثينات كانت مملوءة بالكثير من الأحداث والظواهر التي لعبت بهذا الشكل أو ذاك دوراً محفزاً للاهتمام بدراسة الإعلام والرأي العام. وإن هذه الأعوام التي بدأت بالركود الاقتصادي والأزمة الاقتصادية العميقة انتهت بنشوب الحرب العالمية الثانية، وشهدت عملية القيام بتجارب واسعة النطاق في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية – السيكولوجية وقد احتاج تطبيق الضمان الإعلامي للبرامج المختلفة إلى علاقة عكسية وإلى قياس فعالية التأثير في الجماهير. وقد ساعدت تطور وسائل الاتصال الجماهيري والإعلان والاستخدام الأوسع لاستطلاعات الرأي العام على تعاظم الاهتمام بقضايا الدراسات وغيرها من المعاهد والجامعات هناك مادة جديدة خاصة في الأعوام من ١٩٣٠-١٩٤٠ تغني الدراسة الشمولية لقضايا الإعلام والرأي العام. وأخذ الاهتمام بهذه القضايا أشكالاً متنوعة من الدراسات النظرية البحتة حتى وضع النصائح العملية لبعض أنواع الإعلام الملموسة.

لقد تميزت فترة الحرب العالمية الثانية حسب آراء علماء الاجتماع البرجوازيين بنزعة استخدام البحوث العلمية لأهداف إعلامية ودعائية وظهرت في الغرب أعداد كبيرة من الأعمال تعالج قضايا دراسة الرأي العام بالارتباط الوثيق بمهام تحسين أساليب وطرق المعالجة السيكولوجية للوعي الجماهيري في ظروف ((الحرب النفسية)) التي أشعلتها الإمبريالية واهتم المختصون، بمسائل التأثير المتكامل المتناول بين وسائل الإعلام الجماهيري والرأي العام وحتى بين السياسة الخارجية والرأي العام.

وقد ازدادت حدة الصراع الإيديولوجي بعد الحرب العالمية الثانية ومع تشكيل المنظومة الاشتراكية أكثر مما كانت عليه ((ويشهد الوضع السياسي

العالمـــي علـــى أن البشرية قد جرت إلى نزاع طويل على أرضية أيديولوجية النزاع الذي سيستمر بغض النظر عن الأمر سيصل إلى حرب عالمية أخرى أم لا))[1].

كتـــب عن ذلك عام (١٩٥١) أحد أشهر منظري الإعلام الأمريكي. فقد صـــور العـــالم وكأنه أرض معركة واسعة تتحارب عليها مجموعات من الدول التـــي تنتمي إلى أنظمة اجتماعية مختلفة وتروج لأيديولوجيا متناقضة في سبيل كسب عقول الناس ((أصبحت الأفكار – الاشتراكية الأفكار الرائدة في عصرنا. ولم تشغل الإعلام البرجوازي بهذا الشكل أبداً مسائل الاشتراكية كما تشغله حتى نهايـــة الثمانينات من هذا القرن ومن الواضح تماماً أن البرجوازية تخاف النمو اللاحق للحركة الاشتراكية والتقدمية التي حققت تطوراً عالمياً وحققت انتصارات كثيرة في مجموعة كبيرة من البلدان ورغم الضربات التي تعرضت لها ، ستبقى أمل البشرية في المستقبل))[2].

بـــيد أنـــه أثناء تحليل الإعلام الغربي البرجوازي لا بد من التمييز بين طريقتيـــن فـــيما يتعلق بمسألة الإعلام والصراع الإيديولوجي. لقد كانت أكثرية الأيدلوجيين البرجوازيين تنظر إلى الإعلام في ((ظروف الحرب الباردة)) كأداة فعالـــة وكآخـــر كلمـــة في تحسين أقدم فنون إدارة الحرب أي فتيلتها من حيث الجوهر ((الحرب النفسية)) وسعت لاستخدام أساليب هذه الحرب في الإعلام في وقت السلم فقد وصف سكوت ((مؤلف كتاب الإعلام السياسي الذي أعطاه عنواناً بلاغـــياً ((الحـــرب السياسية)) إرشاد للتعايش المشترك في ظروف المنافسة)) والهـــدف الأساســـي لهذه الحرب حدد ((الأصناف)) طريقاً للقضاء على العدو بواســـطة المناورات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي والإعلام والأنباء الكاذبة

---

(1) Sall K. Padoves, Psychological Markovecaud foreigh Policy (American Scholav). April 1991 P.161.

(2) المرجع نفسه.

والاعتداءات والتخويف والإرهاب وعن طريق عزل العدو عن أصدقائه ومسانديه))[٣].

وإن جزءاً من الباحثين يقف في الوقت نفسه وباستمرار موقف الاعتراف بالإعلام كوسيلة لانتشار الإيديولوجيا بصورة مختلفة اختلافاً مبدئياً عن ((الحرب النفسية)) ويقف ضد إدخال أساليب الكذب والتلفيق والأنباء الكاذبة إلى الإعلام. واحتد الصراع بخاصة بين مؤيدي مختلف وجهات النظر هذه في تخفيف حدة التوتر العالمي عندما أصبح ينظر إلى تحويل صراع النظامين الاجتماعيين المختلفين من صراع عسكري إلى صراع إيديولوجي سياسي وحلت محل المواجهة المكشوفة أشكال جديدة للعلاقات الدولية بما فيها الاتفاقات والمعاهدات والتعاون في مجال الاقتصاد والعلوم والثقافة. والاعتراف بالاشتراط الموضوعي للصراع الأيديولوجي يقتضي إظهار الفوارق بين أولئك الذين يعتبرون الدور المتنامي للإعلام في الظروف الجديدة وبين أولئك الذين حاولوا كما كانوا في السابق الوصول به (الإعلام) حتى ((الحرب النفسية)) لقد أشار بريجينيف قائلاً (يجب على الصراع الإيديولوجي ألا يرقى إلى (حرب نفسية) وألا يستخدم كوسيلة للتدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب وإلا فإنه سيقود إلى مواجهة سياسية وعسكرية)[١].

إن هذا النزاع الإيديولوجي يمكن أن يتحول إلى كارثة يمكن أن تصل نظرياتهم إذا صح القول إلى جانب الملايين.

إننا نرى أن مختلف دراسات الإعلام في ظروف الدولة البرجوازية مشروطة بالعوامل الداخلية لصراع النظريات الديمقراطية المتسلطة وإن حاملي (مروجي) الإيديولوجية التسلطية بتضخيمهم لسلطة المجموعات الحاكمة بالاعتماد على موضوعية حكومة ((الأفضل)) و((الأقوى)) وعدم قدرة الجماهير

---

[٣] ساروكين ف .ي: مجموعة من الدراسات والمقالات- الجزء ٢ موسكو ١٩٩٣ ص ٣٣١.
[١] بريجينيف، على النهج اللينيني، الجزء ٦، موسكو ١٩٧٨، ص٤٢٩-٤٣٠.

علـــى حل القضايا الاجتماعية والسياسية يقفون في أقصى اليمين لتحديد أهداف الإعلام وأساليبه. ويعدون أنه يجب على الإعلام أن ينشر فقط تلك الحقائق وتلك الأكاذيـــب التي تقدم وكأنها حقائق والتي تستطيع أن تؤثر على طبيعة سلوكية الناس في مجال إخضاعها لشهرة ((الزعماء)) التي لا جدال حولها.
وغالـــباً جداً ما تتكون أهداف مثل هذا الإعلام في تأليه التطرف عند الجماهير وبعث الخوف فيها.

ويقـــابل التســـلطية مجموعة كبيرة من المواقف التي تكونت في إطار النظرية الديمقراطية ويميز مؤيد هذا النهج أسلوباً للإعلام غالباً ما يكون مترافقاً بالـــنقد اتحاد للأنباء الكاذبة كأحد أساليب الدعاية السياسية بهدف التشويش على الرأي العام.

إن الاعـــتراف بـــالإعلام كمجـــال مهـــم خاص لنشاط حكومات الدول الرأسمالية يتميز عن نشاطها في المجال العسكري ويشكل دفعاً نوعياً نحو تطور الـــنظرية البرجوازية للإعلام، ونحو استخدام أشكاله وأساليبه ووسائله وقنواته المثقفة، فإذا كان تنفيذ دراسات الإعلام والرأي العام قبل الحرب العالمية الثانية موازيـــاً للاهتمام الغالب بالجوانب النظرية والتطبيقية للإعلام فإنه بعد الحرب وبفعـــل الأســـباب المذكورة سابقاً وقبل كل شيء النظام السياسي والاهتمامات بتحســـين وســـائل الرقابة الاجتماعية على الجماهير، قاد إلى توحيد الجهود في الاتجاهين.

دراســـات الإعـــلام ودراسات الرأي العام وقام عشرات من المؤرخين وعلمـــاء الاجتماع والصحفيين والموظفين المختصين من المؤسسات الإعلامية الحكومية ووكالات أنباء الدول الرأسمالية بدور مؤلفي الأعمال العديدة في مجال الإعـــلام والرأي العام وأغرقت السوق ((بعد الحرب بمثل هذه الأعمال بالمعنى البرجوازي)).

وبغـــض الـــنظر عن الدور المتنامي بمسائل الإعلام والرأي العام في جوانـــبه المتعددة لا توجد حتى الآن في الأدبيات الاجتماعية البرجوازية، ومن ضـــمنها الأمريكـــية، وجهة نظر موحدة فيما يتعلق بوصف الرأي العام وهكذا أشار العالمان الاجتماعيان الأمريكيان بيير جلسون وبانوفيتس اللذان يعود إليهما عـــدد من الأعمال في مجال مسائل نظرية الإعلام والرأي العام رغم منجزات الخمســـينيات والستينيات التي أدت إلى التقدم الملحوظ في وضع (نظرية عامة للرأي العام) أشارا في عام ١٩٦٥ إلا أنه لم يتم التوصل بعد إلى تحديد واضح لهذه الظاهرة)[1].

إن تحديد مفهوم (الرأي العام) في العالم البرجوازي لا يوجد بقدر وجود الأعمال المكرسة لمسائل نظريته وتطبيقه وتوظيفه.

ودون التوقف بشكل خاص عند النظر إلى مختلف الأوصاف، لا بد من الإشـــارة إلـــى أن العديد من المختصين الأمريكيين لم يحاولوا تفسير أو وضع نظـــرية عامـــة للـــرأي العام مما أعطى تفسيراً عاماً له مع التلميح إلى بعض المؤشـــرات أوضـــاع الوعـــي الجماهيري في هذه اللحظة أو تلك، وتقود هذه الـــنظرية مباشـــرة إلى الجوانب المتعددة للرأي العام ومؤشراته خارج السياق التاريخـــي ودون حســـبان كل المميزات الأساسية للواقع السياسي –الاجتماعي والموضـــوعي، ولاسيما تحليل تلك التناقضات العميقة للرأسمالية التي تحدد في نهايـــة المطـــاف تطـــور وضـــع الرأي العام ودول أوروبا الغربية، والولايات المتحدة.

وعلـــى الـــرغم من كثرة الأحكام المجردة العامة والمراقبات التجريبية الخاصـــة في أعمال الباحثين الأوروبيين الغربيين والأمريكان، لم يعط المناسب لـــدور ومكانـــة الرأي العام من وجهة نظر مستقبل التطور التاريخي وصراع

---

(1) B.berelson M.Janowits. Readerin Public Opinion and Couninnication NewYork 1965.

مختلف الفئات الاجتماعية والقوى السياسية ولا التباين العفوي لديناميكية الرأي العام المحددة وأوضاعه المستقرة.

وبإغفالهم لهذه القضايا المهمة في أعمالهم وعدم كشفهم عن الدور الحقيقي للجماهير الشعبية في التاريخ يبدل المختصون البرجوازيون دائماً التفسير العلمي الصحيح للمسألة بتأويلها الإرادي.

لقد كان العديد من الباحثين الأمريكيين في المرحلة المبكرة تحت التأثير القوي للمدارس والتقاليد السياسية الأوروبية الغربية وقبل كل شيء، التقليد العام للفلسفة الاجتماعية والعلوم السياسية التي اعترفت بدءاً من القرن الثامن عشر بأهمية الرأي العام كقوة تؤثر تأثيراً جوهرياً في حياة الدولة السياسية الاجتماعية.

ففي القرن التاسع استطاع الألماني (ف.غولتسندورف) انطلاقاً من تحليل تاريخ الفكر الأوروبي الغربي أن يتوصل إلى استنتاج أن العقيدة العامة الوحيدة التي تجمع بين العديد من علماء أوروبا ومن ثم أمريكا، وهي الاعتراف بالرأي العام كقوة حقيقية، وإن تجاهلها يتناقض مع تعاليم الحكمة في إدارة الدولة[1].

وبرز وارتقى في أطر هذه التقاليد اتجاهان مختلفان:

الأول: الاعتراف بالرأي العام كقوة موضوعية بناءة تساعد على التقدم الاجتماعي.

والثاني: اعتبار الرأي العام قوة سلبية غير عقلانية وغير بناءة.

إن النزاع بين هذين الاتجاهين في المجال السياسي العملي غالباً ما يقود ظاهرياً على السؤال التالي: هل يتوجب على الزعماء الحكوميين أثناء وضع القرارات الالتزام بأداء الطبقات الواسعة أم أنهم يعتمدون على تصورات واهتمامات أخرى؟

---

(1) انظر ف. غولتسيندورف. دور الرأي العام في حياة الدولة- سانيتربورغ ١٩٩٢ ص٦.

لقد أصبح حل هذه المسائل شبيهاً بعداء كم نوع خاص أثناء تكوين النظريات الأساسية فيما يتعلق بدور الرأي العام ومكانته الديمقراطية البرجوازية والطبقة المحافظة التي تنشأ فيها وإلى جانبها مواقف حدود متحركة (كالليبرالية التنويرية- أو الليبرالية النخبوية) والديمقراطية اليسارية وحتى الراديكالية- اليسارية والمحافظة والبيروقراطية- الاحتكارية ... الخ.

وعد المفكرون ذوو الاتجاه الديموقراطي - البرجوازي الرأي العام وسيلة رقابة على الحكومة من قبل الأوساط الاجتماعية واعتبر المتنورون أنه لتحقيق مثل هذه الرقابة على الأوساط الاجتماعية أن تكون متنورة أي أن تكون جاهزة إلى حد ما، وقد سادت في هذه الفترة وإلى درجة كبيرة القناعة الصادقة في وحدة مصالح المتنورين والمنورين، وميز هذا الموقف بشكل خاص فترة قيام الديموقراطية البرجوازية.

وتميزت نهاية القرن التاسع عشر بالنمو الذي بدأ في بادئ الأمر بطيئاً، لكنه كان مستمراً لاجتذاب الجماهير الشعبية الواسعة نحو الحياة السياسية- الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية كما في الدول البرجوازية الأقرب التي تسير على طريق التطور الرأسمالي.

وأخذت الأفكار الليبرالية - التنويرية بالتراجع أكثر فأكثر أمام الليبرالية النخبوية وتبدلت عناصر الديموقراطية الحقيقية بفكرة الجماهير، باسم القانون والنظام فتعاظم دور النخبة في قيادة المجتمع، وحاولت الأوساط الحاكمة في الدول الرأسمالية بسيادتها على الاقتصاد أن تعطي (شكلاً) عاماً لأفكارها وتصوراتها وكأنها الوحيدة العقلانية وذات الأهمية العامة).

إن أنصار نظرية النخبة الحاكمة العلنيين يعبرون عن موقفهم العدائي المباشر من (صوت الشعب) وإما عن موقفهم البنهلستي العدمي منه فقد كان لأفكار البرلماني الإنكليزي والفيلسوف إيدموند بيورك تأثير معين في الجناح

المحـــافظ للفكر السياسي الأمريكي، فعندما توجه إلى الناخبين عام ١٧٧٤ كتب بيورك:

(لكم الحق التصرف ليس فقط بمواهب ممثلكم، وإنما لأحكامه أيضاً، إلا أنـــه لا يقدم لكم خدمة وحسب، بل يخونكم إذا ضحى بحكمه الخاص في سبيل آرائكم)[١].

ونجد مواقف النجاح المحافظ للفكر السياسي البرجوازي الواضحة تماماً نحـــو دور الـــرأي العام ومكانته وانعكاس ذلك في المسلمات الأساسية لنظرية الإعـــلام فيســـمي المـــنظرون الـــبرجوازيون الجماهير الشعبية بـــ (الدهماء) وينظرون إلى سلوكها وكأنه سلوك بدائي (فطري) يتطلب القيادة من (الأعلى)، إن احـــتقار الجماهـــير وإنكـــار أي دور لهـــم في الدولة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمحـــاولات العديـــد من الباحثين البرجوازيين تبرير الطبيعة التحكمية للإعلام المدعو، كما يعتقدون، إلى التأثير في طبيعة سلوك الناس.

وإن الإيديولوجيين البرجوازيين بسعيهم لتغطية الجوهر الطبقي للإعلام فـــيما بيـــن المجـــتمعات الـــبرجوازية والاشتراكية وإلحاقه بالانتشار المراقب للتصـــورات الكاذبـــة المقصورة بهدف دفع الناس إلى الأعمال التي تتناسب مع أهدافهـــم المرســـومة مسبقاً، فمثلاً: كتب غ.لاسويل: (ليس الهدف، بل الأسلوب يمـــيز الإعـــلام عن توجيه الناس بالاعتماد على العنف والحصار والرشوة وما شابه من أساليب الرقابة الاجتماعية)[٢].

يقف العديد من علماء الاجتماع ضد التوجه التحكيمي للإعلام الأمريكي وهـــنا أيضـــاً لا توجـــد مواقف لها مدلول واحد، إن جملة الباحثين – المنتقدين

---

(1) Ch. W. Roll and A.H Contril. Poils: Their Useaud Misuse in Politics, New York, 1972, p, 138.

(2) H.D.Lqsswell ,R.B Caset, B.L. smlth pvopaganda qnd promotonal A Ctivities. An Anhotated Bidliography Prepasad nnder. The Direction of the advisdry committeeon pressure groups and propaga nda- Miuueapolis, Minn. 1955, P.

للتحكمية يضعون، مثلاً، موضع الشك إمكانات أعضاء المجتمع العاديين إدارك القضايا المعقدة، وباعترافهم بالتأثير التحكمي للإعلام يعبرون عن عدم رضاهم عـن مثل هذا الوضع للأشياء ويبدون آراءهم أن على الإعلام أن يحمل طبيعة (تنويرية) و(تعليمية) فقط وليس طبيعة (تحكمية) وفي هذه الأثناء يهمل الجوهر الطبقي للإعلام في الدولة الرأسمالية.

وللنقاشـات حول أهلية الرأي العام أو عدم أهليته أي حول قدرته على الحكم بعقلانية على هذه الظاهرة أو تلك أو هذه العملية أو تلك القضية في حياة المجـتمع نـرى علاقـة مباشـرة بالبنية النظرية للدعاية البرجوازية (الإعلام البرجوازي).

وغالـباً مـا يتم التعبير أثناء مناقشة مثل هذه المسائل عن الشك بقدرة أعضـاء المجـتمع العاديين علـى فهم المسائل المعقدة في الإدارة الحكومية واعتـبارهم جماهـير غير قادرة على العمل الذهني أو على التفكير المنطقي، وانطلاقـاً مـن هـذه النظرة يروج الجناح اليميني للإيديولوجيين البرجوازيين ضـرورة الإعلام بطريقة للرقابة على (الأكثرية سهلة التوجيه) ويؤكد في هذه الأثـناء أن سلوك العضو العادي في المجتمع لا يعتمد على العقل بقدر ما يعتمد على العاطفة.

ويعول كل ممثلي الفكر السياسي البرجوازي تقريباً على عدم استقلالية الـرأي العـام وعلـى طبـيعة اللاعقلانية- العاطفية وعلى جاهزيته للخضوع لتأثـيرات الديماغوجيين، وتكمـن مـثل هذه الأفكار في أساس موقف الأقلية البيروقراطية المعادي للديموقراطية.

كتـب سـتيفنس الموظـف المسـؤول السابق في المخابرات المركزية الأمريكـية (على الرغم من إمكانية تقسيم الإنسانية إلى عدة أنواع، فإنها أساساً

تقسم إلى نوعين: قادة منقادون، أقلية مختارة وأكثرية عادية، أقلية وجماهير، وتلعب في هذا التقسيم على ما يبدو عوامل عدة....)[1].

وتشكل هذه الأفكار أساس نظريات النخبة التي تدعو إلى أن قدر الجماهير الواسعة كامن في السلبية ومحتم توجيهها من جانب الأقلية المختارة ومن بينها وسائل الإعلام أيضاً، وإن التأكيد على عدم أهلية الرأي العام يبرز أيضاً في الأعمال ذات التوجه الليبرالي التقليدي ويغدو أساساً للاستنتاجات التي تحدد مبدئياً الوظائف الاجتماعية والدور التاريخي للرأي العام والتي تبرهن على ضرورة توجيهه من قبل الحكام الذين يتمتعون بمستوى عال من الأهلية وبخبرات مهنية من النشاط الإداري وبذلك تحصل على البرهنة على دعم إضافي في صالح الديموقراطية البرجوازية موحدة مع التسلطية ويحدد مجال نشاط الرأي العام في أطر المشاركة في الحملات الانتخابية وبمناقشة (تأييد أو عدم تأييد) الأهداف النهائية العامة ومبادئ التطور الاجتماعي.

إن اختيار الوسائل وطرائق الحصول عليها والحلول الملموسة المرتبطة مباشرة بعملية إدارة الأمور الاجتماعية وبعملية القيام أو عدم القيام بهذه أو تلك من المشاريع في مجال الاقتصاد والسياسة، تعد كلها وظائف معلنة من وظائف الحكم فقط الذين وصلوا إلى السلطة عن طريق الانتخابات.

وهنا يشير برايس إلى (أن الشعب الذي يمتلك الحق الشرعي في التكلم عما يريد أقل خبرة في الإعلان كيف وبأي شكل ينوي الوصول إلى تنفيذ ما يريد)، أو بكلمة أخرى يستطيع الرأي العام تحديد الأهداف النهائية، لكنه أقل قدرة على دراسة واختيار الوسائل الضرورية للوصول إلى هذه الأهداف).

---

(1) 183. G. Gallup. Asophisticated Pollwateher's Guide. Princetou, New York 1972, p.8.

وهكـذا يعد العديد من ممثلي الاتجاه الليبرالي التقليدي أن الدور النشيط للـرأي العـام يرتـبط فقط بعملية الحملات الانتخابية وبذلك تحدد أهميته بهذا الإطار.

ويقـدر الـرأي العام هذا النظام القائم في أساس وظيفته نظام الحزبيين البرجوازييـن الجمهوري والديموقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية لضمان واستقرار النظام السياسي ويغدو الرأي العام وفقاً لهذا المنطلق المقدمة الأساسية لإسـقاط أو خسـارة هذا المرشح أو ذاك الحزب. أما الآلة الإعلامية المعالجة لوعي الناخبين فلا يحسب لهم حساب.

ومـن المميز أن النجاح في الانتخابات في رأي الإيديولوجية الليبرالية يـنظر إليه كنتيجة لنشاط الرأي العام، وفي هذه الأثناء تبقى في الظل حقيقة أن الحملات الانتخابية ذاتها ما هي إلا مشاريع إعلامية سياسية منظمة بدقة ومراقبة من الأعلى، ويغدو التعبير الحر فيها عن الرأي العام محدوداً جداً، وعلى الرغم من أن جزءاً معيناً من الباحثين الذين يفكرون بطريقة ليبرالية يشغل موقعاً نقدياً من عملية إجراء الحملات الانتخابية في الغرب (مثل بعض قادة خدمات إجراء الاستطلاعات) فإنهم يعتبرون أن نظام التحضير وإجراء الانتخابات القائم هناك كـاذب وأكـثرية منظري الاتجاه الليبرالي يعدون الرأي العام منساقاً في عملية الحمـلات الانتخابية وفي الوقت نفسه يعبرون عن فكرة تحديد صلاحية الرأي العـام أثـناء وضع واتخاذ القرارات الملموسة (في مجالات السياسة والاقتصاد والخ)، والحجة في ذلك هي عدم أهلية الرأي العام.

إن السياسـي الأمريكـي المعروف والسيناتور سابقاً وصاحب التوجه الليبرالـي فولبرايـت عبر بكل دقة عن نظام مثل هذه الحجج (والأصح أنه هو نفسه لم يتوقع ذلك، فعندما شبه دور العضو العادي في المجتمع براكب السفينة كتـب يقول: (تظهر تجربة العصر أنه عندما يأخذ الركاب على عاتقهم القيادة،

فــلا بد للسفينة أن تصبح في مكان ضحل وهذا لا يعني أنهم يكادون لا يصلون إلى المكان المحدد دون مساعدة القبطان... ولا يجب أن نسمح للقبطان أن يحدد مكــان الوصول، بل يجب إعطاؤه الإمكانية في قيادة السفينة دون التعرض عند كل منعطف لدقة القيادة لمراقبتنا غير المجدية)[1].

إلا أن الفكــر التقدمـــي الاجتماعي قد أشار منذ زمن بعيد إلى القبطان المتخصص ليس فقط في قيادة الآلة، وإنما قيادة الناس حيث يستطيع إقناع غير المؤهليــن مهنــياً من الركاب في هذه الحالة والموجهين منذ البداية حول الثقة بشــهرته، وتعــد الطريقة التي اختارها أكثر دقة وقصراً وتصبح نوايا القبطان الحقيقية ومستواه المهني واضحة للركاب بعد مرور الوقت وعندما تصل السفينة إلـــى ميــناء مغاير تماماً أو بعد أن تغرق، عندها تعرض على الركاب إمكانية التعبير عن استيائهم (إذا لم يعد خطأ القبطان أو كذبه إلى نتائج أكثر مأساوية).

والموقــف الــذي جاء به فولبرايت كموديل لا يسمح باسترجاع التوجه الإيديولوجـــي العــام لليبرالية وحجتها في مسألة دور الرأي العام ودور سلطة الأغنــياء فحسب بل ويكشف عن الضعف الشديد لهذا التوجه ولهذه الحجة التي تعد نموذجاً لأعمال مثل أعمال مورغينتا والذي يعد

(أن تأخــير تنفــيذ القرار في انتظار الوقت الذي يعتبر فيه الرأي العام بالنســبة للحكومــة يساوي التوقف عن العمل لأن الرأي العام يكتسب صفة ما معيــنة فقط بعد أن يتم اختيار الحكومة)[1]، فمن (حقك أن تكون مسموعاً دون إدخال الحق في أن تؤخذ مأخذ الجد بصورة آلية).

---

(1) A. Schwartz. What Do you Think: Au Introduction to pubic opinion How it forms. Functions and Ateets our Lives. New York 1966. p. 96.

(1) H. Morgen than.. The Purpose of American Politics. NewYork 1980. p.240. A. Schwartz. What Do you Think: p.219.

إن هـذا التفسـير الـذي قدمه هيمغري عندما كان نائباً للرئيس يدخل تعديـلات جوهـرية في تقويم علاقة حكام الولايات المتحدة العامة بالرأي العام وبدوره ومكانته.

ولقـد كـان تعبير الرئيس الأمريكي الأسبق جونسون ذات مرة محدداً تماماً:

(طبيعي بالنسبة لنا (حكومة أمريكا –المؤلف) نرغب في سماع التعابير المؤيدة أكثر قدر الإمكان ولكن علينا أن نقدم أحكامنا ونقوم بما نعتبره صحيحاً) [٢].

وأشار /غيلاب/ وكأنه يعقب على ذلك: (كل مواطن يريد أن يقوم رئيس بلد بأعمال صحيحة فقط، لكن غالباً ما يكون (صحيحاً) ذلك الذي يعتبره رئيس الحكومة (صحيحاً)[٣].

إن المسـألة التي وضعت في الدراسات النظرية البرجوازية حول حدود أهلـية الرأي العام تنصهر من حيث الجوهر في مسألة طبيعة النظام الاجتماعي كله الذي يتكون في أطر الرأي العام.

وهـنا يذكـر اسم لبيمان أكثر من غيره، إذ تعرض أفكاره التناقضات العمـيقة وعـدم المبدئـية التي تميز الإيديولوجية الليبرالية الأمريكية وضعف مواقفها الأولية.

إن (الفلسفة الاجتماعية) التي حاول وضعها لبيمان تدمج بين الليبرالية التقلـيدية والنزعة العقلانية وبين مبادئ القيادة – النخبة ومتطلبات تعليمات (الحـدود الصحيحة) لسلطة الشعب[٤]، وإن إمكان خروج (المجتمع الغربي) من الأزمة قد شوهدت عند ليبمان في تثبيت سلطة (الزعماء المتنورين) وما

---

(2) (The New York Herald Tribune) (Europeanedition) July. 19, 1965

(3) G. Gallup . The Sophisticated Poll wateehu's Guide. Princeton. New York 1972. P.H.

(4) W.Lippmann: on The Public Philosophy. Boston 1955.

يماثلهم (من الصفوة العقلانية) التي أصبحت ديمقراطية والتي يمكنها أن تتخذ قرارات عقلانية باعتمادها مبادئ الملاءمة الاجتماعية وليس المصالح الأنانية وأن تقوم بنشاط تنويري مستمر بين الجماهير.

إن موقف ليبمان من طريقة التوصل إلى قضايا الرأي العام الأساسية نموذجي للغاية بالنسبة للعديد من الباحثين الأمريكيين، وقد أثر هذا الموقف تأثيراً ملحوظاً في تكوين مشروع الإعلام وإن بعض ممثلي الليبرالية – البرجوازية بإشارتهم إلى عدم أهلية الرأي العام مستعدون للفهم والاعتراف بأن وجود القيادة الضرورية فقط وفكرة (ضرورية القيادة) للرأي العام تتطلب استخدام كل الأساليب المعروفة للتأثير التاريخي في تكوينه – من الإقناع والإعلام (الموجه) والإعلام الكاذب حتى الإجباري هكذا كان على (نيمو) و(بونفس) عندما وصفا عملية الحملة الانتخابية أن يؤكدا: (يعتبر العنف والإقناع على الرغم من أنهما يتقاطعان نوعين مختلفين للتأثير).

ففي السياق الحالي يقصد من كلمة (العنف) استخدام القوة لإجبار الناس على عمل ما يفضلون أن يعملوه في ظروف أخرى، وتستخدم أثناء الإقناع الوعود المغرية للحصول على الموافقة الإيجابية وإخراج رفض الحد الأدنى وطريقة العنف موجهة إلى تغيير سلوك الناس تحت التهديد، إما الإقناع فهو الذي يقود إلى التغيير في السلوك مع انتظار المكافآت الممكنة.

وكما تتميز الانتخابات الأمريكية بالاعتماد على تكتيك العنف يميزها أيضاً تكتيك الإقناع[1].

طبيعي أن تجد وجهة النظر التي تؤكد على ضرورة قيادة الرأي العام الدعم من قبل الأوساط الأمريكية أو بين رجال السياسة ومن إحضارها النشيطين /البنتاغون/ الذي تنصب اهتماماته في (الرأي العام الموجه) التي يمكن تفسيرها

---

(1) D. Nimmoandth. Ungs. The Americar Political Patters. Conflict and Corsensus. Boston p 1967 P 176.

بـــ (ضرورة تعبئة الرأي العام وتمثل إحدى المراحل الهامة من مراحل تعبئة الاقتصاد لمتطلبات الحرب)[٢].

إن البنـــتاغون والقـــوى المؤثرة الأخرى في أمريكا بتزويدهم الصحافة والـــراديو والـــتلفزيون بأنـــباء معدة بصورة خاصة يحصلون في النتيجة على إمكانات كبيرة لاحتكار الرأي العام بشكل منسق ولين[٣].

وهكذا وصفه أحد المختصين الكبار في جامعة /ستينبرغ/ إلا أن حقيقة الحـــياة السياسية- الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة في نهاية الســـنوات العشـــر العصيبة تدحض عمومية مثل هذا التقدير للرأي العام لتأخذ بصـــورة خاصة دورها في إيقاف العدوان الأمريكي في جنوب شرق آسيا حيث ظهـــر أنه من الصعب جداً على الأوساط الحاكمة أن تضمن الرقابة وأن تتحكم في العقول وأن تنشئ (علاقة جيدة) بالنهج السياسي الذي وقع اختيارهم عليه.
ليس كل الباحثين في هذه القضية يشاطرون بعضهم الرأي حول أسطورة ليونة الرأي العام.
إذ أن بعـــض ممثلـــي النظرية الديموقراطية – البرجوازية يقفون موقفاً انتقادياً منها. ويتقاسم مثل هذه الآراء العديد من منظري ومطبقي الإعلام البرجوازي.
إن هـــؤلاء الممثلين للإعلام البرجوازي نظراتهم إلى ديناميكية الرأي العام وعدم الليونة في بعض الحالات لتأثير التوجيه المباشر (من الأعلى) يقفون بهدف قيام علاقة عكسية كبيرة مع الأوساط الاجتماعية إلى جانب النهج اللين أو الأكثر ليونة، ويشهد استعدادية الإعلام إلى سبل الحركات الاجتماعية العفوية.

---

(2) G.Gallur. The Sophisticated Poll watcher's. Princeton. New Jersey, 1972, p.8.

(3) Th. H. Bailey. The merinthe street. Newyork. 1948, p.13.

إن وسائل الإعلام الجماهيرية الواقعة تحت رقابة البرجوازية الاحتكارية والحكومة البرجوازية مجبرة على الرغم من التأخير، على الوقوف مثلاً ضد الحرب في فيتنام وتأييد الغضب الشعبي ضد الغضب والاحتيال في الإدارة، والكونغرس، وعلى الاشتراك في فضح الأعمال الإجرامية التي تقوم بها الاستخبارات المركزية الأمريكية.

وفي الوقت نفسه تسمع أصوات احتجاج في الولايات المتحدة الأمريكية على احتكار الوعي، لكنه غالباً ما تطرح فكرة التنوير فقط كبديل من ذلك وبغض النظر عن محجوجية هذا العمل يكون الإعلام محدوداً ضمن حدود نظام خاص به مليء بمجموعة من القيم تعتبر أساساً للتوجه الليبرالي –التنويري الاعتيادات المتخدرة (للتفكير الفئوي) الذي يفترض أن (الفئة المتنورة) فقط قادرة على حل مسائل حياة الدولة المعقدة عقلانياً مع معرفتها بجوهر الأمور، في حين أن جماهير المجتمع العادية وبفعل الأهلية غير الكافية لا تملك مثل هذه القدرة فعلياً (هذا بالنسبة لحالات المجتمع المعاصر) على الرغم أنه في هذه الأثناء يمكن افتراض تطورها في المستقبل غير المحدد بفضل النشاط التنويري لهذه الفئات بالذات.

إن فكرة الأهلية المحدودة للرأي العام في المجتمع المعاصر يعارضها بشكل مبدئي باحثو التوجه الديموقراطي العام وكذلك المختصون الكبار الذين يعملون في مجال الاستطلاعات، ويعد /غيلاب/ (أن الرأي الجماعي للشعب صحي للغاية حتى في ذلك المجال المعقد كالسياسة الخارجية)[1]، ولكن مثل هذا النوع من التأكيد يحمل طبيعة محدودة لأنه مفعم بكل ما يمكن من الشروط التي تفرضها المقاييس التقليدية للحكم على أهلية الرأي العام والتي تشترط الإيديولوجية الديموقراطية البرجوازية، والمقدمة والبرهان على الثبات هو

(1) G. Gallur. The Sophisticated Poll watcher's. Princeton, New Jersey, 1972, P.8.

تكوين الرأي العام في أطر ذلك النظام السياسي القائم في الولايات المتحدة، مثال الدور الوظيفي للرأي العام في الحملات الانتخابية، ويؤكد على أهلية الرأي العام أولـئك الممـثلون المفعمون بالأمزجة النقدية للاتجاه الراديكالي اليساري أيضاً الذين ينحنون أمام الوعي الفطري.

إن العودة إلى المساعي النظرية الأساسية لعلماء الاجتماع البرجوازيين ورجـال السياسـة فيما يتعلق بأهلية الجماهير تسمح إلى درجة ملحوظة بإبراز (مـدى) الذبذبة بالموقف الرأي العام: (التجاهل) (الإجباري) للجماهير (بما أنهم لا يعرفون ماذا يريدون) والكذب (الإجباري) عليها.

(لأنه حسب المؤرخ /بيلي/): (الجماهير على ما يبدو قصيرة النظر)[1].

ويكـون السياسيون مرغمين على خداعهم وفي نهاية الأمر لمصلحتهم الخاصـة حـتى عند تفخيم إمكانيات الرأي العام في الحكم على مجرى العمل فعـندما يضـع منظرو الإعلام البرجوازي الأساليب والطرق العملية لاحتكار الوعـي الاجتماعي ينطلقون من مواقع متنوعة إلا أن هذا المدى ليس كبيراً إلى ذلك الحد.

فـإذا كان الرجعيون البارزون الذين لا يعترفون بالأهمية الموضوعية للـرأي العام يرمون إلى أساليب الإعدام الفظ الذي يتم توجيهه من الأعلى، فإن ممثلي الجناح الليبرالي الذين يناحرون مدرسة الإعلام التنويري الموجه (المرن) يدعون إلى وضع قناع شفاف للأهداف الدعائية وترك المجال مفتوحاً للعودة إلى الرأي العام والارتباط به.

والمهمـة النهائـية لهم هي من حيث الجوهر فبركة وعي الجماهير في اتجاه ضمان توظيف النظام القائم.

---

(1) Th. H. Bailey. The merinthe street. New York. 1948, P.13.

وإن أهلـية الرأي العام عبارة عن عملية غير دائمة، بل متغيرة تتعلق إلى حد ما بطبيعة المبدئية للنظام الاجتماعي.

من البنية المتناقضة للظواهر الموضوعية ومن طبيعة العلاقات السياسية والإيديولوجـية داخـل الـبلد بشـكل عـام ومن طبيعة نظام وسائل الاتصال الجماهيري والدعاية بشكل خاص، وأخيراً من طبيعة تأثير المناخ العالمي وقبل كل شيء من تأثير القيم الإنسانية التقدمية العامة.

لقـد شـكل الوعي الجماهيري للرأسمالية حياة موضوعية للملايين من العمـال والموظفين المستقلين في المجتمع تساعد سيادة علاقات الملكية الفردية والمنافسـة لشروط الصراع الخاصة بالمجتمع البرجوازي من أجل الحفاظ على الوجـود وإعـادة تكويـن العادات والاعتيادات والأوهام والرواسب في وعي المواطنيـن العاديين المرتبطة بأشكال التفكير الفيتيشية (عبادة الرقى) والذاتية البرغماتـية والنفعـية وإيديولوجـية الفردية وسيكولوجية الاستهلاك والفردية، ويـترافق تعمـق أزمة الرأسمالية بنشاط الجماهير بثورية الوعي وتجديده، لكن وبالوقت نفسه يترافق بالأمراض الاجتماعية وعدم الأخلاقية المعروفة والضياع لبعض شرائح المجتمع، وتبدو أهلية الرأي العام في هذه الظروف أيضاً ظاهرة تعبر بصورة أوضح عن ارتباطها بالعلاقات بين مختلف القوى والنظريات ومن بيـنها بشكل خاص القوى والنظريات التي تعمل في مجال الدعاية الجماهيرية والصراع الإيديولوجي بشكل عام.

إن مسـألة دور الـرأي العـام ومكانـه وأهليـته في العلوم السياسية والاجتماعـية الغربية غالباً ما توضع وتحل بشكل تجريدي ومنطقي شكلي لكنه يكـون دائماً أساساً لهذه أو تلك من الأبنية موديل الرأي العام الذي يعزز الأطر الضيقة التي تفرضها الرأسمالية تقليدياً على وعي الجماهير الواسعة.

وتعمم هذه الشبكات النظرية والمنطقية في حقيقة الأمر الوضع التاريخي الملموس للوعي الجماهيري الخاص بالرأسمالية بالذات وتجسد في نفسها أشكال التطبيق الاجتماعي الموجهة ضد تنشيط الرأي العام وضد التطور اللاحق لوعي الجماهير الشعبية.

إن الإعلام البرجوازي باستخدامه لمختلف الدراسات النظرية ومن بينها الدراسات في مجال الرأي العام بهدف الاحتكار يسعى إلى وضع فعاليته ورفع درجة التأثير الفكري السيكولوجي في الأفكار والأحاسيس والعواطف.

وبغض النظر عن عدم أهلية الإرشادات والتعاليم الفكرية- النظرية الإعلام البرجوازي من المستحيل عدم تقدير إمكانيته وتأثيره على شرائح واسعة من السكان، ولا تضع البرجوازية أثناء معرفة الأفكار في كفة الميزان تجربتها الطويلة في احتكار الوعي الاجتماعي والدراسات الاجتماعية المتنوعة فقط، بل والموارد المادية الهائلة التي تخصصها الرأسمالية لهذه الأهداف، وتقوم في خدمة الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيري المجهزة بأحدث ما أنتجه العالم من تقنيات.

ومهما اتخذ الإعلام البرجوازي أشكالاً علمية لا يستطيع إخفاء هدفه الأساسي وهو الصراع ضد الإيديولوجية التقدمية بالعداء للتقدم والاشتراكية وطمس أنظار الناس عن رؤية مصالحهم.

إن معرفة تعليمات الإعلام البرجوازي ونظرياته وتطبيقاته تساعد على النضال ضد ما يقوم به من مؤامرات إيديولوجية واطلاع الأوساط الاجتماعية على طبيعته الحقيقية.

ويتطلب الوقوف ضد الإعلام البرجوازي ليس فقط التصدي الحازم لأي تلاعب في توجهاته وطرائقه فحسب بل في تحسين الجهاز الإعلامي عندنا بما

يعـــزز بالتالي روابطه مع العلوم الإنسانية ونشاطه الدائم والمستمر مع النضال الإيديولوجي.

الخاتمة

يعطى المستوى الذي توصلت إليه دراسات قضايا الرأي العام والإعلام (التجريبية والنظرية) إمكان وضع نظرية متكاملة توحد تحليل جوهر الرأي العام مع عملية تكوينه وتوظيفه.

لقد ركز الباحثون انتباههم حتى الآن، وإلى درجة كبيرة، إما على بعض جوانب المسألة وإما على المسألة بشكل عام، لكن للتحليل طبيعة مجردة للغاية.

وبعد إحداث موديل عام لعملية تكوين الرأي العام الذي يعكس مكوناته التي توجد في علاقة معينة في الزمان والمكان مهمة من المهمات الأساسية في دراسة الرأي العام بصورة متكاملة.

فالمهمة الرئيسية هي الكشف عن علاقة عملية تكوين الرأي العام مع العملية العامة للبناء الحضاري ودوره في حل مسائل بناء المستقبل الإنساني وكذلك إعداد معالجة تلك المسائل، مثل (التربية العلمانية والرأي العام)، (الرأي العام- مقياس العمل الإيديولوجي) (العقيدة والرأي العام)، (الرأي العام ودوره في تكوين الحياة الروحية في المجتمع).

إن مسألة تفاعل الرأي العام مع الأمزجة الاجتماعية ومع المناخ الروحي ومع الأوضاع الأخرى في المجتمع بحاجة إلى معالجة مستقبلية متواصلة.

لقد نضجت مسألة وضع قضية الانعكاس الإيديولوجي (بخاصة من الناحية التقويمية لتكوين الرأي العام) في منهج نظرية الانعكاس العامة والمعرفة الاجتماعية.

وتتطلب عملية تحويل الرأي العام كظاهرة روحية إلى قوة اجتماعية فاعلة حقاً دراسة نظرية اجتماعية محددة، وأثناء وضع الحلول للمسائل ذات الأهمية.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثامن

- الصحافة والإذاعة والتلفزيون منابر للرأي العام... ص٣٠٥

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب الثامن

الصحافة والإذاعة والتلفزيون منابر للرأي العام

يتجلى توجه عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في تكوين الرأي العام بدور هام جداً في الظروف المعاصرة، وعلى هذا المنطلق أجمعت كل الدراسات الإعلامية والسوسيولوجية المعاصرة.

وما يهمنا جميعاً أن تكون رسائل إعلامنا الجماهيري والدعاية دائماً منابر حقيقية للرأي العام، لقد أصبحت القضايا المتعلقة بالرأي العام تدرس في بلدنا منذ سنوات، وكانت أعمال الباحثين العرب السوريين في قطاع الرأي العام دائماً في مجال رؤية الدولة، ولقد أعطت الدولة الأهم في مجال تكوين الرأي العام للوسيلة الأكثر تجربة والتي تملك تقاليد غنية للصحافة.

وقد أكدت المعطيات الحكومية أن أول وسيلة لنا، والوسيلة الرئيسية لرفع مستوى الانضباط الذاتي عند العاملين والانتقال من القديم، ومن أساليب العمل أو أساليب المتكاسلين عن العمل في المجتمع القديم، هي الصحافة التي تكشف عن التقويم الصحيح للحياة الاقتصادية لكل جماعة عمالية، وتوضح هذه التقويمات وتكشف بصراحة ووضوح عن كل قروح حياتنا الاقتصادية، وتقدم كل المواضيع المطروحة للرأي العام من أجل معالجة هذه القروح.

لقد بدأت أول مرحلة في تنظيم دراسات الرأي العام في فترة متأخرة من حياتنا الاجتماعية أي عندما تعزز أكثر دور الرأي العام في مجال تربية الناس تربية وطنية وقومية، وعندما أصبح حسابه الدقيق ضرورياً بشكل خاص في تأسيس واتخاذ القرارات الإدارية.

وعندما أصبحت قضية الرأي العام عموماً إحدى أهم قضايا تكوين الشخصية العربية من الطراز الجديد التي تستطيع التعبير بصراحة عن آرائها

والدفـــاع عـــنها، وتستطيع اتخاذ موقف مبرر في مناقشة مسائل تطور المجتمع والدولة.

إذا كان الرأي العام وعمل وظائفه ومعالجته في الدراسات الرسمية على رأس المسائل الأساسية لتطور النظام السياسي، وقد جاء في الدراسات أن تعمق انتشـــار الديموقراطية الشعبية يعد توجهاً أساسياً لتطور النظام السياسي للمجتمع العربي السوري.

المشـــاركة الأوســـع للمواطنين في إدارة أمور الدولة وتحسين الجهاز الحكومـــي ورفـــع فاعلية المنظمات الاجتماعية وتعزيز الرقابة الشعبية وتثبيت الأســـس القانونـــية للحـــياة الحكومية والاجتماعية وتوسيع العلاقة والأخذ دائماً بالرأي العام.

ويفســـر العديـــد مـــن الباحثيـــن الـــرأي العام بالحالة الخاصة للوعي الاجتماعي، وهذا التفسير كالتالي:

- أولاً: يعمل الرأي العام وكأنه صفة متكاملة للوعي الاجتماعي، وبما أن الوعـــي الاجتماعـــي يعد ميزة عامة للمجتمع لم ينشأ بمجموع رياضي (حسابي) لمجمل الوعي الفردي، فإنه يتقاسم هذه الميزة مع الرأي العام والـــرأي العـــام لـــيس مجموع الآراء الفردية، إنه أحد مظاهر توظيف المجتمع كجسم متكامل.
- ثانـــياً: يؤكد هذا التفسير على أن الرأي العام لا ينتمي لإيديولوجية ولا للســـيكيولوجيا الاجتماعـــية مـــأخوذة كل على حدة، وليس لأحد أشكال الوعـــي الاجتماعـــي، إنه انعكاس لانعكاس فيه، ويعكس كل مضمون الوعي الاجتماعي بشكل متغير.
- ثالثاً: يستطيع أن يكون المجتمع كله أو أكثرية أعضائه فاعلاً في الرأي العـــام، وفـــي هـــذه الأثناء يصبح معقولاً أن تظهر إلى جانب "الفاعل"

مفاهيم مثل "الحامل" و"المعبر" عن الرأي العام، ويمكن لأي بنية اجتماعية أن تقوم بدور الحامل للرأي العام (الطبقة أو المجموعة الحالية وغيرها) ويمكن للمنظمات الاجتماعية والصحافة وغيرها أن تقوم بدور المعبر، ويمكن تحديد وظيفتها مع البرهان العلمي الكافي فقط بعد الإجابة عن السؤال التالي:

* هل تقع وجهة النظر المحددة حول هذه القضية أو تلك في علاقة عضوية مع الرأي العام؟

- رابعاً: ويمكن أن تكون موضوعاً للرأي العام فقط تلك الحوادث والظواهر والقضايا التي تقع في مجال المصلحة الاجتماعية العامة، أي تقلق الجميع وتدفع كل واحد لتحديد ذاته في الرأي فيما يتعلق بها.
- خامساً: عند دراسة تكوين الرأي لا بد من توضيح الظواهر النوعية في هذا السياق على مختلف مستويات البنية الاجتماعية ليس فقط على مستوى الطبقات، بل على مستوى الجماعات العمالية والفئات الاجتماعية، والاجتماعية الديموقراطية، والاجتماعية المهنية وغيرها من الفئات، وفي الوقت نفسه تشريح هذه الظواهر لا بد من الانطلاق من فهم المجتمع كنظام، وإعطاء الجواب الدقيق، وهل تسير هذه أو تلك من العمليات باتجاه اكتساب هذا النظام أم لا.

إن قضية الرأي العام واسعة بما فيه الكفاية، ويمكن أن تكون دراستها محدودة في أطر نظرية وتطبيق وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، لذلك عندما ننظر في تكوين الرأي العام كأحد اتجاهات عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية يكتفي من حيث الجوهر ببعض المسائل الداخلة فيه فقط، من المعروف أن الإعلامية كمقياس للخبر "للملح" وأن الرأي العام يقع في علاقة استقلالية معقدة، ويحصل على سبيل المثال:

- قليلاً ما يعرف الإنسان عن هذا الحدث أو ذاك، لكن لديه رأياً معيناً عنه ومع ذلك إذا أردنا التأثير الهادف على تكوين الآراء العامة والفردية والجماعية والتوصل إلى تناسب كبير بين طبيعة توظيف الآراء وبين المسائل التي تصنع الحلول لها، لا بد من البدء بالخبر بالذات ومن تحسين جوانبه النوعية ومن رفع مستوى الإعلامية.

ما هي إذاً جوانب الخبر التي تؤثر على تقلبه واستيعابه بصورة أفضل، أي في نهاية الأمر التي تؤثر على رفع الآراء؟ إليكم الآتي منها:

- النظر في المسائل التي تخص مصالح الجمهور وقيام علاقة متبادلة بين الأخبار العامة والأخبار المحلية.
- استعمال مختلف الأنواع الصحفية (خاصة الريبورتاج والتقرير والصورة التي تستدعي فعالية التواجد) وهذا ما تتطلبه ضرورة تصوير مختلف الجوانب والأحداث وأخذ خاصة "موضوع التأثير".
- تفاضلية الأخبار بما فيها الأخبار من وجهة نظر توجهاتها.
- تقديم الأخبار بمساعدة كادر واسع من المؤلفين (أي التعليق على هذه أو تلك من الحوادث مع حسبان آراء كل الشرائح الاجتماعية).
- قتالية (نضالية) الأخبار التي تنعكس في توجهها نحو التصوير النشيط للواقع وإظهار التوجهات الإيجابية والسلبية على حد سواء، ووضع السبل للعمل الأمثل للمسائل الاقتصادية والثقافية والحياتية وغيرها، وترتبط فعالية الخبر أيضاً بالحالات والأوضاع التي تنشط فيها وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، ويمكن جمع هذه الأوضاع في ثلاث بروزات أساسية:
- غياب الرأي العام حول هذه أو تلك المسائل التي (لم تتوفر لها ظروف الولادة بعد).

- أوضاع التعددية ومن ضمنها نظرية (تكوين) أية وجهة نظر في الرأي العام.
- وفيما يتعلق بالرأي العام الذي يكون عفوياً (هنا تبرز مسألة انبعاثه في الاتجاه الضروري بشكل عام أو في حلقات معينة).

إذا أدخلـــت وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في الوقت المناسب العملية، ولم تخسر في السرعة أمام القنوات العفوية لما يسمى بالتواصل غير الشكلي بين الأفـــراد وأمام المصادر الأجنبية للأنباء ستصبح في وضع طريقة مباشرة أكثر للتأثير على بنية تكوين الرأي العام حسب "السلسلة" الخبر عن موضوع الرأي – الجـــدل حـــول موضوع الرأي- نشوء وجهة نظر موحدة وموقف عام، وتظهر التجربة أن الصحفيين يصلون إلى تقدير الآراء الفاعلة أساساً من جانبين:

* أولهمـــا: وقبل كل شيء يبدأون بدراستها عندما يسعون للحصول على بعض "عناصر" العملية الإيديولوجية التي تخضع بصعوبة للرقابة المباشرة أو الإيجاد المباشـــر ومن بين مثل هذه "العناصر" يمكن ذكر طبيعة انضمام الجمهور إلى هذه أو تلك من القنوات والاختيار (الارتقاء).

* وثانـــيهما: الاســـتيعاب واستخدام المعلومات في العمل السياسي- الاجتماعي وفي النشاط العملي وفي النشاط الثقافي في أوقات الفراغ.

لقد تم على هذا الطريق قيام وتحليل عدد ليس بقليل من اللحظات الدقيقة للعملية الصحفية من مؤشرات دخول الجمهور في هذه أو تلك من القنوات دون الخوض في التفاصيل.

كلمـــا كان هذا أو ذاك من المشاركين في الاستطلاع "مشمولاً" بالأخبار كلما كان عليه امتلاك التوجه الأكثر نحو أخبار متنوعة، ففي واقع الأمر لم تكن الأمـــور هكـــذا، فكلما استخدم المشارك في الاستطلاع مصادر أنباء أكثر، كلما

ظهـرت اهـتماماته بصورة أعمق، وكلما سعى بجدية أكثر إلى الحصول على أنباء أوسع أكثر فأكثر.

وهناك مثل آخر يمكن بواسطته التوصل إلى استنتاج سريع، يفترض أنه علـى الشـرائح الجماهيرية الأقل ثقافة أن تتطلب بفعالية أكثر تفسيراً للحقائق وتحلـيلها والتعليق عليها، لكن الدراسة أظهرت صورة مغايرة، فمع نمو الثقافة ينمو التوجه نحو إلقاء الضوء على المواقف المتنوعة.

وفـي هـذه الأثـناء يفضل القراء والمستمعون والمشاهدون المثقفون المشاركة الفعالـة لهيـئات التحرير نفسها في المناقشات والمحاكمات في مسائل التطور الاجتماعي المعقدة، وإنها لا تنفي بأي شكل من الأشكال التعليق الصحفي لكنها تتطلب منه الكثير.

إن قـيمة هذه وما يماثلها من الاستنتاجات المنبثقة عن دراسة الجمهور واضـحة، واستخدامها مفيد بلا شك للتفاؤل في عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية.

وإن لدراسـة الآراء أهمـية كبـيرة لكونهـا وصفاً للقراء والمستمعين والمشاهدين يصور علاقتهم بالعملية الإعلامية بشكل عام وبالأنباء الإيديولوجية بشـكل خاص، لذلك لا بد من التمييز الواضح بين فعالية القدرة الإخبارية حول هـذه أو تلـك المسائل التي تم التوصل إليها أثناء سير عمل الصحافة والراديو والتلفزيون وبين الآراء حول هذه أو تلك من المسائل، والاهتمام يكون قليلاً إذا انحصر في عملية استيعاب أو عدم استيعاب بعض المعارف الإيديولوجية.

وفـي كل رأي تجد حالة اندماج الفكرة مع الواقع وانعكاساتها وعلاقتها النشطة به، وإذا أصبح الرأي موضوعاً للدراسة فإن الأهمية الكبرى تعطى له.

الاهـتمام بالاستقلالية النسبية للآراء يسمح بوضع النشاط الإيديولوجي لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، بصورة أفضل كمنبر للرأي العام وبالتعبير

عـن الـرأي وتكوينه بشكل أفضل وبالمشاركة الأعمق والأوسع للجمهور في الأعمال الدعائية، وإلا سنتوصل إلى الدراسة وحيدة الجانب للعملية الصحفية في مجال الإدارة فقط.

يعـد المجـال الإداري مجالاً هاماً لكنه ليس الطريقة الوحيدة في تحليل توظيف الصحافة والإذاعة والتلفزيون.

وإن دراسـة الآراء حـول هذه أو تلك من جوانب العملية الإيديولوجية ضرورية للتفاؤل في نشاط وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية ذاتها، لكن الرأي العام بالدرجة الأولى كـ"مخرج" للأخبار إلى مستوى السلوك والاستعداد للعمل فـي اتجـاه معين في مجال الإنتاج الاجتماعي، ومن هنا يصبح واضحاً كم هو كبير دور الرأي العام الناضج في تطبيق قرارات الدولة.

ولا أساس للحكم على الرأي العام الناضج والثقافة والسياسة للفاعل تقع فـي علاقـة وثيقة من الارتباط المتبادل، ويمكن الإشارة بكل ثقة إلى النضوج الاجتماعـي والأهلـية وغـيرها من صفات الرأي العام مرتبطة إلى درجة ما بالثقافة السياسية للفاعل، والثقافة السياسية نفسها تؤثر تأثيراً إيجابياً على الرأي العام المتواجد في أساس إدارة العمليات في المجتمع المعاصر.

ومعـرفة تركيبـته الدولية والشعبية والنظام السياسي، وأشكال وطرق مشـاركة المواطنيـن في إدارة المجتمع وفي حل المسائل السياسية والدستورية وحقـوق وواجـبات المواطنين في الدولة، والآراء الاجتماعية- السياسية كنواة للعقـيدة والقـناعات السياسـية والأحاسيس وجاهزية الدفاع عن الديموقراطية الشـعبية والمـثل الإنسانية الحضارية والنضال ضد التعصب الديني والطائفي وغـيره مـن رواسـب العلاقـات السياسـية القديمـة وضد التخلف الفكري والسـيكولوجية الاسـتهلاكية والبيروقراطـية والروتين، ومستوى توجه العمل

السياســـي مـــن وجهة نظر تناسبها مع متطلبات المجتمع المدني الجديد، والمثل الإنسانية العامة.

وهكـــذا لكي يكون الرأي ناضجاً حول هذه القضايا أو تلك التي تحل في مجال السياسة الخارجية والداخلية فاعلة يجب أن يتمتع بثقافة سياسية عالية وأن يكون مرتبطاً فيها بحس وطني وقومي حقيقي، وترتبط الثقافة السياسية بدورها بتطبيق الوظـــائف الهادفة لنشاط الدولة، كقوة قائدة وموجهة للمجتمع، وبالدور التاريخي للجماهـــير كحاملـــة لأكـــثر الثقافات السياسية إنسانية، ومهام البناء الاقتصادي والقـــيام بالواجـــبات الوطنـــية والقومية من قبل كل عضو من أعضاء المجتمع الحديث.

ويكتســـب ذلك التوجه في الظروف المعاصرة أهمية خاصة مثل تطور الوعي عند كل مواطن، لأن الوعي السياسي هو نتيجة لتربية أكثرية المواطنين علـــى الـــروح الوطنـــية والقومية والوعي الاجتماعي والفهم الصحيح للمسائل الوطنـــية والقومية الكبرى، وضرورة خضوع المصالح الشخصية العامة وهذا يعنـــي الاستيعاب العميق في الوقت المناسب للمثل الإنسانية العامة وإدراك أن تحقـــيقها يكمـــن فـــي سبل الصراع الطويل وبالعمل الجاد وبإتقان عملية عدم اســـتبدال الـــنهج الوطنـــي القومي، وبالتفاؤل والتغلب على الصعوبات العملية والإخفاقـــات المؤقتة على الأساس المتين للفكر القومي الاشتراكي وعلى الآراء الاجتماعية السياسية لهذه العقيدة.

وتوجـــه الدولة جهودها نحو معالجة المسائل المبدئية للسياسة الخارجية بوســـاطة وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية، إلى ميكانيزم (آلية) تكوين الرأي العـــام مـــن أجـــل التنفيذ المادي للأفكار الجديدة وبفعالية أكبر للتأثير في نشاط المواطنين في الاتجاه الضروري.

وتطـــرح المســـائل الهامـــة بين المواطنين، ويتطلب الاستخدام المبدئي للأســـلوب البرنامجـــي الهـــادف في التخطيط لعمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية جواباً محدداً على السؤال:

– بـــأي شـــكل سيتكون الرأي العام في هذا أو ذاك من الاتجاهات انطلاقاً من إدراك نتائج النشاط الإيديولوجي النهائية؟

هـــذا يوجـــه اهتمام الصحفيين إلى رسم خطط دعائية مستقبلية مرتبطة بحل مسائل معينة وباعتبار خصائص توظيف الرأي العام.

يفـــترض بعـــض الصحفيين أحياناً أنه يكفي إخبار الجمهور في الوقت المناســـب وبصـــورة مقـــنعة عن الحدث أو الوثيقة كي تبدأ فوراً عملية التكون النشط للأحكام الصحيحة.

ويلعب تقديم المعلومات هنا دوراً هاماً فعلاً، بيد أن عدم تقدير المناحي الحماســـية (العاطفـــية) على طريق انتقال المعارف إلى آراء وتعقيدات معالجة الـــتقديرات يمكن أن تتطلب على ما يسمى (فاعلية يوميرانغ) عندما لا يستوعب الجمهـــور الأخـــبار أو ينفيها، وإما مع قوة العملية الإعلامية تكبر أكثر فأكثر القضايا بين الأهداف التي يحققها الصحفي وبين كيفية فهم الجمهور لقضاياه.

وتظهـــر التجربة أن استيعاب الأنباء الجماهيرية على مستوى التهيؤات فقط تكون عملية فردية وبجوهرها تتجلى بطبيعة جماعية بوساطة أشكال الخبر والتواصـــل المباشر بين الأفراد التي ينفذ فيها رجل الدعاية أو المحرض مهمة المعلمين المؤهلين واسعي الاطلاع.

ويحـــدث هـــذا قـــبل كل شيء في الجماعات العمالية التي تعتبر نقطة (التقاطع) الأهم لمختلف (السيول) الإخبارية و"مجالاً" للإدراك الفعال واستيعاب الأخـــبار، وأيضاً استجابة على الأحداث الاجتماعية والخبر عنها وتكون الآراء العامة.

ويحـــدث فـــي أثـــناء عملية التبادل الحي للتقديرات النضوج المتكامل وتعزيز الآراء الفردية وتوحيدها (جمعها) أي الانتقال من المستوى الفردي إلى مستوى النقاش بين الأفراد.

لذلـــك علـــى وســـائل الإعلام الجماهيري والدعاية أن تضمن إعلامياً التواصـــل داخـــل الجماعـــة بنشـــرها مواد مخصصة لكل جماهيرها كما هي مخصصـــة لشـــرائحها الخاصة تلك التي تشارك في تنظيم الدعاية والتحريض الشـــفهي، هـــذا مـــن جهة ومن جهة ثانية أن تلقي الضوء على مختلف قضايا وجوانـــب الحـــياة الاجتماعـــية، ويجذب المؤلفين المشهورين وإقامة مؤتمرات بالمراسلة،ومناقشات .... الخ.

وتحـــل مســـائل وضـــع التقديرات والأحكام باستخدام أساليبها وطرقها الخاصة، وتنشأ أمام كل صحفي هنا مهمة مسؤولة هي تعلم فن التعليق السياسي على الأخبار في سبيل تقدير هذا أو ذاك الحدث أو هذه أو تلك الحقيقة في سياق السياسة المعاصرة للدولة والواقع الراهن للبناء الحضاري الجديد.

ولتكويـــن الرأي العام أهمية خاصة فيما يتعلق بقيام المبادرات الإبداعية وبالطـــرق الإيجابـــية لتجسيدها لأن مبادرة المبدعين تدل الجماهير المتبقية من العامليـــن على كيفية توحيد فهم الشعارات المطروحة وعملها المحدد ومنجزات العلم بصورة أكثر عقلانية.

وكما أكدت الدراسات الإعلامية مراراً، على أن الدعاية للمثل الإيجابي (ليست عملاً خاصاً، بل إنها أهم أعمال الدولة).

وفقـــط فـــي ظروف المجتمع المدني، تحصل قوة المثل لأول مرة على إمكانـــية بـــدء فعلها الجماهيري، لكن تحقيق هذه الإمكانية إلى درجة جوهرية يـــتعلق بـــالعمل الفعال لوسائل الإعلام الجماهيري والدعاية وباستطاعة أو عدم

اســتطاعة هذا المثل الاعتماد على قدرة الرأي العام، وبمساعدة قوته أن يتحول من ظاهرة واحدة إلى جماعية وأن يصبح في متناول الملايين.

إن افتــتاح العمل ومتابعته بتلك العناوين الثابتة مثل "روبرتاج من مكان العمــل" "الــبرنامج المفــتوح" و"تجــارب المبدعين للجميع" و"العلم والتكنيك" و"الإنســان" وغــيرها وتنظيم الاجتماعات الجماهيرية و"الطاولة المستديرة" في ســبيل مناقشــة قضايا العمل مع دعوة المهتمين، هذه حقائق ووقائع التطبيقات اليومية للصحافة.

إنها تشهد على الانتظام الكبير الذي تدعو الصحافة والراديو والتلفزيون معــه وقــائع عــن الجديد والطليعي، وبإمكان الصحفيين اليوم فعلاً تقديم المثل الأخلاقــي الرفيع وشجب عدم الانضباط والقضاء على الآراء والأفكار المختلفة ودعم الصحيح منها.

إن الصــحفيين بدعايــتهم للتجارب الرائدة عليهم دائماً إدراك تأكيدات عملــية قائمــة علــى الوحدة والأساس الذي يضمن التنوع في التفاصيل وفي الخصــائص المحلــية وفي استخدام الأساليب وطرق تطبيق الرقابة وفي سبيل القضاء على الطفيليين وإبطال ضررهم..

ولذلك من الضروري أن يكون وضع بنية الأخبار بدقة أكثر في المواقع المنشورة في الصحافة الدورية والمنتشرة بواسطة الإرسال على الهواء مباشرة بحيــث لا تتــبدل القنوات المحلية، وغيرها من قنوات الأخبار من قبل الأخبار المركزية لكي نرى تلك الوظيفة الأهم مثل التكثيف والخبر وانتشار الأنباء داخل المنطقة وداخل المدينة وغيرها من الأنباء المماثلة.

ومن الحق التأكيد في هذا المجال على أن الأخبار السياسية في المرحلة المعاصــرة من التطور هي نظام معلومات متنوع، يشمل كل الجوانب بمختلف

أهميــتها (اجتماعــية عامة ومحلية)، ومختلف درجات التعميمات (من الأحادية حتى العمومية).

وتحتل فيه الأخبار من الواقع (من حيث الحجم ومن حيث الأهمية) مكاناً كبيراً ولا يمكن للأحداث المحلية هذه أن تكون خارج السياسة، إنها ملموسة في ظهورهــا علــى الرغم من انتمائها للسياسة الكبرى لا تعمل مباشرة وبوضوح ومــن هــنا تنحصــر مهمة وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية في سبيل رفع المحلي الأحادي والفردي إلى المستوى العام، وإلى مستوى السياسة الكبرى.

وتشكل خصائص الرأي العام المتكون من "التوجه نحو حل أهم المسائل الحكومــية والدرجــة العالــية من القدرة (قوة التأثير) وعمق تصوير العمليات الاجتماعية وغيرها.

إن الــرأي العام الناضج هو المقياس الأهم لفعالية عمل وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية وتكوينه الهادف في بلدنا يرتفع إلى درجة جديدة بالارتباط مع تنظيم العمل العام والخاص بدراسة الرأي العام.

الباب التاسع

- الاستعلام، الوجه الآخر للإعلام ص٣١٩

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب التاسع

الاستعلام ، الوجه الآخر للإعلام

قلنا عن بحثنا للإعلام ووظائفه وتأثيره بأن الإعلام ووسائله هو موضوع بارز الأهمية في عالم الفكر والسياسة، وعظيم الأثر في بناء الدولة الحديثة التي تعتمد في وجودها وفي شرعية تصرفاتها على رضا المحكومين وقبولهم لها.

ويلعب الإعلام دوراً رئيسياً بإقناع الأفراد بتقبل السلطة والرضا بها، فالدولة الحديثة في الأنظمة السياسية المختلفة تمارس الحكم بواسطة الشعب ولصالحه، ولاحظ لها في النجاح وفي تأمين الأهداف إلا إذا نورت الشعب بإخلاص، ووضعت في متناوله كل المعطيات الأساسية التي تمكنه من اختيار وانتقاء الحلول الأكثر تناسباً مع الصالح العام، ومن اختيار الحكومة الأجدر لتنفيذ تلك الحلول.

وحتى يؤدي الإعلام واجبه ويصل إلى أهدافه ويحقق مبادئه، يجب أن يستند إلى استعلام ذكي، مهمته معرفة آراء الناس للوصول إلى تقدير مبني على أساس سليم لما يعتقده الناس، لأنه كلما توضحت أمام المسؤول عن الإعلام وجهات النظر المختلفة، أتيح له وضع الخطة الإعلامية الناجحة، وعلى هذا فالرأي العام هو القاسم المشترك بين الإعلام والاستعلام.

طبيعة الاستعلام ووظائفه:

الاستعلام هو معرفة آراء الناس واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية والإنسانية... عن طريق البحث والاستقصاء للوصول إلى أساس سليم لما يعتقده الناس وما يعتنقونه من آراء للوصول إلى الحقيقة، وذلك بالكشف عن اتجاهات

الجماهـــير وقـــياس تلـــك الاتجاهات وسبر غورها للتعرف على طبيعة الآراء ومعرفة وجهات النظر المختلفة، عن طريق الدراسات المختلفة والأبحاث للرأي العـــام وعـــن طريق الاستفتاء وعن طريق المقابلات الشخصية وتوجيه أسئلة محددة...

ويهدف الاستعلام إلى جمع المعلومات من الجماهير الداخلية والخارجية، لمعـــرفة ما يدور بأذهانهم من أفكار وما يحملونه في أنفسهم من اتجاهات نحو القضـــايا السياســـية والاجتماعـــية والاقتصادية والوطنية، مع ضرورة تسجيل مقترحاتهم ورغباتهم، كما أن الاهتمام بالشكاوى والملاحظات من الأمور الهامة التي لا يجوز إغفالها، وتستخدم في هذه الخطوة كافة الأساليب المؤدية إلى جمع المعلومـــات... والخطـــوة الثانـــية للقائميـــن على أجهزة الاستعلام هي دراسة المعلومـــات والبيانات للوصول إلى اقتراح حلول حاسمة لها، فإذا تبين مثلاً أن هـــناك أخطـــاء دعائية أو إعلامية وجب إعادة النظر بهذه الأخطاء، لأنه على الاستعلام السليم الدقيق يمكن أن توضع الخطة اللازمة للإعلام الناجح.

إن وظـــيفة الاستعلام في الدولة الحديثة هي دراسة احتياجات الجماهير المتصـــلة بها والحاجات الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية لتعمل على تلبيتها وهذا من شأنه استمرار الحوار بين المؤسسات المختلفة وجماهيرها على أساس الثقة والتأييد.

إن هـــدف الاســـتعلام فـــي الدولة الحديثة لا يقتصر على دراسة آراء الجماهير وتحليلها وبيان آثارها، بل يشمل كل ذلك جميع المعلومات عن العوامل التـــي تؤثر في كيان مؤسسات الدولة وأجهزتها وسمعتها، فهناك مثلاً الظروف الاقتصـــادية المتغيرة، التي يلزم رصدها وبيان مغزاها، والعلاقات الدولية التي يجـــب فهمها ومراميها ونشاطات الأحزاب ومعرفة أسرارها واتجاهاتها... كل هـــذه المواضيع على الاستعلام أن يضع المعلومات والأبحاث بصدد كل قضية

وكل اتجاه منها، هذه الأبحاث التي يجب أن تقدم على أساس سليم ودقيق، وبقدر نجاح الاستعلام القائم على الأبحاث، يكون للخطط الإعلامية نصيبها من النجاح.

ويقول خبراء العلاقات العامة: إن الأبحاث شأنها شأن الاستخبارات العسكرية التي تعطي القائد الفكرة السليمة الواضحة للموقف العسكري، كذلك تعطي الأبحاث الإسلامية الوضع الصحيح ليمكن وضع الخطة الإعلامية الناجحة، وعلى هذا فإن الرأي العام هو المادة الخام التي يقوم الاستعلام بدراستها بغية تحليلها ومحاولة التأثير فيها.

استطلاع الرأي العام واستقصاؤه:

اتفق خبراء السياسة والإعلام على أن استطلاع الرأي العام خطوة أساسية في العملية الديموقراطية، لأنه لا يمكن أن تقوم أجهزة الدولة الحديثة بتحقيق إرادة الجماهير ما لم تكن تلك الإرادة، بصدد كل مسألة من المسائل واضحة المعالم بينة الاتجاهات لدى أجهزة التخطيط والتشريع والتنفيذ، ويتوقف على تلك الأجهزة مدى اكتمال حلقات العملية الديموقراطية، ففي غياب الرقابة الشعبية أو في حال سلبيتها قد تعتمد بعض الأنظمة غير الديموقراطية إلى التعرف إلى اتجاهات الجماهير بقصد التعديل في هذه الاتجاهات بما يتفق مع خططها عن طريق الدعاية.

فاستطلاع الرأي العام حلقة هامة وضرورية من حلقات متتابعة، في جملتها انتقال آراء المجتمع ووجهات النظر التي يلتقي عندها الناس لوضع حلول للمشاكل العامة تحقق حكم الشعب لنفسه وهو مفهوم الديموقراطية، فما لم يتحدد الرأي العام من خلال عمليات الاستطلاع والاستقصاء، فإنه لا مجال للقول بوجود العملية الديموقراطية.

إن استطلاع الرأي العام واستقصاءه الذي نعني به الاستعلام، عرف في المجتمعات القديمة حيث كان الحاكم يبعث بالعسس أي بأشخاص تابعين للحاكم

يـــثق بذكـــائهم وفطنتهم، ليطلعوا على آراء الناس وأقوالهم بالسياسة والاجتماع وغير ذلك من القضايا التي يهم الحاكم أن يعرفها، كما كان الحاكم نفسه أو كبار معاونيه في كثير من الأحيان يخرجون مستترين وعلى غير توقع، حيث يلتقون الـــناس فيســـتمع أو يستمعون إلى آرائهم في الأمور التي تمس حياتهم ليتعرفوا على الحقيقة مباشرة.

كان هذا قديماً، أما حديثاً فقد حلت الوسائل والمناهج والخطط المدروسة مكان الطرق القديمة، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن الوسائل القديمة، لا تزال بعـــد إدخال التطور اللازم عليها تمثل جانباً هاماً من وسائل الاستعلام، وخاصة وسيلتي الملاحظة والمقابلة.

إن استطلاع الرأي العام واستقصاءه يكون بطرق كمية وطرق كيفية.

الأولـــى: هـــي ما يعبر بوسائل الاستفتاء، أما الثانية: أي الكيفية، فلها طريقان: المســـح العـــام وتحليل المضمون ويدخل في إطار المسح العام طريقة المقابلة والاستقصـــاء الفـــردي العمـــيق، وطريقة الملاحظة المباشرة وطريقة المناقشة الجماعية.

الاســـتفتاء: يعتبر الاستفتاء من وسائل الاستعلام الهامة، ويتم عن طريق طرح بعـــض الأسئلة لكشف الاتجاهات حول مسألة معينة، وعلى الباحث والمسؤول عن الاستعلام أن يبدأ بالإجراءات التالية:

١) تحديـــد المســـألة أو المشكلة تحديداً دقيقاً بعد دراستها بعمق من جميع جوانبها.
٢) رسم خطة كاملة لتنفيذ الاستفتاء في إطار دراسة موضوعية.
٣) إعداد بيان يتضمن الأسئلة الموجهة "استمارة" استطلاع الرأي.
٤) دراسة عناصر العينة الممثلة للمجتمع تمثيلاً صحيحاً.

٥) دراســة مشكلات التنفيذ، ومن ذلك اختيار البيانات ومراجعتها واختيار التماســك الداخلــي للاستفتاء، وتبويب البيانات والصعوبات الاجتماعية والزمنية والاقتصادية... خلال المراحل المختلفة.

المــتفق علــيه في الطرق الكمية الإحصائية لقياس الرأي العام اختيار عينة تمثل الجمهور الذي سيجري عليه البحث، ويتم اختيار العينة بالطرق الآتية:

أ) الطريقة العشوائية.

ب) الطريقة الفئوية أو الطبقية.

ت) الطريقة الحصصية.

ويتم إعداد الأسئلة وصياغتها، على أن يراعى في ذلك اعتبارات أساسية أهمها: الوضــوح، البســاطة، التدريج، التكرار مع التنويع، عدم الإيحاء، عدم الإبهام واللبس والخلط.

وبعــد الحصــول علــى أجوبة الأفراد على الأسئلة المقدمة إليهم يجب تبويب المعلومات أي الأجوبة، أو النتائج التي يتم الحصول عليها، وكتابتها في قوائــم خاصــة، وتجمــيعها موضــوعياً وترجمتها رقمياً، وفي صورة بنسب إحصائية.

وبعد ذلك يتم تحليل هذه المعلومات التي تحويها الجداول وتفسير النتائج، وتدويــن الملاحظات عليها، وتقديم التوصيات بصددها، ثم يوضع التقرير الذي يجــب أن يكــون وافــياً، وأن يبيــن الأمور التالية: أهداف العمل الذي يتناوله الــتقرير، الطريقة التي اتبعت في تحقيق البحث والنتائج التي وصل إليها، على أن ترفق مجموعة الجداول والقوائم والرسوم التي تعرض لها.

ثــم يتــبع ذلــك تفســير النتائج وتحليلها والملاحظات عليها، وأخيراً التوصيات التي يمكن استخلاصها بصدد موضوع البحث والاستفتاء.

هـذا ما يتعلق بالطرق الكمية، أما الطرق الكيفية في قياس الرأي العام فتستخدم للكشف عن مدى قوة اتجاهاته ومصادرها، وأهمها: طريقة المقابلة والاستقصاء الفردي العميق، وطريقة الملاحظة المباشرة، وطريقة المناقشة الجماعية، والطريقة الإسقاطية بمختلف أشكالها، وطريقة تحليل المضمون، أي تحليل محتويات وسائل النشر والدعاية والإعلام، والطريقتان الأولى والثانية، تمثلان أهم أركان الطريقة المعروفة بالمسح الشامل التي تعتبر بدورها إحدى الطرق الكيفية المركبة، والتي تنحصر أهميتها في أنها تقيس الاتجاهات الكامنة، فضلاً عن الاتجاهات الظاهرة التي يجرؤ الفرد على الكشف عنها في إجابته على أسئلة الاستفتاء، والمسح يتم عن طريق المقابلة والمحادثة مع الناس والملاحظة المباشرة لسلوكهم، كما يتم بطريقة متابعة المواد الإعلامية التي تعبر عن اتجاهات المجتمع.

مسح الرأي العام وقياسه:

إن أفضل سبيل لمعرفة ما يفكر فيه الشعب هو السؤال عن ذلك، ولما كان من المستحيل سؤال الشعب بأكمله، فقد كانت طريقة العينة، هي المتبعة، إلا أنهم لاحظوا أن الأسئلة قد تشوه في أثناء عملية توجيهها، كما قد تقدر الإجابات على أساس اعتبارات تختلف عن تلك التي أثارتها الأسئلة، أو قد تدخل قوى معطلة سواء بطريقة شعورية واعية أو بطريقة لا شعورية، بالإضافة إلى ذلك فإن الناس في هذه العملية قد لا تذكر كل شيء، سواء عن قصد أو غير قصد، كما أن المشكلة الخاصة بإخفاء المعلومات أو تشويهها تعتبر عاملاً معطلاً في قياس الرأي العام.

إلا أن الباحثين وعلماء الرأي العام وإن اختلفوا حول القضايا التي شرحناها أعلاه فإنهم اتفقوا على الخطة والظروف العملية التي يستخدم فيها المسح وهي التالية:

١) الرغبة في استطلاع الرأي العام الكامن، من خلال الهمس أو الإشاعات أو الـنكات أو التعبيرات الانفعالية أو مجرد التجاهل وعدم الإصغاء أو المقاطعة....

٢) الرغـبة في معرفة الاتجاهات حول موضوعات متعددة في وقت واحد ولـيس موضوعاً واحداً، والرغبة في معرفة ما يسود المجتمع كله من اتجاهـات ظاهرة وكامنة، وبسرعة وبدون إعداد وبتجهيز على نحو ما يحتاج الاستفتاء.

٣) الرغـبة فـي عمل دراسة استطلاعية قبل استخدام الطرق الموضوعية الأخرى لقياس اتجاهات الرأي العام في مجتمع معين.

الاستطلاع بطريق الملاحظة:

الملاحظـة هـي عملية استطلاع غير مباشر للرأي العام، وهي أقرب المـناهج إلـى الأسلوب العلمي التجريبي، وهي تعتمد على ملاحظة الانفعالات والتصـرفات والحركات والنبرات والإشارات والهمسات وغير ذلك مما يؤدي معنى، وهي تتم بالتدوين السريع والتسجيل الأمين للرأي وللأسلوب الذي يستخدم في التعبير عنه وملابساته.

والذيـن يقومـون باستطلاع الرأي بطريقة الملاحظة يتصلون مباشرة بالـناس فـي أماكن العمل والالتقاء كالنوادي والمقاهي والكنائس والمساجد... وغيرها، وتكتب هذه الأشياء وتتولى جهة استطلاع الرأي العام فحصها وتبويبها واستخلاص نتائجها، ولا يجب أن يكون التدوين في وقت بعيد عن وقت إجراء الملاحظة ذاتها.

ويـتوق نجاح الملاحظة على اختيار الملاحظ وعلى تدريبه وذكائه الفطري وحسـن وضـعه في المجتمع، ويجب أن يتحلى الملاحظ بالخصائص والمزايا التالية:

- الذكـــاء العـــام والذكـــاء الخـــاص في حسن التصرف مع الناس وفهم مشـــكلاتهم فهماً موضوعياً، الشجاعة، وتحمل المسؤولية والذوق السليم والقدرة على الابتكار وعلى القيادة وعلى تكوين علاقات طيبة بالرؤساء والقـــادة والمســـؤولين، وبالإضـــافة إلى ذلك يجب أن يتميز بالاستقامة والخلق السليم والتصرف الحكيم، فهو لا يماري في الحقائق ولا يخشى فـــي الحـــق لومة لائم، كما يجب أن يكون بعيداً عن الحيز ملماً بخطة البحـــث واختيار العينات وتحليل وتفسير النتائج، وملماً بأصول المقابلة والملاحظـــة والقـــدرة علـــى ممارســـتها بكفـــاءة، وإلى جانب الخبرة والتدريب، يجب أن يشعر الشعور الكافي بقيمة مهمته.

المقابلة كوسيلة لقياس الرأي العام:

تســـتخدم المقابلة لمعرفة المعلومات، والمقابلة فن وليست علماً بالمعنى الدقـــيق، وتهـــدف المقابلـــة كوســـيلة من وسائل الاستعلام إلى الحصول على المعلومات والحقائق.

وهي تمر بالمراحل التالية:

١- <u>الإعداد للمقابلة:</u>

يجـــب على المكلف بالمقابلة أن يحدد موضوعه والغرض الحقيقي الذي تجـــري له المقابلـــة، ومـــا هـــي الحقائق التي يجب الحصول عليها، وما هي الاتجاهات التي يريد تكوينها.

علـــيه أن يعـــرف الشـــخص الـــذي سيجري معه المقابلة قبل المقابلة الرســـمية، ما أمكن، وذلك بالاستعلام من أصدقائه لمعرفة ارتباطاته واهتماماته بالإضـــافة على المعلومات المذكورة في الملف، ثم يأتي بعد ذلك تحديد الموعد وتهيـــئ الخلـــوة، وعلـــى المسؤول عن إجراء المقابلة أن يضع نفسه مكان من

يجـــري معه المقابلة، وعليه أن يتخيل ما سيفكر فيه عنه، عن منهجه وعليه أن يتخذ نفس الاتجاه بين الحين والحين أثناء الحديث.

إجراء المقابلة:

الـــثقة المتبادلة هي العلاقة الوحيدة المثلى لنجاح المقابلة، ويشبه بعض خبراء العلاقات العامة الثقة المتبادلة بعملية تشييد الصداقة، ويقولون:

إن فن صناعة الأصدقاء هو أساس كل نجاح لوسائل العلاقات العامة، ومـــنها المقابلـــة، ويضـــيفون: لـــنجاح المقابلـــة كوســـيلة لقـــياس الـــرأي العـــام يجـــب التأكيد على الأمور التالية بالنسبة للمسؤولين عن إجراء المقابلة.

- يجـــب أن تصاغ الأسئلة بشكل واضح ومنظم، وذلك بتجهيز جدول أو قائمة بالأسئلة العامة والأسئلة النوعية.
- بذل الجهد في أن تكون الأسئلة سهلة الفهم، لأن التجارب دلت أن سبب الحصول على معلومات خاطئة، أو تعوزها الدقة كان لمجرد أن السؤال لم يفهم أو كان فيه غموض.
- يجـــب تفهـــم المعنى الكامل لكل عبارة، وذلك بتقصي كل إجابة بعناية، لأن هذا شأنه التوصل على اقتراحات معينة، أو أسئلة أبعد مدى.
- يجـــب الانتباه إلى أن تكون أساليب إجراء المقابلة واضحة وخاصة في اســـتفتاءات الـــرأي العام، لأنه أصبح من المتفق عليه والمعترف به أن الاستفتاءات والمسح الشامل ينبغي أن تصمم بأقصى ما يمكن من مهارة وعـــناية حتى لا تؤدي إلى أي تضليل، ويجب أن تكون تقنين الاستفتاء ليس فقط بالنسبة لشكل وصياغة الأسئلة المستخدمة، بل بالنسبة للترتيب الذي تقدم به الأسئلة والأسلوب الذي تطرح به.

- يجـب أن تكـون المقابلات عديدة بدرجة كافية لتؤدي إلى نتائج يمكن الاعـتماد علـيها مـن الوجهة الإحصائية، وأن يتم اختيار الأشخاص موضوع المقابلة اختياراً سليماً حتى يمكن أن يكونوا قطاعاً يمثل تمثيلاً حقيقياً المجتمع المعين الذي يراد تمثيل آرائه وسلوكه.
- إن القطاعات التي تختار من المجتمع الأصلي المطلوب معرفة اتجاهاته يجـب ألا تكـون كبيرة، إلا أنه ينبغي أن تكون ممثلة، وأن تكون غير متحيزة، ولا يمكن لكمية من الاستجابات مهما كانت ضخمة أن تعوض عـن تخطـيط غـير متقن، أو عن فشل في استخدام ضوابط إحصائية صحيحة.
- إن استفتاء الرأي العام، المدبر لصالح جماعة مغرضة، سواء عن قصد أو عن غير قصد قد يؤدي إلى خطأ من نوع الخطر، لأن نشر استفتاء رديء الصناعة منظم تنظيماً سيئاً له آثار سيئة وخاصة على الهيئة التي أجـرت الاسـتفتاء، أما المسح الشامل المخلص المبني على أساس فني سـليم فإنه يجعل له نتيجة إيجابية وقيمة في كل ما يتعلق بالصالح العام والمصلحة العامة.

وأخيراً:

فإننا نعرض لأهم المبادئ التي يجب أن تراعى في إجراء المقابلة:

١) استمالة المراد محادثتهم كبداية ضرورية.
٢) أن تكون الأسئلة ملائمة لظروف المقابلة.
٣) يخصص للمقابلة وقت مناسب ومكان وظروف ملائمة.
٤) يجب ألا تتم المقابلة مع الشخص مرتين في زمن متقارب.
٥) أن يكـون المتحدث أو المتحدث معه متقاربين في الطبقة أو الفئة وذلك لتحقيق عنصر المشاركة.

٦) تسجيل البيانات يكون عقب المقابلة مباشرة، ولا يكون أثناءها، كما لا يكون بعدها بوقت طويل.

التحليل كوسيلة لقياس الرأي العام:

هناك طريقة يطلق عليها (تحليل المضمون) وتنصب على تحليل الاتجاهات التي تنطوي عليها المواد التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة، بالإضافة إلى الكتب والنشرات فيما يتصل بموضوع معين، وهذه الطريقة تفيد في التعرف على اتجاهات الرأي العام العالمي أو الرأي العام في دولة معينة تجاه مسألة تتعلق بدول أخرى، كما تفيد من ناحية أخرى في التعرف إلى المفاهيم والاتجاهات والمبادئ التي تستقر في مجتمع معين والتي تكون أساساً أو يمكن أن تصبح أساساً في المجال الداخلي أو الخارجي.

ومن البديهي أن الرأي العام في دولة غير الدولة التي تنتمي إليها الجهة الراغبة في إجراء القياس لا يمكن التعرف إليه في غالب الأحوال بطريقة الاستفتاء ولا بطريقة المسح الشامل، أما وسائل الإعلام فهي ما يمكن الحصول عليه والتعرف إلى مضمونه وتحليله للكشف عما ينطوي عليه من اتجاهات.

فإذا كان الهدف إبراز الدلالات الإحصائية التي تترجم إليها هذه الاتجاهات فإنه يتحتم حصر الآراء في الوحدة الإعلامية كالمقال مثلاً، وحصر عدد المقالات وحصر وسائل الإعلام المختلفة، ونطاق انتشار الوسيلة ودرجة تأثيرها ونفوذها، والعناصر المؤثرة في تحديد مضمون المادة الإعلامية.

ويتبع في هذه العملية أسلوبان: أحدهما عمل جداول تدرج فيها بيانات عن النواحي التي حددناها، والثاني الوصف الدقيق لروح المادة الإعلامية وأحدهما لا يغني عن الآخر.

ومن المتفق عليه في إعداد الجداول أن تتوزع الدرجات التي تعطى لتقدير النسب المئوية بحيث تقدر بدرجة لكل من:

- مضمون المادة الإعلامية - انتشار الوسيلة الإعلامية - شدة تأثير المادة الإعلامية ونفوذها - مكان النشر ومستوى بروز المادة في الوسيلة الإعلامية.

وأخيراً:

فيما يتعلق بدور طريقة تحليل المضمون في الكشف عن المفاهيم والاتجاهات التي تستقر في المجتمع، فإن ذلك يمكن التوصل إليه بمعرفة العبارات والألفاظ ذات الدلالة التي تتردد في وسائل الإعلام، ويكون تواترها بالقدر الذي ينبئ عن نزعة معينة لدى فئة من المجتمع لها تأثيرها وفعاليتها، مما يجعل المحلل يحكم بأن دلالة هذه العبارات والألفاظ تشير إلى تغيير اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي له أهمية في المستقبل.

أخطار مسح الرأي العام الانتباه إلى بعض الأخطار في عمليات قياس الرأي العام ومسحه فقالوا: إن عمليات مسح الرأي العام تحاول أحياناً أن تتنبأ باتجاهات الأحداث المستقبلية: إن هناك خطورة في التنبؤ، فقد لا تكون التنبؤات صحيحة، كما أنها قد تثير خيبة أمل أو تضلل.

ومن الخير للحاكم أن يعرف ما يفكر الشعب فيه، ولكن من الضار أن يفكر فيه طوال الوقت، فالحاكم أو القائد عليه ألا يتبع الرأي العام عن عبودية لا يتملقه بصفة مستمرة، فأحياناً يكون الجهل نعمة لبعض الحكام أو القادة لأنه يمنحهم الفرصة للاستمرار فيما يعتقدون أنه حق، دون الالتفات كثيراً إلى ما قد يقوله الناس الآخرون، وعمليات مسح المعلومات العامة قد تمد الحاكم بمعلومات كثيرة جداً، ولكنه قد يشعر بالخوف أو التوتر، كما أنه سيكون أكثر شجاعة إذا كان لا يلتفت إلى كل هذه المعلومات....

الواقع دل أن هناك ظروفاً يفضل فيها أن تتجاهل القيادة السياسية الرأي العام، فمثلاً في الرأي العام الذي يعبر عنه الشعب بصدد موضوع لا يعرف عنه إلا القليل جداً، أو إذا نصح الرأي العام بعدم القيام بأي نشاط في أمور معينة

فـــإن القـــيادة الحكيمة يجب ألا تعتمد على هذا الرأي كعذر لتجنب نتائج معينة بالإضـــافة إلـــى ذلك هناك خطر سياسي، وهو الرأي الذي تجمع نتيجة لعملية الاقـــتراع قد لا يمثل حقاً إرادة الشعب، وأنه بالرغم من أنهم قد يختارون أموراً بديلة فإن أفكارهم الحقيقية تكون بعيدة عنها.

ومـــن القضـــايا التـــي عالجهـــا علماء الرأي العام الأساليب والوسائل الإعلامـــية والدعائية التي تلعب دوراً رئيسياً في تغيير الرأي العام، وقد تحفظ أحـــد هـــؤلاء الخبراء حول التجارب من قبل الشعب في حال تزويده بمزيد من المعلومات ذات الطابع الخاص لتصحيح معلوماته، ليرى موضع الخطأ، وبالتالي ليغـــير موقفـــه، وقـــد قـــال الخبير: لسوء الحظ لا يتلقى الشعب دائماً مثل هذه المعرفة.

ولاحـــظ آخرون أن الفرد حينما يوفق بين بضعة آراء معينة يكون ذلك نتيجة رغبته في التوافق والموافقة، وبسبب أناس آخرين يرون هذه الآراء.

وقـــال خبير آخر بأن هناك أسلوباً آخر لتغيير الاتجاه، وهو ما يعرف بأسلوب الثواب والعقاب، فنحن مثلاً لا نتقبل الآراء فقط، ولكننا نغيرها أيضاً بما يناســـب الشـــعب أو الجماعة التي نعيش معها، فإذا نال فرد استحسان الجماعة بتغيـــير رأيـــه فقـــد تتولد لدية الرغبة في دراسة التغيير، حتى ولو لم يكن هو شخصياً مقتنعاً بالحجة إليه.

وهـــذا عكس المبدأ الأول، ففي الأول يضطر الفرد إلى تغيير رأيه على حساب عدم رضا الجماعة بسبب الأسس المنطقية والمعقولة، وأما الثاني فالرأي الـــزائف لأحـــد الأفـــراد يتغـــير إلـــى رأي حقيقي يتفق مع التطابق والموافقة والاستحسان العام.

واقـــترح البعض أسلوب التنفيس عن النفس كوسيلة لتغيير الرأي العام فالمنافســـة الحرة بين أعضاء إحدى الجماعات تساعد على إخراج كل المشاعر

المكبوتة أو الكامنة، ويتبع ذلك خلق جو ملائم لتغيير الرأي العام، إذ أن مشاعر الذنـــب والعداء والتوتر تختفي كلها في الحرية التي تتولد عن الاختلاط العقلي (وهذه الفكرة التي تكمن خلف مائدة المؤتمر) فليس شكل المائدة هو المهم، ولكن الحـــوار والتفـــتح الذهني للمشتركين هو الذي يساعد على سير المناقشات: هذه المناقشـــات مـــن شأنها مساعدة الفرد المشترك على أن يعبر عن نفسه، وبذلك يوضح عن نواحي الصراع الداخلي.

إن هذا التوضيح يؤدي إلى إدراك أسلم، وهذا بدوره يمكنه من استغلال ذكائه بصورة أكثر فعالية.....

الباب العاشر

- دور الإعلام في الارتقاء بالرأي العام ص٣٣٥

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الباب العاشر

دور الإعلام في الارتقاء بالرأي العام

لا شك أن ثورة التطور الهائل والمذهل التي اعترت العالم في السنوات الأخـــيرة قد أدت إلى وصول الإعلام بمضامينه المختلفة الأشكال إلى كل مكان فـــي العـــالم، ولـــم يعد الإعلام حكراً على طبقة من الناس، كما لم يعد محدوداً بأماكـــن معينة، وأيضاً لم يعد ملكاً للمثقفين أو المتعلمين، فقد حطمت الموجات القصيرة والأقمار الصناعية ذلك، وأدت إلى وصول الإعلام من وإلى كل مكان.

وفـــي كل لحظة من لحظات الليل والنهار، حتى صار التدفق الإعلامي الحر في ذاته مشكلة من مشكلات بعض الدول.

وتعرضت لها كثير من الأبحاث والدراسات في مختلف دول العالم.

وأدى هذا التقدم الهائل في وسائل الإعلام إلى وجود أو استحداث أعداد كبـــيرة مـــن المستغلين للإعلام الجماهيري، هؤلاء أصبحوا يتعرضون لوسائل الإعـــلام، وبالتالي أصبحوا من المهتمين بالقضايا المثارة سواء كانت محلية أو إقليمية أو عالمية ومن هنا بدأ الاهتمام يسري بين جماهير جديدة لم تكن من قبل تهتم بمثل هذه القضايا.

فحينما بدأ استخدام المطابع في الصحافة، وأدى هذا إلى وجود جماهير تقرأ الصحف وتهتم بالقضايا، هذه الجماهير مع كونها جديدة، إلا أنها كانت محدودة أو قليلة العدد، وفي مصر على سبيل المثال حينما بدأت الصحافة فيها كان الذين يقرؤون الصحف هم طبقات الأمراء وكبار موظفي الدواوين، أما صغار الموظفين أو عامة الناس فلم يكن هذا من حقهم ولم يكونوا بدورهم يشعرون أن شيئاً ينقصهم.

وحيـنما بـدأ الـراديو كان مرتفع الثمن، وكانت تفرض الضرائب أو الرسوم على أجهزة الاستقبال، كما أن طاقة تشغليه كانت صعبة، بالإضافة إلى ضخامة حجمه، وكانت كل هذه العوامل قد جعلت من المستمعين قلة، وإن كانوا مـع ذلك أيضاً أكثر كثيراً من قراء الصحف، وحطم اختراع الترانزستور هذه القـيود، فأصـبح الراديو رخيص الثمن، صغير الحجم، سهل التشغيل من حيث الطاقة، فأدى هذا إلى إضافة ملايين من المستمعين أصبحوا بالتالي من المهتمين بالقضايا المثارة.

وكـان قـبل ذلك اختراع الموجات القصيرة الذي نقل الراديو من عالم الإذاعـة المحلية إلى عالم الإذاعة الدولية، وكان هذا كفيلاً بتداول الآراء حول القضايا العالمية، وإثارة ما سمي بعد ذلك بالرأي العام العالمي.

وأدى ظهـور الـتلفزيون ومـا آل إليه من استخدام الأقمار الصناعية والألوان ونحوها إلى وجود طوائف جديدة من الجمهور المستقبل لوسائل الإعلام الجماهـيرية، وكما ذكرنا من قبل لم يتأثر جمهور الصحافة بالراديو من حيث النقصان بل إنه ازداد، كما لم يتأثر جمهور الراديو بالتلفزيون.

وأصـبحت وسـائل الإعلام الجماهيرية أمراً واقعياً، وأصبح الجمهور متعوداً عليها كشيء أساسي في حياته، لا يمكنه الاستغناء عنه.

وإذا كانت وسائل الإعلام تقوم بدور المناقشة، وهي أكبر وأبرز صور تكويـن الرأي العام كما ذكرنا من قبل، أو بالأحرى أنها إحدى حلقات المناقشة الهامـة لتكويـن الرأي العام، حيث تنقل آراء الصفوة، وتمد المستمع والمشاهد والقـارئ بالجديد من الأخبار إلى جانب التحليلات والتعليقات والتفسيرات لكثير مـن الأشـياء التـي تغمض عليه، فهي تفتح أذهان الجماهير وهي تنقل إليهم الخـبرات والتراث، والمعلومات، وبالتالي فإنها تفيدهم في تقليب وجهات النظر

ومناقشـــة الموضـــوعات، ممـــا يســـاعد بصورة فعالة على تكوين **الرأي العام** الصحيح.

وبذلك فالإعلام لا يفيد فقط في تكوين أو توجيه الرأي العام، وإنما أيضاً فـــي إيجاد طوائف جديدة من الجماهير، تستمع أو تتعرض لوسائل الإعلام عن طـــريق برامجها وأشكالها الجذابة، وبالتالي تبدأ شيئاً فشيئاً في الاهتمام بالقضايا ثـــم مناقشـــتها، ثم تكوين الرأي العام حولها، فهي بذلك أيضاً تساعد على إيجاد طوائف جديدة من المهتمين بالرأي العام، مما يجعله رأياً عاماً سليماً، لأنه يمثل أكبر قدر من أفراد المجتمع.

وتـــرجع أهمية الإعلام في جذب طبقات جديدة من أفراد، وضمهم إلى المكونيـــن للرأي العام، في أنها تعطي الجمهور المضمون الذي يحتاج إليه، مع مـــا فـــيه من أشياء ربما لا تكون مفضلة، في صورة ما يحبه من شكل جذاب، وإخراج مقبول، بل محبوب يلفت النظر، ويجعل القارئ أو المستقبل بصفة عامة مهتماً بوسائل الإعلام.

وفـــي هـــذا يقـــول إدوارد واكين: (إن الصحف تتوزع بين الرغبة في إعطاء القراء ما يريدونه، وبين إعطائهم ما يحتاجون إليه، وبعبارة أخرى هناك قوة جذب خاصة بالاهتمامات الإنسانية، وقوة دفع خاصة بعنصر الأهمية، وكل صـــحيفة من الصحف تميل عادة إلى اتخاذ واحد من هذين الاتجاهين والتركيز عليه أكثر من الاتجاه الآخر).

وممـــا يؤكد تأثير الإعلام على الرأي العام ولو بالأفكار السيئة، ما ورد علـــى لســـان جواهر لال نهرو، الزعيم الهندي الأسبق من أن شركات الأسلحة قاومـــت فكـــرة نزع السلاح بالصحافة، وذكر أن إحدى لجان عصبة الأمم التي انتدبـــت خصيصـــاً للتحقيق في مسألة المصانع الخاصة بالأسلحة أكدت أن هذه الشركات اشترت الصحف للتأثير في الرأي العام بما يخدم مصالحها.

والإعـــلام له دور فـــي الارتقاء بالرأي العام ،عن طريق تنفيذ أهدافه ووظائفـــه بصورة دقيقة وصادقة وموضوعية تخدم المجتمع بالفعل، وهذا يؤدي إلـــى محاولة تحقيق الكسب المعنوي أكثر من المادي، وبذلك يمكن للإعلام أن يرفع طبقة الرأي العام المنقاد من كونها طبقة منقادة على طبقة المستنيرين، كما يـــرفع طـــبقة المستنيرين إلى طبقات الصفوة ولو بدرجة من درجاتها، وأيضاً يجعـــل طبقة الصفوة أكثر احتكاكاً بالمجتمع للتعرف على آرائه ووجهات نظره فلا يعيشون في أبراج عاجية، حتى يعكسوا من خلال أفكارهم وآرائهم وكتاباتهم آمال وآلام الجماهير، في ذات الوقت الذي يروج فيه أفكار الصفوة وينشرها بين أفراد المجتمع.

ذلك أن الإعلام والسياسات الإعلامية إذا ظلت بمعزل عن واقع المجتمع فإن كل طبقة من طبقات المجتمع تزداد بعداً عن الأخرى، بل تزداد سوءاً، حيث أن طبقة الرأي العام المستنير ينحدر مستواها إلى ذوق الطبقة المنقادة وهكذا..

لكـــن الواضـــح الأمـــثل أن تؤدي وسائل الإعلام عن طريق السياسات الإعلامية السليمة إلى رفع ذوق كل طبقة لترتفع إلى الطبقة الأعلى وهكذا.

فالـــرأي العـــام المـــنقاد علـــى سبيل المثال يفضل الإثارة، ولو ظلت السياســـات الإعلامية بقصد أو دون قصد تعطى صحف الإثارة، وإعلام الإثارة فهذا يؤدي إلى أن الجمهور مستمر في الانحدار، والذوق الفاسد وهكذا...

وقـــد حصر الدكتور مختار التهامي مهمة الصحافة إزاء الرأي العام في أنها يجب أن تطلعه على الأمور الهامة التي تمس حياة الجماهير، وتفتح المجال لمناقشـــتها مناقشـــة واعـــية، شاملة لاستجلاء كافة أوجه النظر وتوسيع جميع جوانـــبها بعيداً عن سيطرة عوامل الإثارة الرخيصة، وذلك مع تفسير للأحداث ومـــراعاة التبسيط في شرح المسائل الهامة، بحيث يمكن إيصال جوهر الأمور إلى الجماهير الشعبية القليلة الحظ من الثقافة.

وأيضـــاً يجـــب أن تقوم الصحافة إزاء الرأي العام بمهمة رفع مستواه فكرياً، وثقافياً وفنياً، وتخليص عقول الجماهير من الأوهام والخزعبلات والأفكار والعـــادات الســـيئة الشائعة، إلى جانب الاهتمام بمتابعة قضايا الشعوب المختلفة ونبذ الدعوة للحرب و محاربة الاستعمار والاستغلال.

وبذلـــك يمكن للسياسات الإعلامية إذا ما أحسن استغلالها، وتم توجيهها توجـــيهاً حسناً أن ترتقي بالرأي العام، وتجعل الجماهير قادرة على التفكير في القضـــايا الهامة، سواء كانت عالمية، أو إقليمية أو قومية، كما أنه يجعل الرأي العـــام يهتم بالأشياء النافعة المفيدة، بدلاً من الاهتمام بالإثارة والجنس والفضائح والجرائم، وقطع الأوقات والجهد في السهر أمام شاشات التليفزيون فيما لا يفيد مما يجعل التأثير السيئ مزدوجاً، فهو سيء لأنه تفكير وإشغال بما لا يفيد، وهو قتل للأوقات، وهو تعميق للجهل، وبالتالي تأثير على الإنتاج، لأنه تضييع للوقت والجهد، وتفريق للآراء، وإهمال لمصالح وشؤون وقضايا الصالح العام.

من هذا كله يتضح لنا أن الرأي العام والإعلام وجهان لعملة واحدة وأن العلاقة بينهما متشابكة ومتداخلة، ولا يمكن فصلهما أو التقليل من قيمة إحداهما علـــى الأخرى، كما لا يمكن النظر إلى وظيفة الإعلام في المجتمع دون مراعاة الرأي العام واتجاهاته، فالرأي العام يستنير بالإعلام، وهو حساس له ولما يثيره من قضايا في المجتمع.

وبذلك نجد أن دراسة الرأي العام من وجهة نظر أو اهتمام المرسل في العملـــية الإعلامـــية، لا تقل أهمية عن دراسة الرأي العام من ناحية التأثير، أو تأثير الإرسال أو الرسالة ذاتها على الجمهور كما يحدث دائماً، فدراسات الرأي العـــام كلها تنصب دائماً في قياس الرأي العام، ومعرفة تأثير الرسالة الإعلامية عن طريق معرفة اتجاهات واهتمامات الرأي العام، أما دراسته من حيث اهتمام المرســـل ذاتـــه به، وتأثيره عليه، ومدى توجيهه له وأهميته في رسم أو تحديد

شـــكل العملية الإعلامية لكل وسائل الإعلام المختلفة والمتنوعة من حيث الشكل والمضمون معاً، فهذا ما حاولناه في هذه الدراسة.

وبذلـــك آمـــل أن تكون هذه الدراسة قد قدمت إلى المكتبة العربية وإلى قـــراء ودارسي وممارسي الإعلام جديداً حول دراسة من دراسات الرأي العام وعلاقـــته بـــالإعلام، رســـالة ووسيلة، وحول علاقة الرسالة (شكلاً ومضموناً) بالـــرأي العام، وحول علاقة الرسالة بالوسيلة، وكل هذا بالجمهور ورأيه العام الذي هو البداية والنهاية ومحور الارتكاز في العملية الإعلامية كلها.

الجزء الثاني

دراسة الرأي العام وتكوينه في المجتمع العربي تحت تأثير الإعلام الجماهيري

(سورية نموذجًا)

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفهرس

المقدمة.....ص٣٤٥

أ – الرأي العام ظاهرة اجتماعية – سيكولوجية ص٣٤٩

- الخصائص الخاصة للرأي العام.....ص٣٦٢
- العوامل المحددة للدور النامي، وأهمية الرأي العام في حياة المجتمع السوري.....ص٣٧٠

ب – دراسة الرأي العام في المجتمع العربي السوري.....ص٣٨٧

- المطالب المنهجية والأسلوبية.....ص٣٨٩
- الموضوعية عند دراسة العمليات والظواهر الاجتماعية.....ص٣٩١
- الطريقة المسحية (الشمولية) في البحث.....ص٣٩٢
- دراسة العمليات والظواهر في تطورها وتغيرها.....ص٣٩٦
- الطرق المحددة وأشكال دراسة الرأي العام.....ص٣٩٦
- طرق دراسة انعكاس الحقائق الموضوعية في الوعي الجماهيري.....ص٤٠١
- طرق دراسة انعكاس الحقائق المباشرة في الوعي....ص٤١٨
- تنظيم دراسة الرأي العام.....ص٤٢٢
- تحديد وتدقيق موضوعات ومهام البحث.....ص٤٢٤
- الفروض العلمية.....ص٤٢٧
- تحديد موضوع بحث الرأي العام المحدد.....ص٤٣٠
- بعض المقدمات المنهجية.....ص٤٣٣

- جمع الوثائق.....ص٤٣٦
- القيام بالبحث الاجتماعي – السيكولوجي.....ص٤٣٩
- التحليل العلمي وتعميم نتائج البحث ص٤٤٠
- دراسة الرأي العام بواسطة المنظمات الحزبية.....ص٤٤٢

جـ-تكوين الرأي العام في المجتمع العربي السوري.....ص٤٥٩

- الظروف والمقدمات الموضوعية لتكوين الرأي العام..ص٤٥٩
- العامل الذاتي.....ص٤٦٥
- الحـــزب- القـــوة الحاســـمة في تكوين الرأي العام في المجتمع السوري.....ص٤٦٩
- دور الأجهـــزة الحكومـــية والاجتماعـــية والمـــنظمات الشعبية.....ص٤٧٨
- الإعلام السياسي للسكان وتكوين الرأي العام.....ص٤٨٦
- النشاط الفكري – التربوي وتكوين الرأي العام.....ص٤٩٧
- الدعاية الحزبية الشفهية والرأي العام.....ص٥٠١
- التحريض السياسي وتكوين الرأي العام.....ص٥٠٨
- وسائل الإعلام الجماهيري وتكوين الرأي العام.....ص٥١٤
- ميكانيزم ومراحل تكوين الرأي العام.....ص٥٢٤
- بعض المسائل المنهجية للإدارة والقيادة العلمية في تكوين الرأي العام.....ص٥٣٦

- **خاتمة.....ص٥٥٠**
- **المراجع.....ص٥٥٣**

المقدمة :

يجذب الرأي العام منذ زمن طويل انتباه العلماء والسياسيين، وأصبح موضوعاً قائماً للنقاش ومادة للبحث العلمي. وتعود أسباب ذلك لجوهره وخصائصه كظاهرة اجتماعية -سيكولوجية- وتحول دوره المستمر ومكانته وأهميته في التطور الاجتماعي.

وقد تغير عبر عصور كثيرة مختلفة مكان الرأي العام ودوره في حياة المجتمع وذلك وفقاً لطابع وخصائص النظام الاجتماعي وظروف محددة لتطور المجتمع وتناسب القوى الاجتماعية فيه، وقد وجد في المجتمع الإنساني رأيان متبادلان دائماً يعبران عن التناقض والتعارض بين شرائح وطبقات اجتماعية مختلفة؛ في سوريا صراع الآراء لا يحمل طابع تناقضي وبالتدريج تخف حدته بفضل الوعي السائد والانتباه للمصالح الجذرية العامة لكل الشرائح الاجتماعية ونمو الوعي الوطني والقومي لأعضاء المجتمع. ومن هنا تظهر وظيفة الرأي العام في المجتمع السوري في مضمونها التعارضي كظاهرة اجتماعية روحية لاسيما في البناء والتوجه الراهن الجديد وهو يظهر كأحد العوامل الحقيقية لمشاركة الناس في الإدارة وتعميق وتوسيع الديمقراطية، وفي رفع الوعي والنشاط الإبداعي للناس وفي دراسة التجربة السابقة للناس من أجل بناء المجتمع الجديد. وعند قيادة عملية تكوين الرأي العام نلاحظ ارتباط الحزب الحاكم وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية العضوي بالجماهير الواسعة وقد أكدت التجربة التاريخية في الممارسة أهمية: " أن تكون الإدارة صحية فقط عندما تعكس ما يدركه ويعيشه الشعب بشكل صحيح".

وقد أكدت العلوم الاجتماعية المعاصرة على أهمية إعلام الجماهير الشعبية عن الأحداث الهامة والأعمال وضرورة دراسة الآراء حولها لاسيما دراسة الآراء حول التدابير التي تريد الدولة القيام بها وإعلام الشعب عن سياسة

الحزب بالمسائل المطروحة وهذا يرتبط بشكل مباشر بالنشاط الإبداعي للجماهير في النضال من أجل التدابير والبرامج المطروحة. وتعطي الدراسة المنظمة المنتظمة الجذرية للرأي العام من قبل كل الجهات المسؤولة إمكانية التخطيط بشكل صحيح والقيام بالأعمال الحزبية الاجتماعية والاقتصادية والإدارية ورفع دقة فاعليتها ونوعيتها.

وقد تحول في الظروف الراهنة الرأي العام في سورية إلى أحد العوامل والمقدمات المهمة لتطوير الديمقراطية. ومن خلال تحليل مضامين خطاب القسم للدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية يتضح أن الاتجاه الأساسي لتطور النظام السياسي في المجتمع السوري هو التوسع التدريجي المستمر للديمقراطية والمشاركة الواسعة للمواطنين في إدارة قضايا الدولة والمجتمع وتحسين الجهاز الحكومي ، ورفع نشاط المنظمات الاجتماعية وتعزيز الرقابة الشعبية، والأسس الحقوقية للحياة الحكومية والاجتماعية وتوسع الشفافية، والأخذ بالأسباب التي يراها الرأي العام بشكل دائم.

بالطبع هذا التوجه يقدم مهام جديدة توضع أمام الحزب والمنظمات الحكومية والاجتماعية والمجتمع بشكل عام. وبالوقت نفسه إن شرح وإعداد الجوانب النظرية والمنهجية لهذا التوجه يعطي دفعاً جديداً للأحزاب الوطنية التقدمية في سوريا بشكل منتظم لأن تدرس وتكون الرأي العام، الذي يملك أهمية كبيرة في الحياة السياسية المستقبلية.

ويعير الحزب الأن اهتماماً كبيراً في إعداد مسائل منهجية ونظرية موجهة علمياً لدراسة وتكوين الرأي العام وقد نوقش في ندوات كثيرة ومن خلال محاضرات قيمة في المراكز الثقافية في سوريا وضع القوى الاجتماعية ومكانتها في شتى القطاعات. وأشارت إلى أهمية العمل السياسي وإلى ضرورة إعادة الانتباه إلى واقع المنظمات الحزبية ومسائل دراسة وتكوين الرأي العام كما

أشـــارت الـــندوات إلى ضرورة الانتقال من البحوث العفوية في مختلف ميادين الحياة إلى بحوث منظمة بما فيها بحوث عن الرأي العام وإحداث مركز لدراسة الرأي العام في سوريا.

بـــلا شـــك إن التوجه نحو الرأي العام في الأعمال التنظيمية والفكرية والتربوية تساعد على تكوين الإنسان الجديد بملامح اجتماعية مميزة ومسؤولية خاصة للمواطن والمسؤول والموظف في قطاع الدولة.

إن الرأي العام الذي يعد ظاهرة روحية خاصة ليس مرتبطاً فقط بشكل مباشر بالوعي الاجتماعي بشكل عام. وإنما يظهر بشكل محدد كصلة موضوعية بيـــن الناس الواعيين وأعمالهم المحددة وعلاقتهم بالعمليات والظواهر والحقائق التي تحدث وسلوكهم في الحياة.

وقـــد تفحـــص بحثنا هذا بعض المسائل المرتبطة بطابع وجوهر الرأي العام وبقيادة إدارة العمليات لدراسته وتكوينه؛ وقد أعير انتباه خاص لإظهار آلية ومـــراحل وطـــرق تكويـــن الرأي العام وهذا يملك أهمية كبيرة للنشاط العلمي للتنظـــيمات الحزبية والحكومية والاقتصادية والاجتماعية وبشكل خاص لوسائل الإعـــلام الجماهـــيري والدعايـــة. وأخـــذت – مكاناً هاماً في البحث – بعض المقترحات الموجهة للتنظيمات الحزبية لدراسة وتكوين الرأي العام؛ مع ذلك لا يدعـــي الباحث بأنه أنجز البحث بشكل كامل أي سلط الضوء على كل الجوانب الـــنظرية للـــرأي العـــام معترفاً بأن هذا البحث مجرد مقدمة ضرورية لتعزيز وتطوير جهود الاختصاصيين في قطاعات معرفية مختلفة.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

(الرأي العام ظاهرة اجتماعية سيكولوجية)

يعـد الرأي العام في جوهره وطابعه مظهراً خاصاً من مظاهر الحياة الروحـية للمجـتمع؛ ويتكون في ظروف مادية اجتماعية محددة، ونصطدم في حياتـنا اليومـية في معظم الأحيان بمفاهيم متعددة " كالرأي العام " و " الرأي الجماعـي والفـردي " .....الخ. وتعد كلها موضوعات للنقاش والدراسات العلمية الميدانية والمسحية والتجريبية.

ويعمـل علـى دراسـة الـرأي العام وتكوينه كل من الراديو والتلفاز والصحافة، والمنظمات الحزبية، والاجتماعية ومؤسسات ذات طابع خاص؛ ويعد فـي الأعوام الأخيرة موضوعاً لعدد كبير من البحوث العلمية في العالم العربي وكذلك في الدول الأجنبية.

وتهتم العلوم السوسيولوجية في البلدان الغربية منذ القديم بدراسة المسائل الـنظرية والتصـنيفية العامـة للرأي العام. وتأخذ هذه البحوث طابع الحيوية والأهمـية والـتوجه الهـادف والتنوع وهذا يفسر أنه من غير الممكن في هذه الظـروف تجـاهل الـرأي العام وعلاقة ملايين الناس بما يحدث من عمليات وحقـائق وظواهـر؛ لذلك مجبرة السوسيولوجية الغربية أن تعير انتباهاً كبيراً (بالطبع وفقاً لمصالحها) لشرح إعداد مسائل عامة محددة في البلدان الغربية التي مازالـت كثـير من دراساتها تحتاج إلى تحليل علمي دقيق وتفسيرات أكاديمية رزيـنة. وهـذا يـدل وقبل كل شيء على أن أغلبية النظريات السوسيولوجية الغربـية في كثير من حالاتها تتميز بالضعف الأكاديمي والتحليل العلمي الدقيق والإصطفائية- التوليفية؛ ويحددون الرأي العام في معظم الحالات " كردود فعل داخلية متنوعة للناس " و "كتقويم ذاتي " و " كعاطفة " و " هلوسة " غير متبلورة ..... الـخ ولكـن كـيف يمكن التغيير في ظل هذه التحديدات ذات المعاني

المتباينة أو العابرة فهي بجوهرها تغير متطابق أي في جذورها تحديدات متناقضة عادة هي موجهة إلى شرح طابع الرأي العام وجوهره وإنما لبعض جوانبه وحالاته مع ذلك نلاحظ تضخيماً ميتوفيزيقياً وإطلاقاً لأهميتها وخصائصها؛ كل هذا اشترط نظريات غربية متنوعة وتفسيرات غير علمية لجوهر الرأي العام.

بالطبع تملك بعض الجوانب والنواحي لكل ظاهرة محددة وعملية أهمية من أجل شرح طابعها إلاّ أن كل واحدة منهن تدرس بمفردها وهذا يعطي تصور غير صادق عن هذه الظاهرة أو طابع هذه العملية؛ وكما هو معروف اختفاء الطريقة العلمية والأسس المنهجية العامة يحكم على النظرية بالضياع أو التوهان والاصطفائية التوليفة واللاعلمية في مقاييسها. ويتميز المنهج العلمي في جذوره في تفسير طابع وجوهر وخصائص العمليات والظواهر عن كثير من مناهج النظريات الغربية وتعد الطريقة المادية الديالكتيكية بالنسبة له أحد الطرق المناسبة اللائقة والمحددة في شرح وتفسير التكوينات الروحية المعقدة ومنها الرأي العام. وتفسر بجوهرها إن أية عملية روحية وظاهرة ترتبط وتشترط (مجموعة ظروف مادية تاريخية محددة).

لذلك من أجل كشف جوهر الظاهرة وخصائصها الخاصة علينا أن نتفحصها بدقة وشمولية في وحدتها الديالكتيكية وتنوعها.

وهذا ما أكد عليه مجموعة من الباحثين الجادين العرب والأجانب حين أكدوا أنه :" عند دراسة العمليات الاجتماعية والظواهر من الضروري أخذ الحقائق بمجملها وليس بعض منها الحقائق التي تتعلق بالمسألة المطروقة بدون استثناء.وقد أكدت التجارب التاريخية أن أي طريقة أخرى بصورة حتمية يمكن أن تقود إلى نتائج غير علمية وعدم الدقة والسطحية وإلى اتجاه وحيد الجانب عند شرح جوهر وخصائص المادة المبحوثة أو العلمية وبالتالي كل محاولة

لدراسة الرأي العام بشكل معزول عن "الشمولية" ويحمل الحقائق (يعد ميزة لأغلبية السوسيولوجيين الغربيين) وهذا يقود العملية البحثية كلها إلى عدم الفائدة (بدون ثمار) وإلى الذاتية.

ويمكن إن نتفحص الطريقة المسحية (الشمولية) للبحث من جوانب مختلفة وتملك الأهمية المنهجية في كل حالة تفسيراً دقيقاً للجوانب والحالات الداخلية والمنطقية والبنيوية المرتبطة بشكل عضوي بالمسائل العامة وتكون في العملية البحثية وحدة كاملة وقد نشر في الأعوام الأخيرة في البلدان العربية مجموعة من الأعمال المهمة؛ تسلط الضوء على طابع وجوهر وخصائص الرأي العام كظاهرة اجتماعية سيكولوجية.وتقسم الظواهر وعمليات الحياة الاجتماعية في طابعها إلى مجموعتين أساسيتين – مادية – وروحية.

ينتمي الرأي العام إلى مجال الحياة الروحية للمجتمع وبالتالي هو مرتبط بشكل مباشر بالوعي الاجتماعي.

وتعد أحد العلامات الأساسية لجوهر الرأي العام وخصائصه تحديد مكانة في البنية العامة للوعي الاجتماعي بشكل عام؛ وهي في جوهرها إحدى المسائل المعقدة في النظريات العلمية. ولكن دون شرحها وتفسيرها العلمي الدقيق من غير الممكن كشف جوهر أي ظاهرة روحية وأي ظاهرة اجتماعية محددة.

معروف أن الارتباط بمادة أو طريقة التعبير أو الارتباط بأي جانب من جوانب الوجود الاجتماعي يعكس بنية الوعي الاجتماعي، ويقسمها إلى بنية سياسية وحقوقية وأخلاقية وجمالية ودينية وأشكال فلسفية أخرى ؛ وهنا يظهر السؤال التالي :

بأية أشكال يرتبط (يتعلق) الرأي العام ؟

ووفقاً للطريقة الخاصة في تكوين الرأي العام يربط الكثير من الباحثين الغربيين كالفيلسوف البريطاني د.لوك والماديين الفرنسيين و السوسيولوجيين الغربيين المعاصرين مثل بيكر و"أ" بوسكوف د.ر.لين وآخرون الرأي العام بالسياسة وبأشكال أخلاقية للوعي الاجتماعي؛ وفي الحقيقة يُكون الرأي العام ويعمل في الحياة قبل كل شيء وفقاً للمسائل الأخلاقية والسياسية.

ولكن إذا دخلنا في عمق الواقع وبدقة في محتوى الرأي العام القائم فإننا نجد عدم صحة هذه الرؤى. نأخذ على سبيل المثال قضية الرأي العام والوعي الأخلاقي. يتميز هذا المفهوم بشكل حقيقي وبغض النظر عن كونه يملك الكثير من الجوانب والحالات العامة بتفاوت تشترطه بعض الأسباب والعوامل منها :

أولاً : الخصائص الخاصة في تكوين الأخلاق.

ثانياً : درجة وأشكال انعكاس الواقع الموضوعي.

ثالثاً : طرق العمل ودورها وأهميتها في الحياة.

مثال : يعكس الرأي العام كظاهرة ديناميكية متعددة الجوانب –وبشكل مباشر –التغيرات المحددة التي تحدث في حياة المجتمع، مقارنة مع المعايير الأخلاقية التي تملك استقرار أكثر ثباتاً لأنها معايير معترف بها ليس فقط من قبل أفراد محددين، وإنما من قبل كل الجماعات – والمجموعات – وبشكل أدق من كل أفراد المجتمع.

القضية في أن هذه المعايير والمبادئ تتكون وتثبت وجودها خلال مراحل طويلة جداً من الزمن وتنتقل من جيل إلى جيل، وهنا يقع الرأي العام في صلات حية متعلقة ومشروعة بالحقوق والأشكال الأخرى للوعي الاجتماعي وإذا حللنا رأياً محدداً ومستقلاً يظهر لنا موضوعه المباشر؛ إذ نلاحظ فيه طرقاً متنوعة تشمل الأشكال العملية للوعي الاجتماعي كلها؛ السياسية، والأخلاقية

والحقوقـية ، والجمالية ، والفلسفية ....الخ. عدا ذلك ظهر الرأي العام كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية في أوقات مبكرة ضم مجموعة كاملة من أشكال الوعي الاجتماعي.

مـثال : قبل ظهور الوعي الطبقي، ظهرت في المراحل المبكرة لتطور المجتمع الإنساني الأشكال الحقوقية وأشكال أخرى والآراء الشعبية والرأي العام ....الخ، وقد اعتبرت أساساً وحيداً في معظم الحالات لتنظيم السلوك والعلاقات بين الناس.

لماذا إذن الرأي العام في جوهره متنوع ؟ إن ذلك يرد إلى كونه يعكس تقريـباً كل جوانب الظواهر الاجتماعية من أحداث ، وحقائق، وفقاً لهذا الجانب أو ذاك ، كمظهـر لهذا أو ذاك من أشكال الوعي الاجتماعي، وهكذا عند تكوين الرأي العام وعمله في مجال السياسة تمتلك الأشكال السياسية الوعي الاجتماعي وفي المجال الأخلاقي تمتلك – الشكل الأخلاقي ....وهكذا .

ويمكـن أن يحلل الوعي الاجتماعي وفقاً لدرجة وعمق انعكاس الوجود الاجتماعـي والعلاقات الاجتماعية؛ وعند تحليل الوعي الاجتماعي في الجانب العـام المعـترف به يظهر التباين والتميز بين الوعي العادي (المبتذل) والوعي الـنظري؛ وفي الأعوام الأخيرة في بنية الوعي الاجتماعي وفقاً لدرجة انعكاس الظواهـر والعملـيات يبرز مجموعة من الباحثين مستوى آخر هو المستوى – الاجتماعي – السيكولوجي كأول مستوٍ عاطفي.ويعد في جوهره جانباً عاطفياً في عكـس الواقـع ، أي المستوى الأول المستقل المحدد كجزء من أجزاء الوعي العـادي (المبتذل) هذه الطريقة تعطي إمكانية كشف بعض الخصائص الخاصة للرأي في عملية تكوينه.

إن تحديـد المسـتويات الثلاثة للوعي الاجتماعي بشكل نسبي كما هو معـروف فـي الواقع لا يلغي ترابطها؛ ومعروف أن أحد مصادر العلوم كانت

وستبقى التجارب الحياتية اليومية للناس، والتي تعد نتيجة لعملهم ومراقبتهم ومعارفهم التجريبية . وتحوي التجارب الإنسانية والمعارف، وكذلك العادات والتقاليد في نفسها تعميمات حياتية عميقة ومعلومات تنتقل من جيل إلى جيل وتعد " التقاليد " والمعارف ، المنتقلة من الأهل إلى الأبناء، المعلم – لكونها المصادر المباشرة للعلوم. ويرى مجموعة من الباحثين، إنه عند الأخذ بعين الاعتبار خصائص الرأي العام ، وصلاته المشروطة بالمصالح والاهتمامات وديناميكيته وطابعه المحدد يتكون ويعمل على أسس الوعي العادي (المبتذل). في الحقيقة يرتبط الرأي العام بمسائل وأسئلة محددة وهو يولد في أغلب الحالات على أسس الفهم المباشر والانطباعات وفقاً للموضوع والذاتية، لكن في عملية تكوينه ، وعمله ، يمكن إن يكون على مستوى الوعي العادي (المبتذل) ، مع ذلك يضم عناصر محددة تنمو وتتطور لتصل إلى مستوى الوعي النظري.

مثال : عند إدخال آلية اقتصادية جديدة وطريقة اقتصادية متطورة في مؤسسات سورية معينة ، وفي قطاعات محددة ، يتشكل الرأي العام كما هو معروف على أسس الانطباع الأول والمقارنة والنتائج، فالمعلومات الإضافية والتواصل وتلقي نتائج أكثر استقراراً وفائدة ، قادت إلى توسع وإثراء الرأي المكون، لقد دخلت جوانب جديدة ارتبطت بالتحليل الأكثر عمقاً لجوهر وطابع الآلية الاقتصادية الجديدة؛ وهذا يعني أن الرأي العام، أخذ يتكون ويعمل على أسس الوعي النظري. ماعدا ذلك ، معروف،أن الرأي العام يتكون ليس فقط على أسس المسائل والأسئلة المرتبطة بالحالات الحياتية المحددة للناس وظروف العمل ، والمسائل غير الممولة، وخرق المعايير الأخلاقية للمجتمع السوري الحديث؛ ولدرجة ليست أقل ، هو يصاغ مع أسس مسائل وأسئلة تملك طابعاً عاماً ، كانتشار المعلوماتية وتطبيقاتها في شتى مجالات الحياة والنضال من أجل السلام العادل الشامل ، والأحداث في منطقة الشرق الأوسط ، وأحداث

أخـــرى أكثر تعقداً تتطلب معلومات تحليلية مقارنة .... الخ. لا يوجد شك ،إن مـــثل هذا الرأي لا يمكن أن يتكون ويعمل على أسس الوعي العادي (المبذول) فقـــط؛ مـــن الضروري معرفة المستوى الأكثر عمقاً من أجل تكوين رأي عام صحيح.

إذن ، لمـــاذا الـــرأي العام من غير الممكن ربطه بشكل كامل بمستوىً واحـــد من مستويات الوعي الاجتماعي ووفقاً لموضوعه وذاتيته يمكن أن يظهر أحد المستويات،وبشكل عام هو مرتبط بكل مستويات الوعي الاجتماعي.

ومعـــروف أيضـــاً أنه وفقاً للانتشار، أي وفقاً لذاتية الوعي الاجتماعي ينقسم إلى وعي متخصص ووعي جماهيري. ويعد الوعي المتخصص بجوهره وعـــياً لـــيس منتشراً لدى كل أعضاء المجتمع ، ولكن عند بعض أفراده وفئاته. فقط وفقاً لظروف تاريخية محددة يمكن العثور على انتشار يعم الجماهير كافة. إن الوعـــي الجماهيري واسع ومنتشر لدى جماعات اجتماعية كبيرة، وهو يعد تكويناً روحياً متنوعاً، تدعمه وتتلاقاه الجماهير، ومجموعات مختلفة من المجتمع

ويقـــود أحـــياناً بمـــثابة الطـــابع الظاهـــر والخصائص لحامل الوعي الجماهـــيري فقـــط للتلقـــي الشعوري إلى درجة الانعكاس والتساوي مع الوعي العـــادي (المبـــتذل). فـــي الواقـــع ينعكس في الوعي الجماهيري عدة جوانب للسيكولوجيا الاجتماعية والوعي العادي (المبتذل) ، وفي مجموعة هذه الحالات تتحدد خصوصيته. ما عدا ذلك مصطلح (الوعي الجماهيري) غالباً ما يفهم من خلال بعض الجوانب العملية البسيطة ، أي وكأن الجماهير لا تملك الفهم العميق وإنما تملك الجانب العاطفي فقط .

إن الوعي الجماهيري بطابعه وخصائصه لا يمكن إن يتساوى فقط مع الوعي العادي المبتذل، ولكن أيضاً مع الوعي النظري وفي النشاط العملي للناس

لـــيس دائما يمكن العثور في المظهر الخارجي للوعي الجماهيري على محتواه الحقيقي وخصائصه.

وعـــند تحليل الوعي الجماهيري من الضروري كشف كل ما يدخل فيه عضـــوياً (بالطـــبع ، لدرجات مختلفة الوعي العادي "المبتذل") والوعي النظري وعناصر مختلفة من السيكولوجيا الاجتماعية – الأيديولوجيا..الخ.

إن مفهـــوم الوعي الجماهيري أوسع من مفهوم الوعي الاجتماعي ، فيه تدخـــل عناصر الوعي الاجتماعي في كل مرحلة محددة من مراحل تطوره أي تدخـــل عناصر تكتسبها الجماهير الواسعة لم تتحول بعد إلى قناعة وعلاقة بهذه أو تلك من الظواهر والحقائق.

لذلك أشار الكثير من الباحثين إلى أن الثقافة والمفاهيم النظرية يمكن أن تصـــبح قـــوة مادية إذا مارستها الجماهير. إن الرأي العام كظاهرة اجتماعية – ســـيكولوجية لا يرتبط دائماً بشخصيات محددة أو مجموعة إنسانية ، ولكن مع الجماهـــير؛ وبالتالي يرتبط الرأي العام قبل كل شيء بالوعي الجماهيري، ويعد أحد الأشكال لظهوره.

إن الخصـــائص الخاصـــة للوعي الاجتماعي بشكل عام هي ليست فقط بقدرتها على عكس الوجود الاجتماعي ،ولكن بشكل محدد التأثير على تغيراته، وعـــند تحليل الوعي الاجتماعي من الجانب السيكولوجي نكتشف طابعه الحقيقي الذي ينعكس في أوضاعه وتسمح الطريقة التاريخية المحددة عند تفحص الوعي الاجتماعي من منظور سيكولوجي بإقرار؛ إن التأثير المباشر على نشاط الناس يـــبديه لـــيس العمـــل السياســـي ، والحقوقي والأخلاقي وأفكار ورؤى أخرى، وتصـــورات ومشاعر خاصة، وإنما شموليته وتماسكه ، أي التكوين الذي يظهر نتيجة للعمل المتبادل والمتداخل لأفكار ورؤى وتصورات ومشاعر مختلفة. هذا التشكيل يمثل أوضاع وحالات الوعي.

وبهـذا ، يمكن كشف المفهوم الأفضل للدور النشط للوعي الاجتماعي، والسـلوك، وفعل بعض الأفراد والطبقات والجماهير في المجتمع، وفي حالات محددة. وبمساعدة أوضاع الوعي الاجتماعي من الممكن بشكل افضل شرح آلية وفعـل التكوين الروحي، أي تكوين الرأي العام الذي يمثل علاقة وتقويم ردود فعل محددة لحامله والمعبر عنه، على العمليات الجارية والأوضاع المحددة، إن أوضـاع الوعي الاجتماعي علينا أن نتفحصها دائماً في وحدة عضوية للجوانب الأيديولوجـية والاجتماعية – السيكولوجية والوعي النظري والعادي (المبتذل). وهـي تـربط بطرق متنوعة عملية انعكاس الحقائق والمسائل الجارية بالنشاط العملـي للناس الموجه إلى تغيير الواقع وتطويره، ويرتبط الرأي العام بأوضاع الوعـي الاجتماعـي لأنه يحوي ليس ببساطة تقويماً ، ولكن دائماً شكلاً محدداً لنشاط الناس.

وحتى في ظروف الاختفاء "السرية "، والكمون؛ الرأي العام الذي ينظر إلـيه فـي أغلبية الحالات كتعبير عن علاقة سلبية، يوجد فيه حقيقة موضوعية تنعكس بضعف أو بقوة وفقاً للظروف المحددة.

ولا يسـتطيع أن يوجد رأي عام محدد ، لا يرتبط بعنصر لعلاقة محددة بحقـائق وظواهر وعمليات ،أو بتقويم. من هنا تكون أهميته الاجتماعية وقوته كظاهرة اجتماعية –سيكولوجية.

ومـن أجـل كشـف جوهر وخصائص الرأي العام وشروطه وصلاته بالوعـي لا يكفـي فقـط تفحـص أشكال ودرجات وطرق انعكاسه، وإنما من الضروري معرفة أوضاع الوعي الاجتماعي.

وهكذا ، الرأي العام مرتبط بشكل مباشر بالوعي الاجتماعي، ووفقاً لذلك يحدده بعض الباحثين بشكل متنوع كمظهر خاص من مظاهر الوعي الاجتماعي

مع اختفاء الحدود الداخلية. بالطبع هذا لا يعني إن الرأي العام غير محدد. على العكس هنا يشار قبل كل شيء إلى تعقيده وتنوعه كظاهرة اجتماعية.

تبرز الدراسات السوسيولوجية المعاصرة بعض الرؤى، الداعمة ونحن نؤيدهـا. ووفقاً لهذه الرؤى، يعد الرأي العام ظاهرة معقدة متنوعة اجتماعية – سيكولوجية تبرز كمظهر خاص من مظاهر الوعي الاجتماعي بشكل عام وبدقة أكـثر وضعاً من أوضاع الوعي الجماهيري، لذلك هو بمثابة مظهر خاص من مظاهر الوعي الاجتماعي ، وبدقة أكثر، وضعاً من أوضاع الوعي الجماهيري ومـن هنا يتبين إن الرأي العام يضم في ذاته جوانب وعناصر وحالات الوعي الاجتماعـي والجماهـيري كلهـا؛ وفـي الدراسات المنتشرة مصاعب الوعي الاجتماعـي والجماهيري بشكل محدد ودرجات في الرأي العام كتكوين روحي مرتبطة بظروف وجوده وحقيقته الاجتماعية والاقتصادية وبعوامل أخرى، وهذا يحدد طابعه الطبقي لأن ذاتيته تدخل بنظام محدد من العلاقات الاجتماعية، وتعد ممـثلة للطبقة المعطاة. لذلك جذور الرأي العام من الضروري البحث عنها في الأوسـاط الاجتماعـية، وفي نهاية الأمر في العلاقات الاقتصادية، وقد أشارت الكثـير مـن الدراسـات إلى أن الأفكار الطبقية المسيطرة في أي عصر كانت الأفكـار المسيطرة، وهذا يعني أن الطبقة التي تملك القوة المادية المسيطرة في المجتمع ، هي في نفس الوقت القوة الروحية المسيطرة.

فـي المجتمع الإنساني المعاصر (القوة الروحية) هذه تحدد طابع الرأي العام المسيطر ومحتواه واتجاهاته وآلية التحكم به؛ ففي المجتمع السوري يرتبط الـرأي العـام لدرجة كبيرة بخطط ومصالح، ونشاط الدولة والشعب، ويعكس الأهمية الاجتماعية للمسائل المطروحة للنقاش في الوقت الراهن.

فـي ظروف سورية الراهنة أخذ الرأي الشخصي والجماعي يلقى آذاناً صـاغية مـن قبل المسؤولين، وأخذ الناس يدلون بأحكامهم بحرية بكل المسائل

التـــي تقلقهم، مع ذلك نلاحظ أن الرأي العام ليس بعيداً عن الطروحات الجديدة للدولـــة ،وإن كـــان هـــناك بعض التباين والمواقف من مسائل محددة، فإن هذا البعض أخذ يمثل تكويناً روحياً جديداً.

ويعتـــبر غالباً في الحياة اليومية أن الرأي العام الجماعي والجماعاتي هـــو الـــرأي العام، وعند نقص هذه المسألة من الضروري الأخذ بعين الاعتبار الصـــلات المتبادلة الديالكتيكية، والارتباط المتبادل بين الوحيد والخاص والعام، ويرتبط الرأي العام في مراحل مختلفة من تكوينه بالرأي الشخصي والجماعاتي والمجموعاتي، الذي يشكل كل واحد منهن جانباً مضافاً إلى محتوى الرأي العام المبين وخصائص حامله والمعبر عنه، والتعاضد والتوحيد في عملية النقاش... .إلى آخره. بالطبع ، يمكن في هذه العملية الكاملة أن يكون تداخلاً لهذا الجانب أو ذاك لـــلآراء المختلفة، وبالتالي يدور الحديث عن تكوين جديد يملك محتوى آخـــر وطـــابع آخـــر وخصـــائص تـــتمايز عـــن الرأي الفردي أو الجماعي أوالمجموعاتـــي. ويمكـــن في حالات محددة جماعية أن ينمو الرأي وفقاً لذاتيته وموضوعه، وأن يرتقي إلى رأي اجتماعي عام.

مـــثال : إذ تكـــون فـــي مؤسسة ما عند بعض الجماعات القاعدية رأي بخصـــوص خروقات محددة لنظام العمل، أو خلل في تنظيمه، ينمو ويرتقي هذا حتى يكون رأي عام سلبي، وهذا يمكن أن يحدث إذا تناوله الرأي المعطى، وإذا تطـــرق لمسائل تقلق العاملين في المؤسسة، ويؤدي ذلك إلى تكون معايير عامة ومبادئ للسلوك الاجتماعي غير صحيحة. وفي نفس الوقت يوجد آراء جماعاتيه أو جماعـــية أو آراء منطقة سكانية محددة تصاغ على أسس مصالح الجماعة أو المـــنطقة، ورغـــم إنهـــا تملك بشكل عام طابع صحيح ألا إنه من غير الممكن الاعـــتراف بهـــا بأنها رأي عام، ماعدا ذلك معروفة أحداث كثيرة عندما يتكون آراء محـــددة لهـــذه المجموعـــة أو تلك من الناس أو المناطق تناقض مصالح

المجتمع إن مثل هذا الرأي يمكن إن يكون جماعي ، إلا أنه ليس رأياً عاماً، في الحياة اليومية غالباً يحصل تكوين رأي محدد في مؤسسة أو منطقة سكانية بخصوص المعايير والمقاييس المطروحة لبناء مؤسسات حيوية واجتماعية أو بمسائل أخرى تتجاوب مع المصالح الذاتية، ويمكن لهذه الآراء أن تصبح جماعية أو في إطار منطقة سكانية محددة، ولكنها ليست آراء عامة فالحديث يدور ليس عن أن هذا الرأي صحيح أو غير صحيح، وإنما عن جوهر وطابع الرأي المكون العامل، وهذا بالطبع ليس الرأي العام ذاته.

ونلاحظ بغض النظر عن ذلك في الممارسة حالات عندما تكون نتائج المقدمات الذاتية والموضوعية المحددة للآراء الجماعاتيه أو الجماعية قوة مؤثرة تأثيراً موضوعياً وواقعياً وأفقياً أكثر من الرأي العام القائم. في هذه الحالة تعد هذه الآراء آراء متنوعة سريعة متباينة حادة في نقاشاتها و أحكامها، وفي النهاية يمكن أن تكون بداية لتكوين رأي عام جديد يعكس بشكل صحيح المصالح العامة في ظروف محددة، وهكذا لا يمكن أن يعد الرأي الجماعي أو رأي سكان منطقة محددة من الناس بالمعنى الكامل رأياً عاماً، لذلك يتم الحديث في الجانب النظري – المنهجي بشكل صحيح عن "الرأي الجماعاتي" و "الرأي الجماعي"أو رأي سكان منطقة محددة، وهذا بدوره لا يقلل من أهمية القوى الاجتماعية في الحياة اليومية، ولكن على العكس يرتدي و يتلبس خصائصها.

إن حسبان هذه الجوانب يملك أهمية كبيرة للأعمال العملية لتكوين ودراسة الرأي العام ولرفع فاعلية النشاط الاجتماعي للناس ونوعية النشاط المؤسساتي والحكومي والاجتماعي الفعال.

ويلعب دوراً كبيراً في عملية تكوين الرأي العام ودراسة تفسير الصلات المتبادلة للرأي العام والتكوينات الاجتماعية السيكولوجية كالشائعة والهرطقة والقوالب الاجتماعية الجامدة... الخ. وهذا ضرورة لأنه في المراحل الأولى

لدراسة الرأي العام غالباً لا تتوافر القدرة بشكل كاف وواضح في تحديدها ورؤية التباين والاختلاف فيما بينهما.

إن دمج المواصفات النوعية للتكوينات الاجتماعية – السيكولوجية كالشائعات ، والقلاقل ، والأقاويل ، وغيرها يمكن أن يقود إلى تكوين رأي عام لا يتطابق مع العمليات الموضوعية والمسائل الحقيقية الجارية، فالمظاهر المتنوعة للوعي الجماهيري أو السيكولوجي كما هو معروف مترابطة بالتبادل ومشروطة بالتبادل، لكنها تتميز بطبيعتها ومحتواها وتوجهها وأهدافها وأهميتها الاجتماعية بشكل حقيقي بعضها عن بعض.

مثال : الرأي العام والأمزجة الاجتماعية جوهر ظهور الوعي الجماهيري، وهنا إذا ملك الرأي العام عادةً طابعاً عقلياً متعدد الجوانب، فإن الأمزجة الاجتماعية تملك طابعاً عاطفياً، عدا ذلك يرتبط الرأي العام بشكل مباشر بعمليات التفكير والتأمل وينعكس في مواقف محددة يطورون علاقات جماعية أو بين الأفراد، وتعم بالتدريج الجماعة وجماهير واسعة من الناس الذين لم يتكون لديهم بعد رأي ثابت مؤثرة في وعيهم وسلوكهم وعلى علاقات الناس. الرأي العام – هو أحكام جماعية تقويمية وعلاقات، إذا كان مضمون الشائعات والأقاويل يعكس (المصالح السرية) فإن الرأي العام يتميز بالعلنية والتوجه العملي والأهداف الموجهة المحددة، لكن بغض النظر عن اختفاء الصلات المباشرة العضوية بين الرأي العام، والشائعات والقلاقل في تكوينه ودراسته من الضروري دائماً الأخذ بعين الاعتبار خصائصه الخاصة كتكوين روحي، إن إبعاد هذه الجوانب أو تجاهلها يمكن أن ينعكس ليس فقط على تكوين الرأي وإنما أيضاً على الممارسة الحزبية والاجتماعية والسياسية والمؤسساتية، وتؤكد الحياة بشكل دائم إنه إذا لم يتخذ بالوقت المناسب تدابير فعالة فإنه يمكن أن

يظهـر تقويمات غير صحيحة عند الناس، قادرة على التقليل وإضعاف النشاط الإبداعي لذاتيات النشاط نفسه.

الخصائص الخاصة للرأي العام :

يملـك الـرأي العام كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية بعض الخصائص العامة بدون معرفتها من غير الممكن الكشف بعمق عنها وعن آلياتها وأدوارها فـي تبلور وبروز الرأي العام؛ ومن تلك الجوانب جوهره وطابعه! مما تتكون هـذه الخصـائص ؟ كـيف تتعامل بعضها مع بعضها الآخر ؟ في أية صلات متبادلة وارتباط متبادل تقع مع المؤشرات العامة؟.

يـنعكس الرأي العام في أية حالة من حالاته على شكل أحكام جماعية، وتعـد هذه إحدى الخصائص الأساسية، ولكن ليس كل حكم يمكن أن يعتبر رأياً عاماً من أجل تحديد طابع الرأي العام وخصائصه لا تكفي علامة(مؤشر)جماعية واحـدة، فهذه العلاقة ليست في حالة كشف كل التنوعات وتعقيدات الرأي العامة إن مفهوم "الجماعة" هو مفهوم نسبي؛ ويوجد في الممارسة الاجتماعية جماعات يتميز بعضها عن البعض الآخر بالكم، وبعدد الأفراد والشمولية وبالمساحة ... الـخ. مـاعدا ذلك يمكن أن يكون أعضاء الجماعة أشخاص وحتى مجموعات كاملـة وفي نفس الوقت يدخلون في تركيب وبنية جماعات أخرى مثال: فريق عمل إنتاجي في هذه المؤسسة أو تلك يمثل فريق عمل مستقل وهو بنفس الوقت يدخـل فـي التركيب العام لمجموعة العاملين والموظفين بهذه المؤسسة، وهنا يظهـر سـؤال : هل أحكام هذا الفريق يمكن أن تفهم كرأي عام ؟. هذه إحدى المسـائل النقاشـية المعقدة في نظريات الرأي العام، وبشرح جوهر هذا السؤال يتعلق طابع البحث المحدد في تكوين الرأي العام.

كمـا يقـوم فـي مراحل مختلفة لتكوين الرأي العام و إقراره من قبل مجموعات مشاركة نشيطة مختلفة من الناس، فهم يؤثرون به تأثيراً كبيراً، لكن

ليســت كل واحدة من هذه المجموعات أو الجماعات ممكن أن تكون موضوعاً وحــاملاً حقيقــياً للرأي العام بغض النظر عن مساهماتها العامة والخاصة في تكويــنه، وهــنا إلى جانب الصلات الديالكتيكية بين العام والخاص يتوحد العام بشــكل مســتقل وعبر المستقل. يتأكد ليس فقط الخاصة النوعية، ولكن ظهور عملية جديدة من غير الضروري مقارنتها ومساواتها مع الخاص المستقل بدوره ومكانــته، مــا عدا ذلك يتم تفحص "جماعية الناس" وفقاً للتباين والتفاوت وفي مجموعــة حــالات من خلال تناقض المصالح والتركيب والعلامات والقدرات العملية مع الطابع والجوهر وخصائص الرأي العام، وتملك أحكام هذه الجماعة كمــا هــو معروف محتوىً نسبياً، لذلك يعد رأيها رأياً جماعاتياً أو جماعياً أو مكانياً.

لذلــك ذاتية الرأي العام عليها أن تكون ليست مجموعات صغيرة، وإنما قــبل كل شيء الشعب والجماعية الحضارية. ووفقاً لذاتية الرأي العام، ويمكن ملاحظة ما يلي :

-**الرأي الفردي** – تعد ذاتيته (الفرد أو الشخص).

-**الــرأي الجماعــي** – تعد ذاتيته مجموعات مختلفة، وجماعات وسكان مناطق محددة.

-**الرأي العام:** وتترابط المجموعات الثلاثة في جوهرها وطابعها بشكل عضوي وتقــع فــي تأثــير متــبادل دائــم، وتملك تحدياتها النوعية وملامحها الخاصة وخصائصها المميزة.

ويعــد الــرأي العام رأياً اجتماعياً ليس فقط لأنه يمثل رأي الشعب هو اجتماعي لأن محتواه (المعرفة) والتقويم،والقيم، وجوانب إرادية وعاطفية، ويعد في جوهره نتاجاً اجتماعياً أي ثمرة للنشاط العملي الواعي للناس، وهو اجتماعي لأنــه يعكــس قبل كل شيء المصالح الاجتماعية المعروفة للناس، وهو بدوره

ذاتيتها وحاملها، وقد توجه إلى هذه الخصائص الخاصة لذاتية الرأي العام كثير من الباحثين حيث سموا الرأي العام برأي الشعب وليس رأي جماعة أو جماعات عدة.

وعند فضح وجهة نظر بعض المنظرين الغربيين عن حرية الصحافة، والرأي العام كتب الكثير من الباحثين "عن التحريف والتزوير والتزييف لما يسمى بالرأي العام.وقد بينت الكثير من الدراسات بدقة أن إحدى أهم القضايا هي الليبرالية، والقضية الثانية المهمة هي الديمقراطية. ويعد الليبراليون بالطبع "الرأي العام" رأي شرائحهم، وليس رأي العمال والفلاحين. وفي الاحتمال الثاني كتبت الكثير من الدراسات عن الرأي العام للكادحين. أي رأي الجماهير الشعبية الواسعة، وقد أكدت على دور وأهمية الصلات الوطيدة مع الجماهير الشعبية وضرورة دراسة آرائهم بالمسائل الملحة. وقد أشارت في نتائجها إلى إن الرأي العام في ظروفنا المعاصرة، يعد تعبيراً مركزاً للحكمة الشعبية وتجربتها الاجتماعية السياسية الثرية. وبالتالي يستخدم مفهوم الرأي العام بجوهره وطابعه من أجل تقويم وشرح علاقات جماعات كبيرة من الناس بمسائل محددة ملحة للحياة الاجتماعية التي تتعرض للمصالح الجذرية لكل الشعب، إن التكوين الروحي للرأي العام مرتبط دائماً بمصالح وأهداف الذاتية لذلك يشمل تقويماً محدداً للمسائل التي يتحدث عنها. لماذا إذن يعكس الرأي العام أحكاماً تقويمية؟. في هذا أيضاً تبرز إحدى خصائصه الخاصة.

ويظهر في الرأي العام عادة العنصر التقويمي الجماعي، وعلاقته بهذه القضية أو تلك، بالظواهر والحقائق، والسلوك والأفعال. وتؤكد الممارسة إن الجماعة بمساعدة الرأي العام، تقيم المسائل الحاملة للطابع الاجتماعي بشكل خاص كالجماعي ــ والأخلاقي ، ويصبح هذا التقويم واجباً لكل أعضائها، ويدعو للشجب أي تجاوز أو خرق للرأي العام وتنديداً وسخرية الجماعة.

ويتميز محتوى وأشكال وطرق التقويم بعضها عن البعض الآخر؛ إذ تشترط الموضوع والذاتية، ووسائل وأشكال عمل الرأي العام إلا أن النشاط والعمل للناس كما هو معروف عبر السلوك، والعلاقات يعطي تقويماً إيجابياً أو سلبياً.

ويكتسب في الأعمال التطبيقية لتكوين ودراسة الرأي العام بشكل استثنائي إظهار الدوافع والمحتوى للتقويم الجاري أهمية كبيرة؛ أي إقرار أسباب ذلك، ولماذا تم هذا التقويم وليس تقويماً آخر. فعلى الباحث بدقة تحليل وكشف ذاتية المصالح التي يعبر عنها الرأي القائم، وجوهر المسائل المطروحة... الخ. بدون هذا التحليل يمكن اتخاذ قرارات وإعطاء تقويمات فقط من مواقع أشخاص محدودين. تتطابق مع المصالح الاجتماعية الضيقة. وأحياناً يقو م حقائق مختلفة وأحداث بواسطة الرأي العام، أسبابها المحددة لا تتطابق مع الخط السياسي العام ، ومهام هذا الحزب أو ذاك.

إن الرأي العام كانعكاس وتقويم لحقائق وأحداث محددة ، هو شكل متنوع لظهور الوعي الذاتي وحامله والمعبر عنه. مع ذلك ، هذا التقويم لا يحمل غالباً طابعاً شخصياً وإنما يعكس دائما العلاقة بالحقائق المقدمة المطابقة للجماعة الاجتماعية، ومن أجل إن يصبح هذا الرأي أو ذاك رأياً عاماً، غير كاف شموليته وانتشاره وسط مجموعات كبيرة من الناس ، هنا تبرز أهمية نشر تقويماً واحداً وسط جماهير الناس. إلا أن الرأي العام لا يقوم الحقائق والأحداث و الظواهر الواقعية كلها ، بغض النظر عن أن موضوعه النظري غير محدد ، في الحقيقة موضوعه محدد إلى جانب العوامل الذاتية والموضوعية والأوضاع القائمة. إن موضوع الرأي العام محدد بإمكانياته الذاتية وبجوهر الموضوع والحقائق نفسها والظواهر و العمليات. إضافة إلى ذلك هو محدد بالإمكانيات المعرفية ومستوى الوعي الجماهيري. لذلك يعد تقويم ذاتية الرأي

العـــام فقـــط بالحقائق والظواهر والأحداث التي تملك أهمية اجتماعية ومرتبطة بالمصـــالح الاجتماعـــية والفـــردية. في هذا الجانب تملك الذاتية طابعاً حوارياً وعلنية اجتماعية، وإيجاد صيغ لحلول عملية محددة... الخ.

معروف أن الرأي العام لا يعطي فقط تقويماً لمسائل محددة ، ولكن يأخذ بعيـــن الاعتبار ما هو موجود من معايير اجتماعية في المجتمع. لذلك ، يعكس أحكاماً معيارية – تقويمية . وترتبط هذه الخصائص الخاصة بالوظيفة التربوية الدائمـــة للـــرأي العـــام ، ويلعـــب دوراً كبيراً في حياة المجتمع، وتظهر قوتها وأهميتها كإحدى الأدوات المنظمة، والبراهين الاجتماعية الخارجية على سلوك وعلاقات الأفراد والجماعات بالظواهر والعمليات الجارية.

وتحدد الأحكام المعيارية – التقويمية العلاقة النشطة، والواقع، والتوجه /العملـــي الهادف للرأي العام، وتتعلق طريقة ظهور وتحقيق هذا التوجه العملي والحقـــائق بخصائص الذاتية المكونة. وتعكس العمليات الروحية والظواهر كلها علاقـــات اقتصـــادية محـــددة، وبالتالي تشترط عملية تكوين وعمل الرأي العام المصـــالح الاقتصـــادية للـــناس. وتمـــثل آراء بعـــض الأشخاص والجماعات والمجموعـــات الاجتماعية والديموغرافية أحداث متنوعة كاملة محددة وحقائق وظواهر عبر موشور العام المناسب والمصالح الجماعية والفردية، ويمكن يقوّم الـــرأي العام الحقيقة والحقيقة نفسها الظاهرة والظاهرة نفسها أو الأحداث بشكل متبايـــن، وهذا يتعلق قبل كل شيء بالمصالح المعكوسة أي المصالح التي يدافع عنها.

إن الرأي العام الصحيح هو الرأي الذي يتجاوب ومصالح المجتمع؛ مع ذلـــك هـــو في بعض الأحيان لأسباب موضوعية وذاتية محددة لا يتطابق مع مصالح المجتمع، لذلك في عملية تكوين ودراسة الرأي العام من الضروري ليس

فقـط الأخـذ بعيـن الاعتبار هذه الخصائص المعيارية التقويمية، وإنما أيضاً توجيهها في الاتجاه الضروري الصحيح.

وتعـد الديناميكية والدقة – إحدى الخصائص الخاصة للرأي العام، هما يسجلان ليس فقط بسرعة، وإنما يدخلان على بعض الحقائق والأحداث في حياة المجـتمع إلا أنهما يعطيان في كثير من الأحداث تقويماً حتى في ظروف غياب معلومـات موضوعية كافية، إن الديناميكية والدقة مشروطان كموضوع وذاتية للرأي العام بتركيبه وخصائص طرق عمله.

مثال: تقويم الرأي العام يمكن أن يكون مليئاً بنشاطات مختلفة إيجابية أو سلبية حادة، في هذا تنعكس حركيته (ديناميكيته) لأنه قادر أن يتغير بسرعة على أسس ما يظهر من تطورات وظروف ذاتية وموضوعية من جديد.

وتعـد أيضاً من الخصائص المميزة للرأي العام ملامحه التالية : العلنية والانتشـار، ويكـون الـرأي العام بالمسائل الملحة، والمسائل التي تناقش من الضـروري حلها بسرعة وبشكل صحيح، ولا سيما المرتبطة بمصالح وأهداف الذاتـية، وهكـذا تعـد خصائصـه الخاصة الداخلية حاجته إلى العلنية العميقة والانتشـار، ويسـعى فـي النشاط العملي حامل الرأي المحدد بأشكال مختلفة ووسـائل؛ نشر آرائه بشكل واسع؛ وتتحدد سعة انتشار الرأي العام بموضوعه وذاتيـته، وهكـذا يتطلـب الرأي العام بمسائل الحفاظ على السلام بالطبع سعة مخططـة أما بمسائل تتعلق بمنطقة محددة أو جماعة تبقي حدود انتشار الرأي العام محددة وبالطبع سيكون بشكل آخر تماماً. في سورية تنمو وتتطور مقاييس انتشـار الـرأي العام بشكل دائم، وهنا يتميز عن باقي المجتمعات العربية فهو يدخل حدود كل الطبقات والمجموعات السكانية، وهذا التوجه مستمر في تطوره لأنـه يحـدث في الظرف الراهن عملية تدريجية للحد من التفاوت بين الطبقات والمجموعـات الاجتماعـية، وفي سير هذه العملية، ومن خلال الحياة اليومية

مازلـــنا نصطدم بما يسمى بالكمون والسرية أي بعدم تعبير الرأي العام، لاسيما في بعض الجوانب الذاتية التي لا تسمح أو تحدد ظهوره العملي. في هذه الحالة تضـــعف بشكل قوي قوته وأهميته الاجتماعية، ويتكون أوضاع غير طبيعية إذ تغترب الجماهير عن المسائل التي تقلقها بالطبع ظهور الشفافية وطرحها بشكلها الرســـمي يعطـــي أهمية لدراسة الرأي العام، وتقدير أوضاعه، وهذا يعد خطوة على الطريق الصحيح لأنه يملك أهمية كبيرة للنشاط الاجتماعي والسياسي.

وتعـــد أيضاً إحدى الخصائص الخاصة للرأي العام توجهه العملي؛ فمن المعروف أن الناس يكونون رأياً عاماً -فقط -عندما يتطلب حل لهذه المسألة أو تلـــك فـــي الحـــياة، فالرأي العام (كمصطلح مجرد)غير موجود، وإنما يرتبط بمســـائل تـــتطرق لمصالح الناس ويعكسها، ويمكن أن تكون درجة وأشكال هذا الـــتحديد العملي والتوجهات مختلفة. من المطالب المباشرة حتى التذكير الجزئي أو الإشارة؛ ومهم جداً الكشف العميق للشروط الموضوعية للتوجه العملي للرأي العام بمسائل تدلي بها الذاتية، وفي هذا يظهر التنوع والطابع المعقد والمتناقص للرأي العام، وقد كتب: " وليدوف أ.ك" :إن تناقض الرأي العام كظاهرة وعملية يبيـــن ثنائيته – من جانب هو علاقة روحية خاصة، ومن جانب ثانٍ هو علاقة روحـــية عملية وتنوع للتعبير عن الإرادة الاجتماعية. وتذوب في عملية تكون الـــرأي العام الأحكام المعيارية والتقويمية بشكل خاص بتوجهه العملي وحقيقته وغالـــباً، بعـــد أن تعطي التقويمات لهذا الحدث أو ذاته، لهذه الحقيقة أو تلك أن يـــتحول الـــرأي العام إلى نوعية جديدة تتطلب حلاً عملياً خاصاً. مثالاً واضحاً يمكن أن يقدمه الرأي العام بمسائل مهمة شعبياً أو محلياً "ومكانياً"، والتي تتكون في وقت الاستبيان أو الاستفتاء أو الاجتماعات العامة... الخ.

كمظهـــر خـــاص للوعـــي الاجتماعـــي ، وبدقه أكثر ،أوضاع الوعي الجماهـــيري ، التـــي تنعكس فيها العمليات الاجتماعية ، والظواهر ، والحقائق

لا يعد الرأي العام بجوهره وطابعه تشكيلاً روحياً ثابتاً متجانساً لا يتغير. وعند تحليل عمل الرأي العام يظهر إنه يملك اتجاهات مختلفة ومستويات. أي آراء أكثر أو أقل ثباتاً ، أكثر أو أقل تعبيراً واضحاً يشمل مجموعات كبيرة أو صغيرة من الناس...إلى آخره. وكما هو معروف في الرأي العام المكون يتراكم ، وبشكل خاص تذوب اتجاهات مستقلة وآراء أنانية للفرد والجماعة، عدا ذلك ، لا يعد الرأي العام ظاهرة إحصائية ، فهو يتطور ويثرى ويموت ويتحول إلى قناعات ودوافع داخلية.

كما تعد عملية تكوين الرأي العام عملية معقدة ومتناقضة. عادةً يولد الرأي كرأي فردي، من ثم جماعاتي، وجماعي، وأحياناً يشمل منطقة سكانية كاملة من خلال عملية التواصل والمؤتمرات والتضامن والتوحيد والتعزيز ويتكون ويتحد في رأي موحد؛ وفي النتيجة ، يثرى ويتوسع أو يتغير مكتسباً خصائص واتجاهات جديدة وفقاً للمعلومات الإضافية والحالات الموضوعية والظروف الجديدة.

وبالتالي يمثل الرأي العام عملية ديالكتيكية؛ ويملك هذا الجانب أهمية منهجية وعملية مهمة من أ جل تكوين ودراسة الرأي العام.

بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقاً ، يملك الرأي العام خصائص إضافية أخرى : كالشدة ، أي أوضاعاً محددة ، وثبات في تقويم المسائل وشمولية عميقة، إضافة إلى الجوانب والحالات العاطفية والعقلية والإرادة والوعي الاجتماعي. وطرق مباشرة و غير مباشرة للتعبير عن الموضوع... الخ. إن دراسة وكشف الخصائص الخاصة للرأي العام بمجملها تملك أهمية كبيرة وقبل كل شيء، من أجل تكوينه ودراسته بشكل صحيح.

-العوامل التي تحدد الدور المتنامي وأهمية الرأي العام في المجتمع السوري:

تعد إحدى النظم الموضوعية المحددة لتطور المجتمع السوري النمو المستمر لدور النشاط الواعي للجماهير الشعبية الواسعة فيه، ويظهر ذلك ويتوضح أكثر في ظروفنا المعاصرة من خلال المواقف الداخلية والعالمية المعقدة، وقد أصبح ملايين الناس العرب السوريين ليس فقط موضوعاً لتاريخنا المعاصر لكن ذاتيته، وقد تحولت آراؤهم وعلاقاتهم وسلوكهم إلى عامل حاسم للتطور الاجتماعي، ويزدهر بشكل أكبر في المرحلة الراهنة للحياة الاجتماعية وفي ظروف تطور الثورة العلمية التقنية، والثورة المعلوماتية، والتحولات الاجتماعية والسياسية الجارية دور وأهمية الجماهير الشعبية.

وتشهد التجربة التاريخية الراهنة على أهمية أراء الجماهير الشعبية الواسعة المؤثرة على كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية، وعلى دورها في البناء الحضاري المعاصر وبناء الإنسان الجديد.

ويجد رفع النشاط الاجتماعي والإبداعي للناس انعكاساً مباشراً في الرأي العام، وقد أشار الباحثون السوريون إلى أن القيام بالتحولات الاجتماعية الجذرية الكبرى تعد ضرورة لتحقيق التقدم المناسب في الرأي العام. وأكدوا على أهمية التطور والتقدم الاقتصادي وفقاً لحاجات المرحلة وأهميتها في حياة الشعب ودوره في واقعنا للحاق بالدول المتقدمة وهذا يعد دفعاً جديداً من أجل تحقيق النصر وتطوير القدرات الدفاعية، وهذا بدوره يعزز أخلاقية الرأي العام. ويعير السياسيون المعاصرون انتباهاً كبيراً لأوضاع الرأي العام عند تطرقهم لحلول المهام الاجتماعية والاقتصادية المحددة في مرحلة التطور الراهنة للقوى الإنتاجية والإبداعية، وتأسيس القاعدة المادية التكنولوجية لسوريا المعاصرة؛ وقد جاء في الدراسات الحديثة إن دراسة الرأي العام والعلاقة النابهة بالنقد والمطالب: هو أحد الاتجاهات المهمة لتطور الثقافة والديمقراطية في سورية.

كـل نظـام سياسي اجتماعي وفي كل مرحلة من مراحل تطوره يؤثر تأثـيراً حاسـماً ليس فقط على المحتوى، ولكن على حقيقة وأهمية الرأي العام وهكـذا تحـدد العلاقـات الاجتماعية المعاصرة قوة الرأي العام، وفي ظروف التطور المعاصر، أي في ظروف العولمة تقوم المؤسسات والمعاهد والجماعات المتخصصـة بدراسـة الـرأي العام ويقدمون بحوث محددة لا تأخذ بجوهرها ومحـتواها وتوجههـا بعيـن الاعتبار مصالح الرأي العام، وإنما تبتغي أهداف اسـتخدام نتائجها لمصلحة قوى محددة من أجل ضمان التحكم والاحتكار الفعال وللوعي الجماهيري، إن العامل الأساسي المحدد لقوة الرأي العام في أي تشكيلة اجتماعـية اقتصـادية يخدم العلاقات الإنتاجية وتناسق القوى داخل البلد وطابع الأوضاع الاجتماعية السياسية بشكل عام، فمجتمع العولمة القائم حالياً ليس في وضـع لـيكون أساساً موضوعياً حقيقياً لرفع فاعلية الرأي العام إذ تسعى قوى العولمـة قـي المجـتمع الإنساني لتكوين وإخضاع الرأي العام القائم لأهدافها ومصـالحها وفقاً لإمكانيات وظروف محددة وتحويله إلى قاعدة سياسية، وأداة للتأثـير الهـادف على الجماهير، وتستخدم بنشاط وسائل وأشكال مختلفة للتأثير الفكـري والأيديولوجـي، وهـنا من الضروري الإشارة إلى أن الطبيعة نفسها لأنظمـة العولمـة والطابع السياسي العام لا يستطيع ضمان ظروف ضرورية للدراسة الموضوعية الموجهة الهادفة للرأي العام.

وتتمـيز بعـض المجـتمعات ومـنها المجتمع السوري بقوة تنظيمها الجماهـيري، التـي تعد المحرك الأساسي في مجالات الحياة الاجتماعية كلها. وتكتسب أهمية كبيرة دراسة آرائها وعلاقاتها، وهنا من غير الممكن بناء مجتمع حضاري ناضج دون تحقيق التنمية وتطبيق القرارات والخطط المطروحة دون النشـاط الإبداعـي والاجتماعي للناس دون معرفة وتقدير مواقفهم، أي مواقف الـرأي العـام بهـذه أو تلك من المسائل المفتاحية للتطور الاجتماعي، وحسب

تصورنا " الدولة قوية " بوعي الجماهير، وقوية عندما تعرف الجماهير كل شيء وتحكم على كل شيء، وإن تسير إلى كل شيء بوعي.

وتنحصر قوة وحياة النظام الراهن في سوريا بفتح الأبواب للمشاركة الواعية الإبداعية للجماهير في حل المسائل الاجتماعية والاقتصادية القائمة وتعميق الانفتاح على الشعب وإعطاء التقديرات المهنية والإدارية دورها في حياة المجتمع،والتخلي عن المحسوبية والعلاقات الضيقة في الممارسة السياسية، والتخفيف من حدة الإجراءات البيروقراطية، وتوفير فرص عمل متكافئة وزيادة دخل المواطن السوري المعاصر، وإعادة تركيب المواقف الإيديولوجية وفقاً لمتطلبات العصر وفتح الأبواب للشباب المنتج وزجهم في معركة البناء والتطور، وإدارة مؤسسات الدولة والمجتمع والحد من الفعاليات القديمة المعرقلة للتطور الاجتماعي، وفتح الصحافة والإعلام للحوار الاجتماعي البناء وعلاج مسائل المرأة بشكل جذري والعمل على إنصافها وتعميق معارفها لزجها في معركة البناء جنباً إلى جنب مع الرجل، وتوسيع دورها في القيادات المتاحة والسماح لها في طرح مشاكلها والوقوف عند اقتراحاتها لحل مهامها الاجتماعية والأسرية؛ وتحديث القوانين وفقاً لمتغيرات الواقع والعصر، وإعادة النظر في قوانين الأحوال الشخصية، ووضع قوانين وضعية متطابقة وحاجات الناس آخذة بعين الاعتبار القيم الإنسانية العامة والحريات الشخصية.إن نمو ودور الرأي العام في المجتمع السوري – هو عملية حتمية مرتبطة بحل مجموعة من القضايا الماثلة أمام المجتمع وبعوامل ومقدمات موضوعية أخرى منها ما يتعلق

أولاً – بجوهر وطابع المجتمع السوري الجديد؛ أي بالعوامل الموضوعية الأساسية للتطور الاجتماعي للنظام السياسي الجديد المرتبط قبل كل شيء بالطابع الاجتماعي لوسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية الجديدة المرتبطة بعملية الانفتاح وأهمية توسيعها وتنشيطها والحفاظ على التوازن القائم بين

مختلف القطاعات الاجتماعية والإنتاجية، وهذا بدوره يقود على **الإضعاف** التدريجي للتفاوت الاجتماعي والاقتصادي القائمين بين شرائح السكان، وبين العمل الفكري والفيزيولوجي؛ وتسعى القيادة السورية الجديدة بقيادة الدكتور الرئيس بشار الأسد لتكوين ظروف من أجل الرفع الدائم للمستوى المادي والثقافي للناس ومن أجل تطوير الإنسان العربي السوري من كل الجوانب، وقد أخذ يتكون في العصر الراهن فكراً ديمقراطياً على مستوى القيادة والشعب الذي من خلاله يشارك الإنسان مشاركة نشطة في إدارة المجتمع.

ويعد الشعب العربي السوري بشكل حقيقي في كل الأطروحات السياسية القائمة ليس فقط موضوعاً للتاريخ ولكن ذاتيته، وهو يعمل الآن بوعي مبدعٍ لصناعة حاضره ومستقبله، ففي المجتمع السوري الراهن توجد ظروفاً موضوعيةً وحقيقيةً ومقدماتٍ من أجل الرفع الدائم لدور وأهمية الرأي العام في كل مجالات الحياة الاجتماعية.

ثانياً : يعد الطابع الموضوعي طابعاً شعبياً عاماً وتركيباً اجتماعياً سورياً محدداً. يتميز بالوحدة الاجتماعية – السياسية والفكرية، وهنا تكونت الظروف الحقيقية من أجل تطوير الديمقراطية الذي في ظلها يعد الإنسان بشكل حقيقي المالك الحقيقي لبلده، وفي المرحلة الراهنة لبناء حياتنا الجديدة من المهم جداً مشاركة الناس في قيادة وإدارة البلد، وهذا يعطي مؤشرات واسعة لظهور أشكال مختلفة ومتنوعة مهمة لحقيقة الديمقراطية في حياة مجتمعنا، ويقع الآن في المجتمع السوري الاهتمام بالإنسان، ورفع تعليمه وثقافته وتطوره في كل الجوانب، وهذا ما تسعى إليه الآن القيادة الجديدة للدولة والمجتمع (انظر المراسيم الأخيرة الصادرة عن رئيس الجمهورية) كل هذا يساعد على تكوين حالات صحية لدى الناس من أجل التقويم الاجتماعي لما يحدث من عمليات وظواهر، بالطبع هذا يرفع مشاعر

المسؤولية الخاصة ويعزز كرامة الناس، ويرفع من نشاطهم في الحياة الاجتماعية ومن خلال الرؤية المعاصرة للواقع السوري يوجد مستوىً عالٍ من التعليم والثقافة، ومستوىً عالٍ لدى الشعب؛ ونظام سياسي ناضج، ومبادئ أولية ديمقراطية للإدارة تحوي في نفسها ظروفاً موضوعية وذاتية ومقدمات من أجل الرفع المستمر لدور وأهمية الرأي العام. وبالتالي تخلق له فرصاً لمناقشة كل المسائل المهمة بروح من المسؤولية والعلنية.

ثالثاً : ظهور العامل الموضوعي من خلال اهتمام المجتمع السوري في التكوين المستمر والعمل لرفع دور وأهمية الرأي العام في كل مجالات الحياة الاجتماعية، إن قوة النظام السياسي السوري الجديد يجب أن تبنى على الوعي العالي للجماهير والمواقف الحياتية النشيطة، وليس على دعائم أخرى، ولماذا إذا يطلب الآن، وبشكل منطقي الأسلوب الديمقراطي في القيادة ومشاركة الجماهير في إعداد القرارات المهمة والمسائل الدقيقة، وأن يأخذ بعين الاعتبار الرأي العام القائم.

ويلاحظ الآن في المجتمع السوري الراهن بشكل مميز التوسيع التدريجي للديمقراطية وتعزيز مبادئها في عمل المنظمات الحكومية والحزبية والاقتصادية، وهذا يكون في الأساس ظروفاً موضوعية وذاتية ومقدمات من أجل الحسبان الدائم للرأي العام في الآلية الإدارية للمجتمع السوري؛ هذا الحسبان للرأي العام – هو الاحتياط الكبير للطاقات الشعبية والتجارب والقدرات التي تساعد تعزيز الوحدة الأخلاقية والسياسية للشعب، وتعبئ الجماهير من أجل تحقيق المهام الأساسية الراهنة والمستقبلية.

وفي المرحلة الراهنة من تطور النظام السياسي الجديد أخذت تتعزز مشاركة الرأي العام في صياغة سياسة الحزب الحاكم، وتحقيقها في الحياة

فالتبادل الصحيح المبدئي الصريح للآراء، يشمل كل مجالات حياتنا الاجتماعية المتنوعة، فالرأي العام في المجتمع السوري الجديد يعد الآن أحد العوامل المهمة لتأسيس أجواء اجتماعية – سيكولوجية ضرورية من أجل الممارسة الديمقراطية ورفع النشاط الاجتماعي للناس.

إن رفع دور وأهمية الرأي العام في المجتمع السوري يعد أحد العوامل المهمة والمقدمات الملحة لرفع فاعلية تأثير قوى العمل الأيديولوجي والفكري والتربوي، ويعطي فرصة للرأي العام بشكل مباشر على ربط العمل الأيديولوجي مع الحياة ومع مصالح الناس وتحسين الأداء الأيديولوجي للمهام الاجتماعية والاقتصادية في الممارسة العملية، وهذا بدوره يشكل قاعدة لتنشيط العمل مع الجماهير لاسيما بالمسائل الملحة والأكثر حدةً في حياتنا المعاصرة.

يحتاج بناء المجتمع الجديد إلى توسيع وتعميق المبادئ الديمقراطية للقيادة الحزبية وتحسين النشاط التنظيمي والإداري والحزبي والاجتماعي، ورفع القدرات العملية للمنظمات الحزبية والمنظمات الاجتماعية، لذلك أهمية دراسة الرأي العام ورفع شهرته وأهميته تساعد على توسيع التأثير الفكري والتربوي وتحسين قيادة العمليات الاجتماعية إن مسائل تكوين ودراسة الرأي العام في سوريا تقام على أوضاع وقرارات الإدارات المسؤولة : ويعد الحزب والمنظمات الحكومية والاقتصادية والاجتماعية المحدد الأساسي حيث يعار الانتباه في الوقت الراهن بشكل كبير للرفع المستمر لدور وأهمية الرأي العام في الممارسة والبناء الحضاري الجديد، وإلى تعبئة القوى الإبداعية للناس في النضال من أجل تحقيق سياسة الحزب والدولة في الحياة.

<u>ويتميز الرأي العام في ظروف سورية الراهنة بالملامح الأساسية التالية :</u>

أولاً:- يحقق وظيفة اجتماعية سياسية هامة في كل مجالات الحياة الاجتماعية.

ثانـــياً :- يعكـــس ويعبر بطرق متنوعة عن مطالب وحاجات طبقات وشرائح اجتماعية مختلفة.

ثالثاً :- يظهر كمؤشر لدرجة تطوير الوعي الاجتماعي والجماهيري وللأمزجة وعلاقات الناس بحقائق وأحداث مختلفة.

رابعاً :- يعد أحد القنوات المهمة للإعلام الاجتماعي وتعميمه.

خامسًا :- يظهر كمصدر متنوع وحامل للحكمة والتجربة الحياتية الشعبية وفيه يظهر العقل الجماعي للناس.

سادسًـــا :- يعكـــس علاقـــات الجماهير الشعبية الواسعة بسياسة وخط الحزب والمهام الحكومية والاقتصادية والاجتماعية.

ســـابعًا :-يعـــد تعبـــيرًا محدداً عن تقويم الناس المشاركين بالعمل الاجتماعي والاقتصادي.

ثامـــنًا :- يظهـــر كـــإدارة مســـتقلة منظمة لنمط الحياة المعاصرة وخصائصها المعيارية والقيمية والدوافعية والتوجيهية.

وهنا يمكن القول إن قوة وأهمية الرأي العام لدرجة كبيرة تحدد جوهره وطابعـــه كتكويـــن روحي، وكذلك وظائفه التي يحققها، إن الرأي العام ظاهرة مـــتعددة الأنواع تحقق وظائف المراقبة والتوحيد والتحليل والإعلام والاستشارة وترتـــبط كـــل هذه الوظائف بالتبادل وهي مشروطة في أغلب الحالات بالتبادل والـــتكامل بيـــن بعضـــها الـــبعض، وبنفس الوقت تملك كل وظيفة خصائصها الخاصة، وأشكال مظاهرها وطرق التعبير والتحقيق العملي، ويحقق الرأي العام كـــإحدى أوضاع الوعي الجماهيري بطرق متنوعة الوظائف المرتبطة بالوعي الاجتماعـــي بشـــكل كـــامل، وتأخذ الوظيفة التقويمية مكاناً بارزاً فهي تتعرض لحقائق وأحداث محددة ، ويتبادل الناس التجارب الاجتماعية المتراكمة، في هذه الحالـــة ترتبط الوظيفة التقويمية بشكل مباشر أو غير مباشر بالمنظم والوظائف

الأخـــرى للوعي الاجتماعي، وعند تقويم الأحداث الجارية والحقائق ينظم الرأي العـــام بالوقـــت نفســـه العلاقة بين المجموعات الاجتماعية، وبعض الناس ففي المجتمع السوري تأخذ الوظيفة التنظيمية والتربوية شكلها الكامل.

لقـــد أكدت الصحافة السورية على عملية بناء مجتمعنا الجديد، وفي هذه الظـــروف تكتســـب التربية الأخلاقية أهمية كبيرة في تعزيز الوحدة الاجتماعية والسياســـية والفكرية للشعب، ويفتح تطوير الديمقراطية مجالات جديدة من أجل تدعـــيم ركائـــز الأخلاق الوطنية والقومية والأفكار الإنسانية الحضارية كمنظم روحي لسلوك الناس، ومن أجل توسيع التعددية السياسية.

ويؤثـــر الرأي العام تأثيراً كبيراً وقوياً على سلوك الأفراد، وهذا ينعكس قـــبل كـــل شـــيء في قوته الأخلاقية وشهرته كتكوين روحي، أي في وظائفه التنظيمـــية والتربوية، وتعطي الوظيفة التقويمية كما هو معروف تقويماً لسلوك الأفـــراد اتجاه الحقائق والأحداث الجارية، وبنفس الوقت هي لا تقوم فقط، وإنما تحـــدد الطـــريقة نحوهـــا، ويلـــزم الرأي العام الأفراد لاستيعاب القيم الروحية المتراكمة وتحسين الفعل والعمل وفقاً للمبادئ الاجتماعية ومعايير السلوك، وهذا بدوره يساعد الأفراد على تكوين ضوابط أخلاقية محددة في الحياة وأعداد موقفاً حياتياً نشيطاً.

أعـــتقد إنـــه لا يوجد أي إنسان دون تقويم سلبي أو إيجابي لأفعاله من جانـــب الرأي العام ويدعو عادة التقويم الإيجابي لدى الفرد بالشعور بالاعتزاز والكـــرامة ويحفـــز لديه النشاط الاجتماعي، وعلى العكس يؤدي التقويم السلبي للإنسان إلى تكوين حواجز سيكولوجية محددة تضعف نشاطه الإبداعي.

إن قـــوة وتأثـــير الرأي على الفرد أخذ بعين الاعتبار استخدام في كل الأوقات والعصور، من المجتمع البدائي حتى يومنا هذا، وبغض النظر عن ذلك تواجد سابقاً ويتواجد الآن وجهات نظر مختلفة على دور الرأي العام.

مثال :يؤكد بعض الباحثين الغربيين أنه في عصر الثورة العلمية التقنية تـــنخفض فاعلية الرأي العام كمنظم لسلوك الأفراد، ويسير إلى الهبوط، ويزداد ذلك في الثورة المعلوماتية الراهنة.

بالطبع من غير الممكن عدم أخذ هذا الجانب الجديد بعين الاعتبار، وأخذ الخصـــائص فـــي تكوين وعمل الرأي العام الذي يظهر في المجتمع المعاصر ولكـــن في الوقت نفسه من غير الممكن نسيان على إنه يتكون ليس من أجل هذا الغـــرض، حتى يسجل هذا الحدث أو ذاك أو هذه الحقيقة أو تلك، إن تكوينه يتم مـــن أجـــل إعطـــاء تقويـــم أو آثار محددة على الأفعال المنحرفة عن المعايير والحقائق الاجتماعية للسلوك أو ما يؤكدها هذا بدون نقاش يعزز دوره وأهميته فـــي مجـــالات الحياة الاجتماعية في الوقت الراهن لتطوير مجتمعنا، لا تهمش المنظمات الحكومية والاجتماعية، ولا تحدد الرأي العام على العكس فهي تظهر في نفس الوقت كعامل خاص من عوامل تكوينه وعمله الصحيح.

ويشـــهد على ذلك نقاشات الناس للقرارات والوثائق الحكومية بالمسائل الاجتماعـــية، وتعد تلك النقاشات شكلاً فعالاً ومتنوعاً لدراسة وحسبان وتكوين الرأي العام.

لمـــاذا يمنع التحدث عن التقليل من دور وأهمية الرأي العام، والتحدث عـــن بعـــض خصائصه وجوانبه المستقلة التي تشترط أوضاع ومهام وحالات محددة؛ فقوة الرأي العام وأهميته متعلقة بمحتواه وطابع الموضوعات والعمليات المعكوســـة؛ معـــروف أنه في أنظمة العولمة المعاصرة، يعد عمل أغلبية أبناء المجتمع نشاطاً ثقيلاً حتمياً يثري الفئات الحاكمة.

وقـــد أشار الكثير من الباحثين " على أنه في ظروف العولمة المعاصرة تظهـــر الســـيكولوجيا بـــأن الـــرأي العام ليس فقط يتعقب أو يلاحق عملاً سيئاً

كاللامبالاة في العمل وإنما على العكس رأت في ذلك احتجاجاً قانونياً أو طريقة من طرق مقاومة الأعمال غير العادلة لأنظمة العولمة".

في ظروف تطورنا الراهن المواطن الذي يعمل بوجدان وضمير يلاقي الدعم ويدافع عنه الرأي العام، وتأثيره يظهر عبر أشكال مختلفة للمراقبة الأخلاقية والتوسع والتنديد ...إلى آخره.

عادة لا يتكون الرأي لدى الناس بكل المسائل والمشاكل والأحداث، وإنما بتلك التي ترتبط بشكل محدد بمصالحهم، وتملك أهمية معروفة وتتطلب عملاً عملياً بالطبع عندما تزول المسائل أو تختفي لا يتراكم الرأي العام لدى الناس، غير أن هذا لا يعني إنه انخفض الاهتمام به لدى الناس وإنه فقد أهميته الاجتماعية.

ويقع في أسس نقاشات بعض السوسيولوجين فكرة عن إن الرأي العام يقوم بتوعية الأفراد المعبرين عن أنفسهم، لكن هذا لا يمكن أن يكون إلا تفسيراً مثالياً ذاتياً للعلاقة المتبادلة بين الفرد و الجماعة والمجتمع، ويعتقدون أنه في المجتمع الإنساني المعاصر يملك الفرد إرادة حرة مطلقة، وعندما يبدأ الفرد بترك هذه الحرية فإنه مباشرة يقع في صدام مع الرأي العام، وعلى أسس هذه النقاشات يخرجون بنتيجة عن الدور المقيد للرأي العام بالعلاقة مع الفرد، ولكن هل من الممكن التحدث عن "الحرية المطلقة " للفرد في المجتمع الذي لم تحل به بعد المسائل الاجتماعية السياسية الأساسية ؟!.

وهل في ذلك المجتمع من الممكن أن يكون قد أسس ظروفاً موضوعية ومقدمات من أجل التعبير الذاتي الكامل للفرد ؟ وأية آراء عامة يقصدونها ؛ هل آراء الشرائح والفئات الحاكمة التي في حقيقتها تحد من نشاط الأفراد ، أو آراء قوى أخرى تعكس مصالح الجماهير الشعبية الواسعة وتساعد الفرد في تطوره.

بالطبع إن الحديث يدور هنا؛ عن آراء عامة مختلفة تؤثر على الفرد وتقّوم سلوكه بشكل متباين، أي عن الارتباط المباشر بالمصالح والقوى

الاجتماعـــية التي يعبر عنها حامل هذا الرأي أو ذاك. ففي سوريا يسعى النظام السياســـي الراهن بإقرار علاقات اجتماعية جديدة قائمة على الوحدة والارتباط المتـــبادل بيـــن المجتمع والجماعات والأفراد، ويتطور دور وأهمية الرأي العام كعـــاملٍ مؤثرٍ على الفرد بشكل دائم، وهذا يشترط قبل كل شيء توفير ظروف ومقدمات حقيقية وتعزيز تأثير المبادئ الأخلاقية والمعايير في مجالات التطور الاجتماعـــي، ومهم أيضاً الإشارة إلى أن الرأي العام يعطي تقويماً – ليس فقط وببساطة للحقيقة بعينها أو الحدث – إنما لكل تصرفات وسلوك الفرد آخذ بعين الاعتبار عالمه الداخلي وفي هذا تنحصر قوته، ولكن الخصائص الخاصة للرأي العـــام كتكويـــن روحي لدرجة تحدد تأثيره على سلوكية الأفراد، فبقدر ما ينمو علـــى ســـبيل المثال وعي الناس وتتعمق معتقداتهم الوطنية والقومية وثقافتهم الإنســـانية ، بقـــدر مـــا ترتفع وتنمو أهمية ودور المعايير الأخلاقية في الحياة الاجتماعـــية في نشاط الفرد بشكل كامل؛ فأنه يلاحظ بشكل أكبر التقليل للتأثير المـــنظم للرأي العام، ماعدا ذلك من غير الممكن عدم الأخذ بعين الاعتبار تلك الحالات لسلوك الفرد الذي يعتمد بشكل استثنائي على مطالب الرأي العام – هذا فقط مود يل مثالي.

فالفـــرد فـــي هذه الحالة يعطي تفضيلاً للمصالح الاجتماعية والمعايير الاجتماعـــية لـــيس فقط من أجل مسايرة أو خشية إرادة الرأي العام ولكن بقوة القناعة الداخلية الخاصة للبناء الحضاري الجديد.

ويلعـــب الـــرأي العـــام دوراً ملحوظـــاً فـــي صياغة العادات والتقاليد والأعـــراف، وهـــذا يملـــك أهمية بالنسبة للتربية الأخلاقية للفرد وتأسس مناخاً اجتماعـــياً – ســـيكولوجياً ضرورياً داخل الجماعة، وكذلك من أجل رفع النشاط الاجتماعي للناس.

إن العـــادات الوطنـــية والثورية والنضالية ، والثقافة الحياتية الإنسانية للأســـرة وعادات حضارية جديدة أخرى، وتقاليد اجتماعية إنسانية تمثل مظهراً حقيقـــيا للعلاقـــات الاجتماعية القائمة لنشاط وسلوك وعلاقات الناس، بجوهرها وطابعهـــا العـــادات والتقاليد ، هي من جانب تكوين روحي ومن جانب آخر – انعكـــاس لنشـــاط الـــناس فـــي أشـــكال محـــددة، وقد أكدت بعض الدراسات السوســـيولوجية أن أي شـــكل وجد لوقت طويل فأنه مع الوقت يصبح تقليد أو عادة.

وقـــد أكد في الدراسات السياسية المعاصرة على أهمية الرأي العام في النضـــال ضـــد بقايا الماضي المتخلف في وعي الناس وضد الخارقين للمعايير الحضارية والأخلاقية وبشكل خاص ضد العادات والتقاليد السيئة، وتكون التقاليد والعـــادات القديمـــة فـــي الحـــياة اليومية مصاعب كثيرة في الأعمال التنظيمية والفكـــرية والتربوية، أما ما يخص دور وأهمية الرأي العام عند تكوينه للعادات والتقالـــيد الحضـــارية الجديـــدة، فإن القضية هنا ليس فقط في تطوير محتواها الفكري، وإنما في تثبيتها وإثرائها وتحسينها بشكل مستمر وفقا لحاجات التطور الاجتماعـــي، وترتـــبط الأهمية النامية للرأي العام في المجتمع السوري بشكل مباشر يرفع دور الحزب كقائد وموجه لقوى التطور الاجتماعي.

" ويعـــد الحـــزب القـــوه الحاسمة التي تضمن تطور الديمقراطية وفي السياســـة الراهـــنة تعني الديمقراطية تعزيز صلات الحزب مع الشعب ". فقوة الـــرأي العام كتكوين روحي في جوهره وجماهيريته، أي في وحدته مع الشعب إن الـــرأي العـــام ينتمي إلى الشعب والشعب كما يُعرف يعد المحكمة العليا لكل المسائل المهمة المرتبطة بكل أشكال الحياة الاجتماعية.

وكمـــا أكدنـــا ســـابقاً يعـــد الرأي العام مظهراً متنوعاً لأوضاع الوعي الجماهـــيري، ويعـــد أيضـــا أحكاماً جماعية؛ وتحدد هاتان الصفتان صلاته مع

الجماهـــير الشعبية الواسعة، بالطبع لا يوجد شك بأن القناعة والوحدة في تقويم الملايـــن، تعد إحدى العوامل المهمة المحددة لأهمية وقوة الرأي العام كظاهرة وعملية.

وتعد الجماعية في عملية تكوين الرأي العام طابعه وجوهره وخصائصه الذاتـــية، وفي نهاية الأمر تحدد محتواه وأهميته الاجتماعية، وكما هو معروف يوجـــد بيـــن الـــرأي العام وذاتيته صلات معكوسة، وارتباط متبادل -ليس فقط الجماعية - تؤثر على الرأي العام ولكن هو نفسه يبدي تأثيراً معاكساً على وحدة المصـــالح، وهـــذا ينعكس بشكل واضح وكامل في نشاط المنظمات الاجتماعية والحكومـــية، التـــي يكـــون فـــيها الرأي العام مشهوراً من الناحية الاجتماعية والأخلاقـــية، ورافعـــاً لفاعلية تأثيرها وعملها، وعند صياغة تقويم موحد لعلاقة محـــددة بالحقائق وإدخال القناعات في عقول الناس يساعد الرأي العام بشهرته الأخلاقـــية وبشـــكل نوعـــي في حل المهام الحكومية والاجتماعية والاقتصادية بالوقـــت المحـــدد ومـــن أجل ذلك يجب على المنظمات الاجتماعية والحكومية دراسته وتكوينه على أسس صحيحة.

ويعكس الرأي العام كمظهر من مظاهر أوضاع الوعي الجماهيري القنا عـــات والـــتقويم والإدارة ومشاعر الناس بخصوص المسائل والأحداث الجارية وهـــذا تقويـــم ســـيكولوجي متـــنوع، يعكس وحدة الشعب حول الأهداف العامة ومصالح الناس والظروف التي يعيشون ويعملون بها، ويتحول تأثير هذا الخليط السيكولوجي في الممارسة اليومية إلى قناعة داخلية، وإلى موقف اجتماعي للفرد والجماعة.

وتعد إحدى المقدمات المهمة- لقوة تأثير الرأي العام في الحياة- أشكال وطـــرق مظاهره الاجتماعية، ويعكس عادة الرأي العام في شكل مذكرة شفهية أي فـــي شـــكل حكـــم، ولكن في مجموعة من الحالات يمكن أن يصبح سلوكاً

وعلاقات بين الناس الذين لهذا السبب أو ذاك من الأسباب الموضوعية والذاتية لا يدلون برأيهم مباشرة في المسائل والحقائق القائمة، ولكن يعكسونها في أفعال مباشـــرة، وهكـــذا قد يحدث في إحدى المؤسسات وفي ورشة ما، خلل وأخطاء كثيرة في العمل وخرقا لنظام العمل والمسؤولية إلا انه في الاجتماعات الدورية للمؤسسة لا أحد يتكلم عن ذلك بعد المراقبة الدقيقة والقيام بأحاديث خاصة تبين أنه تكون رأي سلبي محدد وسط الجماعة عن قيادة المؤسسة وورشة العمل وعن مقـــترحاتهم، وملاحظـــتهم النقدية؛ إن الدراسة بالوقت المناسب لمثل هذا النوع للرأي العام تملك أهمية كبيرة في الأعمال التطبيقية.

لمـــاذا إذن تتكون بشكل موضوعي وحقيقي قوة الرأي العام من أشكال متنوعة ومرنة في ظهورها وتأثيرها، كالتقويم والثناء والتنديد والشجب والإنذار واللوم والعتاب... الخ.

وتستطيع وفقاً للذاتية والموضوع والظروف المحددة، والأهداف استخدام أشـــكال وطرق ووسائل مختلفة للتأثير، وتحدث غالباً في الحياة اليومية لتثبيت فعل محدد في وعي الناس وعلاقة وسلوك وسماع آراء طيبة وشكر لأعمال فرد أو جماعـــة مســـتقلة وهذا يعني تكوين إحدى المقدمات المهمة للمقارنة، وعلى العكـــس تأكيد وسط الجماعات، أو الأمكنة تقويماً سلبياً منددا متعدداً من جانب الرأي العام.

مثال :- يلعب الرأي العام دوراً كبيراً في توسيع المنافسة ويصبح أكثر وضوحاً وكمالاً في التعبير عنها.

ففـــي أغلـــب الحـــالات الناس مستعدون لاستقبال العقاب على أفعالهم وأخطـــائهم فقط حتى لا تصبح مادة لرأي عام واسع، وحتى لا يتكون رأي عام ســـلبي ويظهـــر عادة التقدير بشكل شجب وغضب واحتقار للفرد أو مجموعة

أفـراد، وممكـن أن تكون فعالة وواضحة وصريحة وبكلمات ملّغزة وعلاقات وأفعال وسلوك محدد.

إن قـوة وأهمـية الرأي العام مرتبطة بشكل مباشر بالأجهزة الخاصة والوسـائل التي تساعده لتحقيق وظائفه الخاصة، وتعد مثل هذه الأجهزة في المجـتمع السوري لجان المراقبة الحكومية والحزبية والشبابية والاجتماعية النقابية، وأجهزة وسائل الإعلام والمحاكم الاجتماعات العامة ويظهر نشاطها الواضح قوة وأهمية الرأي العام.

أسسـت فـي المجـتمع السـوري المـنظمات الحكومية والاجتماعية والاقتصـادية ومنظمات أخرى لخدمة الشعب، كل هذا يكون إمكانية ومقدمات واقعية حتى يحقق الرأي العام في المجتمع السوري تأثيراً دائماً في كل مجالات الحياة الاجتماعية.

ويسـاعد النشاط المتنوع للمنظمات الحكومية والاجتماعية والاقتصادية الدراسة المنتظمة لرأي الشعب بمسائل وحقائق وأحداث محددة، وهذا يسمح على ـ ـس تلقي المعلومات القيام بتعديلات وتغيرات في عملها، وفي وثائق حقوقية مستقلة أو ـ ـتماعية، هذا الجانب من المسائل تعيره القيادة في البلد انتباهاً خاصاً وقـد أكدت أكثر من وثيقة حزبية وحكومية على ضرورة تحسين العمل بدراسة الرأي العام لاسيما بخصوص هذه التدابير أو تلك التي تريد أن تقوم بها الأجهزة الحكومية والاقتصادية.

وقـد اهتمت معايير نشاط الحكومة والحزب في الوقت الراهن بطرح الوثـائق الحزبـية والقرارات المهمة للنقاش أمام الشعب؛ هذه الطريقة الجديدة تعطـي إمكانية للتحقق من كيفية تعامل الشعب مع الوثائق والمسائل المطروحة وكيفـية تعديلهـا في صياغتها الأخيرة، وتتعلق قوة وأهمية الرأي العام بطابع المسائل، والحقائق التي تظهر وتتكون في سير التطور العام، وكما هو معروف

يـتكون الـرأي العام في كل مجالات الحياة الاجتماعية، أي أن موضوعه معقد ومتنوع جداً، فموضوع الرأي العام في سوريا الراهنة يتكون في كل الاتجاهات الأساسية لـتطور الاقتصـاد والسياسـة والثقافة والأخلاق والحياة والعلاقات الأسرية، وهذا بالطبع: لأن سلطته تنتمي إلى الشعب، وهو وحده يناقش ويحمل مسائل مرتبطة بتطور المجتمع؛ ومعروف أن أحد المبادئ الأساسية للمنافسة هي العلنية التي بمساعدتها تنكشف إمكانيات كبيرة لاستخدام قوة الرأي العام من أجل تحسين وتنظيم العمل ورفع إنتاجيته بالوقت نفسه التنفيذ النوعي للمهام المحددة وعلـى أسـس المعايير والمؤشرات الراهنة تأخذ مجموعات وأفراد ومؤسسات على عاتقها واجبات عالية للمنافسة بشتى القطاعات الاقتصادية والقائمة، كل هذا تعبـير حقيقـي محـدد لعمل الرأي العام الجماعي، إن آراء الناس في المجتمع السوري تحولت في الظرف الراهن إلى أحد العناصر الأساسية للآلية الاقتصادية الجديـدة وعملية الانفتاح، وتتحدد قوة الرأي العام كتكوين روحي لدرجة مهمة بالخصائص الخاصة والطابع القطعي الحازم والإصرار بطرح المطالب بأشكال وطـرق التأثـير الاجتماعي المختلفة، وهنا على الأجهزة والمنظمات الحكومية والاقتصـادية والاجتماعـية أن تملك بفاعلية وحذاقة القدرة على استخدام هذه الخصائص في عملها التطبيقي.

وبشـكل عـام إن ما يتم تحسينه وإكماله في المجتمع العربي السوري بشـكل ناجح في القطاعات السياسية والاقتصادية والأخلاقية والحقوقية والثقافة هو شرط من شروط تكوين وعمل رأي عام صحيح ويعد عاملاً حقيقياً ومقدمة للتطور اللاحق لقوة الرأي العام وأهميته كظاهرة اجتماعية سيكولوجية.

للأسـف حـتى الآن هناك أعمال علمية جديدة لكنها قليلة تعالج جوانب مختلفة لقوة وأهمية الرأي العام، ونحن أيضاً نتفحص في هذا العمل فقط بعض

الجوانب والمسائل التي تتطرق لخصائص وتناسق التربية الأخلاقية والرأي العام.

وكما هو معروف ترتبط المبادئ الأخلاقية والمعايير في أي مجتمع بشكل عضوي بالرأي العام، ففي المجتمع السوري ينمو دور وأهمية المبادئ الأخلاقية بشكل دائم في مجالات الحياة الاجتماعية، ويتكون الجانب الأساسي ليس في تقويم سلوك وعلاقات أفراد محددين، وإنما في مساعدة هذه المبادئ والمعايير على تعبئة القوى المبدعة للناس في النضال من أجل بناء مجتمعنا الجديد، وقد كتب أحد الباحثين إنه في أسس أخلاقنا الحضارية يقع النضال من أجل تحسين البناء الحضاري الجديد وتعزيزه.

وتشهد التجارب المتراكمة للأعمال التطبيقية عن أن كثير من المسائل الهامة مثل تعزيز الانضباط بالعمل والنضال من أجل النوعية والفاعلية ليست فقط تعد معايير أخلاقية في المجتمع السوري، وإنما يدعمها الرأي العام من كل الجوانب ففي مجتمعات أخرى ينفذ الرأي العام وظائف أخرى، وقد أكد الكثير من الباحثين على أنه يتكون هناك أوضاعاً سيكولوجية فيها الرأي العام الشعبي لا يشجب فقط العمل السيئ على العكس يرى أيضاً في ذلك احتجاجاً وحيداً أو طريقة مشروعة للتعبير عن مطالبه.

وتتأثر الحياة السياسية في المجتمع تأثيراً قوياً بالرأي العام، وهذا يشترط قبل كل شيء الصلات المتبادلة للرأي العام بالعلاقات السياسية التي تعد شكلاً خاصاً من أشكال العلاقات الأيديولوجية وهكذا ليس فقط الأفكار السياسية والنظرات تؤثر على أوضاع الرأي العام، وإنما هو بدوره يؤثر عليها تأثيراً قوياً .

في ظروفنا الراهنة قوة وتأثير الرأي العام يجعل الدولة بأن تفكر بالسياسة الاقتصادية تفكيراً جدياً، وأن تضع خططاً للتنمية وفقاً لحاجات الشعب؛

فإعدادهـــا وتحقيقها بشكل عملي غير ممكن؛ إذ لم يؤخذ بالحسبان- وفي الوقت نفســـه، وبشـــكل دائم- عمل الرأي العام، وهذا مرتبط بالوظيفة التربوية كشرط أساســـي لرفع النشاط الإبداعي للجماهير؛ وبإشاعة الديمقراطية في كل قطاعات الحياة الاجتماعية، وبتحسين أداء الإعلام على هذه الأسس.

دراسة الرأي العام في المجتمع العربي السوري

يمكن دراسة أي ظاهرة اجتماعية، أو عملية اجتماعية بشكل صحيح، إذا استخدمنا المنهج العلمي.

ودراســـة الرأي العام، في جوهرها وطابعها، هي حالة واحدة من حالات عـــدة؛ وتؤكـــد هـــذه الحالة بوضوح، وبشكل مباشر أهمية المنهج العلمي في اســـتقلاليته، عن مادة المعرفة، وموضوعها؛ وهكذا على سبيل المثال، من أجل دراســـة مجموعـــة العملـــيات الاجتماعـــية بشكل كاف استخدمت مجموعة من الطـــرق، منها الطريقة الإحصائية، وفي نفس الوقت لدراسة الرأي العام، وهذه الطـــريقة لا تكفـــي لأنهـــا محددة ومشترطة في الظرف والمكان والزمن، وفي بعض العوامل الذاتية والموضوعية الأخرى.

ولذلـــك، هنا، من غير الممكن استخدام طريقة واحدة فقط، أو منهج واحد صحيح مستقل عن إمكانياته الموضوعية وخصائصه، كل هذا يشترط ليس فقط جوهـــر وطـــابع وخصائص الرأي العام، ولكن أغراضاً ومهاماً وطرقاً لتنظيم دراســـة اجتماعـــية ـــ ســـيكولوجية محـــددة، ففـــي الوقت الراهن من التطور الاجتماعي في المجتمع العربي السوري، يعد الرأي العام بشكل دائم وثابت أحد العوامل المهمة الحاسمة.

إذ تكشف الدراسة عن مجموعة من الجوانب الحقيقية، ولقطات محددة من طبيعة الحياة وسلوك الناس وعلاقتهم بحقائق وأحداث مستقلة، وبالسياسة الحزبية

والحكومية.

ويعدُّ الرأي العام، أحد أهم المقومات لرفع فاعلية النشاط الاجتماعي للناس، ليحل بنجاح مهاماً اجتماعية محددة، وتعزيز الصلات مع الجمهور وتوسيعها، وقد قدمت العلوم السوسيولوجية أسساً محددة لدور وأهمية الرأي الاجتماعي في المجتمع العربي، وأكدت بشكل دائم الأهمية الكبرى لجذب الناس الواسع للحلول العملية للمهام المحددة، وتحسين الإدارة الاجتماعية للمجتمع وتجد هذه الأوضاع السوسيولوجية انعكاساً موضوعياً لها ، وتجسيداً محدداً ودقيقاً في نشاط وقرارات الدولة ومؤسساتها. وقد أكدت في برامجها: " إن الصلات مع الجماهير الشعبية سوف تتطور، وستصبح بشكل أكبر طريقة للإقناع والتربية؛ وشرحاً لسياسة الدولة للمهام اليومية، وللعلاقات النابهة المسؤولة اتجاه آراء واقتراحات الناس، وبشكل أدق، دراسة الحاجات التشريعية والاجتماعية الخاصة للناس ــ هذا هو خط الدولة في علاقتها بالجماهير".

وقد طالبت الدراسات السوسولوجية أيضاً بتحسين أسلوب العمل واستخدام الطرق والوسائل العلمية لدراسة حقائق الواقع، والبحث عن ظواهر وعمليات لصياغة رأي عام صحيح وسط الشرائح الاجتماعية المختلفة.

وقد أسست كليات وأقسام في الجامعات السورية، ومنها الإعلام، والفلسفة والدراسات الاجتماعية والتربية؛ إذ تهتم كلها بدراسة الرأي العام المحلي وبالموضوعات المميزة، وبالمصادر الأساسية للإعلام، وطرق الإعداد والاستخدام الأكثر فاعلية. هذا التوجه معد، ويعمل مع مجموعة من المؤسسات وتنظيمات نقابية واجتماعية، ووزارات الدولة.

وبفضل هذا، تقوم دراسات الرأي العام الاجتماعي على أسس علمية. وفي الوقت نفسه ظهر، في المجتمع السوري تقصير كبير في دراسة الرأي العام. ونقص في برامج دراسته؛ وأذكر هنا على سبيل المثال : إنه حتى الآن يفتقد

العمـــل إلـــى تنظيم دقيق لدراسة الرأي العام، وبنفس الوقت لم يعد بعد، العمق الضـــروري والدقة في المسائل النظرية والمنهجية الهامة في دراسة الرأي العام ولـــم يعـــد حـــتى الآن طـــرق مناسبة ومنهجية، وتكنولوجية، ووثائق لمساعدة الباحثيـــن في مختلف التنظيمات الاجتماعية القائمة في البلد، ويوجد أيضاً نقص فـــي الـــبحوث لجوانـــب هامـــة في حياة المجتمع، كتطور الرأي العام المحلي والقومي، وفاعلية عمل الرأي العام وتأثيره، ومسائل هامة أخرى ويملك الشرح والتفسير لهذه المسائل أهمية نظرية وعملية كبيرة.

وللـــبدء بدراســـة الرأي العام من الضروري الوقوف أمام الشكل العلمي والمنظم الجماعي، لأن التدخل الخارجي في العمليات الذهنية يؤثر بشكل محدد سلباً وإيجاباً على الرأي العام المحلي.

ومن أبرز الجوانب النظرية والعملية الهامة في دراسة الرأي العام؛ ما يلي:

أولاً ــ دراســـة الـــرأي العام ليس بشكل عام، ولكن بالمسائل الأكثر حيوية وأهمية، ومسائل التطور الاجتماعي.

ثانـــياً ــ دراســـة الرأي العام قبل كل شيء من أجل التحسين الدائم للإدارة الحكومية والاقتصادية.

ثالثاً ــ دراسة الرأي العام ليس فقط من أجل جمع معلومات محددة، بل أيضاً من أجل رفع النشاط الاجتماعي للناس.

رابعـــاً ــ دراســـة الـــرأي العـــام لـــيس من الضروري تماثلها (مساواتها) وتوجيهها نحو الذاتية وموضوعها فقط ؛ بل من الضروري الأخذ بعين الاعتـــبار مجموعـــة أخرى من العوامل الموضوعية والذاتية العاملة أو المصاغة.

٢ - المطالب المنهجية والأسلوبية:

تقـــام كـــل دراســـة اجتماعية ــ سيكولوجية ليس فقط على مواد حقيقية

محـــددة، ولكن أيضاً على منهجية وأسلوب محدد، فبدون أسس علمية محددة، لا يســتطيع الباحــث أن يــتوجه في مواد متنوعة حقيقية، وكذلك كشف توجهها وارتقائهــا، وصــلاتها الأساسية والموضوعية في العمليات الحقيقية المدروسة والمماثلــة؛ ويمكــن من خلال التعلق (الارتباط) بالأسس النظرية المنهجية أن تكون البحوث السوسيولوجية ذات منهجية علمية عامة .

وتصيغ المنهجية العلمية العامة المبادئ العلمية العامة، والمطالب والطرق نحــو دراسة المسألة المعطاة؛ وتحلل الأسس الخاصة لأي ظاهرة أو عملية، أي الجوهر والتركيب على أسس البحث المنهجي العام الذي يقام على أسس القوانين العلمــية والتاريخــية، ويوجد إلى جانب المنهجية السوسيولوجية العامة منهجية خاصة «بالمنهج السوسيولوجي»، مادتها تكون محددة، وبمساعدتها تحلل وتصمم الــبحوث الاجتماعــية، وعملــيات وظواهر عامة، غير أننا بمساعدة المنهجية السوســيولوجية الخاصة، لا نستطيع تكوين أسس علمية كاملة، وتصورات عن الموضــوع المــبحوث؛أية مسألة ندرسها، وأية منهجية نستخدمها، فإن البحوث السوسيولوجية تنجز على أسس فلسفية عامة محددة، التي في نهاية الأمر تصور وتقر مراحل البحث.

ويحــول بعــض السوسيولوجين الغربيين المطالب المنهجية إلى مطالب شــكلية معيارية، ويعتبرون أن المنهج بدوره لا يمكن أن يرتبط بالفلسفة؛ وإنما يــرونه بمثابة البرهان لحالة منهجية فلسفية عامة، كنموذج يحدد ويؤطر نشاط الباحث؛ ويسهم بدرجة ما في تأطير نتائج بحثه وطرق تفسيره .

لكــن الــبحوث العلمــية المحددة، تستبعد الأفكار المثالية ذات الأحكام المسبقة، وهذا بالطبع لا يناقض الضرورة المسبقة في تحديد هدف البحث.

إن تحديد الهدف، وإقرار مسائل كل بحث معطى، يظهر الصلات الوطيدة بيــن البحوث، وطريقة البحث العلمي.. وهذه الصلات لا تعني على الإطلاق،

وكأنها تثبيت للنتائج قبل نهاية البحث .

كمـــا يؤكد المتفائلون الجدد:" على إن عدم النقاش للمنهجية العامة يؤثر سلباً بصورة كبيرة، وذلك لأن الباحث عند إعداده للبحث يستخدم مفاهيم فلسفية وحالات محددة؛ وعند الاعتماد على المنهج الاجتماعي ــ السيكولوجي الخاص، لا يستطيع الباحث تحديد الطريقة العامة لإعداد البحث وتجهيزه ، وكذلك تعميم وإعادة تحليل نتائج البحث السوسيولوجي المحدد" .

وتعـــد كـــل المناهج السوسيولوجية الخاصة، أساساً للفلسفة العامة، ويعد المـــنهج الفلســـفي المـــادي الجدلي، الذي يكشف ويدقق بشكل حتمي المنهجية العامـــة، ويوجه التطور، وبالتالي، يصبح الشيء الحاسم ليس استخدام المنهجية الفلسفية بشكل عام، وإنما جوهرها، «المادي» ــ أو «المثالي» ؛ وهذا بالتأكيد، هو المحدد الأساسي، عند دراسة الرأي العام.

وتُدخـــل الطـــرق المثالية غالباً بعض السوسيولوجين الغربيين إلى طريق مســـدود فـــي تحليل الظواهر، بعيداً عن المنهجية العلمية عند الإعداد والتجهيز والقيام بالبحوث السوسيولوجية المحددة، وعند الإعداد النظري والتوصل للنتائج العلمية.

بينما تعطي دراسة المنهجية العلمية إمكانية إعداد برنامج عملي من أجل البحـــث المحـــدد، وتطبـــيق مـــناهج أكـــثر فاعلية، وتكنولوجية لجمع وإعداد المعلومات.

إن المبادئ العامة والمطالب العلمية الجدلية كمنهجية علمية معروفة بشكل جـــيد نـــراها أكـــثر دقـــة لارتباط جزء منها بدراسة عمليات وظواهر المجال الروحي، بما فيها مجال الرأي العام.

٣- الموضوعية عند دراسة العمليات والظواهر الاجتماعية:

تشـــترط أهمية هذا المبدأ الحل الصحيح للمسائل الفلسفية الأساسية، لذلك

عـندما تفحـص الأكاديمـي كورغـانوف، عناصر الحركة الاجتماعية، حدد الموضـوعية كأسـاس قاعدي وعلاقة لدراسة الظواهر الاجتماعية. فأي عملية وأي ظاهـرة في المجال الروحي يجب تفحصها كنتيجة لانعكاس محدد لحقائق وأحداث دقيقة محددة. لذلك عند دراسة عمل الرأي العام من الضروري التحليل والأخـذ بعين الاعتبار قبل كل شيء الظروف والمقدمات الموضوعية التي يقع في أسسها تكوينه وعمله.

إن المسـائل التـي تعـد موضـوعات للرأي العام يجب أن تدرس بدقة وموضوعية، أي أن تتطابق معها في وضعها الحقيقي، وليس كما يريد أن يراها الباحث.

وتؤكد الأوضاع العلمية، أن وعي الإنسان لانعكاس الواقع الموضوعي لا يمكـن أن يراقـب ويـدرس بشـكل مباشر؛ لذلك، ندركه منطلقين من السلوك والرأي، والعلاقات المتبادلة بين الناس.

لا يأخذ بعض السوسيولوجين الغربيين بالانتباه لهذا المطلب المنهجي، إذ يمـزجون العمليات الموضوعية والظواهر المعكوسة في وعي الناس، ويقفون ضـد هـذه الطريقة العلمية التي تميز المعطيات الموضوعية لعمليات وظواهر مسـتقلة عن انعكاسها في وعي الإنسان. لذلك، الطريقة العلمية، تتطلب التجسيد الحقيقي العلمي عند تحديد المنهج وأساليب محددة للبحث.

٤- الطريقة المسحية للبحث :

يؤسـس هذا المطلب على الأوضاع العلمية القائمة على الصلات العامة والعملـيات المتبادلة المشروطة في الحياة الاجتماعية. ويعد جوهر كل الظواهر الاجتماعـية معقـداً بطبيعته، ومظاهره الخاصة المميزة، وهذا يتعلق، بعمليات وظواهـر المجـال الروحـي، التي بواسطتها يعكس الرأي والأمزجة النفسية، والسـلوك والعلاقـات المتـبادلة بين الناس، أي الواقع الموضوعي، كموضوع

وذاتية لتكوين الرأي العام.

ويحـــوي الرأي العام، كشكل روحي معقد ومتنوع، تقويم وعلاقة بمسائل مخـــتلفة، وحقـــائق وأحداث اجتماعية، لمجموعات اجتماعية ديمغرافية محددة بشـــكل كـــامل، ومجموعـــات ومـــناطق محددة في الحياة الواقعية، وتعد هذه الـــتقويمات، والثقافات، علاقات لا تنفصل بعضها عن بعض، ومترابطة بشكل متبادل، وتملك توجهاً محدداً، ونشاطاً وقوة واستقراراً ؛ لذلك، من أجل الحصول علـــى معلومـــات صـــحيحة ودقـــيقة عن عمل الرأي العام، وعن محتواه، من الضـــروري تطبيق الشروط السببية بشكل خاص، من خلال الطريقة الجماعية المسحية للبحث.

وهـــذا ضروري بشكل خاص إذا تم القيام بالبحوث الدورية لموضوعات الـــرأي العام، ودراسة آراء مجموعات اجتماعية كبيرة وشرائح ومناطق واسعة متـــنوعة؛ وتعطـــي الـــبحوث حجمـــاً معلوماتـــياً كبيراً عن وضع الرأي العام وخصائصه المميزة، إذا تمت الدراسة بالطرق والمناهج الممكنة والمتنوعة.

وأشـــير فـــي الدراسات الاجتماعية العلمية، للاتجاهات الأساسية لتحسين الدراســـة الجماعـــية للـــرأي العام، والأمزجة السياسية للناس، إلى أهمية تحديد الهـــدف، والتدقيق المركز على المادة، والشرح المنهجي، وتكنولوجيا التخطيط. بالطـــبع، تسمح هذه الطريقة بشكل كامل وبشكل موجه إبراز هدف عمل الرأي العام.

بغض النظر عن الطريقة التي تطبق في كل الحالات، من الضروري ليس فقـــط دراسة وجمع المادة الحقيقية، رغم أن هذه مقدمة هامة جداً، ولكن التحليل لهـــذه المـــادة من كل الجوانب، مع الأخذ بعين الاعتبار كل العوامل والمقدمات التـــي تشـــترطها المادة نفسها. عدا ذلك، عند تحليل الرأي العام من الضروري ربـــط حديث الذاتية عن الموضوع، أي الذاتية ــ الموضوعية، أو لحد ما وبناء

صحيح وموضوعي لانعكاس الذاتية، أي الموضوع ــ الذاتية «وهذا يملك أهمية عالـــية». ومن الضروري أيضاً الأخذ بعين الاعتبار مجموعة عوامل ومقدمات أخرى ــ مرتبطة مباشرة أو غير مباشرة بتكوين وعمل الرأي العام. بدون هذا التحلـــيل مـــن غير الممكن بشكل صحيح كشف ليس فقط مضامين الرأي العام ولكـــن الأسباب التي ولدتها والخصائص الذاتية المعبر عنها؛ هذا الجانب يملك أهمية كبيرة خاصة في عملية تنظيم وتوجيه عملية تكوينه وتشكيله.

٥- الطريقة الاجتماعية الطبقية:

يـــتحدد جوهر هذا المطلب المنهجي بالأوضاع الموضوعية لكل الظواهر والعملـــيات في المجال الروحي، ويمثل لدرجة معرفة مظاهر واهتمام ومصالح الناس ورؤيتهم وطموحاتهم وعلاقاتهم المتبادلة.

ومـــن أجـــل كشـــف جوهـــر الظواهر والعمليات، من الضروري شرح المصالح والاهتمامات الاجتماعية المعكوسة؛ وأية طبقة أو شريحة اجتماعية تعد حاملة لها، ومعبرة عنها، وتبرز المقدمات الموضوعية الدقيقة والذاتية للعمليات الروحية والظواهر ليس فقط في تنوعها وتعددها وتناقضها، وإنما في مجموعة من الحالات في غموضها، وهذا يصبح من الصعب تحديده، من قبل هذه القوى أو تلك، والعوامل التي ولدتها، والتي تحدد طريقة ظهورها الاجتماعية.

فالبحث الاجتماعي ــ السيكولوجي في المجتمع العربي موجه إلى دراسة هـــذه المسائل والحقائق والأحداث التي ترتبط مباشرة بالحياة السياسية والحزبية والحكومية، وهذا يساعد على كشف نظم التوجه الموضوعي للتطور الحضاري العربـــي. وتعطـــي الطريقة الاجتماعية الطبقية إمكانية تحليل ليس فقط جوهر الرأي العام، ولكن طريقة تكوينه وعمله.

ويســـعى بعـــض السوسيولوجيين الغربيين بشكل عام إلى تشويه الطابع الاجتماعي الطبقي لعمل الرأي العام. وكما هو معروف، تستخدم القوى الحاكمة

في الغرب كل الإمكانيات والطرق والأساليب لتصنيع الرأي العام الذي يتجاوب مع مصالحها؛ وفي نفس الوقت، تسعى بتصوير رأيها كتعبير وعلاقة الجماهير الشعبية بالعمليات والظواهر والحقائق.

وبالاختلاف عن المجتمع الغربي المعاصر يتوحد المجتمع العربي السوري باهتمامه ومصالحه الاجتماعية والتوفيقية لذلك تهتم الأغلبية الساحقة من السكان في المجتمع بالبناء السريع للقاعدة المادية الاقتصادية، وبفتح الأبواب أمام المنافسة الحرة وتشجيع الاستثمار، وتعميق الديمقراطية ، وبالتالي تكوين رأي عام صحيح؛ وعند دراسة التكوين الاجتماعي ــ السيكولوجي، بما فيه الرأي العام، يكتسب أهمية خاصة تحليل شروطه الاجتماعية لأنه لا يوجد نشاط اجتماعي.

وكما أنه لا يوجد نشاط اجتماعي مرتبط بشخصية معينة، أو مجموعة اجتماعية لا تملك أسساً اجتماعية ــ سيكولوجية، ولا تملك خصائصها الخاصة وبالتالي من غير الممكن التحدث عن الطريقة العلمية لكشف جوهر الظواهر والعمليات في المجال الروحي بدون الطريقة الاجتماعية ــ السيكولوجية؛ وتتطلب هذه الطريقة تحليل وكشف نظم تشكيل وعمل الظواهر والعمليات في المجال الروحي، والخصائص الخاصة وشروطها وصلاتها بالتوجه والتغيير والتطور؛ وهذا بدوره يحدد مكان رأهمية البحث الاجتماعي ــ السيكولوجي في النشاط البحثي العلمي؛ عدا ذلك، من الضروري كشف قدرة الرأي العام على عكس عمليات وظواهر وحقائق يعبر عنها بشكل موضوعي ؛ وهذا مهم لأنه ليس كل رأي عام يمكن أن يكون ثابتاً، وليس دائماً بإمكانه أن يعكس موضوعه .

ويعد البحث الاجتماعي ــ السيكولوجي في جوهره شكلاً خاصاً من أشكال معرفة العمليات الروحية والظواهر، والجانب الهام في تلك البحوث هو

دراســة وتحلــيل الدوافع الداخلية وقيمها، وتوجه الحاملين لها والمعبرين عنها ويعطــي تحلــيل هــذه الجوانب إمكانية متابعة الدراسة للآلية الداخلية ومراحل وطــرق تشكيلها كظاهرة اجتماعية نفسية، وعند دراسة العمليات الروحية، على الباحــث أن يركــز الانتباه على تحديد الإجراءات والتدابير الكمية القادرة على ضــمان التغيــير النوعي للظاهرة المعطاة. وهذا مهم بشكل خاص عند دراسة عمــل الــرأي العــام، لأنه يمثل إمكانية تحديد الموضوع ومحتوى المعلومات الضرورية والرأي العام.

٦- دراسة العمليات والظواهر في تطورها وتغيرها:

تعــد مــثل هــذه الدراسة صفة مميزة بشكل خاص للظواهر والعمليات الروحية، حيث الموضوعية المشروطة بالتبادل، والارتباط المتبادل يضاف إليها الوعي والنشاط الكامل الموجه لبعض الشخصيات والجماعات الاجتماعية؛ وعلى هذا الشكل ينحصر أحد المطالب الهامة الأساسية للمنهجية العلمية التاريخية عند دراســة الــرأي العام في أن كل العمليات والظواهر ينظر إليها ديالكتيكياً وليس بشكل جامد، وكم متغير، وإنما ينظر إليها بتناقض داخلي وديناميكي، وكعملية حتمــية مترابطة ومشروطة بالتبادل ، حيث يجري صراع دائم وحيث ينتصر الجديــد علــى القديم؛ أي كعملية دائمة التحسن والتطور، وهكذا يمكن أن يكون مكشوفاً الشكل الخاص لتكوين وعمل الرأي العام،وطابعه الديناميكي والمتناقض ومظاهره .

٧- الطريقة المحددة وأشكال دراسة الرأي العام:

تمتلــك مســألة تحديد الطريقة المحددة لدراسة الرأي العام أهمية منهجية وعلمية كبيرة. وبغض النظر عن ظهور بحوث سوسيولوجية عربية في الأعوام الأخــيرة، إلا أن المسألة بقيت موضع نقاش. ويفسر ذلك ليس بالتنوع والطابع المتناقض للرأي العام، ولكن الطرق والحالات المختلفة المستخدمة بالتوجه عليه

ويعطي بعض الباحثين تفضيلاً للجوانب الشمولية، والتشابه والدقة، والانتشار.. إلى آخره؛ التي تحمل بجوهرها تقريباً طابعاً وشكلاً وحيد الجانب. بالطبع ،هذه العناصر مهمة وضرورية عند تحديد طرق محددة.

لكنها لا تستطيع أن تكون أساساً محدداً، وبمساعدتها، ليس بالإمكان دائماً إعطاء جواب منطقي مبرهن عن خصائص بعض الطرق والوسائل المستخدمة في بحوث محددة.

ويفترض المنهج العلمي دراسة ما هو موجود في الرأي العام، كجمع المعلومات، منطلقاً من حالة واحدة قائمة على أسس هذه المعلومات، للخروج بنتائج منطقية دقيقة وقابلة للتعميم.

وعند تحديد طرق محددة لدراسة الرأي العام بشكل صحيح، يجب الانطلاق ليس من جانب محدد، وإنما من المبادئ المنهجية العامة المعدة علمياً والمجربة من خلال الممارسة وتظهر التجارب أن الطريقة المحددة لدراسة الرأي العام عليها أن تساعد للحصول على معطيات كاملة صحيحة،عن الموضوع المدروس، وأن تكون كاملة وأن تأخذ آراء أناس مختلفين، وأن تتجاوب مع المهام والأهداف التي يضعها الباحث أمامه، وبشكل خاص، أمام الباحث والمبحوث، وإمكانية واقعية للمنظم والباحث.

أن أي طريقة أخرى يمكن أن تكون وحيدة الجانب، بقدر ما أن في هذه الحالة يستخدم الباحث طريقة محددة ليست في وضع كشف درجات كاملة لجوهر وخصائص عمل الرأي العام. وفي الوقت نفسه، تشهد التجارب المتراكمة بأن دراسة الرأي العام الناجحة تحتاج إلى تطبيق الطرق المحددة التالية، المراقبة و تحليل الوثائق، النقاش العام، المؤتمرات العلمية النظرية تحليل نشاط الناس العملي (المقابلة، والاستمارة...)، ووفقاً لهدف ومهام البحث، المحدد، يمكن استخدام هذه الطريقة المحددة أو تلك. وتتعلق فاعلية أي

مـــنهج، بجوانـــب وخصـــائص الـــرأي العـــام المدروس، وبالأهداف والمهام الموضوعة أمام الباحث، وإذا تمت على سبيل المثال دراسة درجة انتشار عمل الـــرأي العـــام، عـــن طـــريق الاســـتبيان، فـــإن محـــتواه يدرس عن طريق «الاســـتمارة»وحسب، وهذا ليس بناء دائماً قادراً على إعطاء معلومات كاملة. لذلـــك مـــن الضـــروري استخدام ملاحظات، وآراء جماهيرية، وتحليل الوثائق والنشـــاط العملـــي للـــناس. لا يمكن اعتبار أي طريقة من الطرق المشار إليها اعتبارها منهجاً، أو طريقة فعالة وعملية كاملة. فكل طريقة من هذه الطرق تعد فعالة وذات نتائج.

وتملـــك الأهمية النظرية والعملية للتصنيف العلمي لطرق محددة، مطبقة عـــند دراســـة الرأي العام. وفي التصنيف العلمي، كحالة عادية يستخدم بشكل موضـــوعي مـــبدأ مبرهـــن ومقدمات، وليس عناصر مستقلة تصور الموضوع المعطـــى، لذلك في هذه الحالة لا يدور الحديث عن مجموعات، أو تنظيم لطرق محـــددة، لها أهمية خاصة، وإنما عن كشف الخصائص العامة والعلامات التي توحدهـــا فـــي ترابط منطقي مشروط. ويسمح التصنيف العلمي للطرق المحددة وبكشـــف التشابه والتفاوت والاتجاهات والبحث، والعمليات والظواهر، وتحديد العلاقات، والقيام في تنظيم متتال محدد للمواد المجمعة.

وبغـــض النظر عن خصائص الرأي العام، و الطريقة الخاصة لعمله في الحـــياة الاجتماعـــية يتعقد بشكل كبير ولدرجة هامة. تحديد الحالات الأساسية لتصنيف طرق محددة، رغم ذلك يوجد بعض الإعدادات النظرية.

وتخـــدم الـــتجارب التراكمـــية للعمل التطبيقي، وهذه الإعدادات النظرية الأسس العلمية لبحوث وتجارب وتعميمات جديدة.

وتعد حالات تضيف الطرق المحددة جوانب مختلفة للرأي العام، وجوهره كظاهرة اجتماعية ــ سيكولوجية وطابعاً لدراسة الموضوع، والمهمة، والوسيلة

وخصـــائص العمـــل، والمقدمـــات التكنولوجية... إلى آخره. هذا التنوع، يعقد ويصـــعب اختـــيار الحالـــة الأساسية. إذا على سبيل المثال، انطلقنا، من طابع الموضـــوع، فإن الطريقة يمكن أن تكون عامة خاصة محددة،. وإذا انطلقنا من القـــائم بالبحـــث، فإنه من الضروري تطبيق طرق محددة كالمقابلة والاستمارة والملاحظة... إلى آخره ،لذلك كل حالة مأخوذة على حدة، يمكن أن تكون أساساً لتصـــنيف الطريقة المحددة. لكن، يعد الأساس، في تحديد إمكانية الأسس الكاملة المنطقـــية والصلات المتبادلة بين الطرق المحددة، وتحديد، ما هي قدرة تجاوب التصنيف في السماح بتسجيل الجوهر المحدد والخاص، للرأي العام بشكل عام.

وعـــند تحديـــد مقدمـــات التصـــنيف العلمي الأساسية لطرق البحث، من الضـــروري الاسترشاد بالأوضاع المنهجية العلمية. وهنا تملك الأهمية المحددة موضـــوع الانعكاس، أي ما يطابقه، وكيفية عكس خاصته ونظم تطوره. وعلى هذا الشكل، يعطي تصنيف الطرق المحددة، الباحث إمكانية استخدام المعلومات الضـــرورية المســـاعدة والقادمة بحجمها ومحتواها. وبشكل أساسي عن طابع الموضـــوع المـــدروس. وعلـــى هـــذا الأساس، يحدد بعض الباحثين في العالم العربي، مجموعتين أساسيتين لطرق دراسة الرأي العام.

يدخل في المجموعة الأولى، طريقة تحليل العوامل الخارجية الموضوعية للوعي، أي مظاهر الرأي العام بواسطة العمل والفعل والسلوك، وعلاقات الناس بالعمليات والظواهر والحقائق.

وتدخـــل في المجموعة الثانية الطرق التي تدرس انعكاس الحقائق بشكل مباشـــر. فـــي الوعي، أي لتلك الآراء التي لم تجد انعكاساً موضوعياً في عمل الناس وسلوكهم. وبمساعدة المجموعة الأولى من الطرق، يدرس الباحث الآراء التـــي تظهـــر وعلاقـــات الناس، وبمساعدة المجموعة الثانية دراسة الرأي قبل ظهوره بشكل محدد، فالباحث عليه إظهاره وتسجيله. وتسمح هذه الطريقة دراسة

وتحلـيل حالتيـن أساسيتين للرأي العام، ويظهر غالباً في العمل العملي السؤال التالـي: أيـة مجموعة من الطرق تعطي إمكانية أكبر لدراسة عمل الرأي العام وأية الطرق من الضروري الاسترشاد بها؟.

إن مـثل هـذا السؤال، لا يملك أساساً علمياً منطقياً، لأن الطرق تعكس نوعين خاصين من الوعي، وتتعلق بطابع البحث يتحدد مكانه وأهميته .

أن تصنيف الطرق المحددة لدراسة الرأي العام، ممكن وصفها في الشكل التالي:

*** أسـاليب وأدوات وطـرق وسـمات دراسة انعكاس الحقائق الموضوعية للوعي:**

الملاحظـة والمراقـبة ، الجماهـيرية، العفوية، منظمة، مكشوفة، محددة متـنوعة (عامة ــ دراسة الوثائق ــ الخاصة والاجتماعية، النقاش العام، الدائم الجماعـي، الديموغرافـي ــ المهنـي، المؤتمـرات النظرية، النظرية العلمية والـنظرية العملـية، والـنظرية الدعائية، تحليل النشاط العملي للناس ــ عمل وسلوك أفراد محددين، جماعات، تنظيمات، مجموعات.

<u>-أدوات دراسة انعكاس الحقائق المباشرة للوعي:</u>

المقابلـة وبشـرط الحـرية أو الحرية النسبية، وبالهاتف، والاستمارة ــ وبطرق مباشرة أو غير مباشرة.

وتملـك السوسيولوجيا العلمية المعاصرة، إعدادات كاملة كمية نظرية ــ عملـية تـتعلق بالخصـائص العامة والخاصة وللطرق السوسيولوجية المحددة للـبحوث، وهنا نتعمق بعض الطرق التي من وجهة نظرنا، أكثر دقة ومرتبطة بشـكل مباشر بالرأي العام، وتتعمق أيضاً الدراسات المنتظمة المنظمة حكومياً وأكاديمياً ومعطيات اجتماعية ومؤسسات متخصصة.

٨- طرق دراسة انعكاس الحقائق الموضوعية للوعي:

يظهر الرأي العام بشكل مختلف، بواسطة الحديث المكتوب، والشفهي، و السلوك، والعمل، وعلاقة الناس بالمسائل والقضايا المهمة في حياتهم...إلى آخره. ومن أجل تسجيله بشكل دقيق وبوقته يتم استخدام طرق مختلفة محددة:

ـ **المراقبة والملاحظة** ـ وهي إحدى الطرق الجماهيرية، وأكثر الطرق ممارسة لدراسة الرأي العام. وتظهر من خلال الحديث الشفهي، وأشكال مختلفة لسلوك الناس، وهنا من الضروري تحديد الملاحظة كطريقة للبحث، ويستخدم مفهوم الملاحظة عادة بشكل إحصائي في الحياة اليومية.. وتعد الملاحظة بطابعها وجوهرها عملية موضوعية نفسية معقدة لعكس الواقع، ويشترط تعقيدها بالعمليات والظواهر الملحوظة بشكل غير مباشر، وفي الأوضاع الطبيعية.

عدا ذلك، يؤثر مكان ودور الباحث كمراقب تأثيراً محدداً على المرَاقب نفسه، اختيار المعلومات وتعميمها. لكن، في أغلب الأحيان يكون دور الباحث سلبياً (خمول)، لأنه يسجل فقط الآراء وعلاقات الناس بالعمليات والحقائق والظواهر. ويعطي استخدام الملاحظة كطريقة إمكانية واسعة لدراسة العمليات الاجتماعية والظواهر، وتتميز بعض أشكالها من خلال مكان المراقب وتنظيم عملية المراقبة وعوامل سوسيولوجية أخرى، وكذلك بالعلاقة المتبادلة بين المراقب، والمُراقَب، داخلياً وخارجياً وتجريبياً، وبخصائص تنظيم الخطة أو بدون تخطيط، بالمراقبة العضوية أو المنتظمة، وبالموضوع جزئي، عام جماهيري، جماعي وفردي...إلى آخره.

ويوجد لكل أشكال الملاحظة، علامات عامة، شمولية، وصلة مباشرة مع الناس، وأخذ آراء الناس الذاتية الظاهرة وتسجيلها.وفي العمل التطبيقي لدراسة الرأي العام، مكان ودور الأشكال المختلفة للمراقبة ليست متشابهة، فعند مراقبة هذه الجماعة أو تلك، أو هذه المجموعة الاجتماعية، تحصل على فائدة كبيرة

هامـــة ومعلومات غنية بالمقارنة مع المعلومات التي تأخذها عند مراقبة شخص ما محدد.

وعلـــى هـــذا الشكل، تبرز كيفية تنظيم وإعداد الدراسة، وكيفية استخدام النتائج الحاصلة، بالتعلق بفاعلية ومكان أي شكل من أشكال المراقبة عند دراسة الظواهـــر والعملـــيات المناسبة، ونتوقف بتفصيل أوسع على خصائص المراقبة الجماهـــيرية، كطـــريقة لدراســـة الرأي العام، وهذا يشترط في جوهره، تداخل أشـــكال ووســـائل النشـــاط الاجتماعي المستخدم في العمل التطبيقي للمنظمات السياســـية والحزبـــية والحكومية، وتنحصر المراقبة الجماهيرية كطريقة لدرجة معـــروفة في التنظيم الأيديولوجي المتنوع والنشاط الاقتصادي للمجتمع العربي السوري.

مـــا عدا ذلك، يمثل الطابع التركيبي والتنظيمي للمجتمع العربي السوري إمكانـــية كبـــيرة مـــن أجـــل المراقبة الجماهيرية في ظروف محددة. وتنحصر المسألة، فقط في كيفية الانتظام والتنظيم على أسس علمية استخدام هذه الظروف والإمكانيات، وبالمقارنة مع أشكال أخرى من المراقبة الجماهيرية، يتوفر إمكانية إضافية من أجل دراسة الرأي العام.

أولاً:ـ الدراســـة الســـريعة الشـــاملة للرأي الموجود، وعلاقة الناس بمسائل محددة.

ثانـــياً:ـ يملـــك الباحـــثون إمكانية كبيرة للدراسة المباشرة لآراء محددة في مخـــتلف المجالات، ودراسة آراء مجموعات مختلفة، وشاملة، والقدرة على المقارنة والتعميم.

ثالثاً: ـ تتحول طريقة الإعداد والقيام بالمراقبة الجماهيرية إلى شكل متنوع لأحاديث مع كل الناس؛ وهنا بفضل المراقبة الجماهيرية لدراسة الرأي العـــام تكتســـب طابعاً اجتماعياً يشترك فيه ليس فقط المؤسسات العلمية

ولكـــن أيضـــاً المنظمات الاجتماعية والحكومية والحزبية، لذلك تصبح المراقـــبة الجماهيرية إحدى الطرق غالباً الأكثر تطبيقاً في دراسة الرأي العام.

لقد تأسست تقاليد غنية في الوطن العربي، وفي سورية تحديداً، تقاليد غنية فـــي استخدام أشكال مختلفة ووسائل متنوعة لدراسة الرأي العام، ومسائل تتعلق بحـــياة الـــناس؛ وهذا يعطي إمكانية ليس فقط بشكل دائم معرفة آراء وعلاقات الـــناس بمسائل محددة، ولكن على أسس المعلومات المأخوذة، يتم بشكل صحيح تنظـــيم وتخطيط النشاط الحكومي والاقتصادي. ومكان هام في هذا النشاط في الوقـــت الراهـــن تشـــغله الصـــلات المتـــبادلة بين بعض قادة الدولة والمجتمع والجماهـــير الشعبية. وقد استخدم الإعلام السوري، بمستوياته المختلفة وتنوعه اللقـــاءات والأحاديث مع الناس كشكل محدد لدراسة الرأي العام الذي يتسع أكثر وأكثر بعد الإعلان عن الشفافية والديمقراطية للنظام السياسي الجديد.

ويصـــبح أحد طرق العمل لكل المنظمات الشعبية والحكومية والمؤسسات العلمـــية؛ لـــم يكن صحيحاً باعتبار أن الرأي العام يمكن أن يدرس على أسس علمية في تلك الحالة، عندما يكون الباحث موجوداً في هذه المؤسسة المستقلة أو تلـــك ففـــي ظروف الصلات المباشرة بالمواطنين، ومشاركة الباحث في أشكال مخـــتلفة من الأعمال السياسية، والتنظيمية، يتم ضمان الحصول على معلومات محـــددة، إلا أنهـــا ليست في حالة الكمال، لعكس جوهر وخصائص ما أظهره الـــرأي العـــام. فوجـــود الباحـــث في مؤسسة محددة، يعطي عادة فقط بعض التصـــورات والمعارف عن المسألة المعطاة، وليس كلها. ومن أجل أن تتحول الأشـــكال المخـــتلفة والدراسات والصلات مع المواطنين في الواقع إلى طريقة علمـــية محـــددة لدراســـة الـــرأي العـــام، عليها أن تتجاوب مع مطالب البحث الاجتماعي ــ السيكولوجي. فالابتعاد عن هذه المطالب، يمكن أن يقود إلى عدم

صحة النتائج والتعميم وتعد المراقبة الجماهيرية. كشكل وطريقة محددة لدراسة الرأي العام ناقصة في ملاحظاتها كمنهج سوسيولوجي تسجيلي؛ وهذا النقد يجب أخذه بعين الاعتبار كضرورة عند المنظم والباحث.

يضخم بعض السوسيولوجيين الدور الواقعي والمكان للمراقبة الجماهيرية في دراسة الرأي العام، ويحددونها بالموضوعية والفاعلية الأساسية بالمقارنة مع باقي الطرق الأخرى. هذا التقويم لا يتجاوب مع النتائج الواقعية الحاصلة نتيجة استخدام هذه الطريقة. كما، وأيُّ طريقة محددة، تملك المراقبة الجماهيرية خصائصها، وتتحدد لدرجة معروفة إمكانيتها من أجل الدراسة الموضوعية الشاملة للرأي العام، وعند استخدام طريقة المراقبة الجماهيرية، لا تعد البحوث في أكثر الحالات نموذجية ممثلة، لأنه لا يوجد أساس لاعتبار الرأي المراقب لمجموعة أو جماعة، يعكس بشكل كامل آراء كل الناس.

عدا ذلك، الإنسان المراقب، ليس دائماً يدلي برأيه بدقة وصراحة، ويبين علاقته الواضحة بالمسألة المطروحة. قسم من الناس يبقون «متفرجين لا مبالين أو مستمعين»، وتترك أيضاً وجود الأوضاع الاجتماعية للباحث أثراً واضحاً على الرأس المعكوس، أو على علاقته بالناس، مع ذلك، ليست دائماً أسس مراقبة الرأي العام الشفهي والمسموع، والعلاقة بالمسألة أو الظاهرة تتحدد بشكل موضوعي بطابعه الاجتماعي وليس بطابعه الفردي. وحتى، في هذه الحالة عندما تعكس الأغلبية المراقبة رأياً واحداً، ليس دائماً يمكن تصويرها بالرأي الاجتماعي. ومعروف أن موضوع المراقبة متنوع ومعقد، لا يمكن إدارته أو توجيهه. لذلك، لماذا لا يستطيع الباحث بشكل خاص اختيار أناس ومجموعات للمراقبة، ويشير إلى الطابع الذي عليه أن يملك آراءهم، هو فقط يلاحظ «يراقب» ويشير إلى ما يراه وإلى ما عرفه. وتشهد التجربة العملية، بأن هذه الطريقة تتطلب عمل كثير، ومستمر من قبل الباحث، ووثائق خاصة وموضوعاً

ووقتاً محدداً...إلى آخره.

ويلعب في عملية المراقبة المراقب نفسه دوراً خاصاً، لأن الإعداد والقدرة، والوضع النفسي، وطرق التسجيل والتعميم في كثير من الأحيان متعلق بجوانب ونواحي الرأي الظاهر المكشوف. كل هذا، يحدد ولدرجة محددة الاستخدام العملي للمراقبة كطريقة محددة لدراسة الرأي العام.

ـ **جمع الوثائق:** وهي إحدى الطرق المحددة لدراسة الرأي العام، ويعد مفهوم الوثيقة واسع جداً، بحجمه ومحتواه، وهو يشمل الوثيقة المكتوبة والصورة وأدوات العمل...إلى آخره.

ويوجد في العلوم السوسيولوجية نظرات مختلفة حول هذا المفهوم و يؤطر بعض المؤلفين، ويوسع آخرون أطره و محتواه. ويعكس الرأي في الوثائق المكتوبة بوضوح كامل، وبشكل محدد. ويمكن أخذ المعلومات والأخبار الفنية من تحليل الصور، والتسجيل والبث التلفزيوني...إلخ. وهي تعد وثائق.

وتفيد الباحث في شؤون الرأي العام طريقة دراسة الوثيقة واستخدامها بشكل أساسي عند تحليل محتواها.

وتظهر الممارسة أنه بدون تحليل الوثائق المدروسة من غير الممكن كشف الآراء التي تنعكس فيها والخصائص الخاصة المتشكلة والعاملة. وكطريقة للدراسة، تتميز الوثائق ببعض الخصائص الخاصة التي تحدد مكانتها في البحث الاجتماعي ـ السيكولوجي. وبمساعدتها تتكشف وتتحدد بعض الخصائص المميزة لتكوين وتشكيل وعمل، وطرق ظهور الرأي الجماعي والمجتمعي والخاص، وبنجاح يفسر مكان وأهمية العوامل الموضوعية والذاتية المحددة لتكوين الرأي، وآلية تشكليه وتحديد وقته.

ويملك الباحث إمكانية الدراسة المقارنة، وتحليل الآراء المحددة؛ والوقت الأكثر استمراراً في هذه الظروف المختلفة أو تلك، وفي مجموعات ديموغرافية محددة.

لقد أجريت بحوث مهمة في مجمعات زراعية وصناعية وفي مدن عربية كثـيرة، وعند تحليل الوثائق لبعض الدوائر الحزبية والحكومية، والنقاش حول الخطـط، ظهر بعض الجوانب المتنوعة لتكوين وعمل الرأي العام في جماعات العمـل. وكانـت المسـائل التي جمعت الأخبار والمعلومات عنها، والتي حلها جماعـة العمل أنفسهم، هي أيضاً درجة وشكل وطريقة لتكوين الرأي، وعلاقة للناس بهذه المسائل، واعتبر بعضها هاماً، وقد ظهر وبدقة بشكل عام آراء لدى المهندسـين فعالة بالمقارنة مع الموظفين والعمال الآخرين، وفي نتيجة التحليل للمعلومـات المـأخوذة تبين أن التفاوت في المصالح انعكس على تكوين وعمل الـرأي العام المحدد،و على طابع وتنظيم العمل وسط هذه الجماعات، وإمكانية القيام بالعمل السياسي في ظروف حياتية محددة. وقد سمح تحليل الوثائق أيضاً تحديد طرق تكوين وعمل رأي المواطنين بمسائل وحقائق لدرجة معروفة كانت موضوعية.

وفي تلك الحالة، يدرس ليس فقط الرأي والرغبة والنوايا، ولكن المقدمات والعوامـل الحقيقـية على أسس صياغة موقف محدد وعلاقة كاملة معبر عنها بالنسـبة لهـذه المسألة أو تلك. وتملك الطريقة المنهجية بالنسبة للباحث أهمية كبـيرة، إذ يحدد موقف الفرد أو الجماعة وقناعتها وعلاقاتها الداخلية، أي كيفية العمل في ظروف محددة.

ويعد الجانب المحدد الهام التحليل الصحيح لمحتوى الوثائق.

ويمـثل المصـدر الهـام لدراسـة الـرأي العام بواسطة الوثائق رسائل المواطنيـن إلـى الأجهزة الحكومية والحزبية ووسائل الإعلام. وفي منظمات مختلفة. عادة هذه المعلومات من هذه المصادر لا تحوي بشكل كلي على مطالب مميزة، وهنا لا يمكن تقويمها. إلا أنها تملك مجموعة نوعيات وخصائص تعطي إمكانـية الحصـول على معلومات قيمة عن الرأي العام، فالرسالة عادة تكتب

بشـــكل موضوعي إلا أنها غير دقيقة، وبمبادرة أناس يشعرون بضرورة البحث للتأثير في أجهزة الدولة العليا والمنظمات الاجتماعية والنقابية، فأغلبية الرسائل تـــتعلق بمســـائل اجتماعـــية حادة، وتملك أهمية كبيرة لبعض الناس أو بعض الجماعات، أو أحياء ومناطق.

إن رســـالة المواطن تعد وثيقة إنسانية حقيقية وغالباً ترتبط بمصير الناس وبمســـائل وأســـئلة تقلقهم. لذلك الأجهزة الحكومية بانتباه خاص ، تدرس بعمق رســـائل المواطنين. وقد أعطت الدراسات السوسيولوجية قيمة كبيرة لهذا النوع مـــن المعلومـــات، وطالبـــت بدراسة الوثائق والرسائل التي تصل إلى الصحف وأجهـــزة الدولـــة والمـــنظمات الشعبية والنقابية، التي تعكس أمزجة المواطنين ومواقفها من المسائل والأسئلة المطروحة.

وتعـــير الدولة والمنظمات الاجتماعية والنقابية في القطر العربي السوري انتباهاً خاصاً لرسائل المواطنين. ومنذ عام ١٩٧٠ أسس نظام أساسي يعمل في تحلـــيل المعلومـــات المأخوذة من رسائل الناس، والأجهزة الحكومية والحزبية والمنظمات الاجتماعية، ويطالب بالرد على كل إشارة ومقترح، يحوي معلومات غنية هامة، وتقديم مقترحات، وأجوبة الناس المهتمين.

لكـــن دراســـة الوثائق كطريقة لدراسة الرأي العام، تملك جوانب محددة وحقيقية، قبل كل شيء المعلومات المأخوذة، عن طريق تحليل الوثائق لا تحمل طابعاً تمثيلياً نموذجياً. وفي كثير من الحالات، لا تعد الوثائق بشكل خاص أساساً لدراســـة الرأي العام، فهي تأخذ في أغلب الحالات معنى اجتماعياً آخر، لذلك المعلومـــات الموجودة فيها عادة، معلومات عامة أو ذاتية أو محددة أو واسعة. لذلـــك عند دراسة الرأي العام بواسطة الوثائق، ضروري الشرح بشكل تمهيدي منهجـــية وأســـاليب الأســـئلة المساعدة على تجاوز النقد في هذا المنهج، ومن الضـــروري قـــبل كـــل شيء تدقيق وشرح الدوافع والأهداف عند تقويم الوثيقة

المحـــددة، وعلاقات المقدمات وتناسقها، والمقدمات الاجتماعية ــ السيكولوجية والمؤشـــرات الكمـــية والكيفـــية المعكوســـة في الوثيقة، وطابع المعلومات عن الموضـــوع، وحـــالات اســـتخدام المفاهيم و التعابير. من وكيف قال، هل رأيه مناسب، وطريقة تنظيمه متقنة لأخذ المعلومات...إلى آخره .

ويســـتخدم في الدراسات العربية التي قامت في أكثر من بلد عربي بنجاح وبشكل مستمر النقاش الشعبي العام كطريقة محددة لدراسة الرأي العام.

ويكشـــف بمســـاعدة الـــنقاش الشعبي العام آراء وعلاقات ملايين الناس بالمســـائل والظواهـــر الاجتماعـــية. ويفتح النقاش الشعبي العام كطريقة محددة لدراسة الرأي إمكانية كبيرة ليس فقط لتسجيل الرأي العام، ولكن من أجل التأثير علـــى تكوينه. مع ذلك، المعلومات في أغلبية الحالات التي تصل نتيجة للنقاش الشـــعبي العـــام، تبقى محددة بحجمها ومحتواها. وتعد هذه النقاشات فقط شكلاً محـــدداً للنشاط الاجتماعي ــ وتدابير ومبادرات، ولكن ليس منهجاً علمياً محدداً لدراسة الرأي العام.

في الأعمال التطبيقية من الضروري فرز التدابير والمبادرات التي يمكن تصـــنيفها كطـــرق سوسيولوجية محددة لدراسة تكوين الرأي العام. فهناك قادة محددين، واجتماعات عامة، وتدابير أخرى مشابهة تتطابق مع النقاشات. ولذلك لماذا دائماً نسمع: «نحن قمنا باجتماع عام هام، ونحن الآن نعرف، ما هو الرأي العام...إلى آخره ».

فـــي الحقـــيقة مـــن النظرة الأولى، يملك الاجتماع العام والنقاش بعض الجوانـــب والنواحي العامة. مشاركة جزء محدد من السكان، والطرح التمهيدي والآراء الصـــريحة بالمسائل المطروحة...إلى آخره ؛ لكن عند التفحص بانتباه يـــبدو هـــذا جوانب وحالات عامة واقعية تتميز، بشموليتها وتوجهها، والإعداد التمهيدي لها. في هذه الحالة نحن نملك شكلاً من أشكال النشاط الاجتماعي، وفي

الحالة الثانية ــ يتحسن هذا الشكل ويتحول إلى طريقة محددة بخصائص خاصة مطابقة تليق بها.

وتظهـر هذه الخاصة في النقاش في محتواها، وإعدادها، وسلوكها. وهنا عـادة، تطـرح لـيس كل الأسئلة التي تقلق الناس، ولكن فقط تلك التي يقرها المجتمع، والتنظيم، أو جماعة العمل بشكل عام، والتي لدرجة محددة تتطرق إلى مصـالح واهـتمام الكلـي للسكان. لذلك في نقاش تلك المسائل يشترك بنشاط الجمهـور. وحـتى تضمن المشاركة النشيطة للسكان أو ذلك الجزء منهم الذي يملـك علاقة مباشرة بالمسائل المطروحة، من الضروري استخدام كل الأشكال والوسـائل، وبـالأخص الأشكال المماثلة لتنظيم النقاش. ما عدا ذلك حتى قبل النقاش من الضروري القيام بالإعداد التنظيمي، لتدقيق وتأكيد وحل مجموعة من الأسـئلة، وشـرح المسـألة الأساسـية والأشكال والوسائل التي يتم استخدامها ومـبادئ تعميم المواد المأخوذة في نتيجة النقاش والصلات الإعلامية المعكوسة وضمان المواد الضرورية المساعدة.. إلى آخره .

أي نقـاش، بـلا شك، يتطلب إعداداً وتنظيماً خاصاً.. فالتجارب العلمية المتراكمة لعمل المؤسسات الإعلامية والمنظمات الشعبية تؤكد، إن النقاش الذي يتم على أسس علمية، يتحول إلى أشكال وأفعال وطريقة ليس فقط لدراسة الرأي العـام للسكان، ولكن لرفع وعيهم السياسي. وبدقة أكبر ــ إلى مدرسة متنوعة لـرفع النشاط السياسي للجماهير. لم يشترك الناس فقط في نقاش المسائل، ولكن بفضل رأيهم المعكوس وتصاريحهم واقتراحاتهم يغنون لدرجة كبيرة محتواه.

ففـي الفـترة الأخـيرة، أقيم في سورية عدد كبير من النقاشات الشعبية العامـة، وكانـت السـعة والشمولية السكانية من أهم الملامح المميزة، وأهمية الموضوعات وطرق القيام بالنقاش. فيها تم تفحص مسائل مهمة ومبدئية، كمواد المؤتمـرات الحزبية والشعارات المطروحة وسط الشباب، وأوضاع المزارعين

وقوانين مجالس الإدارة المحلية، مسألة السكن، والبنوك، والاستثمار... وموضوعات أخرى هامة. على سبيل المثال نقاش شعارات موضوعات العمل وسط الشباب، اشتركت تقريباً كل المؤسسات الحكومية والشعبية، وبشكل خاص الشباب، وأقيم عشرات الاجتماعات، وقدمت أوراق كثيرة، وأحاديث اشترك فيها آلاف الناس، قدموا اقتراحات كثيرة سلطت الأضواء على سير النقاش. وتم أخذ أحاديث ومقابلات مع المختصين والعلماء، والرجالات الذين يملكون وزناً اجتماعياً.

هذا يعد استشارة مع الشعب، أي نقاش شعبي عام لمسائل اجتماعية حكومية، تتحول بشكل أكبر إلى أسلوب وطريقة لعمل الأجهزة الإعلامية والحكومية والمنظمات الاقتصادية.

وعند استخدام النقاش الشعبي العام كطريقة محددة لدراسة عمل الرأي، الأجهزة الإعلامية والمنظمات الشعبية الاجتماعية تعير انتباهاً خاصاً إلى سرعة وشدة انتشاره. ويملك تفسير هذا الجانب أهمية عملية هامة من أجل التوجه الصحيح لعملية تكوين الرأي العام، لأن قوته تشترط ليس فقط معايير الشمولية الشعبية، والتمثيل بهذا المقدار وإنما حجم النشاط السياسي العملي للجماهير ومشاركتها الحقيقية في حل المهام المحددة.

ويمكن في عملية النقاش الشعبي العام شرح بدقة وضع السكان، وبأي شكل تكون الرأي المماثل، وما هي اتجاهاته وقوته الاجتماعية...إلى آخره .

وتملك طريقة النقاش الشعبي العام، كما وطرق أخرى، بعض الجوانب الضعيفة التي تحدد تطبيقها العملي. ويتطلب الإعداد والقيام بالنقاش الشعبي العام، وحتى النقاش المحلي وقت طويل، قوة ووسائل. ما عدا ذلك يشغل جزء هام من السكان، وهذا ليس دائماً مبرراً.

ـ المؤتمرات العلمية النظرية:

وهـي أيضـاً من الطرق المحددة والمنظمة والموجهة بشكل كامل لرفع الوعـي لـدى الـناس، ولدراسة الرأي العام، وتستخدم هذه الطريقة بنجاح في المجـتمع العربـي (المتحضر)، وتحديداً في المجتمع العربي السوري، إذ يوجد مقدمـات موضوعية وذاتية للمشاركة الواسعة النشيطة للناس في نقاش المسائل الاجتماعية والسياسية الملحة. وعند الأخذ بعين الاعتبار الخصائص العامة لهذه الطريقة يرى بعض السوسيولوجيين أنه من غير الممكن تطبيقه كطريقة محددة لدراسـة الـرأي العام، لأن هذا يعد بشكل كامل شكل ووسيلة، ونحضر بمثابة البرهان الأساسي على تلك الأوضاع، أنها عند الإعداد والقيام بالمؤتمر، تستخدم بهـذه الدرجـة أو تلـك الطرق الأخرى «المراقبة، تحليل الوثائق والمقابلات والاستمارات». ومعروف أن طريقة محددة تعطي إمكانية كشف جانب ونواحي محـددة للمسـألة المطروحة. وبالتالي، بواسطة المؤتمرات العلمية النظرية، لا يمكـن أن تكـون كـل جوانب ونواحي عمل الرأي العام مكشوفة، في الشكل «المجـرد»، كما وكل التدابير الأيديولوجية ـ الفكرية تقريباً، ومن غير الممكن القـيام بالمؤتمـرات، دون عملية إعدادها وتنظيمها التركيبي، بشكل جزئي أو بطرقٍ محددة أخرى.

وهذا يفسر جوهر الرأي العام من خلال فهم خصائص وطابع المؤتمرات العلمـية الـنظرية؛ ويعد السؤال الأساسي عن كيفية الإعداد والقيام بالمؤتمرات العلمـية النظرية؟ لا سيما إعداد الطريقة السوسيولوجية المحددة لتحديد دراسة بعض الخصائص للرأي العام.

ويتكشف بواسطة المؤتمرات العلمية النظرية كطريقة لدراسة الرأي العام الخصـائص الخاصـة لتشـكيله وعملـه الذي من الصعب بشكل كبير تسجيله بمساعدة طرق أخرى.

أولاً ــ عــند الإعداد والقيام بالمؤتمر، يعد الباحث والمبحوث ليس موضوعاً ولكن ذاتية البحث، طالما يقومون بمشاركة نشيطة، ويغيرون، ويطبقون ويغــنون، تصــوراتهم وآراءهم ومعارفهم، ويؤثرون بعضهم بالبعض الأخر.

ثانياً ــ يلعب الباحث عند الإعداد والقيام بالمؤتمر دوراً كبيراً جداً، في تحديد الموضــوعات وموضوع البحث، وينظم مواد إضافية، ويجذب السكان للمشــاركة فــي النقاش، ويساعد على التجهيز النظري للكوادر...إلى آخره .

ثالــثاً ــ تــتكون فــي المؤتمــرات ظــروف للنقاش الحر النشيط للمسائل المطروحة، وهذا يكشف أمام الباحث ليس فقط آراء متنوعة حقيقية، لكن لدرجة معروفة يسمح بتحديد طريقة تكوين وعمل الرأي العام.

ويــتركز انتباه الباحث، عند الإعداد والقيام بالمؤتمر العلمي النظري على العوامــل الذاتــية، حجــم ومحــتوى معرفة الناس، ودرجته الإعلامية، وطابع المعلومات، والمشاركة في النقاش... إلى آخره. هذه العوامل تؤثر تأثيراً محدداً على تكوين وعمل الرأي العام المماثل (المطابق).

مــا عدا ذلك، يوجه الاختصاصيون والمنظمون للمؤتمر العلمي النظري انتــباه المشــاركين إلــى ضــرورة الطريقة العلمية المحددة في تناول المسائل المطــروحة، وإلى تكوين الرأي العام الصحيح. ويملك أهمية عامة الأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص والمقدمات للعمل التطبيقي لوسائل الإعلام الجماهيري وللمؤسســات الحكومــية والاجتماعية المهمة. وتستطيع على أسس المعلومات المــأخوذة القــيام بنتائج محددة عن النشاط التنظيمي والأيديولوجي للمؤسسات العلمية، والقيام بتدابير علمية، مثال: تقام المؤتمرات العلمية النظرية، ليس فقط لتعمــيم الأفكــار والآراء المقترحة للمشاركين، ولكن لاتخاذ قرارات وواجبات

ومقترحات مناسبة.

ومـــن أجـــل الخروج بنتائج ضرورية، وكشف جوهر وخصائص الرأي العـــام يجـــب على المؤتمرات العلمية النظرية أن تكون معدة ومقامة ليس فقط كطـــريقة محـــددة للبحث، لذلك في عملية الإعداد، من الضروري التدقيق وحل المســـائل التالية، موضوع المؤتمر، البحوث الأساسية والإحصائية، والمعلومات موضوع البحث وتركيبه الدقيق، ما هي ضرورة إقامة البحث العلمي، وما هي المساعدة المنهجية والنظرية الضرورية للجماعات والأشكال، وعلى أي مستوى يتم القيام بالمؤتمر، ومجموعة أخرى ذات طابع تنظيمي.

مـــن الحلول الناجحة لهذه المسائل المحددة، تتعلق فاعلية الطريقة المطبقة للبحث. مثال إذا لم يكن موضوع المؤتمر العلمي النظري مصاغاً بشكل صحيح فـــإن هـــذا يـــنعكس علـــى إعداده وعلى نتائجه. في هذا الجانب تجربة مهمة للصـــحيفتين السوريتين «تشرين»، «الثورة»، اللتين قامتا بتغطية مؤتمر علمي نظري. طرحت الصحيفة الأولى سؤالاً «عن العمل التنظيمي والسياسي للدولة» والثانية «عن الوحدة التنظيمية بين الأعمال التنظيمية والأيديولوجية للدولة». في الـــنظرة الأولـــى، لا يوجـــد تفاوت ملحوظ في صيغ الموضوعات، طالما في الحالتيـــن يـــبرز الســـؤال نفسه. اكن يتميز الإعداد للنقاش والنقاش نفسه لهذه الموضوعات، ففي الحالة الأولى ساط النقاش الأضواء على مسائل عامة، وحمل بشـــكل مقارن الطباع الوصفي، أما في الحالة الثانية ــ ركز الانتباه على أسس الأفكـــار. وهـــذا، يتحدث، عن أن كل عناصر الإعداد والقيام بالمؤتمر العلمي الـــنظري مترابطة بشكل متبادل ومشروطة أيضاً بشكل متبادل. وهذا يعني أن الإعداد والقيام بالمؤتمر، يتطلب الطريقة الجماعية المتكاملة.

ويملـــك المؤتمـــر العلمـــي النظري لدراسة الرأي العام، بعض الجوانب الســـلبية، عـــادة في العمل التطبيقي، يدرس بمساعدة آراء وعلاقات مجموعات

صغيرة من الناس، وجماعات إنتاجية، وتنظيمات اجتماعية... إلى آخره.

وكما هو معروف، المؤتمر العلمي النظري ليس نموذجاً مثالياً، ولا يملك توجهاً كاملاً عملياً مباشراً، وفي حالات كثيرة أخذ المعلومات، لا يعطي إمكانية الخـــروج بنتائج صحيحة عن الرأي العام الحقيقي، ما عدا ذلك، يؤثر الباحثون والمنظمون للمؤتمر تأثيراً محدداً على الدراسة ذاتها للرأي العام.

تحليل النشاط العملي للفرد والمجموعات الاجتماعية:

إحـــدى الطـــرق لدراســـة الرأي العام . ومعروف أن الرأي العام بهذا الشـــكل أو ذاك يعكـــس جوانب ونواحي مختلفة للحياة الاجتماعية، وهو مرتبط بظـــروف محـــددة، واهـــتمام ومصالح الناس، ويتميز بتوجه عام عملي نشيط، وبطمـــوح وسعي لحل المسائل الماثلة وتفسيرها. وتظهر هذه الخصائص الكمية عـــادة فـــي المواقـــف والســـلوك وعمل بعض الأفراد والجماعات الاجتماعية وبالتالـــي، عند دراسة عمل الرأي العام، من الضروري السعي في كل الحالات لكشـــف لـــيس فقط جوهر الرأي نفسه، والجانب الذاتي للمسألة، ولكن قبل كل شـــيء كيف، وبأي شكل ودرجة يجد الرأي تعبيراً عملياً عنه في السلوك وعمل الـــناس. في الدراسات العلمية الاجتماعية المعاصرة، لا يوجد رأي واحد متعلق بهـــذه الطريقة المحددة في دراسة الرأي العام. وتعتبر أن النشاط العملي مظهر للـــرأي الموجـــود، وشكل وعلاقات الناس بالمسائل والظواهر لدرجة معروفة وجـــزء دائـــم مـــن الطـــرق المحـــددة. ويكشف تحليل النشاط العملي للأفراد والمجموعات الاجتماعية كطريقة محددة لدراسة الرأي العام، إمكانية كبيرة من أجـــل الحصـــول على تصورات أكثر نشاطاً وفاعلية ودقيقة عن رأيهم الواقعي علاقـــاتهم. هـــنا يـــتم بحث ليس ما يفكر به الناس، ولكن عن ظهور أفكارهم وراءهم وتجسيدها في الممارسة. وهناك قول شعبي يتردد: «المهم ليس ما يفكر به الشعب، أو يتحدث عنه، ولكن المهم ما يفعله ويقوم به>> لذلك يدرس الباحث

في هذه الحالة ليس ما يفكر به الناس، ولكن ما يفعلونه.

ويظهـر بشكل معروف أنه بين الآراء والعلاقات وأفعال وسلوك الناس يـبرز تفـاوت واضـح، ويفكـر الناس في كثير من الحالات بأسباب مختلفة ويـتحدثون ويعملـون عكس ذلك، هذه الخصائص الاجتماعية ـ السيكولوجية لوعـي وسـلوك الإنسـان من الضروري أخذها بعين الاعتبار في الدراسات المحددة للرأي العام. لأن ذلك، يمكن أن يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، وتعميم معلومات خاطئة، وأن يضع البحث نفسه في مسار خاطئ. بالطبع هذا لا يعني بـأن الناس في كل الحالات يفكرون ويقولون شيء، ويعملون عكسه، كما يؤكد بعـض السوسولوجيون الغربيون،يتحدد سلوك وعمل الناس هنا ليس برغباتهم الذاتية، ولكن بالظروف الاجتماعية والاقتصادية المحددة التي يعيشون ويعملون بها.

لذلك كل حالة محددة من الضروري تحليلها بتلك الحالة وتلك المقدمة التي تشـترط عمل وسلوك الناس، وإذا أخذنا بعين الاعتبار خصائص تشكيل وعمل الرأي العام، فإن المسألة عن صحته يجب تفحصها من جانبين:

الجانـب الأول ـ بقدر ما يظهر الرأي العام، ويسجل بشكل حقيقي كرأي عام اجتماعي وليس شخصياً، خاصاً أو جماعاتي.

الجانب الثاني ـ بقدر ما هو متماثل مع المسائل والحقائق والأحداث التي تخصه، ممكن إحضار أمثلة كثيرة لتكوين وعمل الرأي العام المحدد لا يتجاوب بشكل كامل مع المسائل الماثلة. ويمكن أن تكون أسباب ذلك مختلفة موضوعية ذاتية، عامة، ومحددة. هذه إحدى المسائل المنهجية المعقدة التي تشكل مصاعب كثيرة لدى الباحث وفي مجموعة الحالات يمكن أن ينعكس الرأي العام الخاطئ أو غـير الكـامل، ويتدعم من قبل أغلبية السكان. لذلك عند تقديم صحة الرأي العام الظاهر، من غير الضروري تأسيسه على معلومات خاصة مأخوذة نتيجة

لبحث سوسيولوجي محدد.

من الضروري استخدام مواد تاريخية، والقيام بتحليل النشاط العملي وسلوك الناس، والظروف التي تشكل ويعمل بها الرأي العام، وبالمقارنة مع المناهج الأخرى، يكشف تحليل النشاط العملي بشكل كامل القناعة والعمق وقوة الرأي، وعلاقته بالعمليات الجارية وبالمسائل المطروحة. وتملك هذه الجوانب بشكل خاص أهمية كبيرة، من أجل تحديد وظائف وقوة الرأي العام كظاهرة اجتماعية. ويعير بعض السوسيولوجيين الغربيين انتباهاً كبيراً لشرح سرعة وقوة الرأي العام، وتم القيام بهذه المسألة ببحوث كثيرة مختلفة، ونشر كثير منها في كتب ومقالات، إن السرعة، تقود للدراسة السريعة عن طريق منهج الاستبيان، أو عن طريق السلالم «الدرجات» المختلفة التي فيها ينعكس آراء المبحوثين بحقائق وظواهر وأحداث محددة. ويرى السوسولوجيون الأمريكيون روبرت لين، وديفيد بيرو أن سرعة الرأي العام يمكن أن تقاس بسلم «ليكرت (ودرجاته) »، وبمساعدته تصاغ أوضاع معروفة، إذ يعرض عليهم مجموعة من الأسئلة وعليهم أن يختاروا واحداً منها. ووفقاً للجواب «موافق»، «غير موافق تماماً»، «أو موافق نسبياً» «لا أستطيع الجواب»، أو «غير موافق»،أو لم يكن مقتنعاً بجوابه، مع الاحتمال الأخير «غير موافق على الإطلاق».

مثل هذا الموقف، يدافع عنه السوسولوجي الغربي موتكل بالطبع، إن استخدام استمارات ودرجات مختلفة لدرجة معروفة، يمكن أن يكشف بعض جوانب سرعة الرأي العام وقوته، ولكن فقط كرأي شخصي.

فبمساعدة الاستمارة وحتى السلالم الحديثة من غير الممكن ضمان أخذ هذا الجزء فقط عند تحليل سلوك وعمل حاملها، والمعبر عنها. وليس عن كيفية التفكير بها أو الحديث عنها.

وتنعكس طريقة تحليل النشاط العملي للفرد وللمجموعات الاجتماعية:

أولاً: ـ كطـــريقة لتحليل النشاط العملي وسلوك شخص محدد، «وبمساعدة هذه الطريقة في الدول الغربية، يدرس عادة رأي وسلوك القادة السياسيين».

ثانياً: ـ كطريقة لتحليل النشاط العملي وسلوك مجموعات اجتماعية ديمغرافية، وجماهـــيرية شعبية واسعة، بالطبع، إمكانية هذه الطريقة بشكل كامل «ضعيفة» بواســـطتها فقـــط يمكن تحليل النشاط العملي لأشخاص محددين، ومن الصعب دراســـة الـــرأي العام القائم. هنا من الضروري دراسة إضافية بحالات خاصة وتناســـق بين القوى. ويعكس في الدول الغربية القادة السياسيون رأي وعلاقات القوى المسيطرة، وهذا لا يمكنه أن يعطي تصوراً موضوعياً عن الرأي الحقيقي القـــائم للجماهـــير الشعبية الواسعة، وغالباً من غير الممكن تحديد درجة نشاط وســـلوك هـــذا أو ذاك من القادة السياسيين، وتجاوبها مع الرأي، وعلاقته بهذه المجموعة الاجتماعية أو تلك، وبالأحزاب السياسية وممثليهم.

لكل باحث بغض النظر، عن منهجه المستخدم، مهمة كشف الرأي المحدد بدقـــة، وتجسيده في الحياة، أي تجاوبه أو عدم تجاوبه مع المواقف التي يحملها ويعـــبر عنها، فهناك حوادث تظهر في الاجتماعات واللقاءات أو في وقت القيام بالبحـــث السوسيولوجي المحدد، يعبر فيها الناس عن رأي إيجابي وعلاقة طيبة بهذه المسألة أو بتلك ولكن عند تحليل معطيات محددة، ترى أن الرأي الذي أدلوا بـــه سابقاً لا يتجاوب مع أفعالهم. وبالتالي، عند دراسة الرأي العام، تملك أهمية استثنائية الاستخدام الأكثر سعة لطريقة تحليل النشاط العملي للناس، لا سيما عند دراســـة مجموعـــات محـــددة، ومؤسسات ومصانع، مؤسسات اقتصادية... إلى آخره.

وبغـــض النظر عن ذلك، إنه عند تحليل النشاط العملي لسلوك الناس، من الضـــروري الأخذ بعين الاعتبار مجموعة من العوامل الموضوعية والمقدمات ومن الضروري أيضاً الأخذ بعين الاعتبار أنه ليس كل آراء الناس تتحقق في

نشاطهم وسلوكهم وعملهم العملي.

٩ــ طرق دراسة انعكاس الحقائق المباشرة للوعي:

لا يــنعكس دائماً الرأي العام بشكل مكشوف، وهذا يؤخر إمكانية تسجيله بالطرق الموضوعية. ومن أجل دراسة انعكاس الحقائق المباشرة للوعي تضيق الطــرق المحــددة كالمقابلة، والاستمارة وتدرس عادة بشكل مميز، هذه الطرق والمعلومــات المأخوذة، الواصلة في شكل حكم خفي أو شفهي، ونعطي إمكانية كشــف بعــض الجوانب المرتبطة بدوافع داخلية للذاتية، وبالموافقة المحددة في الماضــي والحاضــر، وبخطــط وأفكار. هذا مهم بشكل خاص من أجل تحليل المحــتوى وخصــائص خاصــة لعمــل الــرأي العام المحدد. وتسمح المقابلة والاستمارة للباحث بكشف جوانب جديدة لعمل الرأي العام. وبالمقارنة مع طرق أخــرى، الطرق المحددة المعطاة، تسمح للمستجوبين بشكل حر وبصراحة ودقة أن يقولــوا آراءهم، ويعلنون عن علاقاتهم بالمسائل المطروحة. كطريقة محددة هــذا يكون إمكانية كبيرة من أجل التماثل والفاعلية، والشمولية الواسعة للبحث وتقــول الدراسات السوسيولوجية وجهات نظر مختلفة عن دور ومكان الطرق المحددة المعطاة في نظام عام لدراسة الرأي العام.

ويــتفحص بعــض الباحثيــن هــذه الطرق «واضعين في المكان الأول الاستمارة (الاستبيان)، كطريقة ضيقة تقود إلى الذاتية، ويرى آخرون أنها الأكثر قــرباً، مــن أجل الدراسة الموضوعية المحددة للرأي العام. وتعطي جهة ثالثة الاستمارة المكان البارز والدور المحدد.

لا يوجد شك، بأن هاتين الطريقتين الهامتين من أجل دراسة الرأي العام لكنهما من وجهة نظرنا، لا تستطيعان أن تكونا بارزتين أو أساسيتين ومحددتين.

المسألة ليست في تلك الجوانب والنواحي، لكل طريقة محددة التي لدرجة محددة تحدد أو توسع إمكانية المعرفة، وكذلك في محتواها وجوهرها وخصائص

البحث فيها؛ وعند تحديد هذه الطريقة أو تلك من أجل تسجيل الرأي العام، يجب الانطلاق في الدرجة الأولى من برنامج الدراسة المسحية ـ السوسيولوجية من طابع ومصادر وأنواع المعلومات، من تركيب الناس، المستجوبين وخصائص كل طريقة محددة. وتعد هذه المطالب ملزمة وضرورية عند استخدام طرق معينة للدراسة السوسيولوجية للرأي العام. ما عدا ذلك من الضروري الأخذ بعين الاعتبار خصائص الرأي العام الاجتماعي كظاهرة اجتماعية ـ سيكولوجية. ومن الضروري الانتباه أيضاً إلى أن الرأي العام هو ظاهرة معقدة متنوعة، وبمساعدة الطريقة الواحدة، مهما كانت فعالة ليست بالقادرة على كشف جوهره وخصائصه. وقد أظهرت التجارب، عند الدراسة المحددة يوضع بعض المهام التي لا يمكن أن تحل بواسطة طريقة وحيدة، إن فاعلية ودور ومكان الطرق المحددة لدراسة الرأي العام من غير الممكن إطلاقها. علينا أن نتفحصها من منطلقين من الشروط والصلات المتبادلة في البرنامج وطابع المعلومات،و من خصائص الموضوع والظروف المحددة، وإمكانية التنظيم والقيام بالبحوث المماثلة. فقط، وبهذا الشكل، يمكن أخذ كمية ضرورية وكيفية معلوماتية عن عمل الرأي العام.

لا يوجد في الدراسات السوسيولوجية وجهة نظر واحدة، على حالات وتضيف المقابلة والاستمارة.

عادة تتحدد على أسس العلامات العلاقة الأساسية بطابع وحجم المسائل المبحوثة والمطروحة بشكل كامل، وشكل البحث وطرق التواصل بين الباحث والمستجوبين، وطريقة طرح الأسئلة، واستخدام الوسائل التكنولوجية.

كل هذه العناصر، ممكن أن تكون مغممة ومنظمة وفقاً لثلاثة مطالب أساسية:

أولاً ـ طابع المعلومات.

ثانياً ـ طريقة الحصول عليها.

ثالثاً ـ تنظيم البحث، ويمكن على أسس العلاقات المشار إليها تحديد أشكال الطرق المحددة لدراسة انعكاس الحقائق المباشرة للوعي، وهي:

أولاً ـ المقابلة: وهي حرة نسبياً، ونموذجية ، وهي إما بالهاتف أو شخصية أو جماعية.

ثانياً ـ الاستمارة: وهي مباشرة وغير مباشرة، وهنا تستخدم أنواع مختلفة من المقابلة والاستمارات كطرق تسجيلية لدراسة الرأي العام. لقد تفحصنا هنا، فقط بعض الجوانب المرتبطة بتطبيق الاستبيان والمقابلة و لدى دراسة الرأي العام من خلال وسائل الإعلام الجماهيري، والمنظمات الحزبية والحكومية والاجتماعية. ووفقاً لوجهة نظر الأجهزة الإعلامية والمؤسساتية التي تقوم بالبحث وبالمهام التي تضعها،تتأطر وتنخفض أهمية المقابلة والاستمارة كطرق لدراسة الرأي العام، بالمقارنة مع طرق موضوعية أخرى محددة. وهذا لا يعني أن المقابلة والاستمارة غير ضروريتين، وأنهما لا يمكن استخدامهما على العكس علينا استخدامها بشكل مستقل وجزئي وفقاً للظروف والأهداف التي من الضروري الوصول إليها مع ذلك، في كل الحالات من الضروري الأخذ بعين الاعتبار خصائصها كطرق، وكذلك كطابع لنشاط منظم يقوم بالبحث.

وكطرق محددة، تملك المقابلة والاستمارة أيضاً بعض النقص الخاص ويظهر بشكل واضح عند الاستخدام المستقل لدراسة الرأي العام، وهنا الحديث يدور عن درجة ذاتية المعلومات، وفعاليتها وشهرتها و إبهاميتها ،وعن الإمكانيات الحقيقية التي تتجاوب مع الأجهزة الدارسة للرأي العام، وتوجه المعلومات ومجموعة أخرى من المقدمات التي يجب شرحها وتدقيقها في المرحلة التمهيدية. وممكن إحضار أمثلة، عندما تقوم جهة محددة بدراسة الرأي العام، دون الإعداد التمهيدي المماثل، ويقومون على أسس معطيات جزئية

مستقلة بنشر نتائج وتعميمات عن حالة الرأي العام أو عن مستوى العمل المؤسساتي والحزبي.

ويوجد حتى الآن، طموح، ومساعٍ للقيام ببحوث ميدانية باستخدام الاستمارة، وعندما لا يوجد ضرورة، و على أسس المعلومات المأخوذة، يجهزون بهذا الشكل القيام بتدابير تلبي الطموح لضمان الحصول على معلومات إضافية بطريقة البحث السوسيولوجي المحدد، وهنا المسألة تنحصر في نوعيتها ودقتها، وفاعلية تطبيق التعميمات والنتائج الحاصلة.

ومعروف أن العلنية للرأي العام كظاهرة اجتماعية ــ سيكولوجية وشكل محدد، ودرجة تعميم. لكن بعض العوامل يمكن أن تعرقل وتؤطر التأثير على تعبير الرأي العام أو الخاص، وإن تحديد هذه العوامل والمقدمات يملك أهمية خاصة من أجل توجيه وتكوين وعمل الرأي العام. لذلك عند تطبيق هذه الطرق، من الضروري ليس فقط كشف العوامل والمقدمات الحقيقية وإنما استخدام الطرق والأشكال القادرة على تحديد وتأطير وعرقلة تأثيرها وإمكانيتها وتخفيضها إلى درجة الصفر. وهذا من جانبه يتطلب القيام بالبحث على أسس علمية وبمشاركة الاختصاصيين. وتظهر الممارسة أن للباحث تأثيراً محدداً على المستجوبين أثناء القيام بالبحث، لا سيما أنه يعد ممثلاً لمؤسسة اجتماعية، أو جهاز حكومي. ويستخدم في حالات كثيرة طريقة «المشاركة المباشرة». لكنها قليلة الفاعلية لتأثرها بالظروف الخاصة المحددة»، وقلة الخبرة عند الباحث وأسباب أخرى، هنا تعمل عوامل «الشهرة، والنفوذ، والأمل في التغيير» وأحياناً عوامل أخرى «خيبة الأمل، وردود الفعل العكسية». في هذه الحالة يفكر الجزء الهام من المستجوبين بشكل و ظروف الحياة وكما هو معروف بعدم ثقة: «هنا يوجد شيء ما، إذا تم الاهتمام بهذه المسائل...، «عليَّ تعميق جوابي أو رفض الإجابة»، إلى آخره.

في النتيجة يتأقلم هؤلاء الناس مع البحث، ويعمقون الأجوبة الإيجابية وعلى العكس يعطون تحت تأثير ردود الفعل فقط أجوبة سلبية أو تظهر هذه الخاصة الاجتماعية ــ السيكولوجية لدى المستجوبين بأكثر وضوحاً عند دراسة مجوعة صغيرة أو بعض المسائل غير المهمة في الحياة، وغير مرتبطة بشكل مباشر بمصالح الناس، وتؤكد الأوضاع التي تفحصناها تعقيد الرأي العام،إذ تبين أشكاله المتنوعة، وطرق ظهوره الاجتماعي، وهذا بدوره يشترط الطريقة المسحية الشمولية لدراسته.

١٠ــ دراسة الرأي العام:

معروف أن نجاح أي بحث وبشكل خاص البحث السوسولوجي، يتحدد ليس فقط بمستوى المعرفة العلمية والمنهجية، وإنما بطريقة وأشكال تنظيم العملية البحثية. وتشهد الممارسة، أنه من غير الممكن الحصول على معلومات موضوعية معاصرة عن المسائل المبحوثة «المطروحة»، بدون التنظيم على أسس علمية ودراستها بشكل صحيح ومنتظم. لكن القضية ــ في أن البعض يعترف بذلك، بالكلمات وآخرون بالتفصيل والتطبيق الواقعي في كل قطاعات البحث،و هكذا ليس كافياً فقط الاعتراف بالكلمات للأسس النظرية والمنهجية المحددة ، المهم كيف سيكون البحث المنظم منتظماً، في الأعمال البحثية. هذه المطالب تلعب دوراً خاصاً، في البحوث الاجتماعية ــ السيكولوجية، حيث تدرس العمليات الاجتماعية والظواهر المعقدة المتناقضة.

إن تنظيم البحث السوسولوجي وتركيبه، في جوهره هو برنامج علمي كامل وموجه، قائم ومؤسس على العمل مع نظم وخصائص قابلية للتنفيذ بعد شرحها التمهيدي . وبغض النظر عن طابع وخصائص الرأي العام كظاهرة اجتماعية ــ سيكولوجية المبادئ الأساسية لتنظيم البحث لا تتميز ، بشكل حقيقي عن مبدأ البحث السوسيولوجي ــ المسحي. رغم أن ذلك، لا يعد هذا تطابقاً أو

تمـــاثلاً له وتحدد الأوضاع المبدئية العامة عملية «التكيف» عاكسة الخصائص الخاصـــة للـــرأي العام. وهذه الخاصة من الضروري أخذها بعين الاعتبار عند تحديد البحث الذي يؤدي لتحديد وظيفة الرأي العام.

ويتميز أي بحث اجتماعي ــ سيكولوجي، يقام بهدف دراسة الرأي العام بخصـــائص تشترط تركيبه، وظروفه المحددة، المسائل الموضوعية» والأحداث النهائية. لذلك، لماذا يمنع التحدث عن تنظيم عام ووحيد لكل البحوث، فكل حالة محـــددة للتنظـــيم ســـوف تحمل بشكل نسبي طابعاً مستقلاً يتعلق بطابع البحث والظـــروف المحـــددة، وبغـــض الـــنظر عن ذلك، يملك التنظيم عناصر عامة ضرورية لكل أشكال البحث السوسيولوجي بما فيه دراسة الرأي العام.

وقد ظهر في الأعوام الأخيرة مجموعة دراسات عمم بها تجارب إيجابية للـــبحوث السوســـولوجية، وقـــد تمت هذه الدراسات في البلدان العربية، ودعم مؤلفوهـــا، وجهـــة نظر عن أن الإعداد والقيام بالبحوث السوسولوجية، بما فيه بحـــوث تـــتعلق بدراسة الرأي العام، تتحقق في ثلاثة مراحل مترابطة بالتبادل: المرحلة الأولى ــ الإعداد، «الاختبار القبلي». المرحلة الثانية ــ القيام بالبحث، والمرحلة الثالثة ــ معالجة المواد المأخوذة. وتملك كل واحدة من هذه المراحل، تركيبـــتها الداخلية وخصائصها. ويضم الإعداد للبحث السوسيولوجي المحدد ما يلي:

<u>الـــبرنامج:</u> فـــيه يـــتم وضع الهدف ومهام البحث، ويشير إلى المعلومات المطلوبة. وأن تكون المسائل التنظيمية المختلفة للبحث الموضوع والذاتية.

<u>مشـــروع (تصـــميم) المعالجـــة:</u> وفيه يتم شرح طريقة ومنهجية معالجة المعلومات المأخوذة.

<u>الأسلوب:</u> تحديد الطرق المحددة، لانتزاع وأخذ المعلومات الضرورية.

<u>تنظـــيم الخطـــة:</u> ويحوي مسائل مترابطة، للتنظيم والإعداد التكنولوجي،

والقيام بالبحث المماثل.

الوثيقة: ضرورية للقيام بالبحث، وتسجيل النتائج.

وهكذا في مرحلة الإعداد تفهم الخطة الكاملة للبحث المحدد. ويعد الجانب الهام والمحدد في هذه المرحلة إنتاج وصناعة البرنامج.

ويكتسب أهمية خاصة لنجاح القيام بالبحث إنتاج وتدقيق طريقته وبرنامجه «مخطط الجدول)، والعمل المتبادل بين عناصر محددة في المرحلة التمهيدية. ما عدا ذلك، يرتبط القيام بأي بحث بالمسائل التنظيمية والتكنولوجية، ويعد أحد الجوانب الحاسمة في القيام بالبحث المشار إليه، الإعداد، والمساعدة، والمراقبة من جانب الخبراء والباحثين. كل هذه الجوانب بشكل عضوي وبشكل متبادل. وتشترط عملية البحث المحدد أيضاً تحديد المرحلة التي يقام بها.

١١ــ معرفة وتحديد موضوع ومهام البحث:

يعد الجانب المهم المحدد في تنظيم ودراسة الرأي العام، المعرفة وتحديد موضوع ومهام البحث. (ويرى الباحثون أنه من غير النادر بمساعدة عمل الرأي العام يمكن أن يدرس تقريباً أغلبية مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية) ويمكن أن يصاغ الرأي العام في أي مسألة لأن شمولية الموضوعات ممكن أن تكون متنوعة بشكل استثنائي. هذه أوضاع محددة مرتبطة بالمصالح الخاصة للناس وبمسائل عالمية. وتملك كل مسألة مجموعة من الصفات والخصائص الخاصة تنعكس في آراء محددة، ويمكن أن تكون بشكل كامل موضوعات مستقلة للبحث. وقد أشير إلى أن الرأي العام لا يصاغ بكل مسائل الحياة الاجتماعية، وبالتالي تحديد موضوع دراسة الرأي العام يحتاج إلى تحليل محدد للظروف، والأهداف والمهام وطابع وخصائص الموضوع. إضافة إلى ذلك من الضروري شرح الهدف المنشود لدرجة ما، ودراسة المسائل بشكل موجه وحقائق وأحداث عبر العالم الذاتي للناس أي عبر الرأي العام.

وترتبط أغلبية هذه العمليات في تركيبها وخصائصها بشكل مباشر في الوعي الجماهيري، أي بما يعد رأياً عاماً، وهو ليس بشكل دائم يعد أساساً علمياً للبحث لأنه يضاف إلى عملية تشكيله وعمله مجموعة من عناصر الذاتية، والتوجه العاطفي، والعفوية، والأوضاعية والاهتمام الشخصي إلى آخره. ومن الضروري أيضاً التدقيق بأهداف ومهام البحث المحددة. وفي هذه العلاقة يمكن توجيه الانتباه إلى المؤشرات الكمية والكيفية وإلى كشف ديناميكية وتوجه تطور الرأي العام المحدد المماثل. فبدون الشرح التمهيدي وتدقيق موضوع ومهام البحث من الصعب إعداد الأسئلة، وتحديد الطريقة المحددة للبحث فالمهم كشف خصائص الرأي المستجوب، وهكذا على سبيل المثال: التوجه لدراسة الرأي العام من خلال الموضوع والموضوع نفسه يمكن أن يتميز من خلال «الندوات العامة»، فإذا إحدى لقاءات فريق العمل الأول تحلل مسائل مرتبطة بالمؤشرات الكمية، «أي عدد الندوات التي تم القيام بها، وعدد الناس المشاركين في الحدث (الجدل)، فإن الثانية تبحث وتحلل أسباب الآراء المناسبة المماثلة للقائمين على البحث، وعلاقاتهم وتقويمهم وتوجههم.

إن المعلومات المأخوذة لدى فريقي البحث تتفاوت بشكل واضح بالمحتوى والموضوعية بشكل واضح، لأن التوجه المنهجي نحو المسائل المبحوثة، تختلف في الجذور حول صياغة موضوع واحد، وتختلف أيضاً المهام والطرق. لا يوجد شك في الحالتين، تم الحصول على معلومات هامة ممتعة عن الرأي العام المحدد المماثل. لكن المؤشرات الكمية لا تستطيع أن تكشف جوهره وتوجهاته وخصائصه بالوصول إلى بعض الحقائق والتعميمات؛ لذلك، لماذا، يعد تحديد صيغ الموضوع، والمهام المحددة ضرورية بشكلها الشمولي، والأخذ بعين الاعتبار لكل الجوانب والظروف. ففي الممارسة الهادفة لجمع مسائل هامة كاملة أساسية تصاغ غالباً، مواضيع كبيرة معقدة هامة جداً في عدة اتجاهات ومهام

منطقية معروفة حتى يتم القيام بمسائل كبيرة ويتواجد دائماً عند البحث الاجتماعي ـ السيكولوجي المحدد «إغواء» لإضافة مسائل أخرى بشكل أكبر. وهذا يفسر بشكل كامل طموح الباحث للحصول على معلومات غنية جداً عن جوهر المسألة المبحوثة. رغم أن المسائل العامة عادة معقدة ومن الصعب جمعها ودراستها بشكل موضوعي. على سبيل المثال موضوعات «عن الدور الطليعي للناشطين السياسيين» أو «السياسة الاقتصادية للحكومة الراهنة» أو «الجوانب الاجتماعية والسياسية للعمل الحزبي». هذه الموضوعات واسعة جداً بحجمها ومحتواها، ومن غير الممكن في هذه المؤسسة أو تلك تنظيم دراستها بنجاح بواسطة الرأي العام، وبغض النظر عن ذلك، إذا تواجدت ضرورة لتسجيل وعمل الرأي العام بمسائل ذات طابع عام، يوجد هنا ضرورة تقسيم وتحديد الموضوعات في عملية الآراء. إن موضوعات البحث عليها أن تكون موجهة هادفة ومرتبطة بمهام محددة، تحل من خلال المؤسسات القائمة المماثلة، وفقاً لقضايا واهتمامات الناس القلقين. وتشهد الممارسة، بأن الموضوعات البعيدة عن الحياة والظروف المحددة، مؤهلة بأن تفشل وتخفق. وفي هذه الحالة تتم مخالفة المطالب المنهجية للصلات والاشتراط المتبادل لصياغة وعمل ودراسة الرأي العام. ويمكن أن يقود تهميش هذا العمل إلى أوضاع تتعلق بخطة البحث، وبمسائل لم يتشكل حولها الرأي العام بشكل حقيقي أو لم يعمل بها.

إن تحديد وتوجيه الموضوعات لا يملك أي شيء عام مع ما يسمى بالاتجاه الحاضر «الحالي» أو المسحي ـ التطبيقي للبحث؛ المهم، كيف يستطيع الباحث ربط الممارسة بالنظرية، وتحليل واستخدام المعلومات المأخوذة من أجل حل المهام المحددة أو تحسين آفاق العمل. ويعد بشكل مبدئي مثالياً التخطيط ودراسة كل المسائل، التي يتكون حولها الرأي العام، لكن في الممارسة

هـذا تقريباً غير ممكن، وفي بعض الحالات يعد زائداً أو لا يملك أهمية نظرية وعملية، وما عدا العوامل التي تحدد إطارات موضوع، البحث من الضروري الأخـذ بعين الاعتبار إمكانية الباحث والمنظم، ومعروف أن الأجهزة المركزية والمعـاهد والأقسـام العلمية الجدية، والمنظمات الشعبية، واللجان الحزبية في المؤسسات الإنتاجية... تملك إمكانيات مختلفة. ولكن، للأسف بعض المؤسسات لا مـبرر لهـا الانجـذاب نحو المسائل المعقدة لدراستها، فهي لا تستطيع ولا تسـتطيع تحقـيقها مـنفردة. وهنا، الحديث يدور، عن موضوعات «التركيب الاجتماعـي للمجـتمع المعاصـر». «الأيديولوجـيات المنتشرة في المجتمع» «الخصائص الاجتماعية النفسية للعمل الأيديولوجي». وعند تحديد البرامج، كل باحـث علـيه الأخذ بعين الاعتبار، الانتباه للمهام الموضوعة الخاصة لدراسة الـرأي العام الاجتماعي المماثل. هذا الارتباط المشروط بين الموضوع والمهام يضـاف إلـى كـل مـراحل عملـية الإعداد والقيام بالبحث، وتشهد التجارب المـتراكمة، إن عـدد مهام البحث الواحد المحدد، تتأرجح بين ٣ــ٤ أو ٧ــ٨ مهام، وإذا كان عددها أقل، وفي مرحلة محددة يمكن دمجها مع الموضوع وفي نفس الوقت القيام بتحديد البحث نفسه.

وإذا أصـبحت أكـثر فإنه هنا يظهر عناصر تحميلية إضافية، وهذا يعقد لدرجـة كبـيرة التوجه نحو هدف البحث نفسه. وعلى هذا الأساس عند تحديد موضـوع البحـث المحدد، لعمل الرأي العام، ومن أجل حماية التوجه الصحيح للبحث، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار كل الجواب التي ذكرناها آنفاً.

١٢ــ الفروض العملية:

تعـد الفرضـية العملية بجوهرها رؤية مستقبلية تتوجه نحو البحث القادم المحـدد للـرأي العام، وتحوي ليس فقط النتائج المتوقعة، ولكن أسباب التوجه واتجاهات متغيرة لعمل الرأي العام.

إعـــداد الفرضـــية، هو عمل غير مجرد، ذاتي، وإنما هو نوع خاص من أنواع العمليات المعرفية، الذي يؤسس في الدرجة الأولى على المعرفة التمهيدية للرأي العام القائم وخصائصه.

لذلـــك الفرضـــية، علـــيها أن لا تناقض القوانين الموجودة، التي أكدتها الممارســـة، والحقـــائق والأوضاع الخاصة في ظروف الإعداد والقيام بالبحث المماثل.

وقد عكست السوسيولوجيا العلمية مجموعة من وجهات النظر عن طابع وجوهـــر الفرضـــية، وكانـــت وجهة النظر الأكثر انتشاراً تلك التي تتوافق مع فرضيات تتجمع <u>في ثلاث اتجاهات أساسية:</u>

١. فرضـــية عـــن الوضع العملي ، أي تسجيلية(تصويرية) يتم بمساعدتها الحصول على معلومات مسحية تطبيقية .
٢. فرضـــية عن الأسباب، أي تفسيرية التي توجه الانتباه على كشف أسباب الظاهرة المعطاة وحقائقها.
٣. فرضية عن القوانين أو التوجيهات التي يتم فيها محاولة كشف الصلات الحتمية والشروط للمسائل المستقبلية وخصائصها واتجاهات تطورها.

ويشغل أي شكل للفرضيات مكانة ،ويملك أهمية محددة عند دراسة الرأي العـــام. ويـــتحدد وفقاً لطابع الموضوع المبحوث، والمسائل الموضوعية الشكل المماثل للفرضية. وكما هو معروف يتم في العمل التطبيقي «جمع» أو «مزج» بواســـطته يظهـــر ليس فقط الشكل الكمي، ولكن مواصفات نوعية للرأي العام المـــدروس. وهكـــذا علـــى سبيل، إذا أردتم دراسة الرأي العام بمسائل السياسة الاقتصـــادية للدولة، أو تنظيم العمل في المؤسسات القائمة. فإن الباحث عليه أن يهـــتم بالتحديد الكمي وجوهر عمل الرأي العام، وبنفس الوقت اتجاهات تطوره. وإذ توفرت معلومات فقط عن إحدى مواصفات الرأي العام القائم، فإنه من غير

الممكـــن اعتبارها تصورات كاملة موضوعية حقيقية عن وصفه، مع ذلك ليس فـــي كـــل بحث من الضروري «جمع»أو مزج كل أشكال الفرضية، هذا يتعلق بطابع البحث والمهام الموضوعة أمامه.

ويوجـــد فـــي الممارسة حالات، عندما تقرر بعض المؤسسات الإعلامية والحكومية والاقتصادية القيام ببحث محدد للرأي العام بدون الفرضية المناسبة معتبرةً ذلك زائداً وغير ضروري ويعقد البحث.

ويظهـــر السؤال التالي: هل من الممكن دراسة الرأي العام بدون التدقيق بالفرضـــية العملـــية؟ بالطبع من غير الممكن، لأنه في هذه الحالة يمكن لدرجة كبـــيرة التفسير الذاتي للمعلومات المأخوذة وظهور نتائج ومقارنة تعميمات غير مبرهنة. وإذا على سبيل المثال تم جمع المعلومات من قبل مؤسسة ما، في نظام ســـريع وفعـــال، من رسائل المواطنين، والشكاوى، والانطباعات الخاصة، من قـــنوات أخرى، حتى في ظروف وجود طريقة محددة وثائقية، من الصعب جداً بشـــكل واقعـــي إعـــداد فرضيات. لكن إذا تمت دراسة الرأي العام بشكل منظم وموجـــه وهادف بمساعدة المجموعة الأولى للطرق المحددة فقط. على الباحث والمـــنظم صـــياغة فرضـــيات مناسبة مماثلة. وفي حالة عكسية من المعلومات المـــأخوذة يمكـــن أن يظهر نتائج ذاتية غير صحيحة. وهنا يمكن إحضار عدة أمـــثلة، عـــندما يجهـــز المسؤولون في هذه المؤسسة أو تلك تدابير القيام ببحث جزئي بواسطة الاستمارة، يتلقون رسائل، وينظمون تدقيقاً خاصاً للحصول على معلومات إضافية، في هذه الحالة، غالباً ما نسمع بيان الباحث عن أن المعطيات المـــأخوذة مـــن دراســـة الـــرأي العام، أكدت صحة وجهة النظر التمهيدية في توصيفه.

بالواقع مثل هذه المعلومات مفيدة، ومنها يمكن الخروج بنتائج وتعميمات مماثلة. ولكن من غير الممكن بقناعة التحدث عن أن هذا هو الرأي العام. لو أن

النـــتائج المـــأخوذة أكدت أو لم تؤكد وجهة النظر التمهيدية. إن اختفاء عناصر المقارنـــة والمواجهـــة مـــع حقـــائق مأخوذة من المعلومات نفتح الطريق إلى الذاتية.لماذا هنا، إعداد الفرضية هو من الجوانب المهمة عند دراسة الرأي العام بغـــض الـــنظر عن ذلك، هل تتأكد الفرضيات، فهي تشير للباحث على جوانب ونواحـــي محـــددة للموضوع، إلى الأسئلة الجديدة. التي تعد هامة وحاسمة عند دراســـة الـــرأي العـــام، وتتطلـــب بحـــوث جديدة وتفكير جديد. هذه الصلات المشروطة المتبادلة، للبرنامج، والفرضية العملية والباحثين أنفسهم، تعكس بشكل محدد ديناميكية الرأي العام.

١٣ــ تحديد موضوعات دراسة الرأي العام المحدد:

يعلـــن الـــرأي العام في جوهره وخصائصه وبشكل عام عن موقفه بشكل مباشـــر، في المسائل الحياتية الاجتماعية ومسائل أخرى. «لكنه لا يملك أشكالاً خاصـــة ممـــيزة عـــن أشكال موضوع الانعكاس، وهذا يسمح لنا بالتحدث عنه كشـــكل خـــاص للانعكاس» ويعلن الرأي العام موقفه في مسائل كثيرة متنوعة ومعقـــدة، تتغير بشكل دائم وتتوسع وتغتني . ويؤثر فيه تعديلات الحياة نفسها والواقـــع المحدد، لذلك حدود موضوعه تبقى متحركة بشكل نسبي، وتظهر هذه الخاصـــة بدقـــة فـــي المجتمع العربي الذي تتكاثر فيه موضوعات الرأي العام بشـــكل دائـــم وتتطور. وبغض النظر عن ذلك، تشهد الممارسة أن الرأي العام يعلن، بشكل موضوعي وحقيقي ليس دائماً، وبأي سبب، مسائل وحقائق محددة. وبالتالـــي أن جميع المسائل والقضايا،التي يمكن أن تكون موضوعاً للرأي العام يتم استخدام جزءاً غير هام منها .

لذلـــك يسأل الباحثون مسبقاً، هل من الممكن بمساعدة دراسة الرأي العام الحصـــول علـــى معلومـــات موضـــوعية بالمســـائل الماثلة وأحداث وحقائق موضـــوعية، ومـــا هي المصالح التي يدافع عنها الرأي العام، وما هي أهميتها

الاجتماعية، وبشكل عام هل من الضروري دراسة الرأي العام. وعند التعرض لتحليل مادة البحث هنا من الضروري مقارنة وتحليل كل الجوانب، وأهمية المادة التي تخضع لنقاش، وما هي سرعتها وشدتها، وبالتالي تحديدها. كل هذه المسائل عليها أن تُشرح وتُدقق في المرحلة التمهيدية، لأن ذلك بشكل مباشر ينعكس على موضوع ومهام الفرضية العملية والتوثيق، أي على طابع ومحتوى وتوجه البحث المحدد، بغض النظر عن طابع التوجه، وتحديد البحث والموضوع. وعدا ذلك تحتاج دراسة الرأي العام إلى التحليل الدقيق،وتحديد مسبقاً موضوعات البحث، والتدقيق في مجموعات الناس أي تحديد «الشرائح» الاجتماعية، ويتطلب إعداد البرنامج، وتحديد المناهج والطرق، والأساليب والوثائق البحثية و الارتباط والالتزام بالخصائص الديموغرافية والمهنية وغيرها. وتملك بشكل واضح أية جماعة اجتماعية، ديموغرافية في المجتمع أو في المنطقة أو في الجماعة، وجماعات العمل خصائصها الخاصة، وفهمها وتقويمها وتجربتها الحياتية، واهتماماتها والظروف التي يعيشون بها. وهذا مهم أخذه بعين الاعتبار عندما يدرس رأي عام الشباب. ومن الضروري في العملية البحثية الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الاجتماعية ــ النفسية والسن «العمر»، لجيل الشباب. وهذا بدوره يميز المجموعات الديمغرافية الأخرى في المناطق، والجماعات التي تحتاج إلى دراستها وعمل الرأي العام فيها. إذاً على سبيل المثال، إذا تم دراسة الرأي العام عن طابع وخصائص التغيير الذي حدث في مؤسسات القطاع الزراعي، بعد التحولات الصناعية الجارية، فهنا يكون صحيحاً بمثابة الموضوع، اختيار الناس الذين بشكل مباشر يعملون في مؤسسات القطاع الزراعي. وفي هذه الحالة، ليس من الضروري دراسة آراء الجنود والضباط والأطباء والطلاب، رغم أن أغلبيتهم يعملون في هذا القطاع، ويمكن بشكل مباشر أو غير مباشر تكوين رأي عام لكل المسائل المماثلة، وعلى هذا

الشـكل، يمكـن أن يملـك الجنود والأطباء والطلاب آراء خاصة عن المسائل الزراعية. لذلك، تعد الممارسة الاجتماعية في الغالب هامة وبشكل خاص معرفة مسـائل القطاع الزراعي في هذه المرحلة، وعلاقتهم «أي علاقات هؤلاء» بها. وفـي مـثل هـذه الحالـة، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار المهام المحددة والأهـداف التـي يضـعها الباحـث نصب عينيه، أي المعلومات الضرورية المضمونة، والمناهج والطرق التسجيلية التي يجب أن تستخدم في البحث.

وعـندما يـتحدد موضـوع البحث بدقة، «مثال دراسة رأي الشباب في الصـناعة النسـيجية فـي مدينة دمشق عن العمل الاجتماعي ــ الإنتاجي، أو دراسـة رأي «المسؤولين والقائمين على العمل في المدينة عن العملية التعليمية فـي ضـوء المهام التعليمية الجديدة». فإن موضوع البحث يتحدد بدقة، وعندما المسـألة تحمل طابعاً عاماً وتخص كل سكان البلد، أو أغلبية السكان، فإن ذلك يتطلـب تحليلاً خاصاً من أجل تحديد الموضوع. مثال إذا المنظمة الحزبية تهتم بـرأي السياسيين بمسائل العمل السياسي الجماهيري، في هذه المؤسسة المحددة فإن موضوعات المستجوبين يجب أن تفسر بدقة وبجدية محددة، في هذه الحالة؛ مـا عـدا المطالـب العامة التي ذكرناها، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار الجوانـب الفصلية العملية، والمهن الأساسية، والدخل الإضافي، والارتباط في المراكـز الثقافية والصناعية، ومجموعات من الجوانب والنواحي الأخرى التي تؤثـر على طابع وتنظيم العمل. كل ذلك، يؤثر على تكوين وعمل الرأي العام. وعـند تحلـيل رأي الـناس بمسـائل تقلقهم، ومسائل اهتمامهم الخاص، تمثل المجموعـات الشـكلية وغـير الشكلية في المجتمع، كالأسرة، وجماعة العمل الصـناعي، وجماعـة الفلاحيـن، ومزارع الحيوانات ومجموعات أخرى غير رسمية.

ويظهـر في هذه المجموعات رأي الفرد أولاً، بكل شيء، وبكل الظواهر

الاجتماعية، ويتكون في هذه المجموعات عادة وضعاً سيكولوجياً «مناخاً» وعندما يأخذ الرأي الخاص علنية اجتماعية يمكن أن يعمم ويتوسع. ويتبادل الناس في الظروف غير الرسمية الآراء، ويعطون تقويماً، ويقدمون تعليقاتهم المتنوعة بمسائل وحقائق محددة، ويناقش في عملية التواصل، ويفسر بشكل إضافي جوانب ونواحي جديدة، ونتيجة ذلك، يمكن للرأي الشخصي أن يتوسع ويتطور، أو يتجمد حسب الظروف ووفقاً لاهتمام الذاتية «الفرد».

وتعد هذه المجموعات بجوهرها مصدراً دائماً لتبادل الرأي الخاص والعام. لذلك تملك دراسة الرأي العام المولود والموجود في هذه المجموعات أهمية خاصة من أجل تحديد ميكانيزم ومراحل تشكيل الرأي العام. وبالخصائص نفسها «الطابع المؤقت والمتنوع، والمتغير (غير المستقر)، لا يمكن للمطالب الخاصة في البحث الاجتماعي ــ السيكولوجي لهذه المجموعات أن يعتمد موضوعاً دائماً يستخدم من أجل دراسة رأي الناس. وتظهر التجارب في بحوث محددة جزءاً محدداً من هذا الموضوع، وغالباً يحصل ليس كاملاً بالمقارنة مع المجمل الكبير، كجماعات العمل، والتجمعات الصناعية، والمؤسسات أو المدن أو دوائر مدينة وضواحيها.

لذلك عند إعداد دراسة محددة للرأي العام من الضروري بشكل تمهيدي تدقيق الموضوع الذي سوف يدرس؛ وعند بحث رأي عام مجموعات صغيرة تظهر مصاعب محددة، لكن يجب دراستها، لأنها تشغل مكاناً كبيراً في بحوث محددة.

وتساعد هذه البحوث ليس فقط على تعزيز وتوسيع الصلات مع الجمهور، ولكن على سرعة التوجيه لتكوين الرأي العام في الوقت ذاته.

١٤ــ بعض المقدمات المنهجية:

تعد صياغة الموضوع والمهام والفرضية العلمية بشكل صحيح، مقدمة

هامة لبناء النوع السوسيولوجي في دراسة الصلات والعمليات والظواهر؛ وهذا يسمح للباحث بإعارة الانتباه إلى مادة موضوع البحث، لأن البحث الاجتماعي — السيكولوجي دائماً يتطلب دراسة الجوانب والنواحي المرتبطة بالمادة والموضوع. وإذا قرر على سبيل المثال دراسة الرأي العام في هذه المنطقة أو تلك بمسائل الخدمات الحياتية الاجتماعية، فعلى الباحث والمنظم، تكوين بشكل تمهيدي نوع المادة والموضوع، أي تدقيق المسائل والجوانب التوثيقية الضرورية المتعلقة بهذه أو تلك من الجماعات الإنسانية «أو المجتمع كله» المقرر دراسته...إلى آخره ؛ فبدون شرح تمهيدي لأنواع الصلات والمسائل من غير الممكن تكوين تصور كامل عن المادة والموضوع، وهذا بالطبع يحدد البحث ويسوقه إلى طريق الخطأ.

وقد جاء في السوسيولوجيا العلمية رأي يؤكد أهمية تقسيم النوع «الموديل» السوسيولوجي <u>إلى ثلاثة أنواع أساسية:</u>

١. النوع البنيوي السوسيولوجي الكلي .
٢. النوع السوسيولوجي لظاهرة اجتماعية مستقلة محددة.
٣. النوع السوسيولوجي الإجمالي «الناس في وحدتهم الكلية».

ويملك كل نوع سوسيولوجي خصائصه الخاصة، ويحوي صلات محددة، تعكس الظواهر والحقائق المباشرة أو غير المباشرة المرتبطة مع المادة والموضوع المدروس. إذا على سبيل المثال: يدرس في مقاييس كل بلد الرأي العام في المسائل التربوية والأخلاقية، والتحرر من بقايا الماضي المتخلف والخروقات للأعراف والتقاليد والقوانين والأخلاق العربية الحضارية، ومجموعة مفاهيم مرتبطة بالتربية الأخلاقية، وبقايا الماضي، والديمقراطية، العولمة والنظام العالمي الجديد، ولدرجة ما، بدون هذا التحديد الدقيق من غير الممكن بناء نوع سوسيولوجي مماثل.

وتظهـر عـند الإعـداد لأي بحث اجتماعي ـ سيكولوجي مجموعة من المسائل المنهجية، المرتبطة باستخدام المفاهيم والمصطلحات في عملية الإعداد للتوثيق، وفي وقت القيام بالبحث نفسه، ومن ثم عند تعميم المواد المأخوذة، من الضروري استخدام مصطلحاً مفهوماً سهلاً لدى كل المشاركين في البحث.

مـثال: "دراسـة مسـألة الآلـية الاقتصادية الجديدة في ظروف الانفتاح الجديـد". يصـطدم الباحث في هذا الموضوع فوراً مع مجموعة من المصاعب مـنها ضـرورة تفسـير جوهر الآلية الاقتصادية الجديدة في ظروف الانفتاح وصلاتها بالمسائل الاقتصادية العامة، وبالتطور الاقتصادي بشكل عام وحاجات الـبلد الملحة...إلى آخره. وهنا واضح، بدون تفسير جوهر وطابع وخصائص الآلـية الاقتصادية الجديدة لا يمكن القيام بالبحث؛ إن المصاعب التي تظهر أمام الباحـث، يمكن تجنبها بعد الإعداد التمهيدي للحالات والأنواع المحددة المتعلقة بالمسألة نفسها.

ومـا عدا، تدقيق المفاهيم المعقدة وتحديدها، والمستخدمة في زمن البحث تتطلـب الممارسة في مجموعة حالات طريقة موحدة لمعالجة المفاهيم العادية والتـي تتضح بشكل دائم في الحياة اليومية، مثل «الأصول الاجتماعية»، «مدة الخدمـات العملية»، و«التعليم»، و«المرتب»، والدخول الإضافية الأخرى. عدا ذلك، من الضروري تحديد تلك المفاهيم «كالوعي الأخلاقي الحضاري»، «نمط الحياة القائم»... . إلى آخره.

إن العلـوم السوسـيولوجية المعاصـرة، قادرة على أن تكشف محتواها وشـكل ظهورهـا. فبدون معرفة كل ذلك، في مجموعة من الحالات من غير الممكن القيام بالبحث السوسيولوجي المحدد.

١٥ــ جمع الوثائق وتصنيفها:

يعــد جمع الوثائق الضرورية أحد الجوانب الهامة في المرحلة التمهيدية للبحــث السوسيولوجي؛وللأسف يرى كثير من الباحثين والمنظمين للبحث جمع الوثــائق، قضــية من الدرجة الثانية وعمل تكنولوجي بحت. وفي الحقيقة، يعد النشــاط العملــي ــ البحثــي المسؤول مهماً جداً ، والذي يأخذ بعين الاعتبار مجموعــة المســائل المنهجية والتنظيمية في التوثيق، من أجل تحقيق الأهداف الموضــوعية والأفكار، وتوجيه البحث لأن يكتسب حياته المادية العملية ؛ وأن يحقق أهدافه. وفقاً لدراسة محددة.

وتؤكــد التجارب المتراكمة بالبحوث السوسيولوجية على أنه بدون جمع تمهــيدي للوثائق الضرورية من غير الممكن ضمان بحث علمي كامل من كل الجوانب. فأية محاولة لعدم تقويم، أو إبعاد أي عنصر من عناصر التوثيق يجر البحث المشار إليه إلى المحدودية والتأطير. وعدم الموضوعية. كما وأي نشاط يملــك جمــع وثائق البحث السوسولوجي ــ المسحي ؛ خصائصه المتوافرة في الدراسات السوسيولوجية بشكل واضح ومفصل ومحلل.

إن الدراســة التوثيقــية للــرأي العام في البحث السوسيولوجي المسحي التطبيقي عليها أن تكون من نوع واحد، آخذة بالحسبان خصائصه الخاصة.

وقــد عممــت تجــارب سورية وعربية للبحوث السوسولوجية المسحية التطبيقية، بعد أن خرجت بنتائج محددة قائمة على التوثيق.

نحــن لا نــريد من جديد تفحص كل النواحي الأساسية وجوانب الإعداد التوثيقي الضروري لبحث الرأي العام المحدد، وإنما نريد أن نتوقف عند بعض النواحي لإعداد المسائل، التي تعد عنصراً من عناصر التوثيق.

وتــتكون قائمة الأسئلة وفقاً للبرنامج وطابع المعلومات التي يجب جمعها عــن مــادة وموضــوع البحــث السوسيولوجي المحدد، وبخصائص ومنهجية

تسجيلها. فبدون الجمع التمهيدي لقوائم الأسئلة من غير الممكن القيام بأي بحث سوسـولوجي، بمـا فيه تحليل مضمون الرأي العام. وهذا يتعلق بتلك الحالات عـندما يتم بحثاً دقيقاً في أسس الرأي العام ويستخدم طرقاً موضوعيةً محددةً فقائمة الأسئلة تضمن جمع المعلومات الضرورية.

إن اختفاء قائمة الأسئلة يفترض جمع معلومات ضرورية بطرق تعسفية. وبـدون نظـام محدد ومحتوى واحد، وعند غياب قائمة الأسئلة البحثية يؤطر تحديد الموضوع والمهام. وفي جميع الأسئلة من الضروري الأخذ بعين الاعتبار بشـكل محـدد قربها وعلاقتها بطابع البرنامج، والطريقة المنهجية المستخدمة وبتحديد عدد المسائل الماثلة وجوهرها.

ويوجـد فـي الدراسات السوسيولوجية العلمية بشكل كاف منشورات عن طـابع وأشـكال الأسئلة. وطرق صياغتها، وتناسقها ومقارنات رموزها...إلى آخره .'

كـل هذه المطالب العامة، عليها أن تأخذ بعين الاعتبار، عند تحديد أسئلة دراسـة الـرأي العام. نحن لا نريد تفحص كل المسائل، وإنما نتوقف فقط عند جانبيـن مـن وجهة نظرنا يملكان بشكل كامل أهمية محددة عند دراسة الرأي العام.

<u>الجانب الأول:</u>

من الضروري الأخذ بعين الاعتبار، أنه عند دراسة الرأي العام، لابد من ضمان معلومات عن تناسق الدوافع والمعايير في سلوك الناس.

<u>الجانب الثاني:</u>

مـن الضـروري الأخذ بعين الاعتبار بعض الخصائص الخاصة للرأي العام، وبشكل خاص الحوار، والمصالح، و«الاهتمام» والعلنية والسرعة... إلى آخره .

ومـــن الضروري قبل كل شيء التفكير بعمق ومن كل جانب بصيغة كل ســـؤال علـــى حدة، وذلك حتى يتم أخذ معلومات موضوعية عن أسباب تكوين الرأي المحدد المعطى، وعن حقيقة الرأي المعكوس، وعن توجهاته وتوجهه.

وانتـــباه خـــاص من الضروري إعادته لإعداد قائمة الأسئلة عند استخدام المجموعة الأولى للطرق المحددة التي تتعلق بأشكال ومناهج النشاط الاجتماعي السياسي. وهنا يمكن ذكر أمثلة كثيرة:

عـــندما يدرس الرأي العام بمساعدة انطباعات خاصة أو بواسطة السياسة اليومـــية الوحـــيدة، وأشكال أخرى من الأعمال السياسية الجماهيرية بدون عمل تمهيدي لجمع قوائم أسئلة محددة. مثل هذه المعلومات لا يمكن أن تعطى تصوراً موضـــوعياً صـــحيحاً عـــن مضمون الرأي العام، طالما لا يملك حالات محددة وتوجهاً واحداً. لماذا إذاً ضروري جمع قوائم أسئلة البحث، التي عليها أن تأخذ بعيـــن الاعتـــبار كل الخصائص الخاصة لكل جانب محدد. يقترح غ. كينتريل لدراسة سرعة وشدة الرأي العام بمساعدة المقابلة استخدام ما يلي:

أولاً ــ تقويـــم المقابلة من خلال مشاعر المتحدث، ونبرة صوته وجوابه وحركات عضلات وجهه وملاحظاته وأجوبته.

ثانـــياً ــ تقويم المتحدث الذاتي لرأيه ــ معكوس بشكل ضعيف أو بشكل قوي.

ثالـــثاً ــ التقويم الذاتي للمتحدث «في الموازين التخطيطية» (أي بمدرسته الخاصـــة التـــي تســـمح بقياس «حرارته» وعلاقاته: فبقدر ما هي عالية «هذه الحرارة» بقدر ما ينعكس بشكل قوي وسريع الرأي).

بالطبع هذه الطريقة ليست الطريقة الوحيدة؛ المهم في كل جانب ومضمون ممـــيز للـــرأي العـــام العـــثور على أشكال أكثر تلائماً، وطرق للحصول على المعلومات الضرورية.

١٦ــ القيام بالبحث الاجتماعي ــ السيكولوجي:

يعــد الإعداد التمهيدي للبحث ضرورة للتجسيد العملي في إعداد المسائل وتجهيزها للمرحلة الثانية ــ أي للقيام بالبحث. وتُظهر قدرة وحذاقة وفن الباحث والمــنظم بدرجــة كاملة، في مرحلة تجسيد أفكارهم ، وأهدافهم ومهامهم، التي أعــدت ودققت في المرحلة التمهيدية. ويتعلق مصير أي بحث بالإعداد النظري والمنهجــي للعاملين فيه من الكوادر. وبالتالي يعد تعليم الكوادر المشتركة بشكل صحيح وبالوقت نفسه في البحث المحدد، أحد الجوانب الهامة وفي حالات كثيرة الحاســمة. للأســف، هناك أمثلة كثيرة، عندما يتم القيام بعملية محددة في وقت البحث ينجذب أناس غير مؤهلين، وهذا ينعكس على النتائج ؛ إن إعداد الكوادر علــيه أن يكــون شــاملاً ومن كل الجوانب، وأن يتم في المنظمات الاجتماعية والإعلامــية والاقتصادية، وفي المؤسسات الكبرى، وفي المؤسسات الصناعية. وضــروري أيضــاً تعــريف الكــادر وتدرســيه في كل المؤسسات الحكومية والخاصة، وبشكل منتظم المسائل السوسيولوجية والسوسيولوجية ــ السيكولوجية وضــروري أيضــاً بشــكل عقلي استخدام وتحويل المجموعات السوسيولوجية المحلية والجمعيات الثقافية إلى مراكز منهجية .

وتعد المقدمات الموضوعية للقيام بذلك، تنظيم وتركيب، المجتمع العربي والإعــداد الــنظري ــ الفكــري للكوادر والسكان بشكل عام، ويسمح التدريس الإضــافي للكوادر الاستخدام بحذاقة وعقل للطرق المحددة عند الإعداد والقيام بالبحــث السوســولوجي ــ السيكولوجي مع هذا مهم جداً التقويم الدقيق للكوادر وإلــى جانب ذلك الوسائل التكنولوجية المتطورة والملائمة، والأمكنة والمقرات ووســائل مالــية ومادية ومواصلات...إلى آخره ؛ فمن النظرة الأولى، هذه المســائل مــن الدرجــة الثانية، ولكن في جوانب محددة يمكن أن تكون مسائل حاسمة.

١٧ــ التحليل العلمي وتعميم نتائج البحث:

بعــد القيام بالبحوث المحددة، تظهر مرحلة الإعداد، والتحليل، والتعميم للمعلومات المأخوذة، وتعد النتائج العملية المحددة، الهدف النهائي للبحث.

كما وكل المراحل السابقة، مرحلة التحليل والتعميم للرأي العام، تحضر بعض الخصائص الخاصة، التي تشترطها مجموعة من المقدمات: كالإمكانيات والظروف، والكوادر المؤهلة...إلى آخره. وهنا أي باحث عليه أن يأخذها بعين الاعتبار. وهذا بالطبع، يحدد إمكانية الجمع الموحد لكل البرنامج البحثي.

وفــي كل حالة محددة من الضروري بشكل دقيق إعداد وتدقيق المسائل الظاهــرة. وإذا المعلومــات المــأخوذة ومحتواها مقاس بشكل كمي أو بالطرق المحــددة والموضــوعية (بمســاعدة الدرجــات أو النمذجة)، فأنها أسرع بقليل وبسهولة تعمم؛ مع ذلك، لا تكفي إحدى المؤشرات الكمية فقط، للتحليل والتعميم المتعلقة بالرأي العام بشكل مباشر. من الضروري هنا، إظهار الجوانب والنواحي والخصــائص النوعــية التي تسمح بكشف جوهر وخصائص وعمل الرأي العام وأســباب تشــكيله وشموليته، والتأثير والتوجه الهادف العملي، في هذه المرحلة هناك دور هام خاص يلعبه الباحث أو مجموعة الباحثين الذين يعممون ويفسرون المعلومات؛ ومن خلال إعدادهم النظري وتجاربهم الحياتية وقدراتهم وإمكانياتهم

يتعلق التحليل والتنظيم والتعميم للمواد الحقيقية المأخوذة. وعند التعميم والتحليل للمعلومات، والتعلق بالإمكانية المتوافرة من الضروري أيضاً استخدام تلك المعطيات الإضافية؛/الملاحظة والمعلومة/ المباشرة وغير المباشرة المتعلقة بالناس المستجوبين وبالمسائل المطروحة، وهذا يكون إمكانية للمقارنة الواسعة للنتائج والتقويم.

وعند التعميم والتحليل للمعلومات المأخوذة، من الضروري توجيه الانتباه قبل كل شيء إلى الحالات المبحوثة. أي شرح محتوى وشمولية الرأي العام المحدد، وتوجهها وتوجهاته الموضوعية واتجاهات التطور والتغيير والعناصر المعقدة أو المعرقلة، والذاتية، والتوجه الحالي، والتحديد المحلي وتكرار الخصائص، والتوجيه السياسي، والواقع، وعلى خصائص الإقرار والعمل الوظيفي.

ومن الضروري تعميم وتحليل وبشكل خاص تلك المعلومات التي تم الحصول عليها من خلال سير البحث، والمعكوسة في الرأي العام العامل وممكن هنا سرد أمثلة كافية من خلال الممارسة، لا سيما عندما تُفسّر وتُشرح المعلومات المأخوذة وفقاً لرغبات ونظرات واهتمامات ومصالح الباحث أو

المـــنظم للبحث. في هذه الحالة المبينة، تستخدم النتائج والتعميم من أجل إثبات مواد مختلفة أو تدابير يعدونها أو يقومون بها.

- **دراسة الرأي العام بواسطة المنظمات الحزبية:**

استرشـــد حـــزب البعث العربي الاشتراكي في نشاطه التاريخي بالنهج القومـــي الاشـــتراكي التقدمـــي؛ وأكدت وثائقه " بأنه بقدر ما تتحقق التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بقدر ما نحن بحاجة لرفع الاهتمام بها وتكوين علاقـــات واعية نحوها، وإيقاظ ضرورة الجديد والتجديد لدى ملايين الناس من العرب السوريين".

ويكتســـب في المرحلة الراهنة من تطور الوعي الجماهيري، والعلاقات الإبداعـــية والمـــبادرات لبناء مجتمعنا الجديد، والنشاط الاجتماعي المفيد أهمية خاصة؛ لذلك يظهر اليوم وبشكل موضوعي ضرورات لدراسة آراء الناس، من خـــلال المؤسســـات الحزبية والاجتماعية والاقتصادية، والمؤسسات الأكاديمية العلمـــية، بخـــط الحـــزب السياسي، وكيفية فهمه، والمسائل التي تقلقهم، والتي يـــريدون حلهـــا؛ وتظهر التجارب العلمية بأنه بدون علاقة نابهة دائمة بالناس وبمصـــالحهم واهتماماتهم، لا يمكن تعزيز وتوسيع الصلات مع الجماهير، ولا يمكن تكوين مشاعر الواجب والبناء والعلاقات الاقتصادية لديهم، لتحقيق المهام الكبرى الماثلة أمام المجتمع.

ويعمـــل الآن فـــي ســـورية ثلاثة أنظمة مستقلة لنشر الإعلام وتعميمه الواصـــل مـــن مصـــادر مختلفة، ويعد أحد هذه الأنظمة لنشر وتعميم الإعلام رســـائل الـــناس الموجهة إلى القيادة القطرية للحزب، ومجلس الوزراء والهيئة العامـــة للـــرقابة والتفتـــيش؛ ورسائل أخرى إلى الصحف والمجلات والراديو والتلـــيفزيون، ورســـائل ثالـــثة، لتعميم وتحليل المسائل التي تطرح من خلال

المحاضرات والأحاديث الاجتماعية لنشر المعارف العلمية، ويسمح تعميم ونشر هـذه المعلومات بشكل منتظم ، وبدقة دراسة ومقارنة بعض الجوانب والنواحي لعمل الرأي العام.

لقـد أثبتت الدراسات العلمية السوسيولوجية، بأن توسيع صلات الحزب بالجماهـير؛ يعد أحد الشروط المهمة المحددة في النضال من أجل بناء مجتمعنا الجديد.

إن المعـرفة الواعية لآراء الجمهور، أي المعرفة غير العفوية يجب أن تعتمد على التفسير الكامل لمسائل الجماهير.

معرفة (بماذا يفكر الشعب ؟ وماذا يريد ؟).

(أنت تعيش في خضم الحياة الاجتماعية، ومعرفة مطالبها والقدرة على تحديـد أيـة مسـألة دون أخطاء، وفي أي جانبٍ وأمزجة الجماهير وحاجاتها الموضوعية وتوجه أفكارها.

وقـد أكد في المجتمع السوري الراهن تراكم المقدمات الموضوعية من أجل أن تكون الحكومة دائماً تحت مراقبة الرأي العام.

هـذه المواقـف العلمـية تجد انعكاساتها في التطور اللاحق والقرارات المنشودة، وفي النشاط العملي للحزب والمنظمات الشعبية، ويتم الآن في سورية الراهـنة، نقاش التدابير الحكومية والحزبية على المستوى الجماهيري، وتدرس الآراء حولهـا؛ وتصبح بشكل واسع دراسة وممارسة الرأي العام ضرورة من قـبل المنظمات الحزبية القاعدية، فالدراسة المنظمة والمنتظمة المطلوبة للرأي العـام، وللأمزجة السياسية والمسائل المطروحة، تفتح إمكانية كبيرة للمنظمات الحزبية من أجل الاستخدام الواسع الموجه الهادف في نشاطها المتنوع، وهذا يعد احتياطياً مهماً لتربية الأفراد ورفع النشاط الاجتماعي للجماهير.

إن الحزب بتوجهاته الجديدة يأخذ بعين الاعتبار دراسة واستخدام الرأي العـــام، وبنفس الوقت يشير إلى المسائل العالقة غير الواضحة، ويؤكد أن هناك مســـائل حقـــيقة كبـــيرة مازالت بحاجة إلى جهد كبير لحلها، من خلال دراسة واستخدام الرأي العام.

إن المـــنظمات الحزبـــية حـــتى الآن لم تعد أية مسائل نظرية ومنهجية لخصـــائص تكويـــن ودراســـة الـــرأي العام، ولم تعد حتى بعض الاختبارات الضرورية لقياس الرأي العام، والطرق والأساليب والتكنولوجيا والمؤتمرات من أجـــل جمـــع المعلومات؛ وإحدى الهفوات الملحوظة في الرؤى الراهنة لتكوين الرأي العام بأن جوهره وأهميته لا يفهم كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية؛ وفي حـــالات كثـــيرة هـــو لا يقّـــوم من قبل أطرٍ (كوادر) محددة، وحلقات للإدارة الاجتماعية، ولا يعطى أهمية له.

ويمكـــن إحضار مجموعة من الأمثلة في الأعمال العملية عندما يلاحظ مـــن الرأي العام شئ ما، لا يتخذ تدابير ملائمة للوصول إلى تعميم النتائج، إنما نأخذ المعلومات المهمة من خلال بعض المنظمات والتنظيمات، لكنها لا تدرس وتـــأخذ كمعلومـــات تضاف للقضية المعروضة، أو في أحسن الحالات تستخدم لتأكيد بعض النتائج والتطورات لمنظمات وأجهزة محددة .

بالطـــبع لا يحدد كل هذا بدرجة كبيرة استخدام القدرة الإبداعية البنائية للرأي العام، وإنما من الممكن أن يضـــعف قوته وأهميته، وأن تكون "اللامبالاة " وعـــدم الاهتمام لدى الناس، وهذا بدوره يقود إلى تأثير محدد على عملية تكوين وعمـــل الـــرأي العام، وإن الإعداد والتجهيز لبحوث محددة ودراستها من قبل المنظمات الحزبية ضرورة ملحة في الزمن الراهن، وبنفس الوقت، يملك تنظيم ودراســـة الـــرأي العـــام بعض الجوانب الخاصة، والخصائص المرتبطة بطابع

ومهـــام الحزب، وبظروف وإمكانيات محددة ... إلخ؛ التي يجب أن تأخذ بعين الاعتبار.

وتؤكد البحوث السوسيولوجية أنه عند دراسة عمليات التفكير والظواهر وبشكل خاص التناقضات المعقدة ،وماهية الرأي العام،يجب الأخذ بعين الاعتبار التدخلات الخارجية التي تؤثر تأثيراً سلبياً أو إيجابياً.

مثال: يؤثر طابع الجهة أو المؤسسة أو المنظمة التي تقوم ببحوث محددة تأثـــيراً سيكولوجياً معروفاً لدى المبحوثين من الناس وبنفس الوقت على الرأي الـــذي يفصحون عنه، لذلك عند الإعداد للبحث وتعميم المعلومات العلمية، مهم جداً الأخذ بعين الاعتبار هذا التأثير والعامل السيكولوجي.

وهذه المسألة تتعرض بدرجة كبيرة للوعي السياسي، والقدرة على تنظيم بحث صحيح، ولدرجة معينة تهميش وإبعاد الجوانب السلبية؛ يشترك في البحث أفراد مختلفون ومجموعات اجتماعية وديمغرافية مختلفة باهتماماتها ومصالحها وثقافـــتها وإمكانـــياتها وطموحهـــا؛ لذلـــك يعطـــون أجوبة مختلفة عن الأسئلة المطروحة، فإذا أعطى جزء منهم جواباً غير صحيح، فإن البحث السوسيولوجي كله يقع تحت الشك؛ في الممارسة الحزبية يجب أن يستخدم مجموعة من أشكال وطـــرق العمـــل المجـــربة، مـــثل : لقـــاء مع الناس العاملين في قطاع الثقافة والمنظمات الحزبية القاعدية، وحضور الاجتماعات الدورية والتواصل الشخصي والمؤتمـــرات العلمـــية التطبيقـــية، والرسائل والشكاوى، والنقاش العام، ونشاط المجالس المحلية، ونقاش الأجهزة الحكومية والمنظمات الشعبية... إلى آخره.

ويســـمح تطبيق هذه الأشكال بتلقي معلومات قيمة عن الرأي العام، لكن في المرحلة الراهنة للتطور الاجتماعي تتطلب المهام التي ينفذها الحزب طرق جديـــدة للتوجه نحو المسائل آخذاً بعين الاعتبار التوجهات الجديدة التي طرحها رئيس الجمهورية الدكتور بشار الأسد.

وتظهر التجارب المتوافرة للأعمال الحزبية أن المنظمات الحزبية يمكن أن تـــدرس الرأي العام بنجاح، وأن تتلقى معلومات ضرورية عن المسائل التي تقلق الناس بطريقتين:

الطريقة الأولى: دراسة الرأي العام ، وتلقي معلومات قيمة عن طريق التواصل الشخصي والانطباعات وأشكال الأعمال السياسية الجماهيرية... إلى آخره.

الطـــريقة الثانية: الاستخدام المنظم المنتظم والموجه والهادف للأشكال والطرق الأساســـية ومسائل الأعمال الحزبية والاجتماعية كطرق محددة للبحث ودمجها بالطرق السوسيولوجية الأخرى لدراسة الرأي العام.

ويـــرى بعض الباحثين ، أن الرأي العام يمكن دراسته على أسس علمية بمســـاعدة الطـــريقة الاجتماعـــية – الســـيكولوجية ، وأيضاً بمساعدة الأشكال والوسائل الحزبية ، لتلقي بشكل أفضل تصورات معرفية عنه .

يوجد في الواقع أشكال ووسائل للعمل الحزبي لا تستطيع ضمان دراسة كاملـــة للرأي العام . إلا أنه هنا ، من الضروري تفحص المسألة بشكل آخر : كـــيف يتم تنظيم البحث ، وأية أشكال ووسائل محددة تطبق ، وكيف يأخذ بعين الاعتـــبار طابع وخصائص المنظمات الحزبية القائمة ، وتعد في جوهرها ، كل الأشـــكال والطرق الحزبية علمية لأنها تقام على منهجية تقدمية ، وسوف تثبت قوتهـــا وحقيقـــتها لأن نشاط الحزب مرتبط بشكل مباشر مع الجماهير الشعبية وجماعات العمل والمجموعات الاجتماعية . وتحوي أشكال ووسائل هذا النشاط في نفسها عناصر وطرق السيكولوجيا الاجتماعية .

وكمـــثال علـــى ذلك : يظهر التواصل الشخصي والصلات بين الناس والممارســـة ، غـــير الشـــكليـــة ، والمنظمة الحية أو المباشرة ، إمكانية تلقي معلومـــات غنية معينة محددة عن مجموعة من المسائل ، ومعرفة آراء وعلاقة الـــناس بهـــا ، هـــذه المادة الغنية تعطي لنا إمكانية الشعور الفوري بأن الناس

يفكرون هكذا من خلال آرائهم وعلاقاتهم بالمسألة المطروحة والمشاكل وفهمهم للخط الحزبي السياسي . لذلك يجب أن يعير الحزب انتباهاً خاصاً للصلات بين الأشخاص والعلاقات مع الناس ، وهذا يعد نبضاً للنشاط السياسي ونقطة أساسية للعمل الإيديولوجي .

ويعطي تحليل الرسائل ومعالجة الشكاوى والإجابة على الأسئلة معلومات قيمة منتظمة هذا الشكل ، للعمل الحزبي يعد عند الإعداد المحدد وطرق الاستخدام منهجاً سوسيولوجياً محدداً . بواسطته ، الطريقة الأولى بفاعلية تستخدم لجان حزبية ومنظمات كثيرة .

تظهر التجارب المتراكمة في سوريا ، إنه بواسطة الطريقة الأولى في نظام فعال من الممكن تلقي معلومات قيمة عن الرأي العام وعن مسائل يطرحها الناس . ويسمح التحليل والتعميم لهذه المعلومات بكشف ملامح ومواصفات محددة للرأي العام القائم وهذا يعطي إمكانية المقارنة والتدقيق وتكوين نتائج ضرورية للعمل التطبيقي للمنظمات الحزبية .

غير أن هذه المعلومات بطابعها وتوجهها تعد معلومات غير تمثيلية في مجموعة من الحالات يمكن أن تكون مصادفة غير منتظمة وذاتية ، لذلك بالاعتماد عليها فقط ، من الصعب كشف الرأي العام القائم والخروج بنتائج صحيحة ودقيقة .

يجب على المنظمات الحزبية في أغلب الأحيان استخدام الطريقة الثانية التي تكشف إمكانية كبيرة لدراسة منتظمة علمية للرأي العام ، وهي تساعد لرفع فاعلية استخدام أشكال النشاط الاجتماعي كطريقة بحثية محددة .

ويتطلب لدراسة الرأي العام بالطريقة الثانية إعداداً خاصاً وتنظيماً للبحث . في ظل هذه الطريقة للبحوث السوسيولوجية تقام وفقاً للمطالب الأساسية

لدراسة الرأي العام ، مع الأخذ في الحسبان خصائص النشاط الحزبي والبحوث المحددة .

ويستخدم أيضاً في ظل هذه الطريقة الأشكال والطرق الحزبية طرقاً محددة للبحوث السيكولوجية . مثال : إذا استخدم لدراسة الرأي العام الشكل الحزبي كالاجتماع السياسي العام كطريقة محددة ، فإنه من الضروري بشكل تمهيدي التدقيق ، واختيار القنوات التي تستخدم من أجل جمع المعلومات ، ومن هم المشاركون في البحث ، وما هي الوثائق الضرورية ، المتوافرة ، وكيفية تحديد طريقة تعميم المعلومات المحصول عليها .

لماذا إذن ؟ يتميز الإعداد للقيام بالاجتماع السياسي العام بشكل حقيقي عن الطريقة العادية . في هذه الحالة ، الإجراء التمهيدي يفسر ويدقق ، ومن خلاله تعدد جوانب ونواحٍ تعطي إمكانية لتحليل الرأي الجماعي الموجود بالوقت نفسه ليساعد على رفع فاعلية وقوة التأثير الإيديولوجي على الناس ، وتظهر بالوقت نفسه الممارسة بأن الإعداد والتجهيز واستخدام طريقة محددة للبحث تعد من المسائل الصعبة التي لا تستطيع كل المنظمات لتحقيقها. في هذه الحالة ، لا بد من الدعوة لاستخدام المجموعات المساعدة المتخصصة في عمل المنظمات المتواضعة أو استخدام الجماعات الإيديولوجية . وبهذه الطريقة ، تؤثر المساعدة الحقيقية للمنظمات الحزبية المتواضعة في الإعلام والقيام ببحوث محددة للرأي العام.

ووفقاً لهذا التوجه ، يجب استخدام مناهج سوسيولوجية محددة أخرى للمجموعة الأولى من أجل دراسة الرأي العام : كالمراقبة الجماهيرية ، ودراسة الوثائق ، والنقاش الشعبي العام، والمؤتمرات العلمية النظرية وتحليل نشاط الناس العملي . إضافة إلى هذه الطرق ، ووفقاً لطابع البحث المحدد ، وأهدافه ومهامه ، يمكن استخدام الاستمارة (الاستبيان) والمقابلات المتعمقة .

ومعـــروف ، أن القـــيام بطريقة واحدة ، أو أسلوبٍ واحد لمبادرة ما لا تحدث تغيرات ملحوظة، ولا تعطي نتائج جدية للنشاط الاجتماعي ؛ فعند دراسة الرأي العام من الضروري تبني الطريقة المسحية الشاملة (دون سحب عينات لا تمـــثل إلاّ نفسها) ، التي تشترط ليس فقط الطابع نفسه للعمل الحزبي ومصاعب الرأي العام ، وإنما بشكل أساسي صلاتهما بالحياة الاجتماعية والسياسية وبنشاط وســـلوك المجمـــوعـــات الاجتماعية – الديموغرافية في المجتمع . ما عدا ذلك عند دراسة الرأي العام من قبل اللجان الحزبية والمنظمات من الضروري بشكل تمهيدي شرح وتدقيق مجموعة مسائل محددة ، مثل ضرورة البحث ، والأهداف والمهام والموضوع وذاتية البحث ، وتنظيمه المحدد ... الخ .

هـــذه المسائل تملك أهمية كبيرة خصوصاً ، كونها تضع في هذه الحالة أسئلة ليس فقط لجمع المعلومات والانطباعات ، وإنما للبحث المنظم للرأي العام.

وكمـــا أشـــرنا سابقاً ، يعنى الرأي العام نفسه بمسائل كثيرة ، وبحقائق وأحـــداث . ولكـــن هـــل مـــن الضـــروري دراسة كل هذا عن طريق اللجان والمـــنظمات الحزبية ؟ وبالطبع ، معرفة الرأي العام بكل المسائل تفتح إمكانية أكـــبر للعمل السياسي . ولكن بشكل حقيقي من غير الممكن عدم التنظيم وعدم القيام بتحليل الرأي العام بكل الوسائل إزاء كل المشاكل والقضايا المحيطة فيه ؛ لذلـــك مـــن الضـــروري الإجابة على سؤال : هل هناك أشكال وطرق وقنوات أخرى لتلقي المعلومات الضرورية لدراسة الرأي العام .

هـــنا الحديـــث يـــدور عن ضرورة القيام بالبحث ، والبحث عن أسباب مخـــتلفة لذلك ، أو البحث عن الطرق الأكثر صحة وسرعة لدراسة الرأي العام لأن كل بحث سوسيولوجي يحتاج لوقت طويل وجهد للإعداد والتنظيم والقيام به .... الـــخ ؛ إلـــى جانب ذلك ، تسود لدى بعض الخريجين آراء بعدم ضرورة القـــيام ببحوث خاصة لدراسة الرأي العام . وغالباً ممكن سماع : أن ما يحدث

نحـــن ندرسه ؟ نحن بدون ذلك نعرف الرأي العام ؟ بالواقع مثل هذه الأحاديث فيها جزء من الحقيقة ، لأن معطيات كثيرة وأقوال منقولة وتصميمات لا تحوي أي شـــئ جديد ، يخبرون فيها عن أوضاع معروفة . ووفقاً لذلك ، يظهر سؤال عن طريقة جديدة .

وعند البحث السوسيولوجي ليست كل جوانب الرأي العام مدروسة بشكل جـــيد ؛ إذ ينكشف ويقر فقط الجوانب والنواحي الجديدة ، والصلات والحتميات والـــتوجه الجديـــد . ففي البحوث السوسيولوجية ، إن كل ما كان مفسر "يصبح مثبـــتاً" ، ويكتســـب بجوهره طابع الحقيقة وليس رأياً خاصاً ونظرات وعلاقات بهـــذه المســـألة أو تلك . وتثبت معطيات البحوث السوسيولوجية المحددة للرأي العـــام " الأشـــياء " المعروفة في شكلها الكمي ، أي كمية النسب من المبحوثين الذيـــن يدلـــون برأيهم بهذه المسائل ، وما هي حالات السكان ... الخ ؛ تعكس دراسة الرأي العام طموح المنظمات الحزبية ، وتملك الطريقة المسحية الشاملة والمســـتوى العالـــي في نشاطها توجهاً أكثر وضوحاً واتجاهاً في تنظيم وقيادة الأعمـــال الحزبية ، وتملك أيضاً معلومات ثرية دقيقة محددة عن آراء وأمزجة ومسائل يطرحها الناس.

وتؤكد الممارسة أن النشاط الأيديولوجي هام ، ويكون أكثر فاعلية وسط الرأي العام الفاعل . لذلك دراسة وتكوينه واستخدامه في العمل الحزبي مهم جداً وبشـــكل خـــاص الجانـــب الوظيفي التنفيذي ، في نشاط كل الحلقات وعلى كل المستويات . لذلك ، يعد المحدد لأية بحوث تقام ، وأية آراء تطرح ، وكيف يتم دراستها ... الخ .

وتملـــك هذه الجوانب أهمية منهجية وعلمية هامة ، عند الإعداد لبحث الـــرأي العـــام ، لأن شرحها وتفسيرها يسمح بتلقي لوحة كاملة واضحة لواقع

الرأي العام ، وتدقيق وجهات نظر ، وكشف مجموعة خصائص خاصة لتكوينه وعمله.

وكما أشرنا ، لا تعد دراسة وتكوين الرأي العام دراسة مؤقتة ، وإنما هي دراسة مستمرة لحالة ، وهذه مهمة جديدة للحزب ، الذي يأخذ مكاناً قيادياً في الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمع السوري .

وفقاً للأهداف والمهام التي يضعها الموضوع ، والطرق المحددة لتنظيم البحث ، المتعلقة بمجموعة عوامل موضوعية وذاتية ومقدمات ، يجب على الأجهزة والمنظمات الحزبية تحديد الطريقة عند دراسة الرأي العام . مثال : كدراسة آراء مجموعات عمالية قاعدية أو القيام ببحث في أواسط سكان مناطق صغيرة ؛ هنا أهداف ومهام البحث من الممكن أن تكون محددة بدقة ، لأن مصادر جمع المعلومات قليلة بشكل ملحوظ . وفي نفس الوقت من غير الممكن " انتزاع الحق " أو " تحديد الرغبة " لدى جماعات غير كبيرة ومناطق صغيرة تضع أمام نفسها أهداف كبيرة أفقية ، ومهام من أجل دراسة وتكوين الرأي العام؛ ومن غير الممكن اعتبار أن لجنة حزبية واحدة ، في أكثر من نقطة سكانية أو أكثر من اتحاد صناعي إنتاجي ، أو مؤسسات أو معاهد تستطيع دراسة الرأي العام بمسائل يومية محددة بالوقت والمهام والموضوعات وبأحداث وحقائق وبمسائل" زمنية طويلة " ؛ إن مسائل الرأي العام يجب دراستها وسط مجموعات سكانية كبيرة ومناطق واسعة : ومع ذلك يجب على المنظمات الحزبية في مجموعات صغيرة أو مناطق الاهتمام بمعرفة كيف يتكون ويعمل الرأي العام في مرحلة زمنية مستمرة حول التدابير الاجتماعية التي تكون ذات أثر إيجابي أو سلبي لدى الرأي العام ، وكيف يتكون ويعمل الرأي العام وسط الشباب ، وأهمية تناسق أشكال وطرق صياغته إلى آخره ... .

بالطـــبع ، إن كـــل هذه المسائل تملك أهمية كبيرة ، وتضمن دراستها معلومـــات ثرية للتعميم والمقارنة ، ومن هنا يجب أن تبرز الانتظامية الموجهة الهادفة للتدابير الحزبية والاقتصادية ، ولنشاط المنظمات الشعبية .

الشيء الأساسي والمسائل المحددة : كيف يجب أن ننظم البحث ؟ ، وفي أيـــة مـــرحلة ؟ بالإضـــافة إلى ذلك من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أيضاً مجموعـــة من الجوانب المحددة التي تتطلب تدقيقاً تمهيدياً وشرحاً وتفسيراً حتى الحل النهائي للمسألة المتعلقة بدراسة الرأي العام .

إذاً ، لمـــاذا كمـــا أشـــرنا ، بأن دراسة وتكوين الرأي العام عن طريق المـــنظمات الحزبية لا يعد ولا يمكن أن يكون تدبيراً وحيد الجانب أو مبادرة ؛ إنما عليه أن يكون أسلوباً دائماً ومنهجاً لعمل كل الحلقات وعلى كل المستويات .

وتظهـــر التجارب ضرورة تأسيس أنظمة دائمة فعالة للدراسة المسحية الشاملة الموجهة الهادفة لتكوين الرأي العام .

هـــذه طـــريقة علمية صحيحة للعمل المسحي المنتظم والشامل للمسائل السياسية الهامة . فأي طريقة أخرى تعطي إمكانية شرح المسألة للإدارة الدقيقة وقيادة دراسة وتكوين الرأي العام فقط من جانب واحد .

ويجـــب أن تعد أنظمة الدراسة المسحية الشاملة الموجهة الهادفة للرأي العـــام جزءًا من النظام العام للجهاز أو المنظمة الحزبية ، فهي تخضع للمبادئ الأساســـية وبنية النشاط الحزبي وهناك طموح لتكوين أنظمة تعمل في ظروف بعـــض اللجان والمنظمات الحزبية. ووجهات نظر أخرى تعير انتباهها وكأنها تمـــثل شـــيئاً خاصـــاً بها (مسائلها) وتتعامل بشكل جامد (مجرد) مع الأعمال السياسية ؛ مثل وجهة النظر هذه بشكل مبدئي هي وجهة نظر غير صحيحة في جوهـــرها ، لأنها تناقض الأوضاع الحزبية عن الصلات مع الجماهير ودراسة رأيهـــا ، وإعلامهـــا السياســـي ، وهي بالوقت نفسه تعد (مسائل تكون جوهر

الـــنظام) ، ليس فقط من الناحية الإيديولوجية ، ولكن قبل كل شئ من النواحي الحزبـــية . وهنا ، على الحزب أن يكون ليس فقط مفهوم الالتزام وإنما القناعة الداخلية العميقة لكل الحزبيين والأجهزة الحكومية والاجتماعية ، والتنظيمات .

وتـــبرز الآن ضـــرورة تأسيس أنظمة لدراسة الرأي العام ، من خلال تكويـــن أقســـام تابعة للمنظمات الحزبية وضمان عملها الطبيعي – هذه مسألة أخـــرى . الأساس فيها – أن تكون محددة مرتبطة بالنشاط الحزبي والاقتصادي للجماعة نفسها ، والمنطقة ، لذلك تعد قضية كل الحزب ؛ فأي نظام يكون وحيد الجانـــب بعيد عن النظام العام وعن مبادئ وخصائص النشاط الحزبي ، سوف يفشل .

بعض اللجان الحزبية يجب أن تعمل في الجانب " النظري " فهي تحمل أفكـــاراً هامـــة ونظرات ، لكن كما هو معروف حتى على الورق لا يوجد لها مكان.

ويعـــد أحد الأسباب الأساسية لذلك ، التبعية والاستزلام والابتعاد عن الـــنظام الحزبـــي الموحـــد . فهي تبنى على أسس ذاتية ونظرات معينة ضيقة وبالطـــبع ، عـــندما يسود مثل هذا النوع من الممارسات ينخفض العامل الذاتي وتظهـــر أوضـــاع أخرى غير صحية ، وأنظمة عمل حزبية متوقفة عن عملها الطبيعـــي ، وبالتالي يضمحل التأثير الفكري الإيديولوجي على الناس ، ويتحول الحزب إلى مؤسسة خدمية يستفيد منها فقط المرتزقة والانتهازيين .

إن تأســـيس أنظمة دائمة فاعلة لدراسة الرأي العام ، والإعلام السياسي للســـكان بواسطة الأجهزة والمنظمات الحزبية هي جوانب كثيرة معقدة ومسائل مســـؤولة ، كلهـــا تحـــتاج إلـــى شرح تمهيدي لمجموعة من المسائل المنهجية والتنظيمية التي تتعلق بتركيب وطابع النظام نفسه ، ومكانته في النشاط الحزبي

المتواقـت والمتزامن مع طبيعة العمل والواقع بشكل عام والمنظمات الحكومية والاجتماعية ... الخ .

بالطبع ، شرح وإعداد هذه المسائل وأوضاعها العلمية لا يمكن أن تحل بجهـاز واحـد فقـط ؛ هـنا تبرز أهمية وضرورة توحيد جهود مجموعة من المؤسسـات والمعـاهد والأقسـام العلمية ، وكوادر مجربة غنية ، وبالتجارب الحزبية للأعمال العملية ، وهذا يعد إحدى المقدمات الأساسية الهامة لإعداد نظام أكـثر فاعلـية . لذلك نحن لا نضع مهمة الشرح المتعدد الجوانب لهذه المسألة وإنمـا نحـاول على أسس ما تراكم من تجارب عملية في حياة ونشاط الحزب تعمـيم الجوانـب المنهجية والتنظيمية الأساسية والحالات لتأسيس أنظمة فاعلة لدراسة الرأي العام في طابعه وتركيبه ومهامه ، هذا النظام عليه أن يتجاوب مع مـبادئ العمـل الحزبي والخصائص الخاصة لنشاط اللجان والمنظمات الحزبية المناسـبة . وبـنفس الوقت ، هو جزء من نظام حزبي عام يحمل بشكل نسبي طابع مستقل ، ويملك خصائصه الداخلية وتركيبه وطرق عمله، من أجل إعداد هـذا النظام ، من الضروري تناوله بشمولية ، كإعداد وشرح ، وتدقيق بالوقت نفسه – الأسئلة ، المباشرة أو غير المباشرة المرتبطة بعمله – ؛ وترتبط القيادة العلمية والعمل النشيط للنظام بشكل عضوي بالنشاط الحزبي بشكل عام وأعماله التنظيمية والإيديولوجية . إذن لماذا من الضروري الإلحاق بنظام العمل الحزبي العام ، وإعداد نظرية وأوضاعها الأساسية ، وعناصر منهجية أو وثائق أخرى مـن أجـل شـرح تلـك الجوانـب كالخصـائص الاجتماعية – السيكولوجية والديموجرافـية للموضـوع ، واستخدام وسائل الدعاية الجماهيرية والتحريض العلنـي ، والأعمـال السياسية لدى مجموعات مختلفة من السكان ، والعمل مع الموجهيـن السياسـيين في مختلف المؤسسات ؛ والأساتذة المحاضرين وإعداد الكـوادر ...الـخ؛ هـذه الجوانب مرتبطة ليس فقط بالنظام ، ولكن بالأعمال

التنظيمـــية والإيديولوجية الضرورية للمنظمات الحزبية . إذ يصعب بدون شرح هـــذه الجوانب عمل النظام كونها تعد قنوات هامة وطرق محددة بمساعدتها يتم الحصول على المعلومات الضرورية عن عمل الرأي العام .

ومهـــم جداً تحديد طريقة التنسيق لنشاط الأجهزة والمنظمات الحكومية والاقتصـــادية والاجتماعـــية وبشكل متباين شرح وتفسير وتدقيق طابع وحجم ومقاييـــس المعلومـــات والأشكال الخاصة والوسائل التي يمكن استخدامها بشكل متواقـــت ومتزامن وفي كل حالة على حدة . ومن الضروري أيضاً ضمان كل وســـائل وأشكال التأثير التنظيمي والإيديولوجي للنظام ، من جانب كل الأجهزة والمـــنظمات التي تشرح على اللجان الحزبية المحددة . فمن الضروري إعارة انتـــباه خـــاص على التوافق العملي للأشكال الشفهية للإعلام السياسي ووسائل الإعـــلام الجماهيرية ؛ وهذا يعد إحدى القنوات الإضافية لتلقي المعلومات غير المباشـــرة المحددة بالمسائل المدروسة . وبالوقت نفسه يمكن أن يكون قد أشير إلـــى أفكـــار جديـــدة وجوانب من أجل توجيه عملية تكوين الرأي العام . ومن الضـــروري شـــرح وتفســـير طـــرق وأشكال التوافق المرحلي للتدابير العامة والخاصة ، وكذلك استخدام مواد الوسائل المركزية للإعلام الجماهيري .

إن تركيـــب الـــنظام عليه أن يتوافق مع التركيب والخصائص الخاصة للمـــنظمات الحزبية وهذا يشترط التنوع والدقة . وبغض النظر عن هذا التنوع والـــتحديد ، كـــل نظـــام عليه أن يشمل الجوانب الأساسية التالية : المواصفات الخاصـــة للنظام بشكل عام ، الأهداف والمهام المطروحة للدراسة ، شرح طابع وخصائص المادة ، موضوع البحث ، طابع الإعلام الثنائي ، خصائص القنوات والأشـــكال المباشرة وغير المباشرة عن المسائل التي تقلق الناس ، وعن دراسة الـــرأي العـــام ، عمل النظام ، دراسة المسائل التي تقلق الناس ، والرأي العام المحـــدد علـــى أساس طريقتين " شرح المطالب المبدئية الأساسية والمقترحات

(كما لكل النظام ، كذلك لكل حالة على حدة والتي تساعد على تلقي أجوبة وقرارات صحيحة بسرعة ودقة من قبل الناس ، والتوجيه الهادف للرأي العام وقيادة النظام . كجزء من النظام – عليه أن يكون إعداداً موحداً ، مصنفاً – وأن يستخدم طريقة التوثيق لدراسة الرأي العام .

فالطريقة التوثيقية تعد ضرورية من أجل جمع المعلومات والأخبار عن المسائل التي تقلق الناس ، ومن أجل تنظيم بحث الرأي العام بواسطة المجموعة الأولى للطرق السوسيولوجية المحددة ؛ فيجب أن يدقق كل ما تم جمعه من ملاحظات جماهيرية ، وتدرس الوثائق ، ومواد النقاش العام ، والمؤتمرات العلمية النظرية ، وتحليل النشاط العملي وسلوك الناس ؛ فكل طريقة بما فيها طريقة التوثيق تملك خصائصها الخاصة .

ويملك الإعداد التمهيدي للطرق الموحدة ، المصنفة المطبقة والمؤشرات والدليل ، والقوائم والوثائق أهمية كبيرة لكل قناة وطريقة مستقلة في الأعمال العلمية للجان الحزبية والمنظمات الحزبية القاعدية .

للأسف ، هذه المسائل لم يسلط عليها الضوء حتى الآن ، ولم تفسر بشكلها النظري والمنهجي ، ولم تعمم بعد أية تجربة إيجابية على المستوى الداخلي والخارجي لأعمال منظمات وأجهزة مختلفة .

يرى بعض الباحثين أن إعداد تلك الطرق والتوثيق تحمل طابعاً تقليدياً تابعاً ومعروفاً وقوائم مثقلة ، ويحدد هذا في الواقع الطرق والتوثيق ويعطي توجهاً عاماً لا يستطيع تحديد النشاط ، لأن ذلك بعد تطبيقاً ، وتصنيفياً ، بطابعه وجوهره عليه أن يكون أساساً للإعداد وتحديد للطريقة التوثيقية الضرورية للبحث المحدد .

إن ما هو موجود من تجارب عملية يظهر إن اللجان الحزبية غير الكبيرة والمنظمات الحزبية القاعدية لا تستطيع دائماً وبالوقت نفسه تلقي

المساعدات المحددة من الحلقات المتخصصة في الإعداد للبحث المنشود . لذلك أمـــام هـــذه المنظمات تفتح إمكانية واسعة من أجل إظهار الإبداع والمبادرة في الإعداد للتوثيق المطلوب . مع ذلك يعد مهماً كيفية التحديد والتدقيق والإضافة ، وكيف ستستعمل هذه الطريقة التوثيقية .

وليس أقل أهمية شرح طابع المعلومات التي تفصل أنظمة دراسة تكوين الـــرأي العـــام ؛ فعليها أن تملك طابعاً سياسياً ، وعليها أن تكون مرتبطة بشكل مباشر بخط وسياسة الحزب ، وبمهام محددة والتي تحل مع الإجابة على الأسئلة التي يطرحها الناس؛ ويملك بجوهره هذا الجانب في عمل النظام أهمية منهجية وتنظيمـــية كبيرة ، لأنه مهم بالنسبة للحزب كل الإعلام الاجتماعي (وعليه أن يجمع وينظم ويركب ويصحح ليس فقط على الأجهزة الحزبية والحكومية القائمة ولكـــن أيضـــاً على المنظمات الاجتماعية) ؛ ويوجد في كل المعلومات المجمعة توجهاً سياسياً ؛ فالنظام عليه اختيار وتحليل الموضوعات والحقائق ، التي تحمل طابعـــاً سياســـياً دقيقاً وواضحاً ؛ ويتكون في عكس ذلك ، مقدمات موضوعية مـــرهقة ومتعـــبة عن تلقي النظام لمعلومات عامة لا تتطابق مع المهام ، وهذا بالطبع ينعكس في عمله .

وتملك أهمية أكبر شرح المبادئ العامة ، والمطالب لقيادة النظام وعمله. ويتكون حلقات مختلفة بقيادة النظام . مجالس ، وقطاعات متخصصة ، وتنسيق المجموعـــات ، ومجموعـــات ميدانية ، ولجان للدراسات الاجتماعية ... الخ . ويمكن أن يشمل في تركيب المجموعات ممثلي منظمات مختلفة ؛ لكن نشاط هذه المجموعـــات علـــيه أن يحمـــل بشكل أساسي طابعاً محدداً فعّالاً . وتعد المهام الأساســـية للحلقـــات القـــائدة للـــنظام ، تناســـق لنشاط كل الأقسام ، والأجهزة والمـــنظمات للإعـــداد للبحث المحدد ، والقيام بالبحث بشكل مشترك . والوقت نفسه بمشاركة أجهزة ومنظمات أخرى ، وتنظيم العمل الصحيح للنظام والتعميم

وتحلـيل كـل المعلومات المأخوذة المختلفة ، وإدخال نتائج محددة واقتراحات عملـية في الأجهزة من أجل اتخاذ القرار وتكوين الرأي العام ؛ وتعد القيادة في جوهرها جهازاً مساعداً للجنة الحزبية ومكتب المنظمات الحزبية القاعدية ، الذي يضمن القيادة الصحيحة وعمل كل الأنظمة بشكل كامل .

وترتـبط المسائل التي تفحصناها هنا بتركيب وخصائص أنظمة دراسة وتكويـن الرأي العام كلها . ويتكون هذا النظام في تركيبه وأهدافه وطابعه من جزأيـن مترابطيـن بالتبادل ومستقلين بشكل نسبي ، بنظام دراسة الرأي العام وتكويـنه ، وهذان الجزأن عملية واحدة مترابطة بالتبادل ، رغم أنهما يتميزان ببعض الخصائص التي يتفردان بها بشكل نسبي كجزء من النظام . ولكن بدون العمـل المتـبادل بيـن بعضهما البعض من غير الممكن ضمان قيادة صحيحة وإدارة عملـية دراسـة الـرأي العام وتكوينه كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية معقدة.

تكوين الرأي العام في المجتمع السوري

نشر الكثير من الكتب والبحوث والمقالات العلمية المحكمة بالمسائل التي تخص نظام وخصائص تكوين الرأي العام. وهناك جوانب معينة لهذه العملية لم تكـــن كاملة حتى الآن لاسيما جوانب البحوث النظرية العميقة، وهذا بدون شك ينعكس على فاعلية الأعمال العلمية التطبيقية.

وهكـــذا على سبيل المثال: بحثت بشكل غير كاف مسائل تكوين الرأي العام، وخصائص الترابط المتبادل لدراسة تكوين وعمل الرأي العام، و الصلات المتبادلة المشروطة بين الرأي العام وأعمال الأجهزة الحكومية والحزبية، مكان وســـائل الإعـــلام الجماهـــيرية فـــي تكويـــن الرأي العام، والنظم الاجتماعية الســـيكولوجية ومـــراحل تكوين الرأي العام، والتنظيمات السياسية في المجتمع والرأي العام وقيادة وإدارة دراسة وتكوين عمل الرأي العام؛ هنا نريد أن نتوقف بالتفصيل عند هذه المسائل.

-الظروف الموضوعية ومقدمات تكوين الرأي العام :

من الضروري البحث عن المقدمات الأساسية لتكوين الرأي العام في الظروف الموضـــوعية التـــي يعيش ويعمل بها الناس مع الأخذ بعين الاعتبار أن حدود ومحـــتوى ومفهـــوم " الظروف الموضوعية " هي حدود نسبية متباينة ومعقدة ومتناقضـــة؛ لأنهـــا تشـــترط أوضاعاً محددة , وطابعاً وخصائص تتناسب مع المســـائل المطـــروحة؛ ويمكـــن أن يضـــاف إلى الظروف الموضوعية عوامل ومقدمات كثيرة في مراحل تاريخية ومهام محددة. وفي ظروف وعوامل أخرى _ يمكـــن أن تكون ذاتية. ويصبح التفحص من وجهة نظر تكوين وعمل الرأي العام , وحدود ومحتوى ومفهوم " الظروف الموضوعية " أكثر تنوعاً وتعقيداً ؛ مـــاعدا العوامـــل الموضـــوعية الخارجية يمكن إضافة عوامل مباشرة أو غير مباشـــرة مرتـــبطة -لـــيس فقط بظروف الحياة وعمل الناس -وإنما بمجموعة

عناصـــر ذات طـــابع ذاتي ,تملك طرق موضوعية للتأثير. وبغض النظر عن الحجـــم والتنوع والتشعب والحركة للظروف الموضوعية التي تتميز بمجموعة مـــن الخصـــائص الثابـــتة الخاصـــة التي تشترط مكانها وأهميتها في التطور الاجتماعي.

وفـــي كـــل حالـــة على حدة من الضروري تحليل الخصائص الثابتة الخاصـــة لظهـــور الظروف الموضوعية، وإلاّ من الصعب إظهار طرق تكوين وعمل العمليات الروحية والسلوك وعلاقات الناس بالحقائق والأحداث وبمسائل فـــي حالات محددة مختلفة تحديدات مختلفة في الدراسات السيكولوجية العربية لمفهوم "الظروف الموضوعية " ويمكن الموافقة من وجهة نظر أغلبية الباحثين علـــى أن مفهـــوم "الظروف الموضوعية " في المجتمع العربي السوري تحديداً يمكن أن يكون متضمناً المؤشرات الأساسية التالية:

- طريقة إنتاج الخبرات المادية.
- الظروف الحياتية المحددة ونشاط الناس (الوسط المحيط).
- مستوى التعليم.
- الأوضاع الثقافية والحاجات الروحية للناس.
- الظروف الطبيعية كمقدمة لتطور الاقتصاد وإمكانيات محددة للحياة.
- التنظيمات السياسية في المجتمع.

يمكن أن تكون في عملية تكوين الرأي العام، قد حللت الأسس التي تحدد هـــذه الجوانب، واستخدمت في جوانب مختلفة المهم كشف خصائصها الخاصة عند ظهورها المحدد، وصلاتها وشروطها المتبادلة.

كمـــا لكـــل الظواهـــر الروحية، وكذلك من أجل تكوين رأي عام محدد ينتمي الدور الأول لطريقة إنتاج الخيرات المادية.

ويتكون على أسس الطرق السورية للإنتاج ظروف ومقدمات موضوعية تضمن التطور اللاحق للاقتصاد والتقدم العلمي التكنولوجي، والعلوم الثقافية ويظهر واقعنا بشكل واضح أنه في مرحلة تاريخية قصيرة انتقلت سورية من بلد زراعي متخلف، إلى بلد زراعي وصناعي وحققت وتائر عالية للتطور الاقتصادي وارتفع بسرعة مستوى الحياة والسكان، وإن توقف لبعض الوقت في السنوات الأخيرة إلا أن الخطط الجديدة المطروحة كفيلة بتعديل وتجاوز كل القصور والتعثر الذي حصل؛ وقد انحسرت بشكل كبير ظاهرة الفقر والأمية وعدم الثقة بيوم الغد، وارتفع بشكل مستمر المستوى التعليمي والثقافي العام للناس، وتحقق الشعور العام، بأن أصبح الشعب سيداً لمصيره.

وقد أشارت الصحافة السورية إلى إننا بشعور عالٍ وباعتزاز وطني كبير يمكن أن نعلن " بأننا بفضل العمل المتفاني لملايين العاملين حققنا الآن نجاحات اقتصادية كبيرة في بناء بلدنا ويمكن القول.... إن سوريا الثانية تكونت في كل معالمها من خلال بنائها الحديث، وإن المواطن السوري شق طريقه نحو التحديث والتطور الحضاري . تسعى القيادة السورية الراهنة. لوضع برنامج خاص لرفع المستوى المعاش للناس، يتضمن تطوير القطاعات الاقتصادية الزراعية والصناعية الرائدة، وينمو الآن بشكل أكبر توسيع وتحقيق مشاركة سورية في التقسيم العربي والعالمي للعمل. وفي التكامل الاقتصادي العربي وتطوير أشكال التعاون العربي.

وكل ذلك يشترط رفع المشاركة الإبداعية النشيطة للجماهير في الحياة السياسية العامة للبلد.

وتوحد طرق الإنتاج في سورية , على أسس المصالح العامة والخاصة شرائح اجتماعية وجغرافية مختلفة للسكان. وتعد وحدة المصالح أساساً موضوعياً لتكوين رأي عام واحد في المجتمع السوري. وفي نفس الوقت من

غير الممكن تكوين الرأي العام دون الأخذ بالحسبان الخصائص العامة والخاصة لحاملـــه، وممثلـــي المصالح. وبالتالي من أجل ضمان القيادة العملية الصحيحة لتكوين الرأي العام من الضروري دراسة وتحليل مصالح الشرائح المختلفة من الســكان كذاتية وكمعبر حتى الآن لم تقوم في الأعمال العملية هذه الخصائص، وتفاوت مصالح المجموعات الاجتماعية المختلفة. وهذا يمكن أن يقود أي تكوين رأي عام غير صحيح، لقد أكد أكثر من مرة كبار الباحثين في هذا القطاع .

إن المصالح المعقدة المتناقضة بطبيعتها وطرق التعبير عنها وانعكاسها هي مصالح موضوعية مشروطة بالأوضاع الاقتصادية وبحامليها المعبرين عنها داخل المجتمع.

فالمصـــالح من غير الممكن تفحصها فقط كحقيقة للوعي، فهي موجودة بشكل موضوعي. وهي انعكاس مباشر لأوضاع الناس والمجتمع. وموجودة في نظـــام الإنـــتاج الاجتماعـــي ومشروطة بحاجاته ويعد محتوى المصالح حاجة موضوعية لتطور الناس، وهي تخرج من ظروف وجودهم الاجتماعي.

وعلـــى هذا الشكل يمكن أن ينظر على المصالح، كمصالح لكل شرائح المجـــتمع المخـــتلفة، والمجموعات الاجتماعية والأفراد، ويمكن أن ينظر إليها كمصالح أساسية وغير أساسية قريبة أو بعيدة أساسية أو ثانوية... إلى آخره.

انطلاقـــاً مـــن ذلـــك , يمكـــن تكوين الرأي العام على مستوى كل هذه المصـــالح، ووفقـــاً لذلـــك لكشف الأهمية المنهجية والأسلوبية، طابع المصالح ومحتواها وخصائصها .

ويتضمن الخط السياسي العام لحزب البعث العربي الاشتراكي من وجهه نظر الأفكار الأساسية مصالح التطور الاجتماعي مؤكداً المصالح العليا للجماهير الشعبية الواسعة.

وتقام في المجتمع العربي السوري هذه الصلات والمصالح المشروطة على آفاق توحيد مصالح الفرد ومصالح شرائح مختلفة من إسكان مع مصالح كل المجتمع.

على هذا الأساس يتم بناء وحدة الشرائح المختلفة للسكان في المجتمع العربي السوري. وهذا ما يميز المجتمع العربي السوري عن مجتمعات عربية وعالمية أخرى، حيث نأخذ مصالح كل الشرائح السكانية والأفراد بعين الاعتبار وتبرز من خلالها مصلحة المجتمع بشكل عام جو ذلك لا يوجد ضرورة أن يكون هناك مصالح مختلفة في المجتمع السوري فجوهر المسألة يتكون من عمومية المصالح الجذرية للسكان وفي تنوعها وأشكالها الخاصة وظهورها على أسس قاعدية اجتماعية اقتصادية واحدة وتوجهات واتجاهات التطور.

إن هذا الأساس لتوجه التطور ليس هو الاتجاه الوحيد من المقدمات الموضوعية لتكوين آراء مختلفة في المجتمع العربي السوري. فالصراع قائم بأشكال مختلفة أخذ مظاهره الاجتماعية ويصبح واقعنا السوري المعاصر، في تنوعه الغني بشكل دائم وعياً حضارياً عند الناس، ويكون الظروف والمقدمات الموضوعية على أسس تراكم رأي عام موحد. من غير الممكن نسيان أن واقعنا الراهن يملك جوانب سلبية كثيرة - الأنانية – الفساد ، القسوة وعدم الرحمة والبيروقراطية والمحسوبية الاستهلاكية الزائدة؛ كلها مظاهر لما يسمى بالحقيقة المؤلمة". تأثيرها قوي عند تكوين الرأي الفردي والجماعي في الأوساط السكانية، وأصبح الآن أكثر وضوحاً. لقد ظهرت بعض الجوانب من " الحقائق المؤلمة " والأوضاع القائمة – المؤقتة بعض المسائل المحلية... إلى آخره.

ووفقاً لذلك تملك أهمية كبيرة أعمال التنظيمات الإجماعية والحزبية والحكومية في الإعلام السياسي الراهن , للسكان بالوقت المناسب , وبوادر لحلول عملية لمسائل محدودة.

وعند تكوين الرأي العام وبشكل خاص في المسائل الإقليمية أو المحلية المرنة لدى تأثير وظهور الحقائق المؤلمة يمكن أن تبدو بشكل واضح قوية بقدر مـــا هـــو المعـــبر عنها والحامل لها فئات اجتماعية واسعة وبعض الشخصيات الإجماعية البارزة، الواقع إن النضال ضد مثل هذه الأنواع من الظواهر السلبية وحاملـــيها ليست بسيطة، لأنها من جانب تملك اتجاهاً محدداً , ومن جانب آخر تتطلـــب قـــوى كبيرة وقدرة ضريبة مبدئية فالنضال المستمر دون هوادة ضد الخـــروقات والفساد والسرقات، وضد مظاهرها وحامليها هو مؤشر لخط قوي لتحقـــيق سياســـية الحزب. وفي المرحلة الراهنة للتطور، يمكن أن يضاف إلى الظـــروف الموضـــوعية لتكوين الرأي العام بعض التأثيرات للدعاية المعادية : تســـتخدم المراكـــز الإيديولوجـــية والمراكـــز السيكولوجية في البلدان المعادية وأشكال خاصة ووسائل تأثير على سيكولوجية ووعي الناس في الوطن العربي وفـــي ســـورية تحديـــداً , بهدف زعزعة الثقة وإدخال الشك والتأرجح بالخط السياســـي التنموي، وبالتالي الإطاحة بالنظام الوطني التقدمي وجر سورية إلى الاستســـلام أمـــام العدو الصهيوني وطمس الحقوق العربية في فلسطين المحتلة ويمكـــن إظهار وسط الأشكال والوسائل بعض الجوانب الدعائية الراهنة لعنصر الترقـــب والـــتوقع وتأكـــيد " الرأي والتعبير الخاص الفردي " وتلبية الحاجات والراغـــبات المطلقة ونشر الشائعات والكذب وتحريف الأخبار، وتظهر الدعاية المعاديـــة اهـــتماماً خاصـــاً بالأنتلجينسيا المبدعة والشباب في المجتمع العربي الســـوري، وفـــي حقـــيقة الأمر تملك الدعاية المعادية في حقيقتها الأيديولوجية السياسية وسائل وأشكال مختلفة للتأثير، فهي تلوح عادة بالتدخل العسكري وتبث ســـموم شـــوفنية تعصبية مستخدمة بعض المثل الدينية والأثنية، وتستخدم أيضاً الانتهازيـــين بيـــن " اليساريين " "واليمينيين " والوصوليين " في العمل من أجل إضعاف المواقف السورية وعرقلة التنمية والتطور.

كل هذا موجه من أجل إضعاف سوريا والسعي لزرع اسفين في حركة التضـــامن العربي وتطويق دور سوريا الرائد، وبالتالي تجريف وعي الجماهير العربـــية الواسعة، وتفرق البلدان العربية وزجها في طريق التطبيع والاستسلام أمـــام العدو الصهيوني.في الأعوام الأخيرة انتباه خاص يعار لما يسمى الدعاية النفسية التي هي حسب تعبير(فرغو.ل.) تتكون من نشاط عدائي مكثف ومنظم مـــن أجـــل نشر أفكار ونظريات ومبادئ وأهداف محددة يتبناها بعض المنافقين داخل بلدانهم، وكذلك محاولة إيقاظ الناس على بعض القضايا وايهامهم بأن هذه القضـــايا هي" قضاياهم " العادية الحقوقية، وإن قضية العدو ليست قضية عادلة وإنما قضية خاطئة. مثل هذه الأفكار تمثل نظاماً كاملاً للتأثير على وعي الناس وتظهـــر تجربة التطور التاريخي أن أعمال وأفعال الدوائر الصهيونية والمعادية لم تجدا أثراً. لكن هذا لا يعني أن النضال ضد التحريف الفكري وأشكال عدوانية أخـــرى مباشـــرة أو غير مباشرة يجب أن يضعف على العكس، يجب أن تقاوم بأســـاليب وأشـــكال جديـــدة ودقـــيقة. لذلك من الضروري دراستها بشكل دقيق والقـــدرة علـــى استخدامها , في النضال ضد الدعاية المعادية؛ ويخدمنا في ذلك تعمـــيق الوحـــدة الوطنية وتوسيع الديمقراطية وتعميق التنمية الشاملة،واجتثاث جـــذور الفساد البيروقراطية، وكل المظاهر السلبية الأخرى، وتفعيل التضامن العربي الراهن.

العـــامل الذاتي : وكما أشرنا سابقاً، الظروف الموضوعية هي المقدمة الأساسية المحددة لتشكيل كل العمليات والظواهر الروحية بما فيها الرأي العام، الظروف الموضـــوعية هـــي إحدى الإمكانيات التي يمكن استخدمها في الأعمال الفكرية والأيديولوجية. والظروف الموضوعية نفسها لا تستطيع بشكل منتظم تكوين رأي عام محدد موجه، وهنا نبرز ضرورة وجود عوامل أخرى مؤثرة وقبل كل شيء العـــامل الذاتي، تشهد ممارسة البناء الحضاري الجديد في المجتمع السوري أن

هـناك قطاعـات محـدده ومـناطق، وجماعات إنتاجية ومجموعات اجتماعية ديموغرافـية بغض النظر عن " استقلالها " عن الظروف الموضوعية المتوفرة والمقدمـات هـي ليسـت دائمة في وضع يتشكل لديها بالوقت نفسه رأياً عاماً صـحيحاً دائمـاً، وفي حالات كثيرة لا يتطابق الرأي العام القائم مع الظروف الموضـوعية ولا يعكـس الجوانـب التقدمية، وتوجه التطور الاجتماعي، وقد أشـارت بعض الدراسات إلى أن القضية ليست هكذا فقط الأوضاع الاقتصادية تعـد سـبباً، وهـي المحرك الأساسي النشيط لكل العمليات الأخرى، فللأشياء الأخرى عواقب مختلفة سلبية أو إيجابية.

وتعترف بعض الدراسات بأولوية الظروف الموضوعية وتعطي أهمية كبـيرة للعامل الذاتي، ويتحدد دوره في التطور التاريخي بمستوى معرفة الناس بقوانيـن الـتطور الاجتماعي واستخدامها الوعي في نشاطهم العملي، وكما هو معروف تقع الظروف الموضوعية والعامل الذاتي في عملية التطور الاجتماعي فـي وحـدة ديالكتيكـية، ويـتكون العامل الذاتي، ويعمل على أسس ظروف موضـوعية محددة، تحدد طابعه وتركيبته إلا أن العامل الذاتي يؤثر على تطور الظروف الموضوعية ويملك استقلالاً نسبياً وفي حالات كثيرة يلعب دوراً محدداً فـي تطويـر الظروف والمقدمات الموضوعية وتحسينها ويشمل عادة مفهوم " العامل الذاتي " كل الجوانب الممارسة الاجتماعية المرتبطة بنشاط الناس ويملك طابعـاً واعياً موجهاً؛ وتتعلق حدود العامل الذاتي بظروف محددة يعيش ويعمل بهـا الناس لذلك من الضروري بدقة تحديد موضوعه وحدوده وتركيبه ومحتواه وتوجهـه وتغيره، وفي حالة عكسية عند شرح وتفسير جوهر ظواهر وعمليات محـددة فـي الحياة الاجتماعية يمكن ظهور مذهب الإرادة أو الذاتية وينمو في مجتمعـنا السـوري دور وأهمـية العامل الذاتي ويتوسع بشكل دائم ويكتسب التنظـيم الاجتماعـي والسياسي في المجتمع العربي السوري والنشاط الواعي

للناس والوحدة العضوية المشروطة بالعامل الذاتي والظروف الموضوعية أهمية خاصـــة؛ وتحـــدد هذه الخصائص للعامل الذاتي بطابع وجوهر النظام الوطني التقدمـــي وبالدرجة الأولى بالطبيعة الاقتصادية للنظام السوري، حيث العلاقات الاجتماعية تطلب لدرجة عالية أفعال وعلاقات داعية للجماهير الشعبية الواسعة والواعية، ويملك العامل الذاتي أشكاله المحددة في الوجود الاجتماعي – ويدخل عـــبر التنظـــيمات والأجهزة السياسية والاجتماعية والحكومية الخ. وتجد هذه الأوضـــاع العامة ظهورها وانتشارها في إستراتيجية وتكتيك الأحزاب الوطنية وفـــي نشـــاط التنظيمات والمنظمات السياسية والاجتماعية وفي أعمال الأجهزة الحكومية وفي وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية وفي أعمال المراكز العلمية والثقافية ومنظمات أخرى. وحتى في ظروف محددة دقيقة وفي مقدمات تتحول في ظروف محددة إلى عمل ذاتي.

ويؤثـــر العمل الذاتي الجمعي في عملية تكوين الرأي العام كلها، وبنفس الوقـــت يملـــك كل عامل ذاتي خصائصه الخاصة في تكوين مواصفات محددة للـــرأي العام والتأثير عليها. وعند تحليل دور وأهمية الأشكال المحددة المحققة للعـــامل الذاتـــي ومقدمات تكوين الرأي العام. ومن الضروري الأخذ بالاعتبار بعضاً من أسسه وجوانبه ومطالبه.

وكمـــا أشـــرنا ســـابقاً ، يعد محتوى الرأي العام انعكاساً لنشاط الناس وبالتالـــي هـــو عملية تكوين مرتبطة بأحكام هذه أو تلك من الجماعات بمسائل حـــيوية ملحـــة، وكمـــا أشارت بعض البحوث إلى أن " التقسيم الاجتماعي إلى طبقات عبر التاريخ يجب عليه أن يقف أمامنا بأشكال أساسية دائمة .

هـــذه النتيجة تتعلق أيضاً بعملية تكوين الرأي العام في المجتمع العربي وتحديداً في المجتمع السوري. كان من الخطأ الاعتقاد ، أنه اليوم في مرحلة بناء المجتمع السوري الجديد ، أن تفقد الطريقة الحزبية أهميتها. على العكس كل ما

يحـــدث من عمليات وظواهر يجب تقويمها من مواقع الجماهير الشعبية الواسعة لذلـــك فـــي العمـــل التطبيقي للتأثير الفكري الأيديولوجي، من الضروري دائماً الـــتوجه إلى رأي عام صحيح مرتبط بالتوجهات التقدمية والديمقراطية للتطور الاجتماعي، وبمهام ومسائل تعمل الدولة والحزب على حلها.

وعـــند تكويـــن الرأي العام من الضروري الأخذ بعين الاعتبار عملية التأثـــير علـــى الجماعـــات الاجتماعية أو أفراد محددين ككائنات تفكر وتعيش وتـــتوجه بشـــكل عملي من خلال تجارب عملية ومن خلال ما تكون لديها من تقاليد واتجاهات وخصائص للتطور فأي فعل للتأثير الأيديولوجي يتحقق بأوضاع محددة دقيقة ذات طابع إجماعي تاريخي ومجالات اجتماعية – سيكولوجية؛ كل هذه الجوانب مجتمعة ، وكل جانب على حدة في هذه الدرجة أو تلك يؤثر على فعالـــية النشـــاط الأيديولوجي عند تكوين الرأي العام. بالتالي يجب أخذها بعين الاعتبار في النشاط التنظيمي الأيديولوجي.

وتكتســـب الأهمـــية النظرية والعملية للآلية المعقدة للتأثير الأيديولوجي أهمـــية خاصة كبيرة ، في العملية الكلية لتكوين الرأي العام. فالانتباه الأساسي عليه أن يكون موجهاً إلى الفهم الواسع والدقيق والفعال لدى المتلقين لما يقدم له مـــن معلومات وقد صاغ بعض الباحثين هذا الجانب في مطالبهم نحو الأعمال الدعائية.

مؤكدين أن " منه كل داعية يظهر في تأثيره على الجمهور وفي إعطائه حقـــائق معروفة وإمكانية التفكير في الطرح وسهولة للاستيعاب والوضوح،وأن يترك انطباعاً ثابتاً.

بهـــذه الأوضـــاع للمسألة ، ينكشف أمامنا الاتجاهات الأساسية، والإعلان عن مطالب محددة في النشاط العملي وهذا يملك أهمية كبيرة في العملية الأيديولوجية برمتها.

الحـــزب هـــو القـــوة الحاســـمة فـــي تكوين الرأي العام في المجتمع العربي والسوري:

يعـــد حزب البعث العربي الاشتراكي القوة الحاسمة في تكوين الرأي العام في المجـــتمع الســـوري بسياســـته القومـــية التقدمـــية وبـــدوره الراهن في توسيع الديمقراطية.

ويشـــغل حـــزب البعـــث العربـــي الاشـــتراكي مكاناً متميزاً في البناء الحضاري الجديد ، ويعد الشكل الأعلى للتنظيم الاجتماعي، والمعبر عن مصالح الجماهير الشعبية الواسعة ويسترشد الحزب في نشاطه بالفكر القومي الاشتراكي التقدمي ، وفي الوقت الراهن أخذت الشفافية مكانها الحقيقي في ممارسة أعماله الاجتماعية والتنظيمية ،وهذا يسمح له بأن يرى التطور التاريخي والتوجه الجديد وأن يـــتعامل مع التغيرات الجارية العربية والدولية وإعداد استراتيجية وتكتيك علميـــن، وبضم الحزب في صفوفه الجزء الأكثر وعياً ونشاطاً من المواطنين ويعـــد نشـــاط الحـــزب عملاً أساسياً بواسطته يحقق الصلات مع كافة الشرائح الســـكانية ويكون أوضاعا مناسبة من أجل تكوين رأي عام صحيح، وتجد هذه الوحـــدة بين البعثيين والحزب انعكاسها في الأوضاع المبدئية المطروحة الآن ، وفي ترجمة التوجه الجديد وتحقيقه على أرض الواقع؛ فالبعثيون يمثلون الحزب والحزب يمثل البعثيين.

يوحـــد الحـــزب في سياسته الراهنة الجماهير الشعبية الواسعة، ويقود نشاطها الإبداعي الواعي من أجل بناء المجتمع العربي السوري الجديد.

وعـــند العمـــل بشـــكل مباشر وسط الجماهير الشعبية ، تضع الأجهزة والمنظمات الحزبية صورة الأحداث بشكل دائم ، وتتعرف على آراء وعلاقات السكان بالمسائل المختلفة للتطور الاجتماعي " إن الدور القائد للحزب يبرز من خـــلال صـــلاته المتـــنوعة مع الجماهير الواسعة إذ يسمع آراءهم ومقترحاتهم

ويربي الشعب بالقناعة في صحة سياسته ، وتسليحه بأفكاره ومواقفه من ظواهر توجه التطور الاجتماعي وأن يقوده بثقة إلى الغد الأفضل.

وقد تحدثت وثائق الحزب عن النجاحات البارزة للشعب السوري في شتى ميادين الحياة والآن لا يحدث أي حدث سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي إلا وكان بهذا الشكل أو ذاك مرتبطاً في نشاط الحزب داخل المجتمع العربي السوري، ويستخدم حزب البعث العربي الاشتراكي من أجل تحقيق دوره القيادي أشكال ووسائل مختلفة، أو ينعكس دوره في تعامل ذاتي في تأسيس ظروف ضرورية من أجل تكوين رأي عام صحيح وأحكام جامعية تقويمية ديناميكية ويمكن أن يتكون ويعمل بشكل منظم إذا توافرت له الظروف والمقدمات الضرورية؛ ويمكن حصر الجوانب العملية لهذه المسألة على الشكل التالي:

- امتلاء وكظاظة الحياة الحزبية والحكومية والاجتماعية للأجهزة والمنظمات الحزبية.
- الصلات التنظيمية والعلاقات الدائمة مع الجماهير الشعبية الواسعة .
- تكوين أجواء رفاقية سليمة وصحيحة للنقاش الحر لكل المسائل المطروحة.
- الحسبان الدائم الدقيق لخصائص الرأي العام وعمله.
- فسح المجال أمامه " العلنية " ونقاش آراء مختلفة.
- حسبان الخصائص الاجتماعية – السيكولوجية للرأي العام ،ولمجموعات اجتماعية ديمغرافية مختلفة.
- تكوين سياسة الحزب الراهنة في المجتمع السوري ظروف موضوعية وذاتية من أجل تكوين عمل رأي عام صحيح؛ مثال : أخذت قيادة الحزب على توسيع وتعزيز الصلات مع الجماهير على أسس ديمقراطية وبدأت تتعامل بقسوة مع البيروقراطية، وتتقبل النقد البناء.. الخ. وفي فترة انعقاد المؤتمر القطري

الاســـتثنائي وقبل انعقاده توسعت أعمال تفسيرية متنوعة في الصحافة والراديو والـــتلفاز وتكلـــم مئات الناس الاختصاصيين، وأعضاء النقابات وبينوا رأيهم بمسائل موضوعية مطروحة للمعالجة، وعقد مئات الاجتماعات شارك فيها آلاف المواطنيـــن وتلقـــت القيادة عشرات المقترحات لتطوير المنهج الاقتصادي الحر وتحســـين ظـــروف المواطن المادية والثقافية وتوسيع الديمقراطية وفتح أبواب الصحافة أمام الرأي الناقد البناء.

ففـــي عملـــية الـــنقاش الإبداعي بالمسائل الماثلة تتكون ظروف محددة وإمكانية من أجل التبادل الحر للآراء.

فـــي التنمـــية يتكون في البلد رأي عام صحيح في هذا ينحصر اهتمام المجتمع، لأن الناس ليسوا فقط موضوعاً، وإنما هم ذاتية نشيطة للتطور؛ أي هم المنظمون لحاضرهم ومستقبلهم.

للأسف بعض الأجهزة الحزبية والحكومية والاجتماعية وتنظيمات أخرى لا تعـــير الانتـــباه أي هذه المبادئ في المطالب الحزبية الأساسية. إن الأعمال التنظيمـــية والفكرية والتربوية لبعض المنظمات، والرقابة الحزبية والحكومية الضـــعيفة والعلاقـــات الحـــادة المـــتوترة والاســـتخفاف والبعد عن النقد البناء واقـــتراحات المواطنيـــن نؤثر تأثيراً سلبياً في تكوين رأي عام صحيح بالطبع مـــثل هذه الظواهر لا تعتبر عن جوهر المجتمع السوري المعاصر ، من سياسة الحزب. ويؤكد الواقع الموضوعي أن سياسة الحزب تلاقي انتباهاً عميقاً وعلاقة صحيحة من أغلبية السكان، لأنها تتجاوب مع مصالحهم الجذرية.

يحاول بعض المثقفين داخل البلد وخارجها إثبات وكأنه لا توجد ظروف للتعبير الحـــر للـــرأي العـــام فـــي المجتمع السوري ولا توجد أرضية لصرع الأفكار والآراء؛ إن البـــناء الحضاري الجديد في بلدنا بشكل يشهد على عدم صحة هذه التأثيرات ففي المجتمع السوري يوجد صراع مختلف الآراء ويتكون الرأي العام

هنا ليس فقط من الأعلى إلى الأسفل، وإنما من الأسفل إلى الأعلى **لأن الجماهير** الشـــعبية منذ بداية التاريخ الإنساني تشارك بوعي ونشاط في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتدلي بآرائها وعلاقتها بكل المسائل الملحة مع ذلك صراع الأفكار فـــي المجتمع، يتميز بشكل جذري عن صراع الأفكار في بلدان عربية وأجنبية أخـــرى حيث لا يحمل طابعاً تناقضياً، ولا أوضاعاً حادة درامية أو تجارية أو طابع الإثارة.

ويحق لنا أن نضع سؤالاً عن البناء الاجتماعي للمجتمع. عن المنجزات التـــي تحققـــت للناس ، وإنجازات أخرى في طور التحقيق، عندها تتوقف عند جوهـــر الديمقراطـــية العالمية المعلمة عنها. وهنا يمكن إحضار عدد كبير من الأمـــثلة عـــن الحملات قبل الانتخابية في الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا وبلدان عربية كثيرة ، عندما يشتعل ويشخص الاستيلاء الدرامي للدوائر الحاكمة مع رأي الناس، وهذا بوضوح لا يمثل " صراع الآراء " ولا يملك أي شيء مع مصـــالح المجموعـــات الاجتماعية الديموغرافية المختلفة، وعلى تبادل الأفكار والآراء، وهـــذا يعـــد ملامح داخلية لا تتجزأ في عملية تكوين الرأي العام هذه العملـــية مرتـــبطة بشكل مباشر بخصائص خاصة كالمصالح ومستوى الوعي والظروف المحددة والجوانب الاجتماعية السيكولوجية، التي تعد مقدمات حقيقية ليس فقط من أجل تكوين آراء مختلفة، وإنما من أجل الصراع فيما بينها. صراع الأفكـــار عنصر حتمي ومرحلة مهمة في تكوين وعمل الرأي العام في المجتمع السوري.

القضـــية الأخـــرى -طابعهـــا ومحـــتواها، خصائصـــها وآلية عملها وحتميـــتها..إلـــى آخره. ويرى وليدوف بشكل صحيح، أن " التباين في الآراء وصـــراع الأفكـــار تظهر هناك، حيث المصالح المتباينة للطبقات، وهنا يظهر ضـــرورة وفـــاق المصالح الطبقية بين بعضها والمصالح الاجتماعية، ولكن في

ظروفنا المعاصرة تغيرت طبيعة الطبقات وتكونت وحدة اجتماعية سياسية وفكرية في المجتمع، ولم يعد التناقض في المجتمع تناقضاً صدامياً ، فصراع الأفكار يتوسع على أسس جماعية المصالح الجذرية والتعددية السياسية والاقتصادية والديمقراطية؛ وهذا يقود إلى أن صراع الأفكار ليس في شكل تصادم آراء طبقات مختلفة وإنما في شكل آراء معارضة فاعلة في المجتمع بشكل عام، وفي مجموعات مستقلة من السكان. إن الاختلاف في الآراء في الظروف المعاصرة والصراع بينها مرتبط بشكل أساسي بالأسس الحقيقية لتطور المجتمع- بالصراع بين الجديد والقديم بين المتخلف والمتحضر".

في هذه الأوضاع، تتكون نظم عامة وبعض الخصائص لصياغة وصراع الأفكار في المجتمع السوري. ومن وجهة نظرنا تتطلب بعض التدقيق. وهنا من الضروري الأخذ بعين الاعتبار ليس دائماً صراع الأفكار بدون "نزاع"؛ يوجد في مجموعة من الجوانب آراء مختلفة يمكن أن تعكس درجة الوعي وانتشار القناعات الداخلية وخصائص الموضوع ومحاولات الذاتية لصياغة رأي مناسب... إلخ.

ويمكن إحضار أمثلة من الممارسة عندما يتم نقاش هذه أو تلك من المسائل يُطرح آراء مختلفة لكن ليس أي رأي من هذه الآراء ممكن تصنيفه فقط كصراع بين " القديم والجديد" بين المتخلف والمتحضر؛ لأنه بطرق مختلفة يعكس المسألة نفسها وينعكس في نفس الوقت نفس التوجه ويعد بشكل حقيقي أحد المراحل لتكوين رأي مناسب.

نأخذ على سبيل المثال : نقاش مسألة محددة في اجتماع منظمة حزبية قاعدية أو جماعة إنتاجية إذا كانت هذه المسألة مرتبطة بشكل مباشر بمصالح الناس يدلي كما هو معروف اثنان أو ثلاثة بآرائهم، أو حتى مجموعة من الآراء فيها ينعكس ليس فقط الخصائص الخاصة للفرد أو مصالح أخرى لكن كل

المقدمات الموضوعية، والذاتية التي تؤثر على الذاتية وعلى المعبر على الرأي. إن الآراء لا يمكـن اعتـبارها آراء عامة فيما زالت تنعكس " القديم والحديث " " الخاص والاجتماعي " " العام والخاص ".

ويوجـد هـناك عناصر تعكس أو توجه الانتباه على جوانب محددة من المسألة وعلى مراحل وإمكانية حلها بهذا الشكل، إلا أنها بكليتها، أو ذاك مرتبطة بالمسـألة العامة بالطبع بعض الآراء لا يمكن أن تكون داخلة في الصراع بين "القديـم والجديد"، لكن هذا لا يستبعد كما أكدنا سابقاً وجود آراء أخرى من غير الممكـن وضعها تحت راية مقام أو سمة عام، فهي تعد آراء مختلفة وعلاقات بمسـائل ملحـة تتحول في عملية النقاش إلى رأي عام، وهذا يشهد على تنوع الآراء واشـتراطها المتـبادل ومن أجل شرح جوهر آراء مختلفة في المجتمع السـوري مـن الضروري الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط عامل الدعم للجديد أو القديم ولكن عوامل أخرى في شموليتها.

ومن هنا كان على حق ليوتار عندما قال: " إن الإنسان المعاصر لم يعد يشـعر أنـه يحيا في مجتمعٍ هو كل موحد ذو كيان عضوي نتيجة إلقاء الذاتية لصالح نظام الاستهلاك "اللانمائي" ! ، وبفضل النجاح الباهر لدول الغرب التي عمـدت إلى إعادة تدوير رؤوس الأموال في صناعة المعلومات ؛ تمكن النظام الرأسـمالي مـن حل أزمة فيض الإنتاج وتوابعها: البطالة فالانكماش فالصراع على الأسواق إلى حد إشعال الحروب بين الدول الرأسمالية ذاتها انتهى هذا كله وانـتهى معـه الصراع الطبقي الجاد، وبالتالي لم يعد إنسان العصر يصدق أن المجـتمع منقسـم بالضـرورة إلـى طبقتين أساسيتين تتصارعان على السلطة وامتلاك وسائل الإنتاج (حسب النظرية الماركسية)... المجتمع إذن لم يعد كياناً موحداً، ولا حتى كياناً منقسماً.

ما عدا ذلك، لا يختفي التناقض في المجتمع السوري بشكل أوتوماتيكي ولكن من خلال انتصار أفكار الحزب؛ في ظروفنا المعاصرة ما زالت الطبقات المتعارضة قائمة، ومن أجل تضييق شقة التباين لابد من التوزيع العادل للثروة الوطنية، وتقليص التفاوت بين القرية والمدنية، وكذلك القضاء على التفاوت بين العمل العضلي والعمل الذهني، هذه القضية تحتاج إلى وقت .

وعلى هذا الأساس يوجد لدى كل شريحة أو طبقة أو مجموعة ديمغرافية: خصائص اجتماعية سيكولوجية خاصة تؤثر تأثيراً مناسباً على تكوين آراء مختلفة، ويظهر الدور القيادي للحزب كعامل ذاتي في إضعاف أسس هذه المقدمات وقيادة عملية تكوين رأي عام واحد صحيح للجماهير الشعبية الواسعة وتعطي في هذا التوجه للمنظمات الحزبية القاعدة أهمية خاصة، وهذا يفسر مكانها في التركيب العام، وفي نظام النشاط الحزبي، فيما تضم كل البعثيين وتضمن مشاركتهم النشيطة في الحياة الحزبية، وتعد الحلقة الأساسية وبمساعدتها يحقق الحزب سياسته، وعبر أشكال مختلفة للأعمال السياسية تعبأ المنظمات الحزبية القاعدية البعثيين وغيرهم من أجل تحقيق سياسة الحزب في الحياة السياسية، ومعروف أن المنظمات الحزبية القاعدية تبنى حسب مناطق السكن والعمل، أي تتكون هناك حيث يعيش، و يعمل الناس، وحيث تعمل بشكل حقيقي تحل المهمات العملية للبناء الحضاري الجديد، فهي تمثل بشكل كاف النواة السياسية والتنظيمية للشرائح الاجتماعية، وقد جاء في وثائق الحزب أن المنظمات الحزبية القاعدية هي مركز طبيعي للأوساط الاجتماعية، وهي تتحمل حل المهام الجديدة.

وهي اللبنة الأساسية للحزب، ومن خلال أوضاعها ومستواها ونشاطها وقدراتها تتعلق أسس الصلات الحزبية مع الجماهير، وهنا قبل كل شيء، تتشكل بشكل أكبر ثقة الشعب بسياسة الحزب".

وينعكس في نشاط المنظمات الحزبية حل المسائل المركزية **الديناميكية** المتـنوعة. وتكتسـب هنا المسائل المناقشة طابعاً حقيقياً موجهاً وهادفاً ومحدداً وهذا يتطلب أجوبة دقيقة وتدابير عملية سريعة. لا يوجد مسائل محلية إنتاجية أو ذات طـابع آخـر، لا تنعكس في وعي الناس، وبنفس الوقت لا تساعد على تكوين رأي وعلاقة محددة بهذه المسائل، فالمنظمات الحزبية القاعدية هي أقرب مـن الكـل لهـذه المسائل، وهي بشكل أفضل من الكل تشعر بنبض الحياة في الجماعات المحددة في القرية وفي الحي وفي المنطقة، وتعرف ما هي المسائل التـي ما زالت عالقة، وتفهم بشكل جيد أمزجة الجمهور..إلخ. بدون حسبان هذه الخصـائص يصـعب على المنظمات الحزبية القاعدية أن تحقق وظائفها بشكل مباشر. لذلك العمل التنظيمي السياسي للمنظمات الحزبية القاعدية يمكن أن تكون موجهاً في الدرجة الأولى إلى تكوين ظروف للمشاركة الإبداعية الواعية للناس في النشاط الإنتاجي الاجتماعي. انتباه خاص من الضروري توجيهه إلى تأسيس مناخ اجتماعي سيكولوجي ديمقراطي ضروري كأساس لمقدمات وحدة الجماعة والأمزجة الجيدة المؤهلة لتكوين رأي وعلاقات صحيحة.

وقـد أعـارت الوثـائق الحزبية انتباهاً كبيراً لعمل المنظمات الحزبية القاعدية، وأكدت على تعزيز صلاتها، وتوسيعها مع الجماهير، من أجل المسائل التـي تقلـق الناس، وكما أكدنا سابقاً، تؤثر هذه المسائل تأثيراً قوياً خاصاً على تكوين الرأي العام. بالطبع، في مركز الأعمال السياسية من غير الممكن وضع المسـائل فقط، لأنها تحمل أحياناً طابعاً وحيد الجانب، وفي حالات كثيرة تدعم الأمزجة غير العميقة للتوجهات المحلية والتقوقع، وهذا بدون شك لا يتجاوب مع المصالح الجذرية للجماهير، وبغض النظر عن ذلك،حسب المسائل المطروحة، مـن الضـروري اتخـاذ تدابير عملية والقيام بأعمال تفسيرية تحليلية دعائية محددة، ومن الضروري القيام بنضال حازم ضد محاولات السكوت أو اللامبالاة

حـــول المســـائل المطـــروحة تحـــت أية حجة. "هذا غير جديد" " نحن نعرفها" " المسؤولون لم يحلوها بعد " الخ.

مثل هذه الطريقة والعلاقة ، تؤثر تأثيراً سلبياً طويلاً على تكوين الرأي العام، لأن هذه المسائل على الأغلب تقلق الناس. إن الهروب من الجواب المحدد على الأسئلة المطروحة يدعو لدى الجماهير ليس فقط التأرجح والتذبذب، وإنما عـــدم الـــثقة والغرابة، وهذا يكون قاعدة خصبة اجتماعية سيكولوجية من أجل تكوين أمزجة وشائعات وآراء غير صحيحة.

لا يوجـــد لدى الحزب أسرار عن الشعب، كل ما يتصل بالجماهير هو قضـــية حزبـــية وحكومية مسؤولة. معروف، أنه في كثير من الحالات يتجذر الســـكوت عـــن مســـائل محددة بالضعف الحقيقي في أعمال الأجهزة الحكومية والمـــنظمات الحزبية،والبيروقراطية واللامبالاة والنظرة الفوقية المتكبرة، ووفقاً لطـــابع المســـائل المطروحة من الضروري اتخاذ تدابير محددة من أجل حلها العملي، وإعطاء جواب مقنع، لماذا لم تحل بعض المسائل القائمة؟!!.

ويعـــد الجانـــب الهـــام فـــي نشاط الأجهزة الحزبية، وبشكل خاص في المـــنظمات الحزبية القاعدية تكوين أوضاع ضرورية من أجل التواصل والنقد والنقد الذاتي وتبادل الآراء، هذه- إحدى المقدمات المحددة لتكوين وعمل الرأي العام، وعند غياب الظروف الضرورية في هذه الجماعة أو تلك، هذه المنطقة أو تلك، من غير الممكن بشكل منظم وموجه تكوين رأي عام صحيح.

ومـــن أجـــل أن تحقق المنظمات الحزبية المهام الموكلة إليها، عليها أن تعيش حياتها الطبيعية الكاملة إذ تحتاج في نشاطها التنظيمي والأيديولوجي إلى اســـتخدام أشـــكال ووسائل محددة للتأثير الأيديولوجي على الناس ، والعمل مع أناس محددين في مناطق العمل... إلخ. من غير الممكن الاعتماد فقط على شكل

واحد محدد، أو على وسيلة محددة للتأثير، وبنفس الوقت من غير الممكن تجاوز هذا الجانب أو ذاك عند تكوين الرأي والعلاقة لدى الناس.

إن العمل التنظيمي والأيديولوجي للمنظمات الحزبية، عليه أن يبدأ بتكوين الرأي الفردي والجماعي ومن ثم الجماعاتي، الذي يستطيع أن يثبت ويرتقي ويتحول إلى رأي عام. من أجل ذلك، من الضروري العمل الفعال باستخدام كل أشكال ووسائل التحريض الفردي والجماعاتي والجماهيري وتداخلاته مع المعايير التنظيمية و العملية فقط بهذا التوجه يمكن ضمان الطريقة المسحية (الشمولية) لتكوين الرأي العام وتأثيره على الجماهير.

وعند الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الخاصة للرأي العام، وآلية تكوينه يجب على المنظمات الحزبية إعارة الانتباه للأشكال الجماعية الجماهيرية للتأثير الأيديولوجي، وعند استخدام الأشكال الجماعاتية و الجماهيرية للإعلام السياسي للجماهير يتم ضمان العلنية والمظاهر الاجتماعية للرأي الفردي ويمكن مقارنته بآراء فردية أخرى.

إن التأثير الجماعاتي الموجه على وعي الناس، بواسطة التحليل والتفسير أو التدقيق لكل ما هو موجود من آراء فردية، يقدم إمكانية للنقاش والحوار بين الآراء المطروحة، منها ما يمكن أن يختفي ، ومنها يمكن أن تثبت في رأي عام موحد على أساس ديمقراطي.

دور الأجهزة الاجتماعية والحكومية والمنظمات :

يحقق الحزب قيادته ويعزز ويوسع صلاته مع الجماهير من خلال الأجهزة الحكومية والاجتماعية والمنظمات الشعبية كأعلى شكل للتنظيم وكطليعة للمجتمع السوري .

وتسمى مجموعة هذه التنظيمات الوسيطة القاعدية -والتي بفضلها يصل خط الحزب السياسي إلى الناس بسرعة فائقة ، ويتعلق بالمنظمات ، القائمة في

الـــبلد – كاتحـــاد شبيبة الثورة ، ونقابات العمال والفلاحين ، والجبهة الوطنية التقدمية ، ومنظمات جماهيرية أخرى نجاح الخط الحزبي والسياسة الحزبية .

ويـــرتفع فـــي المرحلة الراهنة للتطور الاجتماعي دور الحزب ، وهذا بـــدوره يرفع من دور وأهمية المنظمات الشعبية والاجتماعية والحكومية . وهذا مرتبط بالوحدة الديالكتيكية بين الحزب " وأدواته " في المجتمع العربي السوري والـــتطور الاقتصادي البناء ، والمشاركة الضرورية الواعية النشيطة للجماهير الشعبية . فكل منظمة اجتماعية أو حكومية ، وفقاً لمهامها الخاصة تحمل بشكل مباشـــر محدد تأثيراً على وعي الناس ، وتساعد على تكوين الرأي العام وسط شـــرائح مختلفة من السكان . وتعد هذه المنظمات ، قنوات متنوعة منظمة لقوى اجتماعية تكون الظروف الموضوعية المحددة، وبنفس الوقت تعمل على تكوين وعمل الرأي العام كعامل ذاتي .

وتشغل الجبهة الوطنية التقدمية والنقابات واتحاد شبيبة الثورة ، والإدارة المحلـــية واتحادات ثقافية وتعاونية ورياضية وجمعيات خيرية في النظام العام للإدارة الاجتماعية في سوريا مكان خاص .

وكـــل واحدة من هذه المنظمات تشغل مكانها وتحل مهامها الخاصة في بـــناء مجتمعـــنا الجديـــد . وكل واحدة منها تملك صلات محددة واتصالات مع مجموعـــات وجماعـــات اجتماعية ديموغرافية في المجتمع ، وتؤثر في نشاطها المتنوع بشكل متباين تأثيراً مباشراً على أمزجة ومشاعر وآراء الناس .

وقـــد أكـــدت وثائق الحزب على أهمية الرفع المستمر لدور المنظمات الحزبـــية فـــي الإدارة المحلـــية ، إلى جانب ذلك تؤكد هذه الوثائق على توسيع الديمقراطـــية في الأجهزة الحكومية كاتجاه أساسي لنشر الديمقراطية وتطويرها في المجتمع السوري .

وتشغل الجبهة الوطنية التقدمية في النظام السياسي السوري القائم مكاناً هامـاً ، كحلـيف صـادق للحزب الحاكم ، وتؤمن الجبهة ببناء المجتمع الجديد كمهمة من مهامها .

وقـد أشير في أكثر من وثيقة على أن " أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية سوف تسـير إلـى جانب الحزب بشجاعة وحزم على طريق بناء المجتمع الحضاري الجديد.

وعلـى هذا النحو تعد ، الجبهة أحزاباً تعكس استعدادها لتحقيق برامج البناء والتنمية في المجتمع السوري . وقد تحولت في نشاطها متعدد الجوانب إلى عـامل هـام لإدارة وتطويـر المجتمع الجديد في كل أنحاء القطر ، وإلى حل المسائل الاجتماعية الاقتصادية القائمة .

وقـد أكـدت وثـائق الحزب ، بأن الجبهة تلعب دوراً هاماً في تكوين الإنسان العربي السوري الجديد ، وفي رفع نشاطه الاجتماعي ؛ وساعد تأسيس الجـبهة علـى تطويـر أعمال فكرية وتربوية متنوعة في أواسط المجموعات الاجتماعية والتعاونية وعمل الرأي العام بشكل صحيح ؛ وتعير الجبهة بأحزابها السياسـية انتـباهاً هامـاً لتكويـن رأي عام صحيح بمسائل السياسة الحكومية والحزبـية في الاقتصاد . وتلعب الاتحادات النقابية دوراً كبيراً في تكوين الرأي العـام وسـط مجموعات العمل . فهي تعد منظمات اجتماعية جماهيرية هدف نشاطها مصالح الجماهير الشعبية الواسعة . وقد أشارت الوثائق الحزبية إلى أنها تعـد آلية اتصالية بين الحزب والجماهير وبين الجماهير والحزب ، وبدون هذا التواصل ، من غير الممكن التأثير على الجماهير من أجل تكوين العقيدة القومية الاشتراكية ورفع النشاط الإبداعي لها .

وعـند تطوير النشاط الاجتماعي الإنتاجي في المجتمع العربي السوري يعـير الاتحـاد العـام لنقابات العمال انتباه خاص لتحسين ظروف العمل وسط

الجماعـــات العمالـــية ، وتعزيز الانضباط ، ودعم ونشر التجارب الإيجابية في الإنتاج ، ويساعد على تكوين مناخ نفسي مريح في المجموعات العمالية .

لذلـــك ، نشاط النقابات يتعلق بدرجة هامة بتكوين صحيح وبالوقت نفسه للرأي العام.

ويعـــد اتحاد شبيبة الثورة أحد أهم القنوات والوسائل لتكوين الرأي العام وكمـــا أكـــدت الحياة ، يعد الاتحاد الرديف الأول والاحتياط القوي للحزب في الحـــياة الاقتصادية والسياسية والثقافية في المجتمع السوري . لقد تعامل الحزب دائماً بشكل صحيح مع الشباب ، بمسؤولية ونشاط متنوع.

ويعـــد اتحاد شبيبة الثورة ، أكثر قرباً من المسائل المتعلقة بحياة الشباب وهو الجزء الأكثر ديناميكية في مجتمعنا ؛ يجب أن يدخل الحياة ، مبيناً حاجاته ومصالحه وعلاقاته وعقائده .

ومعـــروف ، أن جزءاً من الشباب بعد إنهاء المرحلة الثانوية يدخل في الحـــياة العملـــية ، لا يملك تجربة حياتية كافية ، ومعارف وقدرة ، للتكيف مع ظـــروف العمـــل الجديـــد ، والحياة الجديدة ، ولا يستطيع تحليل وتقييم وكشف أسباب بعض الظواهر بشكل صحيح .

كـــل هـــذا يدعو لضرورة وضع طريقة خاصة في التعامل مع الشباب وإلى تحسين أشكال وطرق العمل ، واتخاذ تدابير مناسبة تلبي حاجات ورغبات المرحلة الراهنة للتطور ، واهتمامات وخصائص جيل الشباب.

وكمـــا هـــو معـــروف ، يعد جيل الشباب ليس فقط جزءاً من المجتمع وإنما أساساً لتطوره المستقبلي . ويظهر الشباب حاجاته الخاصة ومصالحه التي تجـــد انعكاساً في آرائه وسلوكه وعلاقته بهذه المسألة أو تلك . وحتى يتم كشف آلـــية وخصوصـــاً تكويـــن الـــرأي العام عند الشباب ، من الضروري دراسة خصـــائص وعـــيه والأخـــذ بعين الاعتبار نشاطه ؛ وتعد هذه المسألة ، مسألة

حواريـــة فـــي دراســـاتنا المعاصرة ، إلا أن هناك مجموعة من الاختصاصيين يدعـــون لرأي نوافق عليه ، بأن وعي الشباب – ظاهرة روحية خاصة ، وهو مرتبط بشكل مباشر بالخصائص الديموغرافية ، والاجتماعية السيكولوجية.

وينعكس حسب رأينا ، الخصائص الخاصة للوعي الظاهر ، لدى الشباب بشـــكل نسبي في التجارب الحياتية القليلة والمعارف ، ورفع النشاط ، والإدراك والديناميكية ، والقوة ، والعلاقات النقدية بالأحداث القائمة . ويتمتع أيضاً بشكل واضح بعاطفية الفهم والتقويم ... الخ. ما عدا ذلك ، من الضروري الأخذ بعين الاعتـــبار خصائص الأوضاع العمرية للشباب ، التي تؤثر تأثيراً إيجابياً محدداً علي جوانب مختلفة لوعيهم .

وقـــد أكدت الدراسات الاجتماعية على أنه ، مطلوب من المسؤول ليس فقـــط معـــرفة طـــابع الإنـــتاج ، بـــل أن يكون عميقاً في معارفه الاقتصادية والتكنولوجـــية ، وأن يكـــون قادراً على تربية الناس ، وأن يأخذ بعين الاعتبار ميكانـــيزم ، وفعـــل ، العوامل غير الاقتصادية في الإنتاج وفي قطاعات أخرى (كالسيكولوجيا الاجتماعية ، والأخلاق ، والحياة والاهتمامات الثقافية والجمالية) وأن يـــدرس أمزجة واقتراحات الناس الذين يتعامل معهم ، وأن يعرف حاجاتهم واهتماماتهم ، والقدرة على ربطها مع مصالح الجماعة والمجتمع .

وتعـــد الشخصيات المسؤولة في المصانع والقيادات ، والاختصاصيين المهـــرة شخصيات مركزية في حياة الجماعة بشكل عام . من علاقة المسؤول باقتراحات العمال وبحاجاتهم وأمزجتهم ويتعلق بالمناخ الاجتماعي السيكولوجي وســـط الجماعة . وهذا يعني ، تكوين رأي جماعي معبر وصحيح . ويمكن أن يحدد دور المسؤول والمختص لتكوين رأي الجماعة كمسؤول اقتصادي ومنظم للنشاط الإنتاجي والحياة الاجتماعية ، وكقائد سياسي .

ويوجد هناك تنظيم ضعيف للعملية الإنتاجية ، إذ لا تتحقق المهام الاقتصادية المطلوبة ، وإذا لم تحل المسائل الاجتماعية الأساسية ، وهنا لا يمكن أن يتكون رأي عام جماعي صحيح إيجابي ؛ عدا ذلك ، تعد مشاركة المسؤول المباشرة في العمل السياسي والفكري والتربوي في حياة الجماعة ، بشكل عام ومثله الخاصة ، وشهرته وسمعته عاملاً مهماً ومقدمة لتكوين رأي الجماعة . فإذا لم يعير المسؤول الانتباه إلى الرأي العام ، باهتمام ويتعامل بقوة مع مقترحات الناس ، فإن قوته وأهميته تضعف كعامل اجتماعي – سيكولوجي مهم في مثل هذه الحالة ، يتكون ويعمل رأي " سري " مستقر ، وتتكون أنواع سيئة تستطيع أن تؤثر على النشاط الاجتماعي للناس ، وعلى وعيهم وعلى المناخ الاجتماعي – السيكولوجي في المجتمع السوري ؛ مثل هذه الحالات موجودة فيه ولكن بنسبة قليلة ، لأن جوهر العلاقات الاجتماعية ، والمهام تحل أو تحجم وتحدد هذا " الخلل " ، وهذه الظواهر ؛ وهذه الحالات والظواهر مظاهر متنوعة للبيروقراطية المتفشية ، ولبقايا الفكر الإقطاعي . لذلك المسؤول الذكي المبدئي بغض النظر عن مكانته في الارتقاء الاجتماعي ، يستطيع الانتباه لرأي الجماعة، وأن يسعى لتكوين ظروف للنشاط الإبداعي للناس ، من خلال تبادل وصراع الآراء . كل مسؤول يمكن وعليه أن يعتمد على شهرة وقوة آراء الجماعة ، بمساعدتها ودعمها يعزز ويوسع الوحدة والصلات والعلاقات داخل الجماعة ، وتتعزز فاعليتها ، والأشكال الإدارية والاقتصادية ووسائل التأثير وتأسيس أجواء إبداعية ؛ تخزن عند تحقيق المهام الحكومية الموكلة إليه ؛ إن التوجه الحضاري الجديد ، للتطور الاجتماعي ، بشكل مباشر أو غير مباشر يساعد على تكوين رأي عام حضاري . وتعد المجالس المحلية أجهزة تضم في نفسها بدايات حكومية اجتماعية . وفي تركيبها مئات الممثلين المنتجين، وهم يمثلون شرائح اجتماعية وسكانية مختلفة . المجالس المحلية – هي ليست شكلاً

فعـــالاً ووســـيلة للتعبير عن الرأي العام ، وهي ليست فقط تنوعاً هادفاً متراكماً وإنما بالوقت نفسه جهازاً فعالاً للتحقيق العملي للرأي والمقترحات والملاحظات النقدية للسكان. لذلك، الديمقراطية ، تضمن إمكانية واقعية للظهور المحدد للقوى الحقيقية وتبرز أهمية الرأي العام كعامل اجتماعي – سيكولوجي مهم وفعال .

ويرتـــبط النشـــاط المتـــنوع للمجالس المحلية بشكل مباشر بالمنظمات الاجتماعـــية والجماهـــيرية ، والاقتصـــادية والثقافية والإبداعية . وينعكس في نشـــاطها التنفيذي الدقيق لسياسة الدولة . ويتمركز في المجالس المحلية مسائل عامـــة ذات طـــابع محلي وشخصي، ومباشر ، ومرتبط بمصالح الناس والتأثير علـــى وعيهم ؛ ويتعلق بنشاط المجالس المحلية بحل مسائل كبيرة " وصغيرة " ومهام مرتبطة بحياة الناس ومصالحهم المباشرة .

وتـــبدي القرارات الإدارية والقوانين تأثيراً قوياً طويلاً من أجل تكوين رأي عام صحيح. وكما هو معروف ، يساعد اتخاذ القرارات على صياغة رأي عـــام صحيح ، وفي حالات مستقلة ، يمكن أن تدعو لعلاقات وآراء سلبية لدى الجماهـــير الشـــعبية الواسعة . وتقدم الممارسة عدد كبير من الأمثلة ، لتحقيق القـــرارات المـــتخذة ، لاســـيما القرارات السياسية الكبيرة والأعمال التنظيمية والإيديولوجية التي تهدف لتكوين رأي عام صحيح .

ويعـــد الأخذ بالحسبان الرأي العام للجماهير الشعبية الواسعة جانباً مهماً كونـــه يكشـــف إمكانـــية كبيرة بالنسبة للأعمال المحددة الموجهة لرفع الوعي السياســـي لنشـــاط الجماهـــير . وبـــدوره يملك هذا الرأي أهمية حاسمة لاتخاذ القـــرارات وإقرار القوانين ، بناءً على النقاش الداخلي المقنع ، وعلاقات الناس وأفعالهم . وتعد المشاركة النشطة للجماهير الشعبية الواسعة في إعداد القرارات الهامـــة والوثـــائق إحدى الأشكال والوسائل الأساسية لتكوين رأي عام صحيح وأساساً واقعياً من أجل التنفيذ العملي للقرارات المتخذة .

إن الـــرأي العـــام العـــامل يؤثر تأثيراً محدداً على نشاط أجهزة مختلفة للمجالس المحلية. ويشارك الناس عبر أشكال متنوعة للديمقراطية بشكل مباشر في الإدارة ، وفي نقاش نشاط المجالس ، وفي تعميق بعض القوانين والوثائق . فالـــرأي العام يحقق وظيفة تنظيمية ورقابية بالعلاقة مع المجالس المحلية . وفي هـــذا تـــنعكس الوحدة المتنوعة والصلات بين تكوين وعمل الرأي العام ونشاط المجالس المحلية في المجتمع السوري .

وتنجذب الجماهير الواسعة للسكان بالتدريج نحو الإدارة الاجتماعية من خـــلال نشاط أجهزة إدارية واجتماعية ومنظمات أخرى مختلفة . وعند تفحص تفـــوق الديمقراطـــية ، أكدت أكثر من دراسة على إنه " في ظروفنا المعاصرة لأول مـــرة في تاريخنا ، الراهن ، تنهض جماهير السكان للمشاركة الذاتية ليس فقط في التصويت والانتخاب ولكن في الإدارة .

إن المشـــاركة النشـــطة الواعـــية للجماهير الشعبية في إدارة العمليات الاجتماعـــية هي إحدى المؤشرات الأساسية للديمقراطية ، وتساعد على تكوين الرأي العام الحضاري.

وقـــد تعـــززت في الأعوام الأخيرة لدى الأجهزة الحكومية والمنظمات الشعبية في سوريا عموماً أهمية كبيرة لدراسة كاملة منتظمة لتكوين الرأي العام. ومهـــم هنا ، في البداية ، أن تبدأ بعض المجالس المحلية في بعض المحافظات باستخدام نظام موحدٍ مع الجماهير لتنظيم العمل، وأشكال ووسائل مجدية تتعلق بطابع أجهزة المجالس المحلية ومهامها الماثلة .

وتملـــك أعمال المجالس المحلية ، واللجان الحزبية أهمية كبيرة لتفسير بعض المسائل كدور الرأي العام في نشاط الأجهزة الحكومية (وكيفية استخدام وظائفـــه بشكل أساسي) ، وعمل المستشارين كشكل من أشكال دراسة وتكوين

الرأي العام ، ورسائل وشكاوي المواطنين، كطريقة لدراستهم ، **وتأثير الأعمال** الثقافية الجماهيرية على الرأي العام ومسائل أخرى .

إن التوجه السياسي الراهن للقيادة السورية ، يعطي مؤشرات هامة يمكن أن يؤسس عليها تقاليد محددة في أعمال المجالس المحلية في السنوات القادمة .

الإعلام السياسي للسكان وتكوين الرأي العام :

يعد التطور الدائم لدور وأهمية الإعلام ، كأحد المواصفات الخاصة للتطور الاجتماعي إذ يتحول باستمرار إلى عامل مهم لتطور كل مجالات الحياة الاجتماعية. ويرى الباحثون ، المعاصرون في سوريا ، أن الإعلام هو الجزء الأساسي الهام في النشاط الحزبي والاجتماعي من أجل بناء المجتمع السوري الجديد. وقد كتبت الصحافة السورية عن ضرورة " إعلام حقيقي كامل ، يتناول كل القضايا الحياتية للناس بروح من المسؤولية " .

وأخذ التطور اللاحق لهذه الأفكار عن دور وأهمية الإعلام ، مكانته في الوثائق الحزبية والحكومية، وإعطاء مفهوم أوسع في الإعدادات النظرية والتطبيقية والبحثية، لاسيما بعد إشاعة الشفافية في الوقت الراهن .

ويعد حجم المعرفة، والإعداد السياسي، والإعلام السكاني أحد المقدمات الأساسية لتكوين الرأي العام . وهنا يعد الجانب المهم لانتظام وتنظيم الإعلام الموجه للجماهير الشعبية الواسعة . وبدون تطوير البنية التحتية للإعلام ودون إتاحة هامش واسع وبدون حدود لحرية التعبير والرأي ولكل شرائح المجتمع بكل قطاعا ته من غير الممكن تكوين رأي عام صحيح ومعبر بشكل صادق عمّ يجوب بداخله من مشاعر وأفكار وآراء ووجهات نظر ؛ وحتى يتكون الرأي العام ، لابد له أن يملك أساساً إعلامياً ، رغم أنه في أغلب الحالات لا يحمل طابعاً موضوعياً محدداً ، يعمل بشكل صدفي أو توجيهي .

هـذا العـامل في تكوين الرأي العام في المرحلة الراهنة يتعقد لدرجة مهمة، ويرتبط بخصائص ذاتية الاستخدام للوسائل الجماهيرية للإعلام السياسي "الموجـه" للجماهير . وفي دوره، هذا يضعف الدور الخاص والأهمية للإعلام والأهلـية الصـادقة الموجهة للجماهير بكل المسائل الأساسية للحياة الاجتماعية والسياسية .

إن التجربة الموجودة ، والقيام ببعض البحوث السوسيولوجية تظهر أنه لا يعـار هناك انتباه كامل على خصائص العملية الإعلامية ، وهنا من الصعب تكـون رأي عـام صادق ومعبر وإنما رأي عام مُضلل . في هذه الحالة ، هو بشكل عام ، لا يصاغ أو يقام على إعلام عفوي غير صحيح ، يحدد الطابع غير الموضـوعي ، والعفوي والتوجيهي . مهم في هذه الحالة ، آراء بعض الباحثين المختصـين في قسم الإعلام وتجاربهم وفي بعض المؤسسات الإعلامية القائمة في المؤسسات الإنتاجية الصناعية بمدينة دمشق وريفها .

في مصنع للألبسة الجاهزة " بمدينة شبعا " أقيمت مجموعة من التدابير المناسـبة لحل بعض المسائل . وهنا قام بعض الباحثين الشباب في قسم الإعلام جامعـة دمشق ، باستبيان مسحي بإشراف د. عطا الله الرمحين هدفه شرح ما تكون من آراء عن التدابير القائمة، والمسائل التي نوقشت. تبين من خلال ذلك أن جـزءاً كبيراً من المستجوبين لا يعرف أي شئ عن هذه التدابير، فقط ١٠% أعلنوا أنهم يملكون تصورات معروفة عنها ، وإن ٢٠% شاركوا بنقاش المسائل والأسـئلة المطـروحة . من خلال ذلك ، يمكن استخلاص بعض النتائج العامة عن وضع وفاعلية الأعمال السياسية الجماهيرية في المصنع . إن اللجنة الحزبية في المصنع لم تكن راضية عن هذه النتائج ، وبدأت تبحث عن أسباب مثل هذه الأوضاع ، علماً أنها نفذت كل التدابير المستخدمة .

لقد ساعد البحث الدقيق ، وحصلت المواد والانطباعات الخاصة على كشف نقـاط الضعف ، ومجموعة أخرى من الأخطاء الموجودة . وقبل كل شيء تأكد أن جـزءاً كبيراً من التدابير حمل طابعاً عاماً ، ومجموعة كبيرة من المسائل لم تكن مرتبطة بمصالح العمال – كاللامبالاة وعدم التقيد بالظروف والزمن المحدد الذي يجب أن تحل بها المهام ، وكان ضعيفاً أيضاً العمل الذاتي نفسه .

بالطـبع ، مثل هذا النشاط في إعلام الجماهير ، يمكن أن يحصل على نـتائج غـير مرضـية ، وقـد أشارت نتائج الدراسة المسحية السابقة إلى ذلك وتعـددت الأسباب الأساسية وراء ذلك ، وهو عدم تنفيذ بعض المطالب المبدئية للعملـيات الإعلامية . وهنا من غير الممكن تكوين رأي عام صحيح دون أخذ طابع المسألة بالحسبان ، وخصائصها الذاتية ، والمهام المحددة التي تنفذ بشكل جماعـي وبظـروف محلية . في هذه الحالة ، التأثير الإعلامي لا يتطرق إلى المهـام المحددة ، التي تقف أمامنا ، عادة ، تتطابق التدابير والمبادرات من هذا الـنوع مـع مصالح محددة ، لكن أغلبية الحالات لا تترك أثراً في وعي الناس وبسرعة يتم نسيانها تحت تأثير عوامل أخرى ، حدثية أو إعلامية . وهنا، إلى جانـب عـدم أخـذ عنصر الدقة والأخذ بالحسبان للظروف المحلية ، لم يأخذ بالانتباه مجموعة أخرى خاصة للعمليات الإعلامية والصلات الإعلامية المتبادلة والتدابـير المتخذة .. الخ . وهذا يملك أهمية كبيرة خاصة من أجل رفع فاعلية وموضـوعية الأعمـال التفسيرية – الدعائية، وهذا بدوره ينعكس على تكوين الرأي العام .

ويملـك الإعـلام الاجتماعي أهمية محددة من أجل تكوين الرأي العام المرتبط بشكل مباشر بالحياة الاجتماعية ، ومعروف ، أنه وفقاً لطابع الموضوع (المادة) ، والخصائص الذاتية والأهداف ، التي يجب تحقيقها ، يمكن أن ينشر

الإعـــلام الاجتماعي بطرق مختلفة وأن يعطي أسبقية طابعاً علمياً ، اجتماعاً – سيكولوجياً ، وجانباً معيارياً وتقويمياً .

ويكتســـب العنصر السياسي التوجيهي للإعلام أهمية أساسية في تكوين الـــرأي العـــام . فالأخـــبار السياسية دائماً محددة دقيقة وهي كأي نشاط متنوع للـــرأي، ترتبط بشكل مباشر بسياسته . ويملك في الحياة الاجتماعية بشكل دائم عموميات مختلفة وإعلام محدد الذي في هذه الحالة ، يمكن أن لا يأخذ كتأكيد ذو طـــابع سياســـي . فالحديث يدور هنا ، عن كل المعلومات الإحصائية المنتظمة الممكنة التي تحمل طابع عام أو مسائل من الدرجة الثانية . مع ذلك في ظروف محـــددة دقـــيقة كل هذه " الحقائق والمسائل غير السياسية " يمكن أن تأخذ وقعاً سياسياً عندما تتطرق لمصالح المجتمع و مجموعات اجتماعية وجغرافية محددة. وبغـــض الـــنظر عن عدم إعارة الانتباه إليها –غالباً – في حياتنا اليومية ، هي بشكل واقعي تتحول إلى عمليات سياسية تسرع عملية تكوين الرأي العام وتؤثر تأثـــيراً محـــدداً على أمزجة ومشاعر الناس . وهناك المنظم ، عليه الأخذ بعين الاعتـــبار هـــذا الجانـــب ، وعليه العثور على أشكال أكثر ملائمة ووسائل لفهم وإدراك هذه الحقائق المحددة ، ونشرها في الإعلام .

ويرتـــبط الإعلام السياسي بشكل مباشر بتكوين الرأي العام ، عدا ذلك من الضروري إدخال ذلك الجزء من الإعلام الاجتماعي الحامل بجوهره طابع الإعـــلام السياســـي أو يتطور وينمو في داخله إلى العملية الإعلامية السياسية برمـــتها . وعلـــى هذا الشكل، تعد العلاقة المحددة للإعلام السياسي المميز عن أشكال أخرى من الإعلام ، والذي بمساعدته يجب أن تمر المعلومات والحقائق عبر موشور السياسة الحزبية ومصالح الجماهير . مثال : يضم الإعلام السياسي بشكل مباشر الاقتصاد والثقافة ومجالات أخرى للحياة الاجتماعية . فهو يتفحص هذه المسائل من وجهة نظر ظروف محددة ومسائل عقائدية خاصة .

وتكتسب في الأعمال العملية عند تكوين الرأي العام ، **أهمية خاصة** التصنيفات العلمية كالأشكال المختلفة من الإعلام ، وعلاقتها المتبادلة وشروعها وهذا ، يسهل لدرجة كبيرة عملية الإعلام السياسي للسكان عبر الأجهزة الحزبية والمنظمات الاجتماعية . وحتى اليوم لم تصغ أشكال تطبيقية كاملة ووسائل لأشكال إعلامية مختلفة ، تستخدم من أجل صياغة تكوينات جماهيرية اجتماعية – سيكولوجية كالرأي العام والأمزجة الاجتماعية ... الخ . ما عدا ، المبادئ العامة المتميزة لتطوير الإعلام السياسي في الأعمال العملية من الضروري الأخذ بعين الاعتبار بعض الخصائص الخاصة به ، ومن وجهة نظرنا ، من أجل الصلات الإعلامية والعمليات الإعلامية ، يمكن استخدام التصنيف الذي أقترحه أوكراينتسون .ب.س. كأساس وهو يحتوي تقريباً على كل جوانب وخصائص العملية الإعلامية الدلالية (الكلامية) والبديهية والإعلامية ، والمعرفية ... الخ ، وهذا مرتبط بشكل عضوي مع الأعمال العملية لتكوين الرأي العام ومع جوانب مستقلة بهذا التصنيف (كالانعكاس النظري والمعرفي الذي لا يضاف على سبيل المثال : للعنصر البرغماتي ، هنا يمكن أن لا نوافق ؛ فمن الضروري إضافة شروح أخرى لجوهرها) .

وتملك الأهمية المنهجية والأساليب السياسية في تكوين الرأي العام الجوانب الأساسية التالية للعملية الإعلامية ، كتحديد المحتوى ، والتوجه وخصائص الإعلام ، وشرح طابع الذاتية، والتأثير الإيديولوجي ، والتحليل والتعميم والتفسير للمادة الإعلامية وتجزئة وتعيين الأشكال والوسائل وطرق التأثير الإيديولوجي في العملية الإعلامية . كل هذه الجوانب تلعب دوراً كبيراً في العملية بكاملها للتأثير الإيديولوجي ، وفي تكوين الرأي العام . وهنا ، لا تضع أمامنا مهمة الكشف الكامل عن طابع وخصائص كل جانب في العملية بكاملها لتكوين الرأي العام .

نحن نتفحص فقط الجوانب الأساسية التي على الأغلب غير كافية وغير كاملة والتي يمكن أن تظهر في الأعمال التطبيقية ، بقدر ما تعرف أن " الحقيقة نفسها مهمـــة " ، وأن هـــناك شيء ما يلفت الانتباه ... الخ . وكما هو معروف تبقى جانباً من تلك الجوانب كاختيار الحقائق ، ومن المسؤول عن شرحها وتعميمها.

معروف، أن الشرح والتعميم المستخلص من الممارسة والمواد الحقيقية يســـتخدم للتأثير الأكثر فاعلية في تكوين الرأي العام . ويعطي السوسيولوجيون الغربـــيون مثل أرتور مايرهوف في كتابه " استراتيجية الإقناع " ، هذا الجانب للعملـــية الإعلامية أهمية وانتباهاً خاصاً، ويؤكد أنه في عملية الدعاية المعادية مـــن الضروري ليس الإعلام كما هو ، والتعامل مع الحقيقة نفسها أكثر أهمية لضـــمان الإعداد الإيديولوجي لهذه الحقائق في روح الإثارة والتصوف ، وهذا يعطـــي إمكانـــية التأثـــير على المشاعر وسلوك الناس . هذه الطريقة للتفسير والتعمـــيم للمادة الحقيقية ، تتحدد بطابع معاداة للأنظمة الوطنية في العالم ، ففي مجتمعنا لا يوجد ضرورة " للإعداد الإيديولوجي " للمادة والبحث عن اتجاهات سيكولوجية (Tptoku)، وعدم الحديث عن الحقيقة . هنا تعمم وتفسر الحقيقة على أسس مبدئية .

وتعـــد الطـــريقة المنهجـــية المحـــددة ، المطالب المنهجية لدى التحليل والتعمـــيم وتفســـير المـــادة الإعلامية ، التي تساعد الإنسان على كشف جوهر وخصائص وظواهر محددة .

هذه الطريقة تحدد قوة وخصائص وطابع الإعلام السياسي في المجتمع العربـــي السوري، وتأثيره على الوعي والسيكولوجيا وسلوك الجماهير . وتعد إحـــدى أهم المقدمات للإعلام السياسي للسكان وبنفس الوقت لتكوين الرأي العام ولأنظمة القنوات التي عبرها تتحقق الصلات الإعلامية والتأثير العملي .

ويمكن أن يقسم في المجتمع السوري الشكل العام للأنظمة والقنوات التي تكون الرأي العام ، إلى أربع مجموعات أساسية :

المجموعة الأولى : التنظيمات السياسة للمجتمع السوري .

المجموعة الثانية : الأجهزة والمؤسسات الحكومية .

المجموعة الثالثة : وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية .

المجموعة الرابعة : الأشكال المتنوعة للصلات الشخصية الخاصة ، وأشكال أخرى للتواصل وسط الجماعات الإنتاجية الصغيرة .

ويملك تفحص العلاقات الكمية والنوعية لكل نظام أو منشأة بنفسها تركيباً داخلياً معقداً، وأشكالاً ووسائل للتعبير عن تكوين وعمل الرأي العام . مثال : نظام " الأجهزة والمؤسسات الحكومية " ، تضم بعض القنوات كالأجهزة الإدارية والمجالس ، ولجان المراقبة ، والرقابة الحزبية والحكومية والمحاكم ومؤسسات أخرى . ما عدا ذلك ، تتمتع كل قناة بخصائص خاصة بغض النظر عن هذا التنوع ؛ فعملية تكوين وعمل الرأي العام تقع في صلات متبادلة وصلات مشروطة بكل نظام ، قناة ، أو شكل يستخدم طرقه الخاصة ويحقق وظائف مختلفة في العملية الإعلامية لتكوين الرأي العام . وهي تعدد أشكال ووسائل عملية متنوعة ومنظمة ، ومن خلالها يأخذ الرأي العام علنيته.

ووفقاً لخصائص استخدام كل قناة في مراحل مختلفة للعملية الإعلامية يتكون ويتوجه ويثبت الرأي العام ، الذي يعكس بطريقة محددة أهميتها الاجتماعية ومدى تحقيقها لوظائف اجتماعية محددة ، وشرحها لطابع وخصائص ودور أنظمة وقنوات محددة . ويأخذ الاهتمام النظري والعملي مكانه الحقيقي في عملية تكوين وعمل الرأي العام . ونحن إذا تفحصنا هذا الجانب من الوسائل الأساسية للتأثير الجماهير ، لا يعني ، بأننا لم نأخذ بعين الاعتبار جوانب أخرى.

أخـذ مفهوم " الاتصال الجماهيري " في الأعوام الأخيرة ، مدىً واسعاً فـي الأدبـيات السورية ، ويضم هذا المفهوم بشكل أساسي الصحافة والراديو والـتلفاز كمـا هـو معروف ، وبالمقارنة مع أشكال ووسائل أخرى ، فإن هذه الوسـائل تملـك عناصـر ومكونات إتصالية عالمية . وهنا إلى جانب مفهوم " الاتصـال الجماهـيري " يجب إضافة وسائل وأشكال أخرى تحمل أيضاً طابعاً اتصـالياً جماهـيرياً ، كالسينما ، والكتب والأشكال الحزبية والاجتماعية للعمل (الدعايـة والأعمـال السياسـية الجماهـيرية ، والثقافة الجماهيرية والإعلام والـتحريض الشـفهي ... الخ) . وكأي شكل ووسيلة، هي تملك مجموعة من الخصـائص الخاصـة (شـمولية التأثير ، ووسائل التعبير ، وأشكال وطرق الظهور والإدارة ... الخ ، وهذه الخصائص ، تحدد دورها ومكانتها في العملية الإعلامية العامة . وبغض النظر عن الخصائص ، هي تحقق الوظيفة الأساسية نفسها- إعلام السكان بمساعدة أشكال ووسائل مختلفة . لذلك، كان من الضروري تفحصـها كجانبين لعملية واحدة، وكنظام عضوي مترابط بالتبادل ووفقاً لطابع الإعـلام ، فإن أهميتها وموضوع تأثير هذه الوسيلة أو تلك في كل حالة محددة يكتسب دوراً وأهمية خاصة .

مـثال : إذا أردنـا أن يـتكون الرأي العام بمسألة محددة تملك أهمية مكانية أو تـتفاعل مـع مصالح دوائر محددة من الناس، فإنه قبل كل شئ من الضروري اسـتخدام وسـائل وأشـكال التواصل المباشر ، والإعلام المباشر. وإذا كانت المسـائل تتـناول مصـالح السـكان بشـكل عام ، أو جزءاً هاماً منهم ، فمن الضـروري استخدام الأشكال الجماهيرية للاتصال والتأثير . لذلك ، عند تحديد أشـكال ووسـائل التأثير من الضروري الأخذ بعين الاعتبار هذا العامل . إن " الاتصال الجماهيري " مفهوم واسع في محتواه وحجمه . لذلك ، عند الأخذ بعين الاعتـبار طابع وخصائص الرأي العام كتكون روحي خاص ، وجوهر الإنسان

ليس فقط كموضوع وإنما ذاتية للرأي العام في عملية صياغته فمن غير الممكن إبعاد بعض الحتميات الإيديولوجية بما فيها الإعلامية والتأثيرية من الواجهة . إن العملية الإعلامية ذات جانبين فيها يشارك القائم بالاتصال ، والمتلقي للإعلام. وليس مصادفة القول : " ينتمي نصف الكلمة لمن يتحدث ، ونصفها الآخر لمن يستمع " .

ويؤكد في الممارسة اليومية أن المستمعين هم يقررون ماذا يقرؤون وماذا يسمعون وماذا يتلقون. فإذا أختفي الاهتمام بالمادة المنشورة ، فإن العملية الإعلامية تتوقف ، والقائم بالاتصال يفقد إمكانية التأثير المحدد .

كل هذا ، يتطلب دراسة طابع وخصائص الجمهور ، الذي يتعرض للتأثير . وقد أشار بعض المفكرين إلى هذا الجانب ، بالنصيحة التالية :

" وحتى تعمل ويكون لك حظ في النجاح ، من الضروري معرفة المادة التي يجب عليها أن تؤثر " .

في الظروف الراهنة ، يلعب هذا العامل دوراً هاماً . فمن الضروري الأخذ بعين الاعتبار الاهتمام والمصالح الدائمة والمعاصرة للناس ، ومستوى معرفتهم وسيكولوجيتهم ، وتجربتهم الحياتية ، والأمزجة والقناعات وتوجهاتهم ... الخ .

فإذا لم تأخذ بانتباه هذه الخصائص ، فإنه من الممكن أن تظهر مصاعب الفهم والتفكير بالإعلام نفسه ، ومن ثم تكوين رأي عام غير صحيح وغير محدد. عدا ذلك ، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أن الإعلام المنشور والمرسل بوسائل مختلفة للتأثير الإيديولوجي يستمر عادة "بالعيش والتطور" في أوقات الصلات الشخصية والجماعية . في الحياة، الاتصال الإعلامي " القائم بالاتصال – الأخبار – المتلقي " ، غالباً لا يتم كذلك ، فهو بشكل خاص ينتشر ويغتني ، وينتقل إلى صلات جديدة – " إعلام – متلقي – الدوائر

والأواسط الاجتماعية المحيطة ". هذه الصلة المشروطة ، تعطي الإعلام محتوىً جديداً ، ونغمة عاطفية فكرية وتوجهاً ؛ وهذا بدوره يوسع معرفة الناس ويساعد (بشكل خاص في المرحلة الأولى والثانية) على تكوين رأي عام صحيح .

وعلى هذا الشكل ، عند التأثير الإعلامي من الضروري الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط العوامل الشخصية والجماعاتية الأساسية للفهم ، وإنما الانعكاس والتغيير الذي يمكن أن يحدث من خلال التأثير الإعلامي من جانب الأواسط الاجتماعية المحيطة .

ومن الضروري إعارة انتباه خاص في العملية الإعلامية للعناصر الإصطفائية الموجودة بشكل عضوي بالشخص والمجموعة الاجتماعية . ومعروف أن الناس يتلقون ويحللون العمليات الإعلامية ، وبشكل أساسي الحقائق والأحداث التي تهمهم ، وتدفعهم إلى التفكير ومقارنة النتائج والتقويم . وبالتالي مسألة فاعلية التأثير الإيديولوجي من الضروري ربطها بمسألة المصالح والاهتمامات الإعلامية، والتي تكون ملبية للحاجات بانتظام وبشكل كامل .

ماذا ينتظر الجمهور من الإعلام ؟ هذا هو المفتاح الأساسي ، عند البدء بتوضيح مهمة تكوين رأي عام محدد ، دقيق وعلاقته مع المجموعة المحددة والجماعات الاجتماعية ، أو الأمكنة والمناطق التي تتفق فيها مصالح الناس وتتطابق مع التطور الاجتماعي والمهام التي تحلها جماعات العمل .

ويعد جانباً هاماً في العملية الإعلامية القدرة على استخدام التأثير العاطفي ، وتفهم بشكل سريع وصحيح وفعال الحقائق الكبرى والأحداث ، عندما تلقح بجرعة وتكوين عاطفي محدد . وحسب طابع الانفعالات العاطفية والأمزجة، لدى الجمهور المتلقي للإعلام ، تستطيع أن تحدث تأثيراً قوياً للتغيير السريع في كل الاتجاهات المختلفة . وهذا يستطيع إن يعطي نتائج إيجابية وأخرى سلبية على السواء .

ويحـــدث غالباً في مراحل مختلفة لتكوين الرأي العام تصادم **بين الآراء** الفـــردية والآراء الجماعاتية والأمزجة ، التي تتميز بعضها عن بعض. ما عدا ذلـــك ، يرتـــبط المجـــال العاطفـــي بشـــكل مباشـــر بالمجال العقلي والإرادي والسيكولوجي للإنسان . لذلك الفهم الإيجابي الحقيقي العاطفي للإعلام ، هو أحد أهم الشروط والمقدمات لتكوين الرأي العام ، ومواصفاته النوعية الضرورية .

إن المهـــام التاريخـــية التي تحملها سورية في المرحلة الراهنة للتطور الاجتماعـــي ، تغـــير بشـــكل دائـــم العالم الفكري والعقلي والعاطفي للمواطن المعاصـــر ، وهـــذا يتطلب بشكل أساسي تحسين وسائل وطرق وأشكال التأثير الإيديولوجي .

وفـــي النشـــاط الإيديولوجي العملي المتنوع من الضروري بشكل كامل وبدقـــة ، وبشكل موجه ، وبفاعلية استخدام كل أشكال وطرق ووسائل ومناهج التأثير على الناس . ومن الصعب إعطاء تفضيل وأسبقية ، لهذا الجانب أو ذاك لهـــذه الناحية أو تلك ، انطلاقاً من مطالب ومبادئ عامة . وكل المسائل يتطلب تناولها بشكل شامل ودقيق .

وعـــند تكويـــن الـــرأي العام ، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار في العملية الإعلامية الجوانب والاتجاهات الأساسية التالية :

(التوجه ذو المضمون المادي ، والتحديد الإعلامي ، والخصائص الاجتماعية – السيكولوجية للمتلقين ، والفاعلية ، والدقة والسرعة الإعلامية التأثيرية : اختيار وإعـــداد المـــادة الإعلامـــية – تركيبها وتجزئتها " والتأثير الإعلامي ومشاركة المتلقيـــن ، وتعزيـــز عناصر التنوع الاختصاصي، والإعلامي ، وإعادة التقويم لـــلآراء الموجـــودة ، والمصـــالح والاهـــتمامات – والحياد واستبعاد المصالح الإعلامية الموجودة ، وصياغة الجديد ، وتحديد أشكال ومناهج ووسائل وطرق محددة للتأثير الإيديولوجي).

إن تحلـيل دور وأهمـية الجوانب السيكولوجية في العملية الإعلامية – مهمة صعبة جداً، ويتطلب حلها القيام بعدد كبير من البحوث الخاصة ، بما فيها بحـوث مسـحية ومقارنة وتجريبية نحن هنا لا نضع هذه المهمة ، ولكن حلها يؤثر تأثيراً عظيماً على رفع فاعلية النشاط الإيديولوجي للحزب، وبشكل خاص على الجوانب الموجهة لتكوين الرأي العام .

النشاط الإيديولوجي وتكوين الرأي العام :

معـروف، أن التحقـيق العملي بشكل واع للنشاط الإنساني المنظم في المجـتمع ، غـير ممكن دون العمل الإيديولوجي الفعال الموجه ، الذي يصنع العقيدة للناس . ويبين المسائل عن جوهر وطابع وظيفة الإيديولوجيا كشكل من أشـكال الوعي الاجتماعي ، وقد أعدت البحوث العلمية بالتفصيل ثلاث حلقات مـترابطة بالتـبادل أساسـية في النشاط الإيديولوجي ، النشاط الفكري النظري والنشاط الدعائي ، والنشاط التحريضي .

إن النشـاط الفكـري النظري ، موجه قبل كل شئ إلى إعداد نظريات علمـية والسـعي لتطويرها بشكل دائم . الدعاية والتحريض – يقومان بإدخال أفكار ووجهات نظر إلى وعي الناس . هذه الحلقات الأساسية تملك خصائصها الخاصة ، وبنيتها التي تحدد أيضاً استقلا ليتها النسبية في العملية الإيديولوجية .

وهكذا ، على سبيل المثال : يضاف إلى التركيب الداخلي للدعاية حلقات التعلـيم والتثقيف الحزبي ، والمحاضرات ، والدعاية العلمية ، وأشكال ووسائل أخـرى فـي البنـية الداخلـية للتحريض – كالوضوح ، والسياسية والجماعية والشخصية والجماهيرية . عدا ذلك ، يوجد مجالات وأشكال أيديولوجية ووسائل إعـلام ، كالإعلام السياسي ، والصحافة ، والراديو ، والتلفاز والسينما ، وهي تنخرط في العملية الإيديولوجية للتأثير النظري الدعائي والجوانب التحريضية .

وهي بشكل مباشر تكمل بعضها البعض في الأعمال الفكرية والتربوية المباشرة وتذوب في العملية الإيديولوجية العامة .

ويؤثر الطابع الإيديولوجي تأثيراً كبيراً على المحتوى والأهداف وطرق الدعاية والتحريض ، لأنها تحمل دائماً طابعاً اجتماعياً . وهذا يحدد قوة وأهمية الإيديولوجيا في التطور الاجتماعي . وقد أشارت بعض الدراسات إلى أنه لا يتم أي شـــئ دون نوايـــا واعـــية ، دون أهداف محددة . تعد المصالح الاجتماعية الجانـــب الأساســـي والمحـــدد ، العاكسة للإيديولوجيا المناسبة وتأخذ الجماهير الشعبية الواسعة المكان الأساسي التاريخي للتطور الاجتماعي ، لذلك ، مصالحها ومهامهـــا تعكـــس الواقع بشكل صحيح . وتعد الإيديولوجيا القومية الاشتراكية كإيديولوجيا للجماهير الشعبية الواسعة ، وهي من الإيديولوجيات العلمية التقدمية المعاصـــرة ، وهـــذا مـــا يفســـر قوتها وأهميتها ودورها في الحياة الاجتماعية السورية، بما فيه دورها وأهميتها في تكوين الرأي العام .

إن عملـــية تكويـــن الرأي العام – بجوهرها هي عملية قبل كل شئ فهم العالم الخارجي بكل إعداداته المماثلة في وعي ليس شخصاً واحداً ، ولكن وسط الجماهـــير الشعبية الواسعة . بالتالي الرأي العام مرتبط بالعملية الفكرية للناس بوعـــيهم وعلاقتهم بالواقع . وهذا يعني ، أن الرأي العام والنشاط الإيديولوجي مرتبط بشكل عضوي متبادل . ويلعب النشاط الأيديولوجي دوراً مهماً في عملية التكويـــن برمتها ، وعملها ودراسة الرأي العام . ولكن يمثل الرأي العام إحدى المقدمـــات الأساســـية للفهم الصحيح وبالوقت نفسه لأفكار وتصورات ونظرات محددة . وهو يعد " داعية متنوعة للجوانب الإيديولوجية التي يعيش فيها " .

ويكـــون الرأي العام (رغم أنه في حالات معينة وليس لوقت طويل) موقفاً جماهيرياً ، وتقويماً وأمزجة جماهيرية ، وهذا بالطبع يساعد على استيعاب

الجماهير للأفكار القائمة ،وتحويلها إلى قوة مادية ، وبنفس الوقت هي تعد إحدى الحالات الهامة الدائمة للفاعلية والتأثير الإيديولوجي على الناس .

ويؤثر غالباً في الممارسة الاجتماعية النشاط الإيديولوجي المرتبط بمجموعة كاملة من المقدمات الذاتية والموضوعية وبشكل محدد تدخل وتؤدى عبر مواصفات معينة للرأي العام.

ويتعزز في تلك الحالة (مع حسبان طابع الرأي العام) ، لدرجة هامة أو ينخفض تأثير النشاط الإيديولوجي لأشخاص مستقلين أو لمجموعات اجتماعية مماثلة . وتملك مثل هذه الجوانب العملية الإيديولوجية أهمية منهجية – عملية هامة في المرحلة المعاصرة للتأثير الإيديولوجي الجماهيري على الناس .

ويكون العمل الإيديولوجي للحزب ، والأجهزة الحكومية والاجتماعية والمنظمات الشعبية الرأي العام ، ويساعد على التحقيق العملي لهذه أو تلك من الأفكار والنظريات . وفي الشكل العام ، ممكن لهذا التأثير تجميعه في الجوانب الأساسية التالية :

الجانب الأول :

يرتبط في عملية التأثير الإيديولوجي ، وتكوين نظام محدد للقنا عات الفكرية ، وأمزجة اجتماعية – سيكولوجية التي تمس أساساً ثانياً دائماً من أجل تكوين رأي عام صحيح . وهنا من الضرورة إضافة التأثيرات المؤقتة للتأثير الإيديولوجي الذي يستطيع أن يكون في ظروف محددة ومحركاً وعاملاً للظهور أو تحديد رأي عام محدد .

الجانب الثاني :

يرتبط بالقيادة النشيطة الموجهة والمدبرة لعملية تكوين الرأي العام . وهنا تظهر الصلات المتبادلة للنشاط الإيديولوجي ليس فقط في عملية تكوين الرأي العام بشكل كامل ، ولكن في بعض جوانبه وأساسياته

وهـــي تساعد لاثراء وتوسيع والرفع النوعي لمستوى الرأي الفردي والجماعي وفي النهاية النمو والتطور المطرد والتحول إلى رأي عام .

الجانب الثالث :

يتعلق بتعزيز وتقوية وإغناء أو تغيير محتوى ما تشكل في الرأي العام بشكل صحيح. فالنشاط الإيديولوجي في هذه الحالة موجه قبل كل شئ إلى إغناء أو تغيـــير ما قد تكون من آراء ، وبالتالي ، مواصفاتها الخاصة وخصائصها . وفي نفس الوقت يتكون جوانب جديدة مستقلة وفقاً للأهداف والمهام الموضوعة. وهذا يتطلب القيام بعمل فكري تربوي هادف وثابت محدد ، وتطبيق أشكال ذات فاعلية عليها للتأثير الإيديولوجي .

الجانب الرابع :

يعكـــس التحديد الحزبي الاجتماعي للنشاط الأيديولوجي وصلاته بالحياة وبشـــكل خاص في وقت النقاش الشعبي العام للمسائل والقضايا الهامة المتعلقة بالـــتطور الاجتماعـــي. وعند كشف طابع وجوهر وخصائص ما تم نقاشه من مســـائل ، هـــو يساعد على تبادل تنشيط للأراء ، وصياغة تقويم صحيح وأراء مناسبة .

الجانب الخامس :

يرتبط بعمل ودراسة رأي عام محدد ، واستخدام أشكال ووسائل وطرق متـــنوعة للنشاط الإيديولوجي ، وهذا يساعد بشكل صحيح وسريع على إظهار القـــوى الاجتماعية ، وأهمية الرأي العام بشكل كامل ، وبعض جوانبه الخاصة كالعلنـــية والديناميكية والجماعية والتوسعية (الانتشارية) ، والشدة والحيوية. ومعـــروف أنـــه بدون التحقيق العملي لهذه الجوانب ، هو لا يستطيع أن يحقق وظائفه الأساسية لتكوين روحي .

إن ما تفحصناه من جوانب أساسية لعملية تكوين الرأي العام والصلات المتبادلة ، تملك في نفس الوقت خصائص أخرى مستقلة خاصة تشترط في هذه المرحلة أو تلك تكوين مادة توجه الرأي العام ، وخصائص التأثير الأيديولوجي.

إن التأثير الإيديولوجي على تكوين الرأي العام ، متنوع ومتعدد الجوانب ومرتبط بذاتيته وتوجهه وخططه الكثيرة ، وباستقراره وتطوره ، وقوة تأثيره ومجموعة أخرى من الجوانب والأسس المطلوبة .

الدعاية الحزبية الشفهية والرأي العام :

تعد – إحدى الوسائل لتكوين الرأي العام في المجتمع العربي السوري – الأشكال المختلفة من الدعاية الشفهية ، أنظمة التثقيف الحزبي ، محاضرات دعائية ، مؤتمرات حزبية ندوات نظرية ، دعاية للعلم والأدب والفن ، وعلم الجمال ... الخ .

وتحقق كل أشكال الدعاية الشفهية الوظيفة والوظيفة نفسها بالعلاقة مع الرأي العام ، وهي بالوقت نفسه تضم أشكالاً خاصة ، ومناهج للتأثير الإيديولوجي ، تساعد على تكوين رأي عام موجه .

أعار حزب البعث العربي الاشتراكي انتباهاً خاصاً للدعاية الشفهية كوسيلة لتفسير وشرح النظرية القومية الاشتراكية ، وصياغة عقائد ومبادئ علمية لدى الجماهير الشعبية الواسعة ، ونشر سياسة الحزب ومواقفه في مختلف القضايا الوطنية والقومية والدولية . وعلى أسس ما تراكم من تجارب ومجموعة من الوثائق الحزبية والإنتاجيات الفكرية لبعض الشخصيات البارزة في الحزب وقد أصيغت مبادئ هامة لتنظيم وتوجيه الدعاية الحزبية .

وقد أشير فيها إلى ضرورة الإغناء الدائم لمحتوى وشمولية التدابير الدعائية حسب الإمكانية لعدد كبير من الناس ، وصلاتها العضوية الدقيقة مع الحياة وبشكل مستمر لتحسين طرق الدعاية ورفع فاعليتها .

لا شئ يمكن أن يغير الأشكال المتنوعة للدعاية الإيديولوجية ، وقبل كل شئ وسائل الإعلام الجماهيري ، التي حسب رأي " وزير الإعلام السابق محمد سلمان " تحمل للشعب كلمة الحزب الحية . وتؤكد الممارسة أنه في الحياة لا يوجد أكثر قوة وفاعلية من أشكال التأثير الإيديولوجي ، وأكثر من الاتصال والتواصل المباشر مع الناس . وهذا يسمح بالشعور بنبض الرأي العام ومعرفة مزاجه وآرائه ، وبشكل جديد دقيق شرح خط الحزب ومواقفه السياسية، وإعطاء إعلامنا إضافات معبأة بمسائل محددة وقضايا تهم الناس .

وينمو في المرحلة الراهنة للتطور الاجتماعي دور وأهمية الدعاية الشفهية كشكل من أشكال النشاط الإيديولوجي بشكل أكبر ، فهي تغتني بوسائل ومفاهيم وطرق جديدة . وتظهر بشكل خاص المبادئ العامة والوظيفة الاجتماعية للعمل الإيديولوجي في الدعاية ، وهذا بشكل موضوعي يحدد مكانها كشكل خاص في النشاط الفكري – التربوي بشكل عام .

ومعروف ، أنه ، في أية عملية إعلامية تتواجد صلات متبادلة مشروعة بين الذاتية والموضوع . هذه الصلات المتبادلة والمشروعة بكاملها، وتكوينها وبخصوصيتها تنعكس بشكل خاص في العملية الدعائية ، وتستطيع الصلات أن تكون مباشرة، عقلياً ، عاطفياً ، علنياً ، وبين الأشخاص أو عملياً ... الخ .

والأساس ، أن يأخذ كل داعية أو محاضر بعين الاعتبار دور وخصائص وأهمية هذه الصلات وعلاقتها المتبادلة المشروعة . ووفقاً لمحتوى المحاضرة ، وطبيعة المهام ، وتركيب المستمعين ، يستخدم أشكال مختلفة وطرق من أجل إقرار صلات عضوية وتواصل . وفي وقت الحديث أو المحاضرة من الضروري بشكل دائم مراعاة فاعلية التأثير وأمزجة المستمعين ووفقاً لذلك يتحدد أو يضاف أو يختصر أو تكثف المادة مستخدماً الأشكال والطرق المماثلة . ويجب على الداعية أو المحاضر وضع كل جهده في تنظيم

وقـيادة الجمهور ولفت انتباهه . وهنا التقليد والتبعية ، وجداول مسبقة لا يمكن أن تكـون ، فالتدابـير المحددة من الضروري البحث عنها في طرقك الخاصة للتأثير .

وتعد الوسائل الأكثر قوة وفاعلية الإعداد النظري والمنهجي للداعية وقدرته علـى تنظـيم وتوجـيه انتباه المستمع ، وهذا بجوهره ، أحد الوسائل الأساسية الدائمة للتأثير ، التي من الضروري استخدامها كما في بداية المحاضرة ، كذلك في مراحلها الختامية . وترتبط هذه الخاصة للدعاية الشفهية بشكل مباشر بفاعلية التأثير الإيديولوجي ، بما فيه تكوين الرأي العام .

وعندما ، يتوجه انتباه الناس إلى مسائل وقضايا محددة ، من الضروري الأخـذ بعين الاعتبار الوضع السيكولوجي للمستمعين ، باستخدام أشكال وطرق فعالـة مـن أجل الدخول في صلات معهم ، وهذا بقوة يؤثر على وعي الناس ويسـاعد على إثراء وتكوين الرأي العام الجماعي والفردي الصحيح . وتعد من الخصـائص المميـزة للدعاية الفاعلية الإعلامية ، والدقة والحيوية ، فكل تأثير دعائـي بشـكل ودرجـة محددة ، يحمل طابع الفاعلة والتأثير . إلا أن الدعاية الشفهية تتميز بشكل كبير عن كل الوسائل الإعلامية الأخرى للسكان . وتكشف الدعاية الشفهية قبل كل شئ بشكل هام الإمكانية الواقعية الكبيرة من أجل إدخال الصـلات المباشـرة المحددة الموجهة بصلات مع الجمهور ، في عملية وضع المـادة الأساسـية ، وإعطـاء الجديد من الإعلام . وبشكل سهل ربط المسائل النظرية العامة مع المهام المحددة ، وتعطي بشكل مبرهن ودقيق أجوبة على كل ما يتعلق بالناس من مسائل وقضايا ... الخ .

وتكشـف كل هذه الجوانب والخصائص الإمكانية الواقعية للظهور الحقيقي لإحدى المواصفات المميزة للأعمال التناظرية؛ ويمكن أن يؤثر تصاعدياً في كل مـرحلة للتأثـير الدعائـي وفقاً للأوضاع المحددة لهذا الجانب أو ذاك أو هذه

الخاصـــة أو تلك . وهذا التوجه ، يساعد على رفع فاعلية هذا التأثير . وبالطبع يـــتعلق الكثير بالإعداد النظري والإعلامي للداعية وللمحاضر ، بالمسائل التي تتفحصـــها ، وكذلـــك بالأوضاع الاجتماعية – السيكولوجية للجمهور والأوساط الاجتماعية ... الخ .

وترتـــبط خصـــائص التأثـــير هذه بشكل مباشر أو غير مباشر بتكوين مواصفات نوعية للرأي العام ، كالدقة والديناميكية والتوجه الهادف .

وتشـــغل مســـائل الفكـــر القومي الاشتراكي ، والأسس العلمية للسياسة الحزبـــية ، والنضـــال ضد (الصهيونية) ، والمسائل الداخلية الملحة والأوضاع الدولية ، المكان المركزي في مضامين الداعية السورية الراهنة .

وتـــتعلق قوة وفاعلية الأعمال الدعائية بتكوين الرأي العام ، بالمشاركة التنشيطية للناس. ومعروف أن الأوضاع الإبداعية ، وظروف استيعاب الأفكار والمفاهـــيم المناســـبة ، تـــتكون لدى المشارك بشكل مباشر عندما يبدأ بالإعداد والقـــيام بتدابير ، وعندما يصبح قادراً على طرح الأسئلة واستخدام أمثلة محلية ومقاربـــات مـــع نماذج أخرى ؛ كل هذا متعلق بقدرة ومهارة الداعية . في تلك الحالـــة ، يصبح الإعلام السياسي ممتعاً مهماً وجذاباً للناس ، ليساعدهم علي أن يكونوا ليس موضوعاً وإنما ذاتية نشطة ، وهذا يملك أهمية مهمة من أجل تكوين الرأي العام .

وفـــي عملـــية تكوين الرأي العام ، من الضروري الأخذ بعين الاعتبار بشـــكل شـــمولي ليس فقط خصائص التأثير الدعائي ، وإنما وظيفته الاجتماعية ومـــع هـــذا ، يجـــب أن يكـــون الانتباه الخاص موجهاً إلى الوظيفة الإعلامية والتعليمية والتنظيمية والتعبيرية والدعائية .

لا يوجـــد شـــك ، بأنه ، عندما يؤخذ بعين الاعتبار في العملية الدعائية بشـــكل كامل ، الخصائص الخاصة بهذه الوظائف الاجتماعية ، فإن الدعاية لا

تساعد فقط على تكوين الرأي العام ، وإنما بشكل عضوي تحوي في نفسها هذا العنصر الذي يعد النتيجة النهائية المحددة للتأثير.

ومعروف على سبيل المثال : أن الوظيفة التعليمية تساعد على الدراسة العميقة، وعلى استيعاب الحقائق النظرية وتحويلها إلى قناعة وعمل وسلوك . وعلى هذا الشكل، تساعد الدعاية على توجيه الناس المستقل في الحياة ، وتكوين مواقفهم وآرائهم ، وعلاقاتهم بمسائل حياتية متنوعة معقدة . ويعد مستوى إعداد الداعية والمحاضر ، أحد العوامل المحددة للاستخدام الصحيح لوظيفة الدعاية الشفهية من أجل تكوين وعمل رأي عام ، وهذا مرتبط قبل كل شئ بتحسين إعدادهم النظري والمنهجي، ويرفع المستوى النظري لكل التدابير الدعائية وبضمان صلات أكثر للنظرية مع المهام الحيوية المحددة التي تحلها الجماهير الشعبية، وبالوقت نفسه ، قدرة استخدام الجوانب الحديثة والحالات البارزة للحياة الاجتماعية في التأثير الدعائي . وأيضاً القدرة على توحد العناصر النظرية والإعلامية في النشاط الدعائي .

وإلى جانب طريقة الإقناع ، كإحدى الطرق الأساسية للدعاية الشفهية وصياغة الرأي العام وفقاً لمطابقة الموضوع وإشكالياته ، يعار انتباه كبير للطريقة السيكولوجية ، وطريقة البناء العاطفي والتنظيمي ووسائل التكنولوجيا إن استخدام هذه الطرق ، لا يساعد فقط على الفهم النظري للموضوع ، ولكن بالوقت نفسه يتكون رأي عام صحيح ، حول المسائل والقضايا المحددة التي تعد مادة للتأثير الدعائي .

وفي عملية تكوين وعمل الرأي العام ، إلى جانب التأثير الفعال على مجالات أخرى للنشاط الإيديولوجي للدعاية الشفهية ، تحل مهام أخرى تملك خصائصها الخاصة منها :

أولاً : تعطـــي الدعايـــة الحزبية معارف عميقة ومنتظمة من أجل **تكوين العقيدة** القومـــية الاشتراكية لدى الناس وتعد المقدمة الأساسية للتوجه السريع والصحيح لأفـــراد محدديـــن ومجموعات اجتماعية في حالات محددة ، وتكوين رأي عام مناسب .

ثانـــياً : تحقـــق الدعايـــة الحزبـــية بالمعنى الدقيق مهمة محددة – " تعزيز " أو " تغيير " ، أو إضافة مضامين جديدة وصفات للرأي العام القائم .

ثالـــثاً : تكشف الدعاية الحزبية إمكانية كبيرة للتأثير المباشر المنتظم والمقارنة الدائمـــة لـــدى الجمهور ، وتأخذ بعين الاعتبار البناء الاجتماعي– السيكولوجي والمهام المحددة التي تحلها الجماعات والمجموعات المناسبة . عدا ذلك يساعد الحـــوار فـــي عملية التأثير الدعائي والمشاركة النشطة للمستمع وتبادل الآراء الخاصة والجماعية .

رابعـــاً : تكشـــف الدعاية الحزبية الشفهية إمكانية كبيرة للإعلام الدائم والهادف والموجه للمستمعين من أجل تكوين الرأي العام .

خامساً : ويمكن أن يحقق في العملية الدعائية بشكل كامل وفعال " الدور الدعائي الوظيفي " للرأي العام ، كأحد العوامل والمقدمات الهامة لرفع فاعليتها وتحويل الأفكار إلى قناعة داخلية .

ويشغل في الدعاية الحزبية السورية نظام التثقيف الحزبي مكاناً مركزياً. ويعمل عشرات الكوادر الحزبية والمحاضرين في أنظمة التعليم السياسي . فهم يشرحون بفهم وشعور عال من المسؤولية والمهنية بشكل منتظم وعميق العلوم السياسية القومية والتقدمية لآلاف المستمعين . ومعروف ، أنه يتكون رأي عام مناســـب وفقـــاً لمحتوى وحجم المعارف . عدا ذلك يساعد الإعداد الفكري على تغيـــير الـــرأي العام ، وتناسق بين النظري والعملي ، وبين الوعي والعفوي .

بالطبع ، بعض المسائل النظرية بشكل عميق وواع تكون الرأي العام ، وبقدر ما تكون قوية وثابتة تظهر تسييس واسع للوعي الجماهيري .

مـــن هـــنا ، نلحظ الأهمية الكبرى لمضامين التعليم السياسي والتثقيف الحزبـــي ، والإعـــداد الـــنظري والمنهجي للدعائيين ، وأشكال وطرق التأثير الدعائي . وعندما تظهر الشكلية والتقليدية والتبعية " في الإعداد للتعليم السياسي والتثقيف الحزبي ، يظهر انخفاض الفاعلية وقوة التأثير الإيديولوجي ، ولدرجة كبيرة تتحدد إمكانية تكوين رأي جماعي لدى المستمعين .

وتملك الدعاية المنظمة المنتظمة الهادفة الموجهة أهمية كبيرة في تكوين رأي عـــام جماعـــي. ويشـــترط دور المحاضـــرة الدعائية وظائفها التنظيمية وخصائصها الخاصة ، وصلاتها المتبادلة بالرأي العام . من التوجه ذي الطابع والمحتوى الذي يعالج مشكلة ، للمحاضرين ، والمرتبط بحياة الجماعة ومصالح الناس والمهام التي ينفذونها ، يتعلق مكانها ودورها في كل عملية تكوين الرأي العـــام . وتـــتكون في عملية التأثير المحاضراتي بشكل منتظم وموجه وهادف العقـــيدة ، والـــنقاش القيمـــي ، وعلاقات الناس بالمسائل المطروحة . وتتم في ســـوريا المحاضـــرات الدعائية تحت قيادة وإشراف المنظمات الحزبية القاعدية مـــن أجل نشر المعارف العلمية . ويعار انتباه أساسي من قادة المجتمع لتوجيه ورفع فاعلية التأثير المحاضراتي .

وقـــد تأكد في الممارسة الأشكال والطرق الفعالة للمحاضرات الدعائية كالمؤتمـــرات العلمـــية الـــنظرية ، وحلقـــات بحث بموضوعات مختلفة ، وفي المهرجانات الشعبية والاجتماعات التنويرية ، والحوارات ، والحلقات السينمائية، وموضـــوعات مسائية ، ومجلات شهرية ولقاءات " وراء طاولة مستديرة " ... الخ . أن هذه الأشكال لا تسمح فقط باستخدام طرق مختلفة للتأثير المحاضراتي

ولكـــن فيها تتكشف إمكانية كبيرة للاتحاد العضوي الجماهيري العقلي والعاطفي مع التواصل الشخصي ، والاحتفالات ذات المحتوى والتوجه الهادف ... الخ.

التحريض السياسي وصياغة الرأي العام :

يمـــثل الـــتحريض السياسي أحد الأشكال الفعالة للصلات مع الجماهير الشـــعبية الواسعة. ويرتبط بطابعه ومحتواه مع كل أشكال النشاط الإيديولوجي وفـــيه يـــتركز علـــى المسائل الحادة الملحة والقضايا الحياتية للفرد والجماعة والمجـــتمع بشـــكل عـــام . وقـــد أكدت الدراسة السوسيولوجية أن " التحريض السياســـي متعدد الجوانب وهو البؤرة التي فيها تتطابق المصالح الملحة للتربية السياســـية للجماهير الشعبية ، مع باقي المصالح الملحة لكل التطور الاجتماعي ولكل الشعب .

وقـــد أشـــارت وثائق الحزب في المرحلة المعاصرة للتطور ، إلى أن التحريض السياسي يعد الحلقة الديناميكية الأساسية في نظام النشاط الإيديولوجي الـــذي يوصل بشكل مباشر وبدقة المسائل والقضايا السياسية الحزبية ومحتواها والهدف الأساسي منها إلى وعي الجماهير . ومن الضروري بشكل حازم إبعاد الآراء الخاطئة غير الصحيحة ، على أنه في ظروف " العولمة " المعاصرة ، قد اســـتنفذت وســـائل الإعلام الجماهيري والتحريض السياسي كجزء أساسي من شـــمولية نظام الأعمال الإيديولوجية للحزب كل إمكانياتها وغيرت دورها . هنا لدى الحزب ، تقاليد غنية وتجارب وقدرة على إيجاد صلات حية مع الجماهير . وهـــذه إحدى ملامحه الواضحة كحزب تقدمي، فهو حركة متصاعدة آخذة بعين الاعتـــبار كل المتغيرات المحلية والدولية ، وتصيغ قوانينها وفقا لروح العصر حفاظـــاً علـــى القوانين الأصيلة والمبدئية في حياة الأمة ، وتؤكد الممارسة أن التـــبادل الحـــر للآراء ، والحديث الصريح مع الناس ومحتواه الغني ، المتنوع والصـــلات العكســـية تحول التعريف السياسي إلى وسيلة هامة لصياغة وعمل

ودراســة الرأي العام . وترتبط الشمولية والإلحاحية والدقة والعلنية والديناميكية وخصــائص أخــرى للتحريض السياسي بشكل عضوي بخصائص الرأي العام لتكويــن روحي وعلى هذا الأساس العام ، وهذه الصلات المتبادلة والمشروعة يمكن تجميع الجوانب الأساسية التالية :

أولاً : الــتحريض السياســي والــرأي العام – هما ظاهرة وعمليات جماهيرية موضــوعاتها ، تخدم بشكل واضح الجماعات الاجتماعية ، والجماهير الشعبية الواسعة .

ثانــياً : ويرتــبط الــتحريض السياســي والرأي العام ، بشكل مباشر بالمسائل السياسية الملحة للحزب ، وبمهام محددة مطلوب حلها . وهذا بدوره يحدد طابعه الاجتماعي والديناميكي والقيمي .

ثالــثاً : يقع الإعلام السياسي في أسس النشاط التحريضي ، ويعد أحد المقدمات المحددة الهامة لتكوين الرأي العام .

رابعــاً : العلنــية (الشــفافية) ، عنصر ضروري وواجبي ، كما والتحريض السياسي من أجل تكوين وعمل الرأي العام .

خامســاً : إن الأشــكال الأساســية ووسائل التحريض السياسي ، مثل المراقبة الشــعبية ، الــنقاش الشــعبي العام ، تحليل النشاط العملي وسلوك بعض الناس والجماعات الاجتماعية ، تعد بجوهرها ، منهجاً موضوعياً سوسيولوجياً لدراسة الرأي العام .

وتوجــد الصلات المحددة والصلات المتبادلة في المناهج السيكولوجية وآلــيات تكويــن الرأي العام ، وتأثير التحريض السياسي . وهنا ، يجب على الذاتية أن تأخذ المعرفة والفهم للأفكار والمعاني المحددة ، وتكوين قناعة وعلاقة بالمســائل المحددة . بالطبع ، إن طريقة متابعة الخصائص الخاصة لكل مرحلة من مراحل التأثير ، والمنهج المتجدد يمكن أن تكون مختلفة ومتنوعة ولكن في

كليتها ، مرتبطة ومشروعة بشكل عضوي بالتبادل . وتشترط خصائص الرأي العام كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية ، والتحريض السياسي ، كشكل من أشكال النشـــاط الإيديولوجي لهما صلاتهما العضوية وارتباطهما المتبادل ، وهذا نجده مـــنفذاً عملـــياً في قرارات الحزب المعدة بشكل دائم ، على رفع فاعلية أنظمة الإعلام الحزبي .

وتشـــغل مكاناً أساسياً في مضامين التحريض السياسي مسائل السياسة الاقتصـــادية والاجتماعـــية للحزب ، لاسيما تطبيق الطرق الاقتصادية الجديدة ومفاهـــيم الانفـــتاح والآلـــية الاقتصـــادية الجديدة ، وعقلنة العمل ، والحد من الإسراف والتبذير .

وتحـــدد فـــي حـــالات كثيرة مصالح المجموعات ، أو الحالات المؤقتة لدرجـــة معروفة لتكوين الرأي العام . وبالاختلاف عن بعض الأشكال الأخرى للعمل الأيديولوجي ، يعد موضوع التحريض السياسي للفرد نفسه وللمجموعات الصغيرة ، ولمجموعات العمل ، أو لمجموعات اجتماعية ديموغرافية مختلفة من الســـكان ، وربمـــا ملاييـــن الـــناس الآخرين . وتفسر للناس بمساعدته المهام والمسائل وتصل إلى وعيهم ، وتؤثر تأثيراً كبيراً على تكوين رأي عام مناسب . وهذا يحدد طريقة ووسائل وأشكال النشاط الإعلامي .

إن التوجه نحو الظواهر والعمليات والمهام من الضروري أن ينطلق من وجهـــة نظر توجهه وصلاته الهادفة ، بظروف محددة . فالدقة والتوجه الهادف والأفكار العامة – هذه هي مواصفات الأعمال التحريضية .

وعـــند تحليل خصائص الدعاية والتحريض ، أكد لينين : " يتطلب من الداعـــية نوعية أخرى، أكثر مما يتطلب من التحريض . الداعية " عليه إعطاء أفكار كثيرة وكثيرة جداً حيث إن هذه الأفكار ستكون مكتسبة مع الوقت من قبل بعـــض الأشخاص . أما المحرض فيتحدث عن مسألة معروفة ، لكل المستمعين

بأمـــثلة بارزة – لتقول : الموت من الجوع لأسرة عاطلة عن العمل ، فالتركيز هـــنا على حقيقة معروفة لدى الجماهير ، فكرة واحدة : في حين الداعية يتحدث عـــن أفكـــار التـــناقض الفاحش بين نمو الثروات ونمو الفقر ساعياً لإيقاظ عدم الرضى والاستياء لدى الجماهير ، فالتناقض يجب أن يفسر تفسيراً كاملاً من قبل الداعـــية. (كتاب وجيه الشيخ) . وبالتالي ، المحرض عليه أن يكون أستاذاً للكلمـــة الحزبية ، يملك إعداداً نظرياً ومنهجياً مستخدماً شهرته لدى المستمعين عـــندئذ ســـيكون بالنسبة له المقدرة على تكوين رأي عام ضروري لدى الناس بالمسائل الهامة .

لذلـــك ، الإعداد النظري والمنهجي للمحرض ، وتعميق معارفه بانتظام تملك أهمية كبيرة من أجل رفع فاعلية وتأثير الأعمال السياسية الجماهيرية .

ويعـــد الـــتحريض الجماعي ، أحد الأشكال الفعالة المستخدمة لتكوين ودراســـة الـــرأي العام الصحيح . وعادة، يتكون المحرضون من البعثيين ذوي المعـــارف والخـــبرات العالـــية، ومـــن الحزبييـــن الناشطين – ممثلي الأجهزة الاجتماعـــية والحكومـــية والاقتصادية والمنظمات الشعبة. ويوصل المحرضون بشـــكل فعال الكلمة الحزبية إلى أوسع الجماهير، مفسرين المهام والقضايا التي يجب أن يحلها جماعات العمل، والمراكز السكانية .

ويركـــز المحرض في عملية الحديث الجماعي والفردي انتباهه قبل كل شـــئ على تلك المسائل والقضايا التي تحتاج لتكوين رأي عام مناسب حولها . وبالوقت نفسه يقدم إمكانية للأحاديث الصريحة أو أحاديث تكشف جوهر الرأي العام القائم ، ومعرفة أمزجة ليس فقط لدى الفرد وإنما لدى مجموعات كبيرة من الناس ، أو جماعات العمل . وهذا يؤثر من كل الجوانب تأثيراً كبيراً على تنظيم ومحتوى التحريض السياسي .

وتشـــغل جماعة المحاضرين مكاناً خاصاً في أنظمة التحريض السياسي الشفهي ، وتتكون من الكوادر الحزبية والاجتماعية والاقتصادية ، وتقوم جماعة المحاضـــرين بأحاديث هادفة مع جماعات العمل ، ومع فئات أخرى وجماعات متنوعة . وتكشف مشاركة الكوادر البارزة في الأعمال السياسية الجماهيرية – إمكانـــية كبيرة من أجل التواصل مع الناس ، وتسمح بإعطاء أجوبة دقيقة ليس فقـــط على المسائل السياسة العامة ، ولكن على مسائل مرتبطة بعمل الجماعات العمالية المنتجة .

وقـــد تحقـــق في أعمال أنظمة التحريض السياسي الشفهي نتائج هامة . وبنفس الوقت حدث في عمل الجماعات التحريضية المحددة والقائمين بالاتصال مـــن السياسيين ، ومن مجموعة المحاضرين أخطاء كبيرة ، أهمها الشكلية في طـــرح المســـائل ، واللامـــبالاة فـــي حاجـــات المتلقيـــن ، والحد من أسئلتهم واستفســـاراتهم ، أو الابتعاد عن الإجابة الصحيحة . هذا لدرجة كبيرة يقلل من قوة تأثيرهم . وعند شرحه سياسة الحزب للجماهير الواسعة ، تطالب الآن قيادة الحـــزب " التقلـــيل من الشعارات الطنانة والرنانة ، والانتباه الكبير إلى الحقائق البســـيطة الحية ، المأخوذة من حياتنا الراهنة . هذا التوجه ، ضروري تجسيده فـــي عملنا السياسي والدعائي والتحريضي . فقط بهذا الشكل من الممكن إحداث تأثـــير علـــى وعي الناس ، وبهذا الشكل يمكن الخروج بنتائج صحيحة لتكوين الرأي العام .

وتلعـــب الأعمـــال الفـــردية التفسيرية والتربوية دوراً مهماً في النشاط التحريضـــي والدقـــة ، والعمل الفردي مع الناس – هو أساس النشاط السياسي المطلوب ، وهو جوهر النشاط الإيديولوجي.

ويمـــثل التواصل بطابعه وخصائصه ، وتأثير الأعمال الفردية إمكانية كبـــيرة من أجل التأثير المنظم الهادف على الناس في أوضاع مختلفة وبمسائل

متنوعة . ويساعد الصدق، والدفء ، والدقة في تفسير هذا السؤال أو ذاك ، مع كشف أمزجة الناس ، وعلاقاتهم به . ويؤثر العمل الفردي تأثيراً محدداً على أمزجة وتكوين الرأي ، كما وكأنه لفرد بعينه كذلك لجماعة كاملة . ويملك التحريض السياسي العلني أهمية كبيرة ، ولاسيما عند استخدام المعارض واللوحات والمراسلات البريدية ولوحات الحائط والإعلان السياسي والكاريكاتور . فهي بشكل مباشر تؤثر على الناس وتوجه انتباههم ، وتترك علاقة بحقائق وأحداث محددة تدعو الناس للتأمل والتفكير ، وتحثهم على إعطاء تقويمات وتعميمات ، أي ردود فعل مناسبة.

وتؤثر المضامين الفكرية والفنية والإعداد الجيد للتحريض العلني وفقاً للظروف المحددة ، تأثيراً عاطفياً كبيراً على أمزجة ووعي الناس .

ومن أجل ضمان الفهم من قبل الناس بشكل مباشر وواع ، مهم جداً عدم نسيان الخصائص الخاصة لأشكال مختلفة من التحريض العلني ، والظروف المحددة التي يتم العمل فيها وإمكانيات الذاتية نفسها . ومن الضروري إعارة الانتباه للموضوعات الملحة الدقيقة الهادفة ، من خلال وسائل وأشكال فنية (واقعية وسهلة الفهم) جماهيرية شاملة (معارض دورية ، موضوعات لوسائل تكنولوجية وتصويرية ... الخ) ، من أجل التكوين المنتظم الموجه للرأي العام بواسطة التحريض العلني .

ويؤثر بقوة في مجموعة حالات وأشكال مستقلة للتحريض العلني على الناس ، الأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص والقدرة على استخدامها ، وفي أنظمة التحريض السياسي من غير الممكن نسيان أشكال التعليم لعمل ودراسة الرأي العام .

إن أي شكل وطريقة ووسيلة لتأثير التحريض الأيديولوجي يترك أثراً محدداً على الرأي العام ، ويعد دوره وأهميته في العملية الكاملة لتكوين وعمل

ودراسة الرأي العام غير متشابهٍ . وهنا من أجل العمل التحريضي – التفسيري من الضروري الدخول بشكل شمولي ، مضافاً إليه ، محتوى واتجاه وشمولية وأشكال وطرق ووسائل التأثير الإيديولوجي.

وسائل الإعلام الجماهيري وتكوين الرأي العام :

ينمو في الحياة الروحية للمجتمع المعاصر بشكل أكبر دور وسائل الإعلام الجماهيري وقد تحول إلى سلاح غير محدد بالوقت والمساحة للتربية الفكرية والإيديولوجية للجماهير الشعبية الواسعة .

لقد كون التقدم العلمي التكنولوجي ، وثورة الاتصال والمعلوماتية وتقنيات الاتصال المتطور ، والتغير الكبير الذي يحدث في عالم اليوم ، مقدمات كبيرة من أجل النمو النوعي للحاجات الإعلامية للناس ورفع أهمية الرأي العام.

وتؤثر تأثيراً كبيراً الصحافة والراديو والتلفاز في أنظمة العمل الإيديولوجي ، على العملية الكلية لتكوين وعمل الرأي العام . وعند ظهور أشكال التأثير الفكري الإيديولوجي ، حققت الوظائف الدعائية والتحريضية والإعلامية والتنظيمية والاجتماعية ، التي تؤثر بنشاط على كل جوانب ومكونات وعناصر الوعي الاجتماعي بشكل عام . وعند كشف جوهر ووظائف الصحافة كوسيلة من وسائل الإعلام الجماهيري ، أكدت الدراسات الإعلامية المعاصرة بأن " دور الصحف لا يتحدد فقط بنشر الأفكار ، وتنشر التربية السياسية ، وإنما أيضاً جذب الحلفاء السياسيين .

وكوسائل للتأثير الفكري الإيديولوجي ، الصحافة ، الراديو ، التلفاز السينما " ظهرت في مراحل تاريخية مختلفة ، وتملك خصائصها الخاصة التي في درجة محددة ، تظهر خصوصية كل واحدة منها ، وتعمل منها وسيلة مستقلة نسبياً .؟

ولكنها تتحدد بجوهرها وطابعها ووظائفها ومهامها في عملة إيديولوجية تتميز قبل كل شئ بطرقها وشكلها وأساليبها للتأثير الفكري الإيديولوجي .

لذلك، تعد أنظمة وسائل الإعلام الجماهيري الجزء الأساسي من النظام العام للعمل الإيديولوجي للحزب، " ونشاطها لدرجة ما يحدد في أيامنا هذه، نتائج الدعاية الحزبية وأوضاع العمل الإيديولوجي – الفكري في قطاعات أخرى".

وتخـــدم أنظمة وسائل الإعلام الجماهيري في المجتمع السوري مصالح الشـــعب ، وتكـــون وتعكـــس الرأي العام لجماهير واسعة من الناس . لذلك في العملـــة الإيديولوجـــية تجـــد من الضروري لها دائماً استخدام الشمولية والدقة والتوجيه الهادف .

كما وكل الاتجاهات الأخرى للعمل الفكري الإيديولوجي ، تحقق وسائل الإعـــلام الجماهـــيري هذه المهمة أو تلك ، في صياغة وتكوين العقائد العلمية والقـــنا عات الحضارية التقدمية ، وتؤثر على النشاط الاجتماعي وسلوك الناس فـــي حالات مختلفة ، وتساعد على الوحدة النفسية لجماهير شعبية واسعة على أســـس المشـــاعر والمصالح والطموحات الواحدة ، وتكوين رأي عام وأمزجة سياسية للجماهير.

وفي نفس الوقت تملك بعض الخصائص والجوانب الخاصة ، المرتبطة بتكويـــن الـــرأي العام . وهذه الخصائص يمكن جمعها بعد الأخذ بعين الاعتبار المسائل التالية :

أولاً : الشمولية والتوجيه وسرعة التأثير الإعلامي .

ثانياً : القوة الإعلامية ، الاستمرارية (الدوام) والتأثير الإيديولوجي المتنوع.

ثالـــثاً : الأشكال الفعالة المتنوعة لوحدة التأثير الدعائي ، التحريضي والتربوي والإعلامي .

رابعاً : الثراء ، والأشكال المتنوعة وطرق التأثير .

خامساً : الشفافية ، الحركية الديناميكية والتوسعية (الانتشارية) والوضوح .

وتعد وسائل الإعلام الجماهيري ، نظاماً متنوعاً للاختيار والتفسير الإعلامي ، ونجد هذا معكوساً ليس فقط في اختيار المادة الحقيقية ، وإنما في وسائل التعبير عنها . ووفقاً لمحتوى الإعلام وذاتية التأثير ، تستطيع استخدام أشكال تكنولوجية وفنية وأشكال أخرى للتواصل والتحليل والتنوع في البث الإعلامي ، وهذا يساعد على رفع الجرعة العاطفية . وتعد هذه الجرعة العاطفية إحدى المقدمات الأساسية الهامة للتأثير القوي الموجه الهادف على وعي الجماهير . وبواسطة الصحافة والراديو والتلفاز ، لا يتكون الرأي العام فقط وإنما يعمل أيضاً وأشارت الدراسات الإعلامية إلى إنه " وفقاً لهذا المقياس تعد حرية الصحافة نتاج للرأي العام ، وبنفس الوقت هي تصيغ وتكون الرأي العام " .

وتملك وسائل الإعلام الجماهيري إمكانية كبيرة هامة بالمقارنة مع وسائل وأشكال أخرى للتأثير الإيديولوجي ، من أجل نشر علنية الرأي العام . فإذا الرأي العام لم يستطع الحصول على العلنية وسط الشرائح الاجتماعية المختلفة ، من السكان ، فإنه من الصعب أن يحقق قوته ووظائفه الاجتماعية .

وتؤكد الممارسة إن إطالة " فترة الحياة " والاستقرار للرأي العام الصحيح يعد عاملاً إيجابياً ومقدمة للنمو المستمر للنشاط النفسي البناء للشعب . وهذا مهم جداً من أجل حل المهام الماثلة والقضايا المطروحة . وترتبط تلك الخاصة لوسائل الإعلام الجماهيري بإمكانيات التأسيس للتنظيم والتوجه الهادف في اللحظة الضرورية لإعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية التي تتطلب علاقة وتقويم محدد ، وهذا سيساعد على استقرار وإثراء الرأي العام القائم .

ويعد أحد الجوانب المحددة المهمة لفاعلية وسائل الإعلام الجماهيري السرعة والنوعية الإعلامية . ويملك في المرحلة الراهنة التطور الاجتماعي

أهمـــية فائقة ، لاسيما عندما يصل الإعلام إلى دوائر محددة من الناس بالوقت والدقـــة المطلوبـــة ، وهـــذا يعد أحد العوامل الأساسية للفاعلية في إعلام الرأي العام.

فـــي المجـــتمع الإنساني المعاصر ، وفي ظروف نمو النشاط السياسي العام، تكتسب أهمية كبيرة مسائل التأثير الروحي ، أي مسائل " التحكم بالوعي " الجماهـــيري والـــرأي العام . وبعد " التحكم " بجوهره القدرة على إدارة سلوك الـــناس بواســـطة التأثير المنظم الهادف الموجه على سلوكية ومشاعر وأمزجة الـــناس . وفي المجتمع الإنساني المعاصر ، تضم وسائل وأشكال التحكم بالرأي العام نظاماً متنوعاً معقداً يضم ترسانة " استراتيجية " و " تكتيكية " من الأسلحة. والانتباه الأساسي للمفكرين (في عالم العولمة) موجه بشكل أساسي للتأثير على مشـــاعر وأمزجة وعواطف الناس ، وإلى الإيمان بقيم وتوجه محددين ، بهدف تكوين رأي عام عولمي ضروري .

ومعروف ، أن الوعي – هو عامل من عوامل السلوك الإنساني ووحدة عقلية عاطفية . لكن ، الجانب العاطفي في وعي الإنسان – هو جانب غير كامل الوضـــوح من قبل ذاتيته ، ويعد بجوهره وضعاً داخلياً انفعالياً . وعندما يسيطر في عملية التأمل والتوجه الجانب العاطفي على وعي الإنسان ، فإنه يفقد القدرة بشـــكل موضوعي على تقويم الحقائق والأحداث، عندها ، يظهر لدى الجماهير الشـــعبية الواســـعة قـــوة تأثير الإيحاء لشيء ما معروف ، والحث على التقليد وتتميز هنا انفعالات الناس ليس بالثقة ، أو بالخوف ، وإنما بالاستعداد للإذعان والخضـــوع . إن هذه الخصائص السيكولوجية للإنسان ، يأخذها بعين الاعتبار المـــنظرون فـــي عالم " العولمة " المعاصرة ، وعندما يريدون تعزيز " التوتر العاطفـــي " هـــم يصـــفون أوضاعاً نفسية للاضطهاد الروحي وتزوير الحقائق

والتأثير في الاتجاه الذي يرغبونه . وبهذه الطريقة، هم يعملون لتكوين **رأي عام** وفقاً لأهدافهم ومصالحهم .

ويعد الطابع الخاص ، لوسائل الإعلام الجماهيري ، والرأي العام ، في ظـروف "العولمة" ، السماح للقوى المسيطرة اقتصادياً ومالياً ، بتعبئة الجماهير بأفكـار وتقويمات محددة . وقد أشار أحد علماء علم الاجتماع الألمان ، إلى أنه من التطور السريع للإعلام الفضائي وتكنولوجيا الاتصال الحديثة ، وفن الإدارة وصـل التأثـير علـى السيكولوجية الجماهيرية إلى ذروته ، وأصبحت ترسانة الدعاية العولمية ثرية واسعة – تحوي كل الظواهر الفكرية – من الكذب – حتى التحليل " الموضوعي " للعمليات الاجتماعية والظواهر . ويسعى علماء العولمة قبل كل شئ " إثبات " إن تنظيم وسائل الإعلام الجماهيري بجوهره هو تنظيم " حـر " و " مبادئ " ، بعيداً عن الأحزاب السياسية في المجتمع . غير أن الحياة ترفض مثل هذه الأفكار . ولا تستطيع أن تعمل الوسائل الحرة في مجتمع غير حر . إن المجتمعات العولمية المعاصرة تقوم على الاستغلال الفاحش للجماهير الشـعبية الواسـعة لاسـيما للعمال الوافدين من البلدان النامية وعلى استغلال الشـعوب الضـعيفة النامية ، مثلها الأساسي – الربح والابتزاز ، ويخضع لهذا الهدف ، في عالم العولمة ، كل " الحريات " الفردية .

إن حـرية الصحـافة ، فـي عالم العولمة ، هي حرية شراء الصحف وشـراء الكـتاب والصـحفيين ، ورشوة ، وشراء الرأي العام وصياغته وفقاً لمصالح الفئات والشرائح الحاكمة.

وتـتمركز وسائل الإعلام الجماهير في عالم " العولمة " بشكل كبير في أيـدي الاحتكارات الكبرى ، والتروستات ، والشركات العملاقة . وهكذا ، يملك المليونـير تومسـون ١٨٣ صحيفة ، ومحطات تليفزيونية أرضية وفضائية في إنجلـترا وكندا الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا وفي بلدان أخرى . وينظر

إليها كوسائل لكسب الربح . وينتمي إليه هذا القول : " التلفاز هو معمل من أجل طبع النقود " . مع ذلك ، تمركز وسائل الإعلام الجماهيري لا يتحقق فقط من أجل الأهداف الاقتصادية البحتة ، ومن أجل الركض وراء الربح، كما يحاول ذلك تصويره بعض الباحثين في بلدان العولمة . وهنا يعد المحدد الأساسي للأهداف السياسية والإيديولوجية والمصالح المرتبطة بإعداد الوعي الاجتماعي . ويعترف المفكر السياسي الغربي المعروف هـ. أرندت . بيان : "إن الاحتكارات الصحفية تشغل أوضاعاً مسيطرة ، وأصبحت تتحكم بالرأي العام ووسيلة للإيحاء بنظرات وتصورات خاصة عن الأحداث الجارية والحقائق .

عن أي حرية إذاً يمكن التحدث ، هل عن حرية الاحتكارات وتأثيرها الإيديولوجي؟ ، لا تملك في مجتمع " العولمة " المعاصر ، الجماهير الشعبية بشكل حقيقي وسائل إعلام جماهيرية ، لتعبر عن آرائها ، وتقويمها للمسائل الاجتماعية السياسية وتستخدم الاحتكارات وسائل الإعلام الجماهيري من أجل أهدافها تحت راية ما يسمى : بالحرية " و " الاستقلالية " و " الحياد " و " المظاهر الإبداعية " ، وهنا ، تضمن التأثير الإيديولوجي والفكري المناسب على الجماهير .

بالطبع ، إلى أية طبقة أو شريحة اجتماعية ينتمي مالكو وسائل الإعلام الجماهيري ، وكيف ترتبط مواقفهم بالعلاقات والأحداث الجارية ، والحقائق والمسائل الملحة . لقد أكدت الدراسات الاجتماعية " بأن تعيش في مجتمع وأن تكون " متحرراً " منه غير ممكن .

أن المنظم لا يستطيع أن يكون " متحرراً " من المجتمع ، فهو يعكس المصالح الأساسية للقوى التقدمية أو القوى الرجعية ويدافع عنها . هذا هو العامل الأساسي المحدد للدوافع والأهداف المقصودة من قبل المنظم والقائم بعملية الاتصال ، والموجه لوسائل الإعلام الجماهيري.

وعند الأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب الموضوعية ، من غير الممكن رفـض أهمـية النوعيات والإمكانيات الخاصة للمنظم عند تكوين الرأي العام . علـى العكـس ، فمع تطور التكنولوجيا الاتصالية الحديثة ، وزيادة الاكتشافات العلمـية ، يتوسـع دور وأهمـية المنظم وتتضخم وفقاً لحجم ومحتوى العملية الإعلامـية . وبالتالـي ، من المواقف الإيديولوجية والتجارية ، والقدرة المهنية أي مـن القدرة والحذاقة في اختيار وتحليل المادة الحقيقية ، يتعلق أفكار محددة ونظرات إعلامية في الكثير من الأحيان بطابع الرأي العام المصاغ .

وفي الإعداد الإيديولوجي للجماهير في البلدان الغربية ، يعار انتباه كبير للتـنوير الروحـي ، وللقيم والمثل الاجتماعية ، كالمساواة والعدالة ، والحرية والديمقراطية . مثل هذه القيم تؤثر تأثيراً قوياً على صياغة الرأي العام . ويوجه المـنظرون الغربيون انتباه الجماهير إلى ما يسمى المصالح الشخصية والسعي للـتوجه إلى " الخير الاستهلاكي " و " التأكيد الذاتي " و " المساعي الجنسية " . وبـنفس الوقـت يحـاولون إبعاد الوعي الجماهيري والرأي العام عن المسائل الاجتماعية ، وهذا يسهل عملية الإدارة والسيطرة عليهم .

ويعـد مـا يسـمى السبق الصحفي الفعال ، أحد أهم الوسائل الأساسية للتأثير الذي استطاع استخدامه المنظرون الغربيون المعاصرون ، إذ يعد المحدد ليس " الموضوعية " الإعلامية ، وإنما التعليق " القوي " الطازج ، وهذا يساعد علـى تكوين الرأي العام الضروري لهم . كل هذا يتم بشكل مقنع لذلك من غير الممكن بشكل كامل رفض وإبعاد الحقائق الموضوعية ، لأن ذلك يعطي فاعلية عكسية . لذلك هنا ، أعطي انتباه خاص إلى اختيار وتفسير الحقائق .

ويغـض النظر على أن التحكم بالرأي العام يمثل إحدى الطرق البارزة للتأثير الإيديولوجي للعولمة المعاصرة ، فإن تأثيره في كثير من الحالات محدد ومؤقت.

وهذا يشترط قبل كل شئ جوهر المجتمعات العولمية ، والقوى الضخمة الجانبة ، وتأثيرات النجاحات الكبرى للتقدم الديمقراطي العالمي . وفي التمايز عن مجتمعات العولمة ، التي فيها تستخدم وسائل الإعلام الجماهيري للتحكم بالوعي والاضطهاد الروحي للناس ، نلاحظ في إعلام آخر والذي يشكل الإعلام السوري جزءاً منه ، مشككاً بكل التوجهات الإعلامية الغربية وبموضوعيتها وتبقى بالنسبة له ، الإثارة والتحريف الإخباري ومحاولة جر الناس إلى التوهان والضياع وأشياء غريبة . فهو يعد وسيلة مهمة لتوسيع وتطوير التقدم الروحي في المجتمع ، ورفع فاعلية النشاط الإبداعي للجماهير في بناء مجتمعنا الجديد .

لقد تحولت الصحافة والراديو والتلفاز في سوريا إلى وسائل قوية لصياغة الرأي العام، وهي عامل حاسم في عملية التربية وتكوين الإنسان الجديد.. وتؤكد الدراسات الراهنة السورية الدور الكبير والخدمات لهذه الوسائل التي دخلت في حياة الشعب ، وأصبحت إحدى المصادر الأساسية التي تلبي الحاجات الإعلامية والثقافية للجماهير الواسعة من الناس.

وينمو باستمرار اهتمام الناس بوسائل الإعلام الجماهيري ، وهذا يعد مؤشراً لنمو الاهتمامات الثقافية والمعرفية وحاجات المواطن المعاصر . ويشاهد في سورية يومياً أكثر من ستة ملايين مواطن ، البث التليفزيوني ، ويصدر عدد كبير من الصحف القومية والمحلية، يتجاوز عدد نسخها ٣٠٠ ألف نسخة وعدد لا بأس به من المجلات والأسبوعيات ، ويوجد في سورية ثلاث محطات تليفزيونية . كل هذا يعطي إمكانية للوصول إلى أية أسرة سورية في البلد، والى كل جماعة إنتاجية ، وبنفس الوقت إعلام الناس بالمسائل الأساسية للتطور الاجتماعي والاقتصادي .

وتستخدم صحيفة " تشرين " أشكالاً متنوعة لدراسة الرأي العام ومناقشة مسائل تقلق الناس . وتنشر لقاءات ونقاشات حول مسائل تهم الناس وفي الوقت الراهن تقوم الصحيفة بنشر التحليلات المختلفة للوضع الاقتصادي الراهن ولمسائل التعليم والثقافة والتنمية ومسائل أخرى عربية ودولية تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر بحياة بلدنا . وتنشر أيضاً رسائل ومقترحات كثيرة لكتاب ومهتمين وتصورات بمسائل محددة مرتبطة بمجالات مختلفة من حياة البلد الاجتماعية ، وتعمل الأجهزة الحكومية ونشاط المنظمات الاجتماعية والحكومية ، لقد كان النقاش على عمل الصحيفة مفتوحاً وحاداً ، إذ تم نقد الجوانب الضعيفة والأخطاء في العمل، ونوقشت بشكل واسع مسألة الفساد والبيروقراطية والمسائل الحياتية المهمة . وتحولت صحيفة "الثورة" إلى منتدى متنوع للرأي العام وأظهرت بشكل حقيقي قوته وأهميته في المجتمع السوري الجديد . كما نشرت مواد وأحاديث صريحة مع الشعب .

وتتلقى أجهزة الصحافة والراديو والتلفاز مئات الرسائل والملاحظات النقدية والاقتراحات بمسائل مختلفة ، وأحداث وحقائق ، وهذا بجوهره ، يعد أحد القنوات لدراسة الرأي والمسائل التي تهم الناس .

وتملك كل قناة من أنظمة وسائل الإعلام خصائصها الخاصة ، في نشر الأخبار ، وتؤثر تأثيراً على الرأي العام . مثال قناة " الصحافة " – تستخدم وسائل وأشكال أخرى للتعبير بالمقارنة مع قنوات " التلفاز " و " الراديو " ، تبث هذه القنوات الحقيقة والأحداث والقضايا الاجتماعية الهامة وتعلق عليها وتعممها ولكن بطرق وأشكال ووسائل مختلفة . في هذا تنعكس خاصة كل وسائل الإعلام السياسي للجماهير والتأثير عليها .

تقوم بعض أقسام جامعة دمشق ومنها قسم الإعلام في الأعوام الأخيرة ببعض البحوث السوسيولوجية ، عن دور وسائل الإعلام في تكوين وعمل الرأي

العـــام . وهـــنا تـــبرز ضـــرورة بحث المسائل الخاصة والاتجاهات المتزامنة لاستخدام وسائل مختلفة للإعلام الجماهيري ، وتعميم تجاربها الإيجابية .

ويتطلـــب الاســـتخدام الموجـــه الهادف في النشاط الإيديولوجي لوسائل الإعلام الجماهيري البحوث بالمسائل الخاصة التالية :

مكـــان ودور وســـائل الإعـــلام الجماهـــيري فـــي العملية الإعلامية العامة . الخصـــائص الخاصـــة لكـــل قـــناة في التأثير الإعلامي ، العناصر والجوانب والاتجاهـــات والـــتماثل ، وتحســـين الأداء الذاتـــي لكل شكل ووسيلة الطابع والأهمـــية الإعلامـــية في بث المادة الحقيقية ، والعلاقات المتبادلة والصلات الخاصـــة المشـــروطة في عملية الإعداد والتنشئة للإعلام المنظم ، المتلقي – الخـــبر . وتتطلـــب مـــثل هذه البحوث قوة كبيرة وتعاون جهات مختلفة للقيام بالأعمال الدقيقة المحددة الموجهة الهادفة .

ويكتسب أهمية خاصة في الوقت الراهن الدور التنظيمي لوسائل الإعلام الجماهيري . ووفقاً لذلك ، من الضروري إعداد المسائل بدقة وعمق ، وتعزيز الـــبدايات التفســـيرية فـــي الإعلام، وبشكل دائم إثراء اللغة والأسلوب ، وتنوع الفـــنون الصحفية والإخراج الصحفي . كل هذا يساعد على رفع فاعلية وتأثير الإدارة العلمية وتحسينها المستمر والتوجيه المتزامن (المتواقت) لوسائل التأثير وهـــذا بـــدوره يســـمح بضمان ڤ مولية كاملة واسعة وتنظيم تأثير الإعلام ذي المضـــامين والـــتوجه الهادف ، المرتبط بحاجات التطور الاجتماعي ومصالح الـــناس . فقـــط بهـــذه الطرق والوسائل ، يستطع الإعلام الجماهيري ، كما أكد الباحثون بشكل حقيقي أن يتحول إلى قنوات أساسية لنشر القيم الروحية والتأثير السياسي على الجماهير.

آلية ومراحل تكوين الرأي العام :

تتطلب القيادة العلمية لتكوين أية ظاهرة روحية ، قبل كل شئ كشف الآلية الداخلية وتحديد مراحل وطرق قيادة هذه العملية . صياغة الرأي العام كتكوين روحي يحتاج بشكل عضوي إلى طرق سوسيولوجية وسيكولوجية وفيزيولوجية وتربوية وطرق أخرى مختلفة كالتحصيل ، والتركيب ، والإقناع والإعلام ، والإيحاء ، والسلوك ، والشهرة أو النفوذ والعرقلة ... الخ .

وترتبط هذه الطرق ليس فقط بتكوين الرأي العام ، وإنما بتكوين وعمل عمليات فكرية كثيرة . وشرح العلاقات والشروط والمتبادلة بين الآلية والمنهج وخصائصها الخاصة ، ومكانهما في عملية تكوين الرأي العام بشكل عام.

وتملك أشكاله المحددة أهمية عملية هادفة من أجل عمل الأجهزة الحكومية والحزبية والمنظمات الاجتماعية .

وتشغل كل طريقة مكانها ، وتملك أهمية محددة في تكوين الرأي العام واستخدامها في هذه العملية في مراحل مختلفة غير متشابهة ، وإنما متعلق بالمسائل التي يتكون الرأي حولها، وبخصائص الموضوع الذي يؤثر عليه وبمراحل التكوين ، وبالظروف المحددة وإمكانية المنظم ، وفي كل حالة محددة يجب على المنظم تحليل العوامل الموضوعية والذاتية والمقدمات ، حتى يحدد الطرق الفعالة للتأثير على الذاتية . ويشترط هذا التنوع والمرونة في طرق محددة دقيقة للتأثير على مراحل مختلفة ، خصائص خاصة لتكوين الرأي العام .

ويرتبط استخدام هذه الآلية أو تلك ، وهذه الطريقة أو تلك بأوضاع محددة ، وبالخصائص الاجتماعية – السيكولوجية للفرد والمجموعات الاجتماعية، وللرأي العام نفسه . مثال : يشترط جوهر الآلية الاجتماعية – السيكولوجية الواسعة ، والآراء الفردية والجماعية قبل كل شئ بالحاجات السيكولوجية للإنسان ، بأن يكون قريب جداً ، وأن لا يشعر بنفسه معزولاً عن

الجماعـــة والـــناس . ويعمـــل في هذه الشروط الاجتماعية – السيكولوجية آلية التضـــامن الواســـعة ، والـــتقارب . فـــإذا كـــان الفرد أو الجماعة يدافعان عن مصـــالحهما في الحالة الأولى بواسطة الرأي ، فإنه في الحالة الثانية – يتضامن الفرد مع جماعته الاجتماعية .

وتعد المقدمات الهامة لتكوين وعمل الرأي العام ، التواصل الاجتماعي – السيكولوجي بين الناس ، لأنه بدون ذلك ، من غير الممكن تطور المجتمع ، والعيش الإنساني ، وتكوين الفرد . لذلك ، تشير العلوم الاجتماعية دائماً على أن تطـــور الفرد مشروط بتطور الأفراد الآخرين ، الذين يرتبط معهم في تواصل مباشـــر أو غـــير مباشر . ويعد التواصل بجوهره وطابعه عملية معقدة متنوعة ويظهر كعملية للفعل المتبادل ، والمساعدة المتبادلة والفهم ، واتصالات إعلامية وتوجهاً اجتماعياً سيكولوجيا مجدداً.

ويعـــد أحد أشكال التواصل الاجتماعي الصلات الروحية والتواصل بين الناس ، الذي يحـــدث في شكل تبادل للأفكار والنظرات والمشاعر والتصورات والآراء والقلـــق . وبهـــذا الشـــكل يـــتحول التواصـــل إلى شكل خاص للتأثير الإيديولوجي ، وفي النتيجة ، لا يأخذ الناس معلومات معروفة ، وإنما يتعرفون على أفكار ونظرات جديدة ، ويزدهر عندهم بناءاً سيكولوجياً محدداً .

ومن أجل رفع فاعلية التواصل مهم جداً في الوقت المحدد تعميم نتائجه. ويمكن أن يكون التواصل جماعياً ، وبين الأفراد ، ومجموعاتي . لكن هذا لا يعني أنه دائمـــاً يكـــون ظروفاً نفسية واقعية ومقدمات من أجل التواصل العادي وتبادل الآراء ، واســـتخدام أشكال اجتماعية سيكولوجية ، أو اجتماعية – تربوية أكثر فعالية ، وطرق وأساليب التأثير .

ويوجد في الممارسة الاجتماعية حالات كثيرة ، عندما لا تتوافر القدرة والحذاقـــة ، وعندما يكون الأسلوب والطريقة والتجربة غير صحيحة في عملية

التواصل . وهنا يتكون لدى المنظم أو غير المنظم توتراً في أوضاعه السيكولوجية ، وفيه لا يستطيع الناس أن يتواصلوا بشكل عادي ، ويتبادلون الأفكار والآراء ، وإنما يصاغ لديهم مشاعر وعلاقات لا تتطابق ولا تتناسب مع الأهداف والمهام الموضوعة . ومن أجل القيام بالتواصل ، والقدرة على قيادة هذه العملية ،من الضروري ليس فقط المعرفة ، وإنما طابع وإرادة ، وخصائص إتصالية ونوعيات أخرى وصفات للمنظم .

وإذا كان، لدى المنظم ، هذه أو تلك من التدابير الإيديولوجية ، واختفت منها النوعية الضرورية ، فإنه لا يستطع توجيه عملية التواصل في اتجاهها الضروري ، وبالتالي كل ما قدمه من تدابير تبقى بدون نتائج . ففي مثل هذه الحالات يتكون ظروف ومقدمات لتكوين رأي عام غير صحيح فمقياس المنظم عليه أن يكون الأسلوب العلمي المنهجي في التواصل ، الرفاقي ، وطريقة علمية للتوجه نحو كل العمليات الاجتماعية ، وهنا ، تظهر البيروقراطية والشكلية أشياء غريبة بالنسبة للذاتية .

إن قيادة عملية التواصل لا تعني في أي مقياس وصاية على العكس عليها أن تكون موجهة ودقيقة ومنظمة من أجل تكوين ظروف ضرورية وإمكانية فائقة للتحقيق المتعدد الجوانب لكامل حاجات الإنسان في التواصل . وهنا ، ليس من الضروري نسيان ، إن عملية التواصل عليها أن تملك محتوى حضاري ، على الأقل لأن التجارب تظهر إن التواصل على مستوى العلاقات الشخصية يحدث أكثر من التواصل مع المجموعات الرسمية وغير الرسمية ووفقاً للأشكال المحددة لتحقيق التواصل ممكن في الوقت نفسه ، أن تظهر علاقة التأثير والفهم المتبادل والإيحاء والتقليد والعلنية .

ويتحقق التواصل بين الناس عبر صلات متعددة الجوانب ، رسمية وغير رسمية ، منظمة وعفوية ، جماعاتية وجماعية . ويتحدد في حالات كثيرة

طابع الصلات وفاعلية أثره أيضاً بخصائص الوسائل الأساسية التي تستخدم في العملية الإعلامية .وعند استخدام وسائل الإعلام الجماهيري للصلات الإعلامية يـتم اكتساب طابع وحيد الجانب ، وهنا لا يظهر تواصل في المعنى الكامل لهذا المفهوم .

وتدعـو هـذه الحالـة إلـى ضرورة تعزيز جوانب العملية الإعلامية والتأثير الشامل الذي يرفع فاعلية العمل الإيديولوجي . ويضمن تواصل مباشر دقيق بين الناس ،عند استخدام أشكال ووسائل عمل المنظمات الحزبية والحكومية والاجتماعـية . وبالتالـي مـن الضـروري ليس فقط معرفة هذه الخصائص والأشـكال والوسـائل وأخذها بعين الاعتبار التي تستخدم في العملية الإعلامية وإنمـا ضـمان تطبيقها بالوقت نفسه ، والثراء المتبادل والإضافة وهذا بدوره يضمن التأثير الإيديولوجي الجماعي على الجماهير .

وتؤثر أشكال ووسائل التواصل بين الناس تأثيراً محدداً في عملة تكوين رأي محدد وعلاقة للناس في العمليات الاجتماعية مع ذلك ، ممكن انتظار التأثير الكبـير والفاعلـية من أشكال ووسائل التواصل التي تملك توجهاً هادفاً وطابعاً تنظيمـياً . وتعـد العناصـر الهامة ، والأوضاع ذات الحالات أشكالاً وطابعاً للتواصل بين الناس أو المجموعات الاجتماعية . وهنا جذب الانتباه ، على سبيل المثال ، إلى أنه يتكون ويعمل أحياناً رأي الفرد في أية جماعة اجتماعية رسمية أو غـير رسـمية ، منـتظمة أو غير منتظمة . ويعد في كل الحالات ، إحدى المقدمات الأساسية الصحيحة والعادية ، والعمليات المستمرة لتكوين رأي محدد والأخذ بالحسبان الخصائص الخاصة لكل جماعة اجتماعية محددة . وفي الحالة العكسية ، لا تخرق فقط صلات وشروط التواصل الجماعي ، وإنما يظهر خطر حقيقـي على كل ما تم تكوينه من آراء صحيحة للرأي العام ، بهذه المسألة أو تلك.

ووفقاً للارتباط بالمسائل وخصائص قنوات وسائل الإعلام ، يمكن بشكل منتظم وموجه التأثير على مجموعات مختلفة الحجم . وتملك هنا ، أهمية كبيرة تأسيس أوضاع وظروف مناسبة من أجل أن يقول الناس آراءهم بكل مباشر ويعلنون عن علاقاتهم ، وأن يتناقشوا ويتحاوروا ، وأن يطرحوا الأسئلة ويتبادلوا الآراء بهدف إعداد وتكوين رأي موحد .

وفي نتيجة التأثير العاطفي المتبادل في عملية التواصل يتكون أمزجة متفائلة وأوضاع خيرة ، وهذا يساعد بسرعة وبشكل جميل تكوين رأي مناسب .

يتعلم الناس بمختلف شرائحهم ويتبادلون المعارف والتجارب ، ويرفعون ثقافتهم ويكتسبون القدرة على تحليل العمليات والظواهر الاجتماعية ، في عملية التواصل . ويشعرون بشكل مباشر في نقاش المسائل المطروحة ، ويملكون إمكانية مقارنة الآراء ، وشرح كل ما هو مطروح عندهم من أسئلة ، وهذا بدون نقاش يساعد على إثراء الرأي الشخصي ، وعلاقته بما يحدث من عمليات . وفي المحصلة ، ينمو الرأي الفردي ويتحول بشكل نهائي إلى رأي عام ، عدا ذلك ، في عملية التواصل (وفقاً إلى شكلها) ، تتفاعل الطرق السيكولوجية المستقلة، بالتبادل ، وتتحول إلى منهج حقيقي لتكوين رأي محدد . ويمكن كشف واستخدام الصلات المتبادلة المشروعة ، أهمية خاصة في القيادة العلمية لتكوين الرأي العام . ويمثل اهتماماً كبيراً شرح مكان ودور الآلات السيكولوجية والمنطقية والطرق في عملية تكوين الرأي العام . وتتطلب هذه المسألة المعقدة بحوثاً كاملة . نحن هنا نتحدد ببعض منها ، فتلك التي يغلب عليها طابع جماهيري سياسي ، وتؤثر بشكل مباشر على تكون الرأي العام ، لاسيما أن هذه الآليات وطرق تكون الرأي العام مرتبطة بقوالب جامدة محددة لسلوك وعلاقات الفرد والجماعات الاجتماعية بمسائل وحقائق وأحداث محددة .

ويعد الإيحاء أحد الطرق السيكولوجية الهامة في تكوين **الرأي العام، فهو** تأثير سيكولوجي اجتماعي متنوع لشخص معين ، أو وسيلة ، على الجماهير أو علـــى الأفراد ، وهو قائم بشكل أساسي على الفهم غير النقدي و المركز الشديد ويولـــد التأثـــير . ويـــتكون بواسطة الإيحاء أجواء سيكولوجية محددة وأوضاع مـــريحة مـــن أجل تكوين أمزجة ضرورية مناسبة لدى الجماعات الاجتماعية وآراء وعلاقـــات بمـــا يحدث من عمليات . ويؤثر الإيحاء في عملية التواصل المباشر أو غير المباشر المنظم أو العفوي ،(وبشكل خاص في مراحله البدائية) تأثـــيراً قوياً حاسماً على الناس وعلى تكوين أرائهم . وفي ظروف هذه المرحلة الإيحاء يمكن أن يكون متنوعاً .

وعادة ، يقع الإيحاء ، في صلات مرتبطة (متعلقة) معكوسة بمستوى المعـــرفة ، والـــتطور العـــام ، والتجربة الحياتية والإرادة وطابع الفرد . وفي الحـــياة، يمكـــن مراقبة حدث ما، عندما ، لا يضع الناس أمامهم أهداف محددة يوحـــون لبعضـــهم البعض رأي محدد ، وطرق للتفكير والسلوك . هذا الإيحاء والتأثـــير يعتمد عليه الإيديولوجيون الغربيون في الوقت الراهن، لاسيما عندما يعلـــنون عـــن نمط حياتهم . ويرتبط التأثير والفاعلية والقوى العاطفية للإيحاء بمجموعـــة من المقدمات الذاتية والموضوعية . وهنا يلعب القائمون على عملية الإيحـــاء دوراً خاصـــاً . فهم يتمتعون بنوعية أخلاقية وسياسية وثقافية واسعة وبعمـــق معرفـــي ، وسمات شخصية بارزة جاذبية ساحرة وهذا يملك ، أهمية كبـــيرة لـــرفع فاعلية وقوة الإيحاء . وهنا لابد من التأكيد ، على طابع المذكرة الشفهية لنشر المعلومات والأخبار ، ودوره الحاسم الخاص في حل مهام الإيحاء.

وعند الأخذ بعين الاعتبار إمكانية الإيحاء كطريقة سيكولوجية ، وتمشي السوســـيولوجية الغربية دوره ومكانه في العملية الإيديولوجية . ويرى القائمون بعملية الإيحاء ، إن الجمهور العام ، دائما مستعد وجاهز للاستماع للإنسان قوي

الإرادة . وعلى هذا الأساس ، يوسع السوسيولوجيون الغربيون دور وأهمية العوامل السيكولوجية ، ويعطون دوراً خاصاً وأهمية للإيحاء كطريقة للتأثير على الجماهير . هذا المبدأ تستخدمه الآلية الدعائية للتأثير الإيديولوجي على ملايين الناس . ويسعى الإيديولوجيون الغربيون بمساعدة هذه المفاهيم مثل : " الرأسمالية الشعبية " ، و " العالم الحر " و " المجتمع الحر " و " الموضوعية في طرح الحقائق " ...الخ ، للتأثير الجماعي المركز على الجماهير ، ويعبئهم بآراء وأفكار ضرورية للأنظمة القائمة . ويعتمدون بشكل أساسي على الإيحاء المركز، وتزوير الحقائق ، والتأثير على الناس وعلى مواقف غير نقدية للآخرين في لحظة نقاش المسائل القضايا والمسائل القائمة.

وقد استخدم أحد السوسيولوجيين الأمريكيين المعروفين آ. ميو " المقابلة غير صحيحة ، كطريقة للتأثير على العمال ، وأوحى لهم أن صاحب العمل يتعامل بانتباه كبير مع مطالبهم ورغباتهم . واقترح إعطاء إمكانية للعمال " بالإبداء برأيهم " . وفي هذه الحالة على المتلقي ليس من الضروري اتخاذ أي شئ ، ولكن أن يسمح بلطف وبساطة . وفي إعداده لحقائق المقابلات المتعمقة والتي يتكرر فيها بشكل خاص تلك الكلمات " أسمع ، أكد ، أعرض ، أي شيء يعتبر لافتاً للانتباه ، اسمع ولا تتحدث له لوحدك لا تعارض على الإطلاق ، لا تعطي نصائح ، اسمع عن ردود الفعل عمّا تقوله لمحدثك ، وعن ما لا تريد الحديث عنه ، وعن ما لا يستطيع محدثك القول بدون مساعدتك " .

ويعد الإقناع طريقة مهمة جداً لتكون رأي عام صحيح . إن مفهوم الإقناع يمكن أن يكون قد تفحص من جوانب مختلفة . ويعد بجوهره طريقة اجتماعية – سيكولوجية محددة للتأثير الواعي الإيديولوجي ، المنظم والاجتماعي السيكولوجي على الجماهير ، وتصاغ على أسسه نظرات وتقويمات وعلاقات جديدة تتعلق بالمسائل والعمليات الجارية ، والحقائق القائمة. ويملك أهمية خاصة

كبيرة ، الربط بين المعارف النظرية والتجارب الشخصية للذاتية ، وتحليل حقائق محددة وأحداث يتكون حولها الرأي العام .

وعند استخدام الإقناع كطريقة لتكوين الرأي العام ، من غير الممكن تجاهل المشاركة التنشيطية للناس في التواصل والفهم الإعلامي . ويعد الناس في عملية الإقناع بهذه المسألة أو تلك بنفسهم تقويماً وعلاقات بها ، منطلقين من مصالحهم واهتماماتهم وأهدافهم ومثلهم وظروفهم المحددة التي يعيشون ويعملون بها ، في المجتمع السوري ، المشاركة النشيطة للجماهير في عملية التواصل والعلاقة الواعية بالمسائل المطروحة ، يوازيهم مع ذاتية الرأي المكون ، ويملك هذا الجانب بشكل كبير أهمية مبدئية من أجل قيادة عملية الرأي العام ، ومن أجل المشاركة الواعية النشيطة للناس في هذه العملية . لا يوجد شك ، أن الرأي العام يتكون على أسس القناعة الداخلية وبشكل هام مع الفاعلية والتأثير .

وبهذا يتحدد الدور الخاص ومكان الإقناع كطريقة أساسية سيكولوجية لتكوين الرأي العام في المجتمع السوري . إلاّ إن هذا لا يعني عدم تقويم أو التقليل من الطرق السيكولوجية الأخرى ، المطبقة عند تكوين الرأي العام الحضاري السوري . فكل طريقة تملك أهميتها ، وترتبط بالتبادل مع طرق أخرى للتأثير .

مثال : الإقناع بسهولة يفهمه الناس ، إذا استطعنا توحيده مع إيماءات الشهرة والنفوذ . والإقناع، كطريقة للتأثير السيكولوجي عليه أن يحوي النقاط الصحيحة والثبات، والمنطق ، والبرهنة العميقة ، والعاطفة ، والتنظيم والتوجه الهادف وعليه أن يكون مرتبط بظروف دقيقة عامة ، ومهام وأشكال ومضامين وطرق عليها أن تأخذ بعين الاعتبار خصائص موضوع التأثير . الحقيقة من الضروري القول عنها مباشرة ، وبوضوح ودقة . فالابتعاد عن هذه المطالب يمكن لدرجة كبيرة أن يضعف قوة وإمكانية الإقناع كإحدى الطرق لتكوين الرأي العام .

وتعد المقدمات الحاسمة من أجل تكوين القناعة ، معرفة الحقائق والمسائل الماثلة ، وبالتالي تعد الصلات العضوية للإقناع مع الوعي شرطاً هاماً لاستخدامه الفعال في عملية تكوين الرأي العام .

ومعروف ، أن الناس ، بشكل صحيح يقومون الحقائق ، وعندهم يتكون تقويم مشابه، ويملكون معلومات مقنعة ومثالية عن الموضوع . وفي الحالة المعاكسة تكوين الرأي لا يعكس بشكل موضوع للموضوع ، والجوهر لا يعد اجتماعياً ، وغير صحيح . إذاً في عملية الإعلام والتواصل من الضروري إعطاء معلومات وأخبار مناسبة عن خصائص وطابع الموضوع ، الذي يتكون حوله الرأي العام . ومن الضروري إعارة انتباه كبير للتعميم العلمي وتفسير المادة الحقيقية مع الأخذ بالحسبان إمكانية الأمزجة السيكولوجية للناس المتلقين للمعلومات والأخبار المناسبة .

ويشغل مكان خاص في تكوين الرأي العام ، عامل التقليد . يعد التقليد كطريقة اجتماعية – سيكولوجية محددة للتأثير أفعالاً متنوعة يعاد إنتاجها وسلوكها ورأياً ، ونظرات، وعلاقات لناس آخرين كما في الحياة الخاصة كذلك في الحياة الاجتماعية . وهذا يحدد مكانته ودوره كإحدى الطرق الجماهيرية الاجتماعية السيكولوجية للتأثير ، وهو يؤثر تأثيراً ليس فقط على فرد معين وإنما على مجمل الجماعة العملية ، والمجموعات الاجتماعية الديمقراطية وشرائح أخرى من السكان . وعلى هذا الأساس يسعى بعض السوسيولوجيين الغربيين إلى إثبات بأن التقليد يعد إحدى الطرق الهامة المحددة للتأثير على الجماهير ، ووفقاً لرأي غ . ناردو المجتمع ، يعد الكل – ابتكاراً " مقتبساً " و " مقلداً " ، وإن كل ما تدركه الجماهير خاصة لقانون التقليد ، من خلال تأثير " الطبقات العليا على الطبقات الدنيا " ، وترد نظريات التقليد الغربية في تكوين الرأي العام بشكل حقيقي دور الجماهير الشعبية حتى إلى التوسع السلبي .

وأي نوع من موضوعات التطور الاجتماعي التاريخي . وتبرز هذه النظريات في جوهرها " الأبطال والدهماء " ، وتبين الدور الخاص " للنخبة " .

إن التجارب التاريخية للتطور في كثير من البلدان ، تعد الجماهير الشعبية هي المبدع الحقيقي للحياة الاجتماعية ، وتشك في صحة النظريات القريبة المطروحة . ويتحدد تأثير التقليد ودور الشهرة والنفوذ في المجتمع بما فيه في تكوين الرأي العام ليس بنوعيات غير استثنائية أو خصائص هذا الفرد البارز أو ذاك ، وإنما بالخصائص النفسية للإنسان وظروفه الاجتماعية .

كما وأي ظاهرة روحية ، يتكون الرأي العام باستمرارية نظمه ووفقاً لحتميات معروفة ويملك شرح مراحل تكوينه أهمية عملية من أجل عمل المنظمات الحزبية والحكومية والاجتماعية ، وعمل وسائل الإعلام الجماهيري من أجل القيادة والإدارة الصحيحة . وفي كل حالة مستقلة وفقاً للمسائل والظروف ، يمكن تحديد مراحل مختلفة لتكوين الرأي العام . وفي نفس الوقت بعيداً عن مراحل الرأي العام يمكن أن يتكون على أسس منهجية ومطالب عامة.

لقد أعدت المبادئ العامة لتحديد المراحل الأساسية لتكوين الرأي العام وتصنيفها العملي في الدراسات العلمية الاجتماعية المعاصرة. وعند تحديد المراحل الأساسية من الضروري الأخذ بعين الاعتبار المطالب الخاصة للطرق وآليات التأثير الإعلامي ، وهذا يملك أهمية كبيرة خاصة في الأعمال التطبيقية .

وعند الأخذ بعين الاعتبار هذه الجوانب والخصائص ممكن اعتبار إن عملية تكوين الرأي العام تسير بشكل صحيح ، وتقسم إلى خمس مراحل أساسية:

المرحلة الأولى : تتميز بالفهم المباشر أو غير المباشر لمعلومات منشورة محددة عن أحداث وحقائق وظواهر من الحياة الاجتماعية ويظهر في هذه المرحلة مشاعر محددة وتصورات عن الأحداث والحقائق والمسائل القائمة .

المـــرحلة الثانـــية : يـــتكون تفكير خاص شخصي مأخوذ عن الإعلام ومهمته المباشـــرة وتقويمه في مجال الوعي الذاتي . ويتكون الرأي الشخصـــي علـــى أســـس الـــتجارب الخاصـــة ، والمصالح والاهتمامات ، والظروف الخاصة .

المـــرحلة الثالـــثة : يحدث في عملية النقاش والحوار وتبادل للآراء ، وتقويم وعلاقـــة الـــناس والمجموعات الاجتماعية بالمسألة المثارة . ويظهـــر علـــى أسس هذا التبادل الصراع بين الآراء الفردية المخـــتلفة ، وتكـــون وجهـــات النظر في هذه العملية الرأي المناسب المشارك كرأي شخصي ، وكذلك الوعي الاجتماعي.

المـــرحلة الرابعة : تتجمع الآراء المستقلة من وجهة نظر الثبات وتتوحد حول الأســـس المبدئية العامة للمسائل المطروحة . ويثبت في هذه المرحلة ويتكون رأي عام واحد .

المرحلة الخامسة : يظهر ويعمل عبر أشكال الأعمال الإيديولوجية الرأي العام المكون .

بجوهـــرها ، كل مرحلة من هذه المراحل ، مرتبطة بعملية وحيدة كاملة لتكويـــن الـــرأي العـــام . لذلـــك ، تقع كل المراحل في صلات متبادلة محددة ومشـــروطة . وفـــي دورها ، الصلات المتبادلة ، والارتباط المتبادل ، يشترط طـــابع الـــرأي العام والخصائص الخاصة للتواصل ، والعملية الإعلامية بشكل كامل .

إن تكويـــن رأي عام صحيح ممكن فقط على أسس الثبات ومتابعة كل المـــراحل . إذا رفضت أو لم تقوم تقويماً كاملاً إحدى المراحل ، فإنه من غير الممكـــن تكوين رأي عام صحيح. وتملك عملية التأمل والتفكير منطقها الداخلي لا يمكـــن تكويـــن رأي إذا لم يوجد حقائق وأحداث ترتبط باهتمامات ومصالح

جماعـــات محددة من الناس . ولا يمكن تحويل الرأي القائم إلى رأي عام إذا لم يكن هناك مقارنة مع آراء أخرى ... الخ .

وبالتالـــي ، هـــنا إلى جانب الوحدة المتنوعة التي بشكل معروف قادرة علـــى تكوين مقدمات وظروف ضرورية . وتسلسل مناسب وتكوين رأي عام . وبشـــكل كامل في عملية تكوين الرأي العام ، كل مرحلة تلعب دورها المحدد . وترتـــبط أهمية كل مرحلة بمجموعة عوامل موضوعية وذاتية ومقدمات ، التي فـــي كل حالة محددة ضروري تفسيرها والدخول إليها بشكل متباين . وقبل كل شـــئ مـــن الضروري تحليل خصائص الذاتية وطابع الموضوعات والظروف المحددة ، التي يتكون فيها رأي عام مناسب .

وهكـــذا ، وفقاً لإعداد الذاتية وإمكانياتها وأهدافها ، يتحدد مكان المرحلة الأولـــي والثانية. أما إذا هذه أو تلك من الجماعات الإنسانية تملك إمكانية تلقي الإعـــلام ، فـــإن الانتـــباه الأساسي يجب إعارته إلي المرحلة الثالثة والرابعة . وبغـــض الـــنظر عن ذلك ، كل مرحلة من مراحل عملية التواصل ، تعد بشكل نسبي مستقلة ومرتبطة بجوانب وحالات محددة بتكوين الرأي العام . إن تفسير واعتـــبار هذه الخصائص الخاصة ، لهذه المرحلة ، يملك أهمية كبيرة من أجل تحديد وتوجيه الأعمال العملية ، وقبل كل شئ من أجل الاستخدام الفعال للقنوات والأشكال والوسائل الأساسية للإعلام السياسي للسكان . ومن أجل ضمان التأثير الدائـــم على تلك الجوانب والحالات ، التي تتميز بها هذه المرحلة أو تلك ، من الضـــروري الطريقة الدقيقة المتباينة المحددة لمراحل مختلفة من تكوين الرأي العام .

وتؤكـــد التجارب والبحوث السوسولوجية العلمية على سبيل المثال : أنه بالنســـبة للمـــرحلة الأولى والثانية ، يملك أهمية خاصة استخدام وسائل الإعلام الجماهيري – الصحافة ، الراديو ، التلفاز ، التي تضمن معلومات وأخباراً عامة

محددة تؤثر على الجماهير ، وتساعد على ظهور رأياً مناسباً عند الفرد . ويملك استخدام أشكال ووسائل مختلفة من قبل المنظمات الحزبية والاجتماعية أهمية فائقة في المرحلة الثالثة والرابعة . هذه الأعمال من الضروري إعارتها انتباهاً خاصاً . وإلا يصبح الإعلام السياسي والطرق السيكولوجية للتأثير عملية غير منظمة وبعيدة عن التوجه ، لأنها تعمل في جانب محدد ضيق للتواصل . وفي عملية هذا التواصل ، يضمن الإعلام أسس ضرورية لفهم الرأي الذي يصاغ وبعد ذلك ، ينضم الناس بنشاط إلى عملية نقاش المسائل ، والإعلام الذي يتلقونه.

وفي المرحلة الثالثة والرابعة بالحقيقة تتجمع ، كل المراحل الأخرى وعليها الانضمام بشكل عضوي إلى العملية التواصلية برمتها ، وتقف بشكل متزامن ووفقاً لذلك ، ينمو بشكل هام دور المنظمون والمنفذون ، لأن الإعداد التمهيدي وطرق القيام بالنقاش ، يرتبط في الوقت المناسب يتكون رأي عام صحيح .

وهكذا ، يغتني ويتطور في مراحل مختلفة الرأي الشخصي ويتحول إلى رأي عام موحد.

<u>بعض المسائل المنهجية للقيادة العلمية وإدارة تكوين الرأي العام :</u>

يعد الإعداد العلمي لمسائل قيادة وإدارة العملية الإيديولوجية بما فيه تكوين الرأي العام – اليوم – من الأولويات في الدراسات العلمية والاجتماعية في أغلبية بلدان العالم . وهذا أشترطه ليس فقط الحاجات العامة والتوجه الجديد للتطور الاجتماعي ، وإنما نمو دور وأهمية النشاط الإيديولوجي على مختلف الأصعدة .

لقد ظهر في الأعوام الأخيرة مجموعة كبيرة من الكتب والدراسات والبحوث تتعلق بالإدارة الاجتماعية وأهميتها في العصر الراهن . إلا أن

نظـــريات الإدارة العامة وإعداد مسائل تنظم إدارة العمليات الإيديولوجية تشغل مكانـــاً خفيفاً " متواضعاً " ، وفي كثير من الحالات تبقي على مستوى الأوضاع والمطالب العامة .

وقـــد بينـــت الممارســـات في سوريا في الأعوام الأخيرة ، إلى ضعف وإعـــداد آليات محددة لتنظيم وإدارة النشاط الفكري الإيديولوجي كنظام كامل . وبحـــذر تســـتخدم الأشـــكال الجديدة ، والطرق الأكثر فاعلة ويلاحظ اللامبالاة والسذاجة والشكلية في تناولها .

معـــروف ، أن وسائل إدارة العملية الفكرية والإيديولوجية بصعوبة يتم البحـــث فـــيها ، بالمقارنة مع مسائل مرتبطة بالإنتاج والخدمات ... الخ . لكن الحـــياة الراهنة ، والممارسة ، تتطلب بقوة كشف أشكال ووسائل الإدارة العلمية وقـــيادة العملـــيات الإيديولوجـــية العامـــة المحـــددة، كظاهرة اجتماعية خاصة مشروطة بدقة بعمليات إيديولوجية متنوعة ، بما فيها الرأي العام ، وبعد كشف أســـباب الصلات المشروطة ، من مواقع الفكر القومي التقدمي ، ومن المفاهيم الحزبـــية الجديـــدة ، أساســـاً للقيادة العلمية للعمليات الإيديولوجية . وعلى هذا الأساس يمكن أن تفسر الخصائص الخاصة للقيادة في تكوين الرأي العام .

وكمـــا أشـــرنا سابقاً ، يشغل في عملية تكوين الرأي العام مكان خاص العوامـــل والمقدمـــات الســـيكولوجية . وهي من أصعب القضايا في إخضاعها للتخطيط والإدارة للتخطيط والإدارة والقيادة ، وانطلاقاً من ذلك ، يرفض بعض الباحثين إمكانية الإدارة العلمية في تكوين الرأي العام ، ويرى آخرون بأنها فقط ترتـــبط بالذاتية والموضوع ، لا شك فيه ، إن الجوانب السيكولوجية تؤثر تأثيراً قوياً ، لكنها لا تستطيع أن تكون العامل الوحيد المحدد . وهي لا تعد بجوهرها " ذاتـــية مجـــردة " (بحتة) ، مفصولة عن الظروف الموضوعية ، ولكنها تمثل مظهـــراً متـــنوعاً لعلاقات الإنسان بما يحدث من عمليات ، وأوضاعه الداخلية

وهـذا الشـكل مباشـر ، وغـير مباشـر مرتبط بموضوعات محددة للتطور الاجتماعي.

لذلـك ، تملـك العوامل والمقدمات السيكولوجية أسساً محددة ، ترتبط بسـلوك وعلاقات الفرد بما يحدث من عمليات . والأساس هنا ، ليس خصائص الرأي العام ، وإنما الطريقة للعملية المتنوعة المعقدة لتكوين وعمل الرأي العام . ومن أجل شرح هذه العملية ، من غير الممكن استخدام الأشكال التقليدية القديمة. مـن الضـروري الطريقة المسحية (الشمولية) الجديدة ، وطرق أخرى تضم بشـكل متناسـق ، خصائصه كظاهرة ، ونجاحات العلوم المعاصرة، ومطالب التطور الاجتماعي . فقط هكذا ، يمكن كشف الخصائص العامة والخاصة لعملية إدارة وقيادة تكوين الرأي العام .

وتملـك الأهمـية المنهجـية والعملية الهامة شروطاً اجتماعية سياسية وعوامل موضوعية وذاتية؛ ففي التنظيم المعاصر للمجتمع الغربي ، معروف أن العمليات الروحية والظواهر تفسر انطلاقاً من مصالح الفئات الحاكمة . وتسعى فـيه السوسـيولوجيا الغربـية بـتقديم هـذه العمليات كاتجاه عفوي ، وغالباً سيكولوجي، مستقلة عن الظروف المحددة ، التي يعيش ويعمل بها الناس . ففي القـرن الماضي ، تقدم ليبون نارد ، وهو لتسيندورف وسوسيولوجيون غربيون آخرون بنظرية ، وفقاً لها الرأي العام لا يعده الجمهور وإنما يتكون من الخارج وبالتالـي تكويـنه لـيس وسط الجماعة ، وإنما في داخل الفرد . أي في عالمه الداخلي . وحسب نظريتهم ، يعد التواصل بين الناس ساحة متنوعة يلتقون فيها ويتـبادلون مقولات جاهزة مسبقاً لآراء محددة وتعديلات جديدة ، تعطي وجهة النظر هذه ، دوراً خاصاً للفرد "للنخبة" .

وهـنا ، واضح عن أية نخبة " يدور الحديث ، وعن أية مصالح يدافع بالطبع الحديث يدور عن القوى الحاكمة التي كما يزعمون تكون وتنشر "الرأي

العـــام الحقيقي الصحيح " ، ويؤكد السوسيولوجي الأمريكي د. كيلنر : إن نجاح تكويـــن ونشـــر الـــرأي العـــام متعلق بشكل أساسي بمكان ودور " النخبة في المجـــتمع"، وإعدادهـــا ، وقدرتهـــا ، علـــى إدخال التأثير بأشكاله المختلفة مع الجماهير ، التي تتلقى الأفكار المناسبة .

لذلك ، حسب رأيهم ، لماذا العوامل الاجتماعية والظروف المحددة غير مهمـــة ، فقط الإعداد وقدرة " النخبة " هذا تقليد وعلاقة ازدراء واحتقار للقوى الحاكمـــة بالجماهـــير الشعبية ، وبكل من ينتج الخيرات المادية ويصنع التاريخ ويصيغ رأي عام صحيح .

وتعـــد الأسس المنهجية لهذه الطريقة مسحاً قديماً باطلاً ورفضاً للمبادئ العملية للوجودية والفرويدية الكلاسيكية التي بمساعدتها ، يسعى الإيديولوجيون الغربـــيون لتأســـس نظريات جديدة شاملة "كالمجتمع الحر " و " التحليل النفسي الثقافـــي " و " الطـــريق الثالـــث " فيها يظهر بوضوح " ودقة " وتقليل التبديل للعوامـــل الاجتماعـــية بطـــرق سيكولوجية ، والطريقة الاجتماعية التاريخية – بطـــريقة وجودية بيولوجية ... الخ . أن بعض السوسيولوجيين الغربيين بدؤوا بفهم عدم صحة هذه " النظريات " ، وأخذوا ، يبحثون عن وسائل وطرق جديدة حتى يكون إعدادهم النظري " عضوي " مرتبط بالحياة ، وثوابتها أكثر واقعية . وحسب رأي(أ فروم . و . غ ماركوز): " إن خصائص السيكولوجيا الإنسانية مـــن غـــير الممكن تفسيرها ، فقط بالتحليل السيكولوجي وبالعوامل البيولوجية. ويعلـــنون اليوم عن الحاجات ، أو المجبرة(الأمرة) للإنسان من أجل استمرارية بقائه ، وهذه الحاجات تجبره التأقلم مع الظروف الحقيقية وقبولها الموجودة، التي يعمل ويعيش فيها " .

لماذا ، إذاً ، نشاط الإنسان وسلوكه من غير الممكن تفسيره فقط بشروط بيولوجـــية ، هنا ، ظهر طريقة أخرى للتوجه نحو المسائل المبحوثة وهذه رؤية

للفـــرويدية الجديدة القائمة على أن تبقى القائمة على أسسها القديمة ، **في الحقيقة** بشـــكل هام ، أسدل الستار على بحوث العمليات الاجتماعية التاريخية ، وحسب رأيهم ، من الضروري البداية ليس من الظروف الاجتماعية ، ولكن من الإنسان بشـــكل خاص ، " بدراسة نوعيته الفيزيولوجي والسيكولوجية "، وهنا الظروف المادية والأواسط الاجتماعية ليست ضرورية لهم من أجل تحقيق فكرتهم ، فهي تبدو عوامل غريبة بالنسبة لهم متنابذة .

وتظهر الاكتشافات العلمية الراهنة ، ونتائج بحوث محددة بشكل مقنع إن دور وأهمـــية العوامـــل البيولوجـــية في صياغة التكوين السيكولوجي الإنساني محدودة ، وبينت أنه من الدرجة الثانية . إن صياغة الظواهر السيكولوجية حتى فـــي " شكلها المجرد " البحث عملية معقدة . وفي هذا المجال لا يسمح باستثناء العوامـــل والمقدمـــات المحددة ، وتقديم بديلاً عنها عوامل أخرى لا تلعب دوراً حاسماً .

إن المســـائل المطـــروحة من الضروري تفحصها بشموليتها . وإلاّ من غير الممكن بشكل صحيح فهم مسائل تكوين وعمل الرأي العام . إن المسألة عن إدارة وقـــيادة عملـــية تكوين الرأي العام جداً معقدة ، لأنها ترتبط قبل كل شئ بالمـــبادئ والمطالـــب العامـــة ، والـــتطور الاجتماعـــي الحضاري في سوريا وخصـــائص الحياة الروحية وحالات وظروف محلية محددة ، وطابع الموضوع وذاتيـــته ، وبالمهـــام الـــبارزة ومجموعـــة مسائل وجوانب أخرى ، التي من الضروري أن نأخذها بعين الاعتبار، وفي كل حالة على حدة . ومهم جداً الأخذ بعين الاعتبار خاصة العملية، وأي رأي عام يتكون ، وهل يعد جديداً ، أو يغتني ويتوسع ، وهل يستقر الرأي المناسب ، أو تغير سابقاً الاتجاهات المكونة للرأي. لذلك من غير الممكن التحدث عن نظام واحد يشمل كل مراحل وأسس وجوانب وحالات تكوين الرأي العام . على الأقل ، إن التجارب العلمية المتراكمة تسمح

لـــنا بتعميم وصياغة بعض الأسس لجوانب منهجية وعملية وتنظيمية واتجاهات ومطالب مرتبطة بشكل كامل بعملية الإدارة العلمية وقيادة تكوين الرأي العام :

أولاً : إن الإدارة العلمـــية وقيادة تكوين الرأي من الضروري تفحصها قبل كل شـــئ مـــن خلال تعليمات مشروطة ومرتبطة بالتطور الاجتماعي ، وفي النشـــاط الإيديولوجـــي بشـــكل كامل . ويحدد التطور الاجتماعي للنشاط الإيديولوجي طابع ومقاييس وتوجه القيادة لتكون الرأي العام غالباً كنظام واحد موجه ونشاط اجتماعي .

ثانـــياً : الأخذ بالحسبان الخصائص الخاصة وجوانب تكون الرأي العام ، وهذا يكتسب أهمية كبيرة من أجل القيادة الفعالة .

ثالـــثاً : من الضروري الأخذ بعين الاعتبار خصائص الرأي العام كتكون روحي وصـــلاته المشـــروطة بالحياة الاجتماعية والنشاط الإيديولوجي وحالات أخرى محددة .

رابعـــاً : يلعـــب دوراً كبـــيراً الـــتحديد الصحيح لموضوع وذاتية الرأي العام والشرح التمهيدي وتدقيق الخصائص العامة والخاصة والتوجه ، واتجاه التطور.

خامساً : من الضروري بشكل دائم أن تأخذ بعين الاعتبار الشروط الاجتماعية والاقتصـــادية – والاجتماعية – السيكولوجية – والتربوية لعملية تكوين الرأي العام ، وبشكل كامل مظاهره المحددة .

سادساً : مهم جداً ، دقة الشرح ، وأية آليات ، وقنوات وأشكال وطرق التأثير تستخدم في عملية تكوين الرأي العام في مراحله المختلفة ، ومستوياته كافة وبشكل كامل .

عـــدا ذلك ، عند تنظيم وتوجيه تكوين الرأي العام من الضروري بشكل تمهـــيدي شـــرح وتدقيق الضرورة في تكوين الرأي القائم ، وطابع وخصائص

ذاتيــته وموضــوعه وقــنوات محــددة ، وأشكال وآليات التأثير **الإيديولوجي** والتوقيت... الخ . وعندما يتطلب استقراراً أو تفسيراً أو إثراءً للرأي العام القائم من الضروري الأخذ بعين الاعتبار أسس مواصفات استقراره ، وتوسيعها ، وما هي المقدمات التي يحتاجها .

وترتــبط قــيادة عملية تكوين الرأي العام بشكل عضوي في نظام عام للنشــاط السياسي القائم، وإخضاعه لمبادئه؛ وبالتالي تعد جزءاً من هذا النظام . وبــنفس الوقــت تحــدد الخصــائص الخاصة للتنظيم والآلية ومراحل التكوين وتحقــيق وعمل الرأي العام بشكل نسبي الطابع المستقل لقيادته . والأساس بهذا إظهارهــا وشــرحها وأخذهــا في النشاط العملي للمنظمات الحزبية والحكومية والاجتماعــية . هذه المسائل ، يمكن فحصها من جوانب مختلفة ، لأنها تكشف خصــائص التأثير ، والطريقة الخاصة ، ومراحل الإعلام السياسي ، والشروط والصــلات المتبادلة لبعض قنوات التأثير ... الخ . وحتى هذا العمل، يكون له تأثير فعال، من الضروري

أولاً : شــرح بعض الأسس للمطالب من أجل تحديد المسائل التي تكون الرأي العام .

وتشــمل المسائل التي يتكون حولها الرأي العام تقريباً على كل مجالات الحياة المادية والروحية للمجتمع . وبنفس الوقت تحديد دوائر هذه المسائل لأنها مشــروطة بجوهــر وخصائص الرأي العام ، وبظروف محددة ، يتكون فيها. ويــنعكس تنوع كبير في نفس الوقت لمحدودية المسائل في الأعمال العلمية من خــلال مصالح إمكانية الذاتية وطابع الموضوع . عدا ذلك ، في مجتمعنا يساعد نشاط المنظمات المختلفة والتدابير الإيديولوجية لتكوين رأي عام محدد . فالمهمة الأساسية تتكون في استعمال المقدمات الموضوعية والذاتية بشكل منظم وهادف

وتكويـــن رأي عـــام صحيح . لكن للأسف، إن مجموعة التدابير والمبادرات لا تساعد لدرجة كافية تحقيق هذه الأهداف ، وتدعو إلى ردود فعل سلبية .

إن أســباب عــدم نجــاح المنظم ، كما هو معروف نجدها في المسائل المطــروحة للــنقاش ، التـــي غالباً تحمل طابعاً " تناوبياً "، إن التكرار المفرط للمســائل التقلــيدية ، يخفض فاعلية وقوة الجذب للقيام بتدابير محددة ، رغم أن هذا، يمثل أحد الأمثلة للاستيعاب العميق للمعارف المطروحة . فالتكرار لمسائل محــددة ، والتعلــيقات عليها ، تعمق وتثري المعرفة المكتسبة سابقاً ، وهذا يعد مقدمة هامة لتكون رأي عام صحيح .

وهــنا تظهر أسئلة؛ ما هي القضايا التي يجب أن تكرر ، وبأية أشكال وهــل مــن الضــروري ربط المسائل " القديمة " بالمهام الجديدة وفي ظروف محددة؟ .

وهكــذا ، إن أسباب ضعف فاعلية التدابير القائمة ، من غير الممكن أن تــتخذ بشــكل أساسي في أسلوب وطريقة عمل منظمات مناسبة مستقلة ، وعدم قدرتهــا على التقويم للمسائل المطروحة للمناقشة . ففي النشاط الاجتماعي كان دائمــاً وسيكون أسئلة بديلة ، تعكس إحدى النظم (الحتميات ، الواعية للتطور الاجتماعــي) وهــنا ، من غير الممكن على سبيل المثال ، عدم مناقشة مسائل الإنتاج المادي والخدمات بشكل دوري ... الخ . وهذا يمكن أن يقود إلى التجديد في العمل ، وإلى انقطاع عن الحياة ، وإلى عمل عرقلة التكوين المنظم الموجه الهادف للرأي العام في المسائل المطروحة .

لذلــك من الأفضل بشكل صحيح ، وضع أمثلة بشكل آخر . والتحديد : ما هي المســائل الــبديلة ؟ وما هو الجديد وخاصة في المرحلة هذه ؟ وما هي التدابير الضرورية التي يجب القيام بها للحصول على تأثير كبير ورفع النشاط السياسي والعملي للجماهير ؟ .

إن التوجه الفعلي نحو مسائل تكوين الرأي العام ، تعطي إمكانية تحديد المسائل وفقاً للجوهر المعروف للرأي القائم ، وللإمكانية الذاتية والشمولية والظروف المحددة . وفي الحالة العكسية ، سوف يحدث أخطاء حقيقية ، لأن العالم النظري المعروف ، والرأي العام يتواجدان في كل المسائل . ولكن إلى أي حد قادر بشكل موضوعي عكس هذه المسائل ؟ ولأي درجة ؟ وبأي شكل ؟ هذه أسئلة منهجية هامة ، يجب الإجابة عليها عند تكوين الرأي العام . إن التجارب تظهر ضرورة الانطلاق من هذه المطالب . مثل : المشكلات المباشرة للمسائل مع الحياة ، ومهام خط الحزب ، ومصالح الناس والظروف التي يعيشون ويعملون بها والأخذ بالحسبان الخصائص الاجتماعية – السيكولوجية وإمكانية الذاتية . وحيوية المسائل ، إن المسائل التي تقلق وتهم كل السكان أو مجموعات اجتماعية ديموغرافية .

ويملك الجانب الأخير ، أهمية خاصة للاستعداد السيكولوجي لأفراد أو مجموعات اجتماعية محددة ، للإدلاء بآرائهم ، وعلاقاتهم ومطالبهم . وهذا في دوره يفتح إمكانية ليس فقط للبرهنة ، وإنما بالوقت نفسه للإجابة على الأسئلة المطروحة ، وبنفس الوقت ، التخطيط الصحيح للمسائل التي يتكون حولها الرأي العام ، وضمان إدارة تكوينه . وفي الأعمال التطبيقية ، غالباً يسمح للطريقة وحيدة الجانب ، وبالتحديد ، لأنه يخطط لتكوين الرأي العام فقط بمسائل يطرحها ويصيغها للسكان .

بالطبع ، في حالات محددة ، وفقاً لطابع المسائل يمكن أن يصبح أساساً لتكوين الرأي العام ، إلا أن هذا يجب أن تحله بدقة المنظمات الحزبية المناسبة إن المسائل التي يتكون حولها الرأي العام ، عليها قبل كل شئ أن تعكس خط وسياسة الحزب . ففي كل مرحلة تتحدد وترتبط بظروف ومهام ومصالح وجماعات اجتماعية محددة . وفي الحالة العكسية ، ستكون الطريقة وحيدة

الجانب ، وهذا يقود لحل " المسائل المحلية البحتة " التي تحمل لدرجة ما طابعاً نفعياً.

إن الطريقة وحيدة الجانب ، لا تستطيع أن تكون قادرة على تكوين رأي عام صحيح ، لأنها لا تستطيع عكس وحدة الفرد بالمصالح الجماعية الاجتماعية. وبالتالي ، لتحديد مسائل تكوين الرأي العام من الضروري التناول الشمولي ، والأخذ بعين الاعتبار كل الجوانب والحالات المرتبطة بالمهام الموضوعية والظروف المحددة، لتحقيقها وفقاً لخصائصه الذاتية.

ثانياً – من الضروري شرح بعض المسائل المرتبطة بذاتية محددة للرأي العام ، أي بالرأي حول مسألة محددة يتكون ويعمل في مجموعة اجتماعية محددة من الناس . وهذا يعني أحد الجوانب الأساسية لتكوينه بعد شرح مسألة التأثير على أية شريحة اجتماعية من السكان يجب أن تتوجه من أجل تكوين رأي مناسب . من النظرة الأولى هنا لا يوجد مصاعب خاصة لأنه لا توجد ضرورة لإعداد خاص . أن التنوع بطابع المسائل والأهداف يصبح محدداً لذاتية تكوين الرأي . وهذا أساس ومحدد في المرحلة التمهيدية . مع ذلك، لا يكفي فقط شرح أية مجموعة من السكان ستكون ذاتية ، وغير كاف شرح مقاييسها وتقسيمها إلى مناطق . من الضروري الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الاجتماعية – السيكولوجية ، واتجاه التطور والتغيير ، كما لكل الجماعات الاجتماعية ، كذلك لهذا الجزء أو ذاك منها . وتشهد التجارب العملية على أن الشرح الشمولي لهذه المسائل ، (التي ترتبط بشكل مباشر بالنشاط الحزبي بشكل عام) ، تتطلب إعداد مواصفات اجتماعية سيكولوجية كاملة ، للذاتية التي عليها أن تضم كل أسس العلامات الاجتماعية والسيكولوجية والديموغرافية المساعدة .

ويعـد إعـداد المواصفات أحد المهام المتنوعة المعقدة في القرار الذي يجـب اعـتماده لمشاركة مؤسسات علمية بحثية مختلفة ، ومجموعات . ووفقاً للخصـائص الاجتماعـية الديموغرافية للذاتية على سبيل المثال تتحدد مراحل تكـون الرأي العام ، وطابع الإعلام والوسائل والأشكال التي سوف تستخدم في ظـل ذلـك . وتفسـر غالباً في العمل التطبيقي هذه المسائل ببساطة ومحدودية وتنسى الطريقة المسحية الشمولية .

وعـند تكويـن رأي محدد ، من الضروري ، متابعة وتحليل العلامات الاجتماعـية الديموغرافـية ، والأخـذ بعين الاعتبار الخصائص السيكولوجية للذاتية، وتأثير دور التكوين السيكولوجي ، " كالقوالب الجامدة " و " الحالات " و " الوضع الاجتماعي " التي تستطيع أما أن تساعد أو تحدد عملية صياغته . ومن الضروري أيضاً انتباه خاص إعارته إلي تحييد (إبعاد) بعض الجوانب السلبية " للقوالـب الجـامدة " . وهذا مهم في الدرجة الأولى لتلك الحالات الخاصة ، أو للمجموعـات الاجتماعـية المؤقتة التي تتلقى المعلومات والأخبار ، وتقوم فقط انطلاقـاً من تجاربها ومعارفها الخاصة . وهذا الجانب مهم ، عند تحديد الذاتية المضـاف إليها شرائح وفئات اجتماعية ديموغرافية محددة من السكان مثال : الميكانيكيين والتربويين ، والعاملين في قطاع الطب " ... الخ .

إن العلاقـات الأساسية والحالات المتعلقة بالظروف الموضوعية لوجود جماعـة مناسـبة (مطـابقـة) أو مجموعات من الناس ، من الممكن أن تكون متبايـنة ، لكـن في كل الحالات عليها أن تشمـل : طـابع وخصائص النشاط الإنتاجـي ، وظـروف العمـل ، وتنظيم النشاط الاجتماعي والظروف المادية وإمكانية القيام بنشاط اجتماعي (نوادي ، وسائل تكنولوجية ، صحف ، أجهزة راديو ، وسائل مالية ... الخ) ، إن شرح هذه المقدمات وأخذها بعين الاعتبار تسـمح بدقـة وبشـكل متبايـن بالـتعامل مع التأثير الإيديولوجي المنظم على

الجماهـــير. فهناك كثير من المنظمات الحزبية لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف المحددة ، التي فيها من الضروري القيام بأعمال أيديولوجية وسط الناس ، أولاً تملـــك تصورات موضوعية حقيقية عنها . ويتم في مجموعة من الحالات القيام بتدابـــير مخططـــة فـــي ظروف ما زالت غير مهيئة . في هذه الحالات، يكون التقويم شكلياً وينخفض فاعلية التأثير . إن المسائل عن الظروف من الضروري تفحصها بدقة ، وبتنوع ، وفقاً لنشاط أية منظمة حزبية .

ثالثاً – من الضروري تحديد اتجاهات ومضامين الرأي العام المكون . فـــي مـــرحلة التجهـــيز للبحث ، وفقاً للأهداف والمهام الموضوعة ، والحالات المحـــددة ، يتطلـــب شرح مضمون الرأي العام المتكون ، وخصائصه الخاصة التوســـعية الانتشارية ، وشدته وتوجهه وتحديده في الممارسة ، يمكن بشكل أو بآخـــر ، وضع هذه الجوانب في نموذج(موديل) عام ، بهدف إعداده إلى تحديد الـــتوجهات والأداء والحـــالات النهائية للرأي المتكون . ولكن في مجموعة من الحـــالات ، لقلـــة المعرفة أو الطريقة المبسطة للموديل المناسب لا نستطع حل المســـائل ، القائمة، وكذلك لا يمكن تفسير بعض الجوانب والحالات التي تكون حولهـــا الرأي في الدراسات العربية غالباً تختفي الدقة والوضوح لإعداد نموذج (موديـــل) عـــام ذو طبيعة عملية ، يستطيع أن يقدم مساعدة واضحة للمنظمين والقـــادة . في حالات كثيرة ، كما هو معروف ، يعطي فقط أوضاعاً عامة دون أهمية عملية ودقة وتحديد طرق التحقيق . وفي نفس الوقت تظهر التجارب أنه فـــي مجال الإنتاج المادي يستخدم مؤشرات دقيقة محددة ، وتملك إعداداً علمياً . وفي المجال الروحي غالباً ، يعتمدون فقط على التأثير العام والفاعلية .

وكمـــا هـــو معروف ، أعد في المجال الروحي مسائل منهجية وعملية عامة . لكن تظهر التجارب أنه في حالات كثيرة لحل مسائل وقضايا محددة هنا يمكـــن تـــناول الدقة والتحديد والتوجيه . نحن نتكلم عن الطريقة العلمية للقيادة

والإدارة ، فـبدون وضوح ودقة الأهداف والمهام الموضوعة والبرامج من غير الممكـن بشـكل صحيح تنظيم وإقرار ، وقيادة العمليات الكاملة لتكوين الرأي العـام. إن الفهـم الصـحيح للمهام والأهداف الموضوعة – يعد حجر الزاوية وأساساً لإعدادها وحلها الناجح .

رابعـاً – مـن الضروري شرح آليات وطرق وقنوات وأشكال ووسائل تكوين الرأي العام.

ويقـود التحلـيل العلمـي للتجارب في قطاع تكوين الرأي العام ، إلى النتـيجة التالـية : بغـض الـنظر عن طابع وخصائص كل نظام ، مع الأخذ بالحسـبان مسـتوى المنظمة الحزبية ممكن فرز الجوانب الأساسية والمطالب التالـية: قـبل كـل شئ ضرورة شرح وتدقيق آليات وطرق وقنوات وأشكال ووسائل تستخدمها المنظمات الحزبية المعنية . المسألة هنا ، أن بعض المنظمات الحزبية تسعى لضم كل هذه العوامل في النشاط الإيديولوجي .

وهـذا ممكن أن يستخدم (فقط من قبل الأنظمة الحزبية المرتبطة بشكل عال) ، وهذا يسمح بإدخال وضوح كبير في العملية الإعلامية وتوجهاً وصلات متـبادلة . ومـع ذلك ، تتعقد بشكل كبير الأنظمة التي يضاف إليها حلقة غير مرتـبطة مباشـرة مع مهام ووظائف المنظمة المناسبة ، وتعرقل عملية القيادة المحـددة فـي اسـتخدام الأشكال والوسائل الحقيقية . لذلك ، يضم التنوع في المـنظمات القاعديـة فقـط تلك الآليات والطرق والقنوات والأشكال والوسائل المرتـبطة بشكل دائم ومنظم بترتيب وطابع ومهام الجهاز الحزبي المحدد ، أو التنظـيم . فيما بعد ، من الضروري شرح وتدقيق الخصائص والمهام والمكان والآلـية ، والطرق والقنوات والشكل والوسيلة في عملية إعلامية عامة . وهذا يملك أهمية كبيرة لرفع فاعلية ونوعية الأعمال الإيديولوجية كلها .

ومن الضروري إعداد ليس اتجاهاً عاماً ، ولكن اتجاهاً عملياً ، وجوانب وأساليب محددة وتنظيمات واستخدام قنوات معينة وآليات وطرق وأشكال ووسائل ، وهذا يعد أحد المسائل الأكثر تعقيداً . في كثير من الحالات هذه الإعدادات تخرج خارج إطار أنظمة دراسة الرأي العام والإعلام السياسي للناس ، وتكتسب بشكل نسبي طابعاً مستقلاً . وهذا على الأغلب يتعلق بالجماهير ووسائل التأثير – الصحافة ، الراديو ، التلفاز ، السينما ، التحريض العلني . عدا ذلك ، عند الإعداد والإضافة للنظام ، آليات محددة وطرق وقنوات وأشكال ووسائل من الضروري الأخذ بالانتباه صلاتها وتعلقها المتبادل، وكشف الجوانب التي تساعد بدقة أكثر للتوجه الهادف والنتائج ، وبالوقت نفسه لعملها الأفقي والعمودي ، والأخذ بعين الاعتبار خصائص موضوع التأثير وضرورة تغيير وتحسين أشكال ووسائل تكوين الرأي العام .

وفي المجتمع السوري ، التكوين المناسب وبالوقت نفسه للرأي العام مرتبط بشكل مباشر بكل أنظمة التطور الاجتماعي ، والعمل الإيديولوجي للحزب بما فيه دراسة وتكوين الرأي العام مشروط بطابع المجتمع السوري الجديد .

إن القيادة المباشرة ، بشكل كامل ، عليها أن تحقق من قبل المنظمات والأجهزة الحزبية ، وبعض جوانبها الأخرى من قبل مؤسسات أخرى . وعلى هذا الشكل يتم ضمان القيادة الكاملة الدائمة لعملية تكوين الرأي العام ، ووفقاً لتركيب وطابع المنظمات الحزبية .

الخاتمة

يمثل شرح وتفسير طابع وجوهر وخصائص الرأي العام كظاهرة اجتماعية سيكولوجية وحتمية تكونه وعمل وظائفه ودراسته ، مسألة صعبة ومعقدة . نحن تفحصنا بعضاً من جوانبها ونواحيها .

وكما هو معروف ، إن بناء مجتمعنا الجديد ، وتنفيذ سياسة وخط التقدم في الحياة يتطلب المشاركة النشيطة الواعية للجماهير الشعبية الواسعة، في الحياة الاجتماعية ، وهذا يفسره الدور المتنامي للرأي العام في ظروفنا الراهنة ، الذي يكتسب نوعية وخصائص وأشكال عمل جديدة ، ووفقاً للفكر السياسي الجديد الذي طرحه الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية ،بناءً على التحولات الاجتماعية ، ونظراً لحدوث تغيرات ظاهرية وضمنية في الرأي العام، وذلك من أجل تحقيق المثل التقدمية الحضارية الجديدة ، وبناء القاعدة المادية الاقتصادية الجديدة ، وهذا يحتاج إلى الدعم الأخلاقي الواعي من قبل الجماهير للأطروحات والتحولات الجديدة التي تحدث في الفكر الاجتماعي والإنساني المعاصر في بلدنا، وإلى تدعيم الديمقراطية وعلى المستويات الأفقية والطولية كافة.

وتشترط قوة الرأي العام، ودوره المهم في تطور المجتمع قبل كل شئ جوهره وطابعه كظاهرة اجتماعية – سيكولوجية خاصة، وعكس أوضاع الوعي الجماهيري، الذي يوحد في ذاته جوانب عقلية ومعرفية وقيمية وعاطفية: فالرأي العام لا يعد تكوينا روحياً ثابتاً لا يتغير . بل يوجد فيه اتجاهات وفروعاً مختلفة تتطلب لنفسها علاقات نابهة في عملية تكوينه وعمله ودراسته . ويعد الرأي العام كظاهرة اجتماعية ، ظاهرة تاريخية ويتغير دوره وأهميته وفقاً لمراحل ودرجات تطور المجتمع .وهكذا على سبيل المثال : في ظروف النظام البدائي ، كان واحداً من المنظمين الأساسيين للعلاقات الاجتماعية ، وفي المجتمع العبودي والإقطاعي تقلص دوره وأهميته بشكل ملحوظ، فقط في ظروف الليبرالية

اكتسب الرأي العام قوته ، وهذا يفسره بالدرجة الأولى النمو المستمر لدور الجماهير الشعبية في حياة المجتمع . وتقود هذه العملية الموضوعية إلى التوسع الحقيقي للتواصل الروحي بين الناس ، وتحويل الرأي العام إلى عامل هام وقوة حقيقية قادرة على الإسهام في انتصار قوى التقدم والديمقراطية ، وعلى تأسيس مجتمع إنساني عادل .

وعلى هذا الشكل ، تتغير ذاتية وموضوع الرأي العام تاريخياً ووظائفه الاجتماعية .

ففي المجتمع السوري الذي يسير على طريق التقدم الاجتماعي ، وعلى أسس التطور الاقتصادي ووسائل الإنتاج ، يتكون فيه علاقات اجتماعية جديدة بالمشاركة النشيطة للجماهير الشعبية الواسعة في الإنتاج والإدارة ، وينمو دور وأهمية الرأي العام بشكل مستمر . ويتحول إلى شكل نوعي وإلى عامل ديمقراطي ، اجتماعي روحي جديد ، وإلى مساعد وحليف لقوى التنمية من أجل تحقيق السياسة الجديدة . ويلعب الرأي العام بشكل خاص دوراً هاماً في مرحلة البناء الاجتماعي الجديد ، فهو يؤثر تأثيراً محدداً على صياغة سياسة الدولة وتحقيقها.

ويتطلب بناء المجتمع الجديد ، وتحقيق المهام الماثلة أمام المجتمع الدراسات المنتظمة، والأخذ بالحسبان تكوين الرأي العام ، واستخدامه الكامل من أجل الرفع المتنامي الدائم للنشاط الاجتماعي للجماهير الشعبية .

وقد وضعت الحياة الراهنة في سورية ، أمام الباحثين والمنظمين مهمة الدراسة المنتظمة للرأي العام كمهمة سياسية من الدرجة الأولى ، وهذا يساعد في التعزيز اللاحق لصلات القيادة مع الجماهير وجذبها للممارسة النشطة في إدارة المجتمع وتوسيع دائرة الديمقراطية بشكل عام .

وفـــي ظـــروف اشـــتداد الصراع بين أمتنا العربية وما يسمى "بالدولة العبرية" ، تكتسب هذه المطالب ضرورة ملحة وخاصة ؛ وكذلك تتطلب ضرورة الاستخدام المنظم والموجه للقيم والأخلاقيات المؤثرة ، نظراً لقوة وأهمية الرأي العـــام فـــي النضـــال من أجل بناء مجتمعنا الجديد ومن أجل التسوية الشاملة والعادلة ، وازدهار الشعب وتقدمه .

المراجع

١- صحيفة "الثورة" ٢٠٠١/١/٢٢ .

٢- الدكتور فرج الكامل,بحوث الإعلام والرأي العام,تصميمها,وإجراؤها,وتحويلها,دار النشر للجامعات,٢٠٠١ ص٤٩ .

٣- انظر: المجلة المصرية لبحوث الرأي العام,العدد الأول,الثاني ,الثالث,الرابع,الخامس,السادس,المجلة المصرية,البحوث لبحوث الإعلام,العدد الأول لعام١٩٧٧ ,العدد الثاني,العدد الثالث,إلخ .

٤- جورجيف.يا:مسائل دراسة الرأي العام, صوفيا,١٩٩٦ ص٣٠ .

٥- دجافارلي ت.م:دراسة الرأي العام وحسبانه في الأعمال التربوية,موسكو ١٩٩٣ ص١١ .

٦- غروشن:آراء عن العالم ,وعالم الرأي ص٣١٨, بدون تاريخ.

٧- ميخايلوف: البحوث السوسيولوجيه الأمبيريقية,صوفيا.١٩٩٠ وليدوف .أ.ك.الرأي العام والمجتمع.

٨- د.كريمان فريد:تطبيقات الاتصالات التسويقية وانعكاساتها العالية على حملة التوعية المرورية,المجلة المصرية لبحوث الرأي العام,العدد الثالث يوليو – سبتمبر ٢٠٠٠ .

٩- انظر:مجلة "بحوث الاتصالات" مجلة نصف سنوية تصدرها كلية الإعلام, جامعة القاهرة العدد التاسع يوليو عام ١٩٩٣ , دور الصحافة في تعميق صلة القراء بها ص١٢١-١٦١ .

١٠- انظر:العلاقة بين التعرض لوسائل وطبيعة الاتجاه نحو مشكلة الإرهاب, الاتصال الشخصي في المجتمعات العربية العلاقة بين المستوى

الطبقـــي,واتجاهات القائمين بالاتصال,مجلة بحوث الاتصال العدد الثامن ١٩٩١ , وبحوث أخرى.
١١- انظر:مجلة "الفكر الفلسفي",العدد ٤ ,عام ١٩٩٥ ص٣٩ .
١٢- مجلة "بحوث الاتصال": جامعة القاهرة العدد السادس ديسمبر ١٩٩١ ص٥٢ .
١٣- د.محمـــود خلـــيل:دور الصـــحف الحزبـــية فـــي تشـــكيل اتجاهات الشباب,المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد الثالث ١٩٩٨ . ص٢٣ .
١٤- الاتجاهـــات الحديـــثة في استخدام الإذاعة في التوعية الريفية,المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد السابع, يناير يوليو ٢٠٠٠ ص.٢٧ .
١٥- مـــيخايلوف:س.أ:البحوث السوسيولوجية الأمبيريقية. صوفيا, ١٩٩٠ ص٦٥ .
١٦- مـــيخايلوف:س.أ:البحوث السوسيولوجية الأمبيريقية. صوفيا, ١٩٩٠ ص٩٦ .
١٧- انظـــر :بـــادوف.ف.أ:بحوث السوسيولوجية معاصرة, موسكو ١٩٩٩ ص٨٢ .
١٨- د.فـــرج كـــامل:بحـــوث الإعـــلام والرأي العام,تصميمها, وإجراؤها وتحويلها,دار النشر للجامعات,مصر . عام ٢٠٠١ ص١٩ .
١٩- د.مخـــتار أبـــو الخير: الاتصال الشخصي بين المتلقين وخلق العقل الواعي, مجلة بحوث الاتصال العدد الثامن ١٩٩٢ ص٢٨ .
٢٠- د.عـــاطف عدلـــي العبد : مدخل إلى الاتصال والرأي العام, الأسس الـــنظرية والإســـهامات العربية ط٣ , القاهرة دار الفكر العربي ١٩٩٩ ص٤٨ .

٢١- الكسييف .ب.ك.دوكتوروف ب.ز, فيروسوف ب.م:تجارب طويلة لدراسة الرأي العام,بطرس بورغ "لينينغراد سابقا" دراسة الرأي العام,تجارب ,ومسائل ١٩٩٩ ص٢٥ _ ٢٦ .

٢٢- انظر :د.فريال مهنا, د.علي وطفة, د.عطا الله الرمحين, الإعلام الفضائي العربي وقائع العولمة, الغزو الإعلامي المعادي, دراسة سوسيولوجية في جنوب سورية, الإعلام الاجتماعي في حياة مدينة دمشق أنموذجاً .

٢٣- د.علي وطفة: الغزو الإعلامي المعادي, دراسة سوسيولوجية في جنوب سورية, دمشق ١٩٩٦ ص٣٢ .

٢٤- د.فريال مهنا: الإعلام الفضائي العربي وقائع العولمة, المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد السابع يناير يوليو ٢٠٠٠ ص ٨٥ .

٢٥- لينين ف.ي: المؤلفات الكاملة المجلة ٥٤ ص١٤٤ .

٢٦- صحيفة "تشرين" السورية ٢٠٠١/٢/١٣ .

٢٧- د.مي العبد الله سنو: الاتصال في عصر العولمة, الدور والتحديات الجديدة, الدار الجامعية للطباعة بيروت ١٩٩٩ ص٦٧ .

٢٨- مجلة "المناضل" السورية, العدد ٢٠٠١ ص٢٣ .

٢٩- محمد حسام الدين: المسؤولية الاجتماعية للصحافة المصرية: رسالة ماجستير (جامعة القاهرة كلية إعلام ١٩٩٦ ص١٠١) .

٣٠- محمد حسام الدين : المسؤولية الاجتماعية للصحافة المصرية: رسالة ماجستير (جامعة القاهرة كلية الإعلام ١٩٩٦ ص١٥٤) .

٣١- د.فريال مهنا : تحليل الخطاب العربي ، المؤتمر العلمي الثالث جامعة فيلادلفيا ، أيار ١٩٩٧ بحوث مختارة ، منشورات جامعة فيلادلفيا

٣٢- د. علـــي بـــن شـــويل القرنـــي : الخطاب الإعلام العربي ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد الأول يناير ١٩٩٧ ص ٤٧ .
٣٣- مجلة المناضل السورية ، العدد ٢٠٢ ص ٤٧ .
٣٤- د. حســـن إبراهـــيم مكيـــن : تطور نظرية الاتصال والاستراتجيات البحث في الدراسات الإعلامية ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، العدد الأول يناير ١٩٧ ، ص ١٦٠ .
٣٥- مراجع لمزيد من التفاصيل : حمدي حسن ، الاتصال وبحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري (القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٣).
٣٦- د. فرح الكامل : بحوث الإعلام الرأي العام ، تصميمها ، وإجراؤها وتحليلها ، دار النشر للجامعات ٢٠٠١ ص ٦٠ .
٣٧- أ.د جيهان أحمد رشيق : تخطيط الاتصال لتنمية المجتمعات المحلية في الوطن العربي ، مجلة بحوث الاتصال ، جامعة القاهرة العدد السادس ديسمبر ١٩٩١ ص ٨ .
٣٨- فرانتســـوف غ.ب : الصلات المنهجية والأساليب في بحوث محددة موسكو ١٩٩٨ ، ص ٨ .
٣٩- جورجيف . يا : مسائل دراسة الرأي العام ، صوفيا ١٩٩٦ ص ٣١
٤٠- جورجيف . يا : مسائل دراسة الرأي العام صوفيا ١٩٩٦ ص ٧٣ .
٤١- د.علـــي عجوة : الأسس العلمية للعلاقات العامة ط ٤ القاهرة عالم الكتب ١٩٩٣ ص ١١٥.
٤٢- انظـــر : مختار التهامي : الرأي العام والدعاية (القاهرة دار الهاني للطباعة والنشر ١٩٨٩) .
محمـــود يوسف : حرية الرأي في الإسلام ، المضمون والحدود (القاهرة : مكتبة غريب ٩٨٩) ، علي عجوة وآخرون ، مقدمة في وسائل الاتصال

ط ١(جدة مكتبة مصباح ١٩٨٩ ص ٢٤٥) .
٤٣- د. فرج الكامل : بحوث الإعلام الرأي العام ، تصميمها ، وإجراؤها ، وتحليلها ، دار النشر لجامعات ٢٠٠١ ص ٥٦ .
٤٤- د.فرح الكامل : بحوث الإعلام والرأي العام ، تصميمها ، وإجراؤها ، وتحليلها ، دار النشر لجامعات ٢٠٠١ ص ٥٩ .
٤٥- صحيفة "البعث" السورية ١٣ / ٨ / ١٩٩٩.
٤٦- سمسونوف ف . ي : مناهج البحث العلمي ، موسكو ١٩٩٥ ص ٧٢
٤٧- سمسونوف ف.ي : مناهج البحث العلمي ، موسكو ١٩٩٥ ص ٧٥
٤٨- سمسونوف ف.ي : مناهج البحث العلمي ، موسكو ١٩٩٥ ص ٨٠ .
٤٩- سيدروف أزن : وسائل الإعلام الجماهيري والإرادة الاجتماعية ، موسكو ، دار نشر تاروكا ١٩٩٨ ص ١٠٣.
٥٠- د . محمد شومان : الأساليب الحديثة في قياس الرأي العام ، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام العد الثالث يوليو سبتمبر ٢٠٠٠ ص ١٨٠ .
٥١- د. محمد خليل ، دور الصحف الحزبية في تشكيل اتجاهات الشباب ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، جامعة القاهرة ، العدد الثالث ، سبتمبر١٩٩٨ ص ٢١ .
٥٢- جوديت لازار : سوسيو لوجيا الاتصال الجماهيري ، ترجمة د . علي وطفة ، د. هيثم سطايحي ، دمشق دار الينابيع ١٩٩٤ ص ٧٧ .
٥٣- بروفالوفا ي.أ : أهمية الوثيقة في البحث السوسيولوجي ، موسكو جامعة موسكو ١٩٩٩ ص ٩٩ .
٥٤- بروفالوفا ي.أ : أهمية الوثيقة في البحث السوسيولوجي ، موسكو جامعة موسكو ١٩٩٩ ص ٩٩ .

٥٥- انظـــر : د٠فرج كامل : بحوث الإعلام والرأي العام ، مرجع سابق ص ٩٢ ٠
٥٦- كينـــتريل غ : أولويات الدراسة في بحوث الرأي العام ، مجلة ، بشير جامعة موسكو ، العدد ٨ ، عام ١٩٩٨ ص ٦٢ .
٥٧- مجلة " المناضل " السورية العد ١٩٨ ص ٣٣ ٠
٥٨- صحيفة "الثورة " السورية ٢ / ٥ / ٢٠٠٠ .
٥٩- د٠ عطا الله الرمحين : الإعلام الجماهيري في حياة المجتمع ، دمشق دار حنين للنشر والطباعة ص ١٢٠.
٦٠- د٠ عطا الله الرمحين : الإعلام الجماهيري في حياة المجتمع ، دمشق دار حنين للنشر والطباعة ص ١٣٢ .
٦١- صحيفة " تشرين " السورية ٢٠٠١/١/٥ .
٦٢- صحيفة " البعث " السورية ١٨ / ١/ ٢٠٠١ .
٦٣- صحيفة " البعث " السورية ١٩ / ١ / ٢٠٠١ .
٦٤- د٠عطـــا الله الرمحين : دراسات عربية في نظرية الصحافة ، دمشق دار الينابيع ١٩٩١ ص ٦٢ ٠
٦٥- مجلة " المناضل " السورية العدد ١٩٧ ص ٢٦ .
٦٦- صحيفة " البعث " السورية ٢ /٥ / ٢٠٠٠ .
٦٧- صحيفة " السفير " اللبنانية ١٨ / ٧ / ١٩٩٩ .
٦٨- بادي الخطيب : تدهور الوعي الجماهيري ومسؤولية الإعلام العربي، مجلة الوحدة ، العدد ٥٤ ص ١٠٣ .
٦٩- مينشو دورغان : قضايا الرأي العام ، صوفيا ١٩٩٣ ص ١٤٠ .
٧٠- ماكارينكو أ٠ي : الجماعة وتربية الفرد موسكو ط ٤ ، ١٩٩٤ص ٦٨
٧١- صحيفة " البعث " السورية ١٥ / ٣ / ٢٠٠٠ .

٧٢- مجلة "المناضل" السورية ، العدد ١٨٩ ص ٣٢ .
٧٣- بويف ل٠ي : البيئة الاجتماعية ووعي الفرد ، موسكو ١٩٩٨ ص ١٠٥ .
٧٤- مجلة " تحديات ثقافية " العدد ٤ ، ٢٠٠١ ص ١٣.
٧٥- صحيفة " تشرين " ١٤/ ٥ / ٢٠٠٠.
٧٦- صحيفة " تشرين " ١٨ / ١ / ٢٠٠١.
٧٧- مجلة " المناضل " السورية العدد ١٨١.
٧٨- صحيفة " البعث " السورية ١٦ / ٢ / ٢٠٠٠ .
٧٩- مجلة " المناضل " العدد ١٦٠.
٨٠- د٠علي وطفة ، د٠ مها زحلوق : الشباب والمرأة ، دمشق ١٩٩٦ ص ٦٢ .
٨١- د٠ علي وطفة ، د٠ مها زحلوق : الشباب والمرأة ، دمشق ١٩٩٦ ص ٦٧ .
٨٢- بردلون ب٠أ : الرأي في أنظمة الوعي البشري ، موسكو ١٩٩٣ ص ٩٦ .
٨٣- كوفاليوف أ ٠غ : الجماعة وسائل القيادة السيكولوجية ، موسكو ١٩٩٨ ص ٤٦ .
٨٤- صحيفة " تشرين " ، ١٧ / ٨ / ٢٠٠٠ .
٨٥- أدكرارتيتسوف ب٠س : أهمية التصنيف في بحوث الرأي العام موسكو ١٩٩٤ ص ٤١ .
٨٦- انظر : د٠فرج الكامل ، كريوتنيوف ، برونسكي ، ليونيتف.. إلخ .
٨٧- محمود بو عربي ، أي إعلام وفي خدمة من ، مجلة الوحدة ، العدد ٥٤ ص ٥٠ عام ١٩٨٩ .

٨٨- د٠بركات عبد العزيز : تخطيط الاتصال لتنمية المجتمعات المحلية في الوطـــن العربـــي ، بحـــوث الاتصال ، جامعة القاهرة العدد السادس ١٩٩١ ص ٢٧ ٠
٨٩- مجلة " المناضل " السورية ، العدد ١٦٢، ص ٦٥ ٠
٩٠- زاسورسكي يا٠ن : الدعاية الحزبية في الظروف المعاصرة ، موسكو دارتاودكا ١٩٩٨ ص ٧٥ ٠
٩١- فايوفـــانوف س٠ي : الدعاية والإعلان ، موسكو ، ١١ – ١٣ شباط ص ١٩٨٩ ٠
٩٢- لينين ف٠ي : المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٠ ص ٢١٢ ٠
٩٣- الأســـس العامـــة للدعاية السياسية ، مواد المؤتمر العالمي ، موسكو ١١ – ١٣ شباط ١٩٨٩ ص ٧-٨ ٠
٩٤- الأســـس العامة للدعاية السياسية ، مواد المؤتمر العالمي ، موسكو ١١-١٣شباط ١٩٨٩ ص ١٢ ٠
٩٥- د٠نســـمة الـــبطريق : التلفاز والمجتمع ، والهوية الثقافية ، دراسات تنفيذية ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ١٩٩٩ ص ٤٨ ٠
٩٦- زاسورســـكي يـــا ٠ن : الدعايـــة الحزبية في الظروف المعاصرة ، موسكو دار تادوكا ١٩٩٨ ص ٨٦ ٠
٩٧- د٠عطـــا الله الرمحيـــن : الإعلام الجماهيري في حياة المجتمع ، دار نشر حنين ، ١٩٩٦ ص ٧٢ ٠
٩٨- مقـــتطف مـــن كتاب د٠وجيه الشيخ الإعلام والدعاية ، جامعة دمشق ١٩٨٦ ص ٥٥ ٠
٩٩- تيخـــنوف ف٠ي : مهمـــات السيكولوجيا المعاصرة ، موسكو ١٩٩٨ ص ١١٢ ٠

١٠٠- د٠عطـا الله الرمحيـن : أضواء على الصحافة العربية والعالمية المعاصرة ، دمشق ، دار علاء الدين ، ٢٠٠١ ص ٣٨ .
١٠١- د٠عطـا الله الرمحيـن : المجـلات الأسبوعية الفرنسية ، التاريخ والمعاصرة ، دمشق ، دار حنين ١٩٩٧ ص ٥٨ .
١٠٢- وليدوف ف٠ي : السيكولوجيا الاجتماعية ، والسيكولوجيا التربوية ، مسائل التواصل ، موسكو ١٩٩٩ ص ٣٥ .
١٠٣- د٠فـريال مهـنا : الـتلفزة والوعـي التنموي في سوريا ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد الثالث سبتمبر ١٩٩٨ ص ١٩٠ .
١٠٤- د٠فـريال مهـنا : الـتلفزة والوعـي التنموي في سوريا ، المجلة المصرية لبحوث الإعلام العدد الثالث سبتسمبر ١٩٩٨ ص ١٩٥ .
١٠٥- محمـد أحمـد اسماعيل : الإعلام العربي والوعي التنموي ، مجلة الوحدة ، العدد ٥٤ ١٩٨٩ ص ١٠٨ .
١٠٦- أفاناسـوف ف ٠ غ : الإعلام الاجتماعي وقيادة المجتمع ، موسكو ١٩٩٥ ط٤ ص ٦٩ .
١٠٧- بردنين ب٠ب : الصحافة والرأي العام ، موسكو ١٩٩١ ص ٦٥ .
١٠٨- ولـيدوف ف٠ي : السيكولوجيا الاجتماعية والسيكولوجيا التربوية مسائل التواصل ، موسكو ١٩٩٩ ص ٨٢ .


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University